١٣٥

تاريخ المصريين

اليهود فى مصر المملوكية

فى ضوء وثائق الجنيزة

(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)

د. محاسن محمد الوقاد

الهيئة المصرية
العامة للكتاب

تصدر عن

الهيئة المصرية العامة للكتاب

اليهود في مصر المملوكية

في ضوء وثائق الجنيزة

(٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)

د. محاسن محمد الوقاد

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٩

الاشراف الفنى

محمـــود الجـــزار

تقـــــديم

يسرنى أن اقدم للقارىء الكريم هذا الكتاب عن « اليهود فى مصر المملوكية » فى ضوء وثائق الجنيزة (١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م) للدكتورة محاسن محمد الوقاد . وهو فى الأصل رسالة علمية حصلت بها صاحبتها على درجة الدكتوراه من جامعة عين شمس .

واهمية الدراسة تتمثل فى اعتمادها على كل من المصادر العربية ووثائق الجنيزة ، وتصحيحها لبعض المفاهيم المغلوطة فى تاريخ المجتمع المصرى فى عصر المماليك . وبالتالى فهى جديرة بالقراءة .

وتنقسم الدراسة الى اربعة ابواب يسبقها مدخل عن اليهود فى مصر الاسلامية قبل عصر المماليك ، وفى الباب الاول تتحدث المؤلفة عن مكانة اليهود فى الدولة المملوكية ، فتتناول علاقتهم بالطبقة الحاكمة ، ووظائفهم فى الدولة ، وتتعرض لمدى التزامهم بشروط عمر بن الخطاب . اما الباب الثانى ، فيتناول احوال اليهود الاقتصادية وفيه تتحدث المؤلفة عن حرف وصناعات اليهود ، ونشاطهم التجارى . اما الباب الثالث فيتناول المجتمع اليهودى

وتقسيماته الطائفية ، وزعاماته الدينية . وتستكمل المؤلفة ذلك فى الباب الرابع ، الذى تتناول فيه الحياة الاسرية لليهود ، واعيادهم واحتفالاتهم . وتتبع المؤلفة ذلك ببعض الملاحق المفيدة بلغت تسعة عشر ملحقا .

والكتاب بذلك يسد ركنا مهما فى المكتبة العربية كانت فى حاجة اليه . واملى أن ينتفع به الباحث الاكاديمى والمثقف العادى .
والله الموفق .

رئيس التحرير
د. عبد العظيم رمضان

المقـــــدمة

يمثل تاريخ اليهود فى مصر ابان عصر سلاطين المماليك جزءاً لا يتجزأ من المسار العام للتاريخ المصرى ، فلم يكن اليهود فى تلك الفترة كيانا منعزلا عن المجتمع المصرى ، أو بمعزل عن النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى هذا المجتمع ، بـل كانوا يندمجون فى نسيجه .. شأنهم فى ذلك شأن بقية الطوائف الدينية الاخرى ، وقد سبق لى ان لاحظت ذلك بوضوح مـن خـلال دراستى لموضوع الطبقات الدنيا فى عصر سلاطين المماليك (١) ، حيث تعرضت فى أحد فصولها لتلك الطائفة من خلال دراستـى لعامة اهل الذمة فى القاهرة ، واحسست وقتها بضرورة تكريس دراسة متخصصة لليهود فى مصر تحت حكم المماليك ، تتنـاول علاقاتهم بالطبقة الحاكمة والوظائف التى شغلوهـا وحقـوقهم وشئونهم الاقتصادية وأوضاعهم الدينية وأحوالهـم الاجتماعيـة والثقافية نظراً للدور المهم الذى لعبوه فى المجتمـع المصرى إبان تلك الفترة الزمنية .

(١) انظر محاسن محمد الوقاد ، الطبقات الدنيا فى القاهرة فى عصر سلاطين المماليك ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب – جامعة عين شمس ١٩٩١ م .

وقد دفعنى أيضا الى اختيار هذا الموضوع الخلاف المحتدم بين بعض المؤرخين العرب كالنويرى والمقريزى والقلقشندى وابن الحاج وابن قيم الجوزية وبين معظم المستشرقين من اليهود انفسهم الذين تناولوا دور اليهود وابعاده فى التاريخ المصرى مثل المستشرق الفرنسى آشتور ، وجواتين ، ويعقوب مان ، ومارك كوهين الذين تعكس كتاباتهم وأبحاثهم وجهة النظر اليهودية الصرفة دون الاخذ فى الاعتبار بوجهة النظر الاسلامية أو حياد المؤرخين ازاء الوثائق التى يتناولها ، لاسيما وقد وصلنا العديد من الوثائق اليهودية المعروفة باسم وثائق الجنيزة التى نجدها للأسف مبعثرة بين المتاحف والمجموعات الخاصة الأوربية والامريكية والتى لم توجه اليها العناية الكافية من قبل المؤرخين العرب فى الآونة الأخيرة ، ومن ثم فان الدراسة المقترحة سوف تغطى نقصا كبيرا طالما عانت منه المكتبة العربية للدراسات التاريخية فى العصور الوسطى .

وسوف تقوم هذه الدراسة على المقابلة بين ما أورده المؤرخون العرب وبين ما جاء فى نصوص الجنيزة بصدد طائفة اليهود فى مصر ابان العصر المملوكى بهدف تصحيح العديد من المفاهيم المغلوطة بالنسبة للتاريخ للمجتمع المصرى بصفة عامة وللطوائف اليهودية بصفة خاصة ، تلك المفاهيم التى أملح المستشرقون فى ترويجها نتيجة لاعتمادهم الكلى على وثائق الجنيزة وحدها دون الرجوع إلى المصادر العربية ، الأمر الذى عاون على ترويج معلومات ومفاهيم خاطئة عن تلك الطائفة .

ولعل السبب فى اختيارى لعصر سلاطين المماليك على وجه الخصوص يرجع الى تميزه فى خصائصه السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فضلا عما حازه اهل الذمة ومن بينهم اليهود من حريات وحقوق بلورت دورهم فى المجتمع المصرى ابان تلك الفترة .

وتعتمد هذه الدراسة بصفة اساسية كما سبق أن ذكرت على أسلوب المقارنة بين وجهة نظر المؤرخين العرب ووجهة نظر المستشرقين اليهود ، كما تعتمد على تحليل لأغلب وثائق الجنيزة التى وصلت الى ايدينا من هذه الفترة .

وقد قسمت البحث الى اربعة أبواب مسبوقة بمدخل مهدت فيه بدراسة عن أحوال اليهود منذ الفتح الاسلامى حتى قيام دولة المماليك ، ووضحت فيه بصورة عامة احوالهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية وموقف الطبقة الحاكمة منهم .

وخصصت الباب الأول لمكانة اليهود فى الدولة المملوكية وذلك من خلال ثلاثة فصول ، استعرضت فى الأول منها علاقة اليهود بالطبقة الحاكمة والجزية الواجبة عليهم ، والشروط اللازمة لعقد الذمة معهم ، وموقف سلاطين المماليك الرسمى منهم ، والألقاب التى منحتها لهم الدولة ، كما أبرزت دور رئيس اليهود فى الوساطة بين الدولة ورعاياها من اليهود ، ولجوء اليهود الى سلاطين المماليك فى حالة خروج رئيسهم عن الطريق الصواب ، كما استعرضت فيه المراسيم التى صدرت بشأن اهل الذمة ، وأوضحت ان هذه المراسيم كانت تصدر لتصحيح أوضاع معينة لأن اليهود عاشوا فى المجتمع المصرى كجزء لا يتجزأ منه .

وتناولت فى الفصل الثانى الوظائف المهمة التى عمل بها اليهود فى عصر سلاطين المماليك سواء فى مجال الطب او فى الجهاز الادارى والمالى للدولة ، وبينت ان بعض الأطباء منهم تولوا رئاسة اليهود فى الوقت نفسه ، كما عمل بعضهم كأطباء فى بلاط سلاطين المماليك ، وأشرت أيضا الى موقف الفقهاء من استخدام الموظفين من غير المسلمين فى وظائف الدولة .

وعالجت فى الفصل الثالث من هذا الباب مدى التزام اليهود بالشروط العمرية وموقف سلاطين المماليك من بناء دور عبادة جديدة ، كما بينت كيف سمحت دولة المماليك لليهود بشراء أراض ومنازل فى سائر أنحاء البلاد ، وتعرضت أيضا لملابس اليهود وعمائمهم والقيود التى كانت مفروضة عليهم ، ووصف الرحالة الأوروبيين واليهود لهذه الملابس ، وأشرت كذلك الى مواريث اليهود وطريقة تنظيمها والاشراف عليها ، وأوقافهم ورعاية سلاطين المماليك لهم ، ونوهت بمدى أحقية اليهود فى امتلاك الرقيق ، وموقف الفقه الاسلامى من ذلك ، ثم أنهيت هذا الفصل بالحديث عن الحالات التى تعرض اليهود خلالها للاضطهاد ابان العصر المملوكى ، وقمت بتوضيح ذلك .

وخصصت الباب الثانى لأحوال اليهود الاقتصادية زمن سلاطين المماليك من خلال فصلين تناولت فى الأول منهما حرف وصناعات اليهود ، وبينت أن نسبة كبيرة من اليهود قد عملت بالحرف والصناعات المختلفة ، كحرفة الصباغة ، وصياغة الذهب والفضة والنحاس ، وحرفة الخياطة ، وصناعة الكعك والسكر ، وبينت مدى التدهور الذى أصاب الصناعات والحرف فى العصر المملوكى الثانى ، ومد انعكاسه على المجتمع المصرى ككل .

وخصصت الفصل الثانى للنشاط التجارى لليهود ، الذين مارسوا جميع أنواع التجارة من العطارة الى الأدوية ، وتجارة العنبر ، وتجارة النسيج والحرير وتجارة المحاصيل ، كما ناقشت فى الفصل موضوع تجارة الكارم ، ومدى مشاركة اليهود فيهما وتجارة الرقيق وممارستهم للربا ، وموقف القرآن الكريم من هذا الموضوع ، وأشرت أيضا الى ممارستهم لأعمال الصرافة ،

واستعرضت فى هذا الفصل ايضا النشاط التجارى لليهود فى عصر المماليك الجراكسة ، وتحدثت عن سوق الجملون الصغيرة والكبيرة وكيف كانت مكتظة بحوانيت التجار من اليهود .

وعالجت فى الباب الثالث البنية الداخلية لجماعات اليهود فى عصر سلاطين المماليك من خلال فصلين استعرضت فى الأول منهما التقسيم الطائفى لليهود من ربانيين ، وقرائيين ، وسامرة ، ومدى الاختلاف بين الفرق الثلاث ، كما أشرت الى معابد اليهود وأماكنها، وأماكن سكنى كل طائفة ، واستعرضت كذلك تنظيم شئون الطائفة الداخلى والموضوعات الادارية التى كان يتم مناقشتها داخل كل تنظيم ، ومصروفات الطوائف والخدمات الاجتماعية المتنوعة التى كانت تقوم بها الاعانة المحتاجين ومساعدة عابرى السبيل ، والقيام بدفع الجزية عن العاجزين ، كما ألقيت الضوء على كاتب الطائفة والواعظ والجزار (شوحيط) وبينت مهام كل منهم ، وأنهيت الفصل بالحديث عن وضع الطوائف اليهودية فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ، ووصف الرحالة اليهود لهذه الطوائف .

واستعرضت فى الفصل الثانى الزعامة الدينية والقضاء اليهود فى عصر سلاطين المماليك ، من خلال التعرض لدور الناجيد كرئيس للطوائف اليهودية وواجباته وحقوقه ومسئولياته نحو الطوائف الثلاث ، كما أشرت الى أهم القابه ، وكيفية اختياره، وأشرت كذلك الى معاونيه ، وراتبه وأهم المصادر المالية التى كانت تمول ذلك ، وتحدثت أيضا عن القضاء اليهودى ورئاسة الناجيد له ، واستعرضت مجالس القضاء اليهودى وكيفية تشكيلها ، وأشرت الى ديان اليهود الذى كان يحتل المرتبة الثانية بعد الناجيد ، ونوهت بأهم القضايا التى كانت تعرض على مجالس

القضاء ومضمونها والاحكام والعقوبات التى كانت تصدر بشأنها ، وحق اليهود فى اللجوء الى القضاء الاسلامى ، وموقف زعماء الطوائف اليهودية من اليهود الذين كانوا يلجئون الى القضاء الاسلامى والعقوبات التى كانت تفرض عليهم . واستعرضت كذلك موقف فقهاء الاسلام من بعض المسائل الخاصة باليهود ، والقيت الضوء على الحماية التى كانت تكفلها الدولة المملوكية لليهود ، وموقف القضاء الاسلامى من النساء اليهوديات ، وانهيت الفصل بالحديث عن علاقة اليهود بالطبقة الحاكمة من الناحية الادارية والقضائية .

اما الباب الرابع والأخير فقد خصصته للحديث عن الأوضاع الاجتماعية لليهود فى عصر سلاطين المماليك من خلال فصلين : تناولت فى الأول منهما أحوال الأسرة اليهودية فى العصر المملوكى ، من خلال دراسة منازل اليهود ، والزواج بمراحله المختلفة ، من خطبة ومهر ، والقيت الضوء على الشروط الشكلية للزواج ، كما تناولت موانع الزواج عند اليهود ، واحتفالات الزواج وكيفية اتمامه ، وأشرت الى ظاهرة تعدد الزوجات وموقف الشريعة اليهودية من ذلك ، ثم تحدثت عن زواج اليبوم أى زواج الأخ من أرملة أخيه المتوفى وطقوس الاحتفال بهذا الزواج ، كما تحدثت عن الحياة العائلية للأسرة اليهودية ، وموقف الشريعة اليهودية من طهارة المرأة الحائض ، وأهم الاحتفالات العائلية عند الأسرة اليهودية من ولادة وختان ، كما أشرت الى دور الأم اليهودية فى تربية الأطفال وتنشئتهم ، وتعرضت كذلك للمآتم والأحزان وما كان يتم خلالها داخل الأسرة اليهودية ، وانهيت هذا الفصل بالحديث عن ملابس اليهود فى العصر المملوكي الخاصة بالرجال والنساء ، من ملابس داخلية وخارجية ، وملابس للمنزل وملابس للطريق ، واغطية الرأس ، واغطية الوجه والخفاف ، كما اشرت ايضا الى ملابس الأولاد والبنات .

واستعرضت فى الفصل الثانى موضوع الأعياد والمواسم والاحتفالات عند اليهود وقسمتها الى أعياد شرعية تناولت ، فيها خمسة أعياد وردت فى التوراة هى عيد رأس السنة ، وعيد الكبور ، وعيد المظلة ، وعيد الفطير أو الفصح ، وعيد الأسابيع أو العنصرة أو الخطاب . بالاضافة الى مجموعة من الأعياد المحدثة أضيفت الى الإعياد الشرعية واحتفل بها اليهود فى العصر المملوكى احياء لحوادث معينة مثل عيد الفوز وعيد الحنكة أو الحانوكة ، ويوم السبت ، وانهيت هذا الفصل بالحديث عن موسم الحج ومدى أهميته بالنسبة للحياة الدينية الخاصة بيهود مصر . وأنهيت الدراسة بخاتمة اجملت فيها أهم النتائج التى توصلت اليها ، وذيلتها بمجموعة من الملاحق ووثائق الجنيزة ، وقائمة بالدوريات التى وردت بالرسالة وثبت تضمن اهم المصادر والمراجع التى استعنت بها فى اعداد هذهالدراسة .

وقد استلزم اعداد هذه الدراسة الرجوع الى العديد من الوثائق والمصادر والمراجع .

اولا : الوثائق :

يمكن تقسيم الوثائق التى افادت البحث الى ثلاث مجموعات : تمثل المجموعة الأولى وثائق ديرسانت كاترين التى توضح لنا موقف الدولة الرسمى تجاه أهل الذمة ، كماتبرز لنا مدى حرص سلاطين المماليك على تأكيد روح التسامح الاسلامية تجاه أهل الذمة من يهود ونصارى .

وقد اعتمدت على النسخة المصورة على ميكروفيلم من هذه الوثائق ، المحفوظة بالمجلس الأعلى للثقافة بأرقام الفهرس الموجود بالمجلس نفسها .

أما المجموعة الثانية من الوثائق فنجدهـا فى ثنايا بعـض المصادر العربية التى ترجع الى عصر المماليك مثل كتاب «تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور» لابن عبد الظاهر (٢) ، وكتاب «التعريف بالمصطلح الشريف» لابن فضل الله العمرى (٣) ، وكتاب «صبح الأعشى فى صناعة الانشا للقلقشندى (٤) .

(٢) هو محيى الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين أبو محمد عبد الظاهر ، ولد بالقاهرة عام ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م وتوفى به عام ٦٩٢هـ/١٢٩٢ م ، كان كاتبا وشاعرا ، حاكى القاضى الفاضل فى اسلوبه والتزم السجع واتبع المحسنات البديعية ، كان أول من تولى منصب صاحب ديوان الانشا ، وله مؤلفات كثيرة ، أرخ ابن عبد الظاهر لحكم السلاطين الثلاثة الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون والأشرف خليل بن قلاوون ، ويعتبر تاريخه على جانب كبير من الأهمية لأنه عاصر هؤلاء السلاطين ، وكان يكتب السر عندهم ولأنه دون النصوص الأصلية للمراسلات والمعاهدات ، انظر للمؤلف تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ، القاهرة ١٩٦١ م ـ ص ٢ ـ ١٢ .

(٣) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى فضل الله العمرى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م الذى ترك لنا دائرة معارف واسعة وهى المعروفة باسم «مسالك الأبصار فى ممالك الامصار» التى ضمنها شيئا من التاريخ الذى يبدأ من عصر الهجرة ويمتد حتى سنة ٧٤٢ هـ/١٣٤٣م ويحتوى على مادة أصيلة بصدد عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون لاسيما أن والده العمرى وشقيقه قد شغلا على عصر ذلك السلطان بعض المناصب الادارية المهمة فى الدولة المملوكية ، بيد ان العمرى كان رجلا عنيدا مكابرا الأمر الذى جر عليه غضب السلطان الذى أدى الى اعتقاله ومصادرة أمواله ، بل وقطع يده والزج به فى السجن . انظر أحمد عبد الرازق ، دراسات فى المصادر المملوكية المبكرة القاهرة ١٩٨١ م ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٤) هو أبو العباس القلقشندى المولود فى مدينة «قلقشندة» بمركز طوخ محافظة القليوبية ، ولد القلقشندى فى عام ٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م ، واشتغل بالفقه وغيره وسمع من أبيه فى وقته ، وكان أحد الفضلاء ممن برع فى الفقه والادب وكتب الانشا ، وناب فى الحكم ، توفى عام ٨٢١هـ / ١٤١٨م ، أحمد رمضان تطور علم التاريخ الاسلامى ـ القاهرة ١٩٨٩ م ـ ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

وترجع اهمية تلك الوثائق الى انها تعالج اوضاع اليهود من خلال مجموعة التواقيع والوصايا الصادرة لرؤساء اليهود التى تتضمن شروط تولى مناصبهم ، وسلطات كل منهم ، ومالهم من حقوق وما عليهم من واجبات تجاه الدولة بصفة عامة واليهود بصفة خاصة .

وتمثل وثائق الجنيزة (٥) المجموعة الثالثة من الوثائق وهى على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لدراستنا عن اليهود فى مصر المملوكية . وهى وثائق مدونة باللغة العربية بحروف عبرية ، أما

---

(٥) الجنيزة كلمة عبرية تشبه الكلمة العربية جنز بمعنى ـ دفن ـ قبر ـ حفظ ـ خبأ ـ اخفى ، وتشبه الكلمة الفارسية كيج التى تعنى « كنز ـ ثروة ـ مخزن ـ مستودع » عنها ، انظر بالتفصيل .

Goitein, The Documents of The Cairo Geniza as a Source For Meditrranean Social History, JAOS, No (2). 1960, p. 19.; The Encyclopaedia of Islam, art Geniza, III, Leiden, 1983, p. 987.

يوسف سدان ، دراسات حول الجنيزة لدى المسلمين .

-- Kirgath Sefer (55), Jerusalem, 1980, pp. 398-399 (in Hebrew).

وقد جرى العرف اليهودى على حفظ اى ورقة مكتوب عليها اسم الله ، وذلك بتخزينها فى حجرة مخصصة لهذا الغرض ملحقة بالمعبد كذلك الحال بالنسبة لحجرة التخزين التى عثر عليها فى معبد « بن عزرا » بالفسطاط وبعض الأوراق التى عثر عليها مدفونة ايضا فى مقابر اليهود بمنطقة البساتين انظر :

— Goitein, The Cairo Geniza as a Source for the History of Muslim Civilisation, SI. III, IV, 1955, p. 75 ; The Geniza Collection of the Universty Museum of the University of Pennsylvania, JQR. 49, 1958, p. 36 Cohen (M.) The Geniza Documents of the Cairo as a Source for Egyptian History, BIAC, No. (2), 1983 p. 5 ;

ويقع الكنيس الذى اكتشفت فيه الجنيزة القاهرية فى الفسطاط وتقوم حجرة الجنيزة به فى نهاية بهو النساء بالدور الثانى ، انظر :

Sadn — (J.), Genizah and Genizah Like Practices in Islam and Jewish Traditions, BO, XAIII no 1/2 Leiden, 1986, p. 38.

المراسلات الخاصة بالحرف والصناعات والخطابات الشخصية مكتبت باللغة العربية ، كذلك الحال بالنسبة لوثائق التقاضي والوثائق القانونية ووثائق الطلاق وعقود الزواج (٦) .

وتمدنا وثائق الجنيزة القاهرية بمعلومات مهمة وأساسية عن تاريخ اليهود في العصور الوسطى (٧) كما تمدنا بالعديد من الاشارات الى علم الموسيقى والفنون (٨) وفن اعداد العقاقير (٩) وتزودنا ايضا ببعض الموضوعات الادبية التي تشتمل على الشعر العبري لطائفتي الربانيين والقرائيين بالاضافة الى الدراسات الدينية ذات الطابع الأدبي (١٠) ، وبعض أجزاء من الشعر الديني (١١) ، ومثل هذه المعلومات لا غنى عنها في دراسة الحياة الزوجية لليهود تحت الحكم الاسلامي في العصور الوسطى (١٢) .

(٦) Goitein The Geniza Collection, p. 36 ; The Encyclopaedia art Geniza, p. 987 ; The Commercial Mail Service in Medieval Islam, JAOS, 84, No. (2) 1964, p. 119 ;

عطية القوصي ، الجديد في وثائق الجنيزة الجديدة ، المؤرخ المصري ، العدد (١٠) يناير ١٩٩٣ م ، ص ١٨٠ .

(٧) Cohen, The Jews under Islam of the rise of Islam to Sabbatai zevi, Princeton University, 1981, p. 175.

(٨) Reif, S., Cairo Genzah Material at Cambridge University Library of the Israeli academic Center in Cairo No. 12, 1989, p. 31.

(٩) Gottheil (R.), A Fragment on Pharmacy from the Cairo Genizah, JRAS, London, 1935.

(١٠) Cohen, The Jews under Islam p. 175.

(١١) أحمد حسين عفيفي ، اللغة العبرية الحديثة في الفكر والصحافة بحث في احياء اللغة العبرية الحديثة ونشأة الصحافة العبرية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب ١٩٧٩ م ، ص ٢٧ .

(١٢) Cohen, The Jews under Islam, p. 175.

وتضم وثائق الجنيزة أيضا العديد من المعلومات عن نظام الحياة اليومية لدى اليهود التى تلقى بدورها الضوء على الأحوال الاقتصادية والتجارية والاجتماعية ليهود العصور الوسطى (١٣) ، كما تغطى وثائق الجنيزة فترة تاريخية طويلة تمتد من العصر الفاطمى حتى العصر الحديث (١٤) .

وقد أفادت وثائق الجنيزة فى دراسة الحياة الاقتصادية وأمدتنا ببعض المعلومات عن الجزية التى كان يدفعها أهل الذمة (١٥) ، وأفادت فى دراسة الحياة العائلية ، وعلاقة الرجل بالمرأة وبالأسرة عموما (١٦) .

لذلك كان علينا عدم اغفال هذه الوثائق باعتبارها مصدرا مهماً من مصادر دراسة اليهود فى مصر المملوكية .

---

(١٣) David (Abraham), Jewish Life in Egypt in the Late Middle Ages, BIAC, No (10) 1988, p. 17 ; Yedida (K. Stillman), Cairo Geniza Studies, Tel-Aviv University 1980, p. 2.

(١٤) Khan. (Geoffrey), A Petition to the Fatimid Coliph. Al-'Amir, JRAS, 1990, p. 44.

(١٥) Goitein, Evidence on the Muslim Poll — Tax from Non-Muslim Sources a Geniza Study, JESHO VI, Part III 1963, p. 278.

اما فيما يتعلق بالجزية ، انظر الفصل الأول من الباب الاول .

(١٦) عطية القوصى ، الجديد فى وثائق الجنيزة ، ص ١٨١ ؛ ليلى ابراهيم ابو المجد ، الوثائق اليهودية فى مصر العصر الوسيط « الجنيزة القاهرية » رسالة دكتوراه غير منشورة ــ كلية الاداب ــ جامعة عين شمس ١٩٨٧ م ، ص ٣٥٤ ــ ٣٥٥ .

ثانيا : المخطوطات :

ويأتى على رأسها مخطوط « شروط النصارى » (١٧) لابن زين القاضى (١٨) ، الذى أفادنا فائدة كبيرة فى بعض جوانب البحث وبخاصة فيما يتعلق بنص « الشروط العمرية » أو « العهد العمرى » المنسوب الى عمر بن الخطاب .

ومخطوط « المذمة فى استعمال أهل الذمة » (١٩) لابن النقاش (٢٠) ، وقد بلور هذا المخطوط الراى المعارض لاستخدام أهل الذمة فى وظائف الدولة ، ودلل على ذلك بالعديد من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية وما آثر عن السلف فى منع استخدام اليهود والنصارى ، فضلا عن المبررات الأخرى التى يأتى بها المؤلف كدليل على خيانتهم وعدم أمانتهم .

ومخطوط « المقصد الرفيع الحاوى الى صناعة الانشا » للخالدى (٢١) ، الذى يلقى الضوء على أوضاع اليهود وطوائفهم واعيادهم ومواسمهم .

---

(١٧) مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٣٥٢ تاريخ ، ميكروفيلم رقم ٣٥٣٩٥ .

(١٨) هو القاضى أبو محمد عبد الله بن أحمد بن زين القاضى كتبه سنة ٨٥٩ هـ/ ١٤٥٥ م انظر سيدة كاشف ، مصر الاسلامية وأهل الذمة ، القاهرة ١٩٩٣ ــ ص ٤٢ ، ٤٣ .

(١٩) مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩٥٢ تاريخ ميكروفيلم رقم ١٠٦٥٤ .

(٢٠) ابن النقاش المصرى (شمس أبى امامة من علماء القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادى ، انظر سيدة كاشف ، مصر الاسلامية ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٢١) مخطوط مصور بجامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٤٥ ، ت ٩٣٠ هـ/ ١٥٢٣ م .

ثالثا : المصـادر التاريخية :

أما فيما يتعلق بالمصادر التاريخية التى اعتمدنا عليهـا فى اعداد هذا البحث ، فيعد كتاب النويرى (٢٢) « نهاية الارب فى فنون الأدب » من الموسوعات المهمة فى العصر المملوكى الـذى تضمن معلومات وافية أفادت الدراسة فيما يتعلق باحتفـالات اليهود وأعيادهم ومواسمهم .

وكتاب المقريزى (٢٣) « المواعظ والاعتبار بذكر الخـطط والآثار » الذى يعد من أشهر المؤلفات التى أفادت البحث فيمـا يتعلق بأحوال اليهود الخاصة وطوائفهم وأعيادهم ومواسمهـم ومعابدهم ... وما الى ذلك .

---

(٢٢) هو أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدايم المعروف بشهاب الدين النويرى ، المولود بقرية (نويرة) ببنى سويف سنة ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م ، وقد جمع فى موسوعته خمسة فنون الفن الأول ، فى السماء والآثار العلوية والارض والمعالم السفلية ، والفن الثانى فى الانسان وما يتعلق به والفن الثالث فى الحيوان الصامت ، والفن الرابع فى النبات ، والخامس فى التاريخ وتوفى عام ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م ، انظر خير الدين الزركلى ، الاعلام ، قاموس لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين ، دار العلم للملايين ـ القاهرة ط (٥) ١٩٨٢ م ، جـ ١ ص ١٦٥ ؛ أحمد رمضان ، تطور علم التاريخ ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(٢٣) هو أحمد بن على المقريزى ، ولد بالقاهرة فى حارة برجوان عام ٧٦٥ هـ / ١٣٦٤ م ، وهى منطقة من أعظم مناطق القـاهرة امتـلا بالمعمران والصخب وضوضـاء الحياة وقد عمل طويلا فى عدة مناصب حـكومية كبيرة مثل ديوان الانشاء بالقلعة ثم قاضيا عند قاضى قضاة الشافعية ، فاماما لجامع الحاكم ومدرسا للحديث بالمدرسة المؤيدية ، ثم أختاره السلطان برقوق لوظيفة محتسب القاهرة ، ثم عمل بالتدريس فى دمشق وعاد الى القاهرة ليتوفر على الدرس والاشتغال بالعلم ، ولاسيما التاريخ ، وتوفى عام ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م ، محمد مصطفى زيادة ، المؤرخون فى مصر فى القرن ٩ هـ / ١٥ م القاهرة ١٩٤٩ م ، ص ٧ ، ٩ ، أحمد عبد الرازق ، دراسات ، ص ١٦٦ ، ١٧٧ ، ١١٨ .

وكتاب « السلوك فى معرفة دول الملوك » الذى يعد بدوره من المصادر المهمة التى امدتنا بمعلومات مهمة بالنسبة لهذه الدراسة .

ومن ابرز المصادر التاريخية التى اعتمد عليها البحث كتاب « صبح الأعشى فى صناعة الانشا » للقلقشندى ، وهو من الموسوعات المهمة فى العصر المملوكى التى افادت البحث عن احوال اليهود وطوائفهم ، واعيادهم ومواسمهم .

وكتاب ابن حجر (٢٤) « إنباء الغمر بأنباء العمر » الذى امدنا ببعض المعلومات عن احوال اليهود ، اذ حرص ابن حجر على ابراز الجانب الشرعى لتصرفات الدولة أو القضاة تجاه اليهود ، وقد حذا حذوه العينى (٢٥) فى كتابه « عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان » .

---

(٢٤) هو احمد بن على بن محمد العسقلانى الأصل المصرى المولد والمنشأ نزيل القاهرة ، عرف بابن حجر ولد عام ٧٧٣هـ / ١٣٧١ م ، وتوفى عام ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م ، نشأ يتيما ، ودخل الكتاب وله خمس سنين وحفظ القرآن وله تسع سنين سمع صحيح البخارى ، ثم حبب اليه النظر فى التواريخ ، ولى مشيخة الحديث وتدريس الفقه ، باماكن من الديار المصرية وخطب بجامعى عمرو والأزهر ، وفى عام ٨٢٧ هـ / ١٤٢٣ م فوض اليه السلطان الاشرف برسباى القضاء بالقاهرة فباشر ذلك بعفة ونزاهة ، وقد شهد له القدماء بالحفظ والمعرفة والذكاء المفرط وسعة العلم ، انظر للمؤلف الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، ٥ اجزاء نشره محمد سيد جاد الحق ، ط (٢) القاهرة ١٩٦٦ م ، ج ١ ، ص ٩ ، ١٠ ، ١٢ .

(٢٥) هو ابو محمد محمود بن احمد بن موسى بدر الدين العينى ، ولد عام ٧٦٢ هـ / ١٣٦٢ م فى عينتاب ، وهى بلدة صغيرة بين حلب وانطاكية ، واختير لوظيفة الحسبة بالقاهرة سنة ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩ م ، بدلا من المقريزى فظل هذا ناقما على ذاك من اجل ذلك طوال ايام حياته ، وهذا فضلا عن توليه فى الوقت ذاته للعديد من الوظائف الرفيعة ، وخاصة زمن السلطان الاشرف برسباى الذى

ويعد كتاب ابن تغرى بردى (٢٦) « النجوم الزاهر فى ملوك مصر والقاهرة » من المصادر المهمة ايضا بلنسبة لهذه الدراسة وقد أفدت منه فى بعض جوانب البحث مثل بعض المراسيم التى عارضت استخدام الموظفين من اهل الذمة فى وظائف الدولة .

ويحتل كتاب السخاوى (٢٧) « التبر المسبوك فى ذيل السلوك » مكانة مهمة بين المصادر التاريخية لأنه يغطى الفترة الأخيرة من القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى حتى بداية القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، ويمدنا

جعله قاضى القضاة الحنفية سنة ٨٢٩هـ / ١٤٢٥ م وأغلب الظن أنه كان لتمكن العينى من اللغة التركية أثر كبير لما تهيأ له من حظوة لدى سلاطين المماليك ، وتوفى العينى سنة ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م ، تاركا وراءه ثروة ضخمة من المؤلفات الادبية والتاريخية التى أهمها كتابه « عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان » انظر أحمد عبد الرازق دراسات ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٢٦) هو أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغرى بردى بن عبد الله الظاهرى الذى ولد بالقاهرة فى عام ٨١٢ هـ / ١٤١١ م من أم تركية كانت جارية لدى السلطان برقوق ، وكذلك فان والده كان موظفا فى البلاط المملوكى . وقد عاش المؤرخ فى بحبوحة من العيش بصفته أحد أبناء الأمراء الذين عرفوا فى ذلك الوقت باسم أولاد الناس ، وقد احتل ابن تغرى بردى مركز الصدارة بين المؤرخين بعد وفاة المقريزى ، عام ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م ، انظر زيادة ، المؤرخون فى مصر ، ص ٢٦ ، أحمد عبد الرازق ، دراسات ، ص ١٤٠ ، ١٤١ .

(٢٧) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين السخاوى مؤرخ حجة وعالم بالحديث والتفسير والادب أصله من سخا (من قرى مصر) ولد فى القاهرة وتوفى بالمدينة ، ساح فى البلدان سياحة طويلة وصنف زهاء مائتى كتاب اشهرها « الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع » اثنا عشر جزءا وله « شرح ألفية العراقى » فى مصطلح الحديث والمقاصد الحسنة فى الحديث و « القول البديع فى أحكام الصلاة على الحبيب الشفيع و « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » وذيل لكتاب رفع الاصر عن قضاة مصر . توفى عام ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م ، الزركلى . الأعلام ، جـ ٦ ، ص ١٩٤ .

بالعديد من المعلومات الفقهية والشرعية المتعلقة باليهود ، كما يكشف عن استعانة اليهود بالحجاب عندما يفشلون في الحصول على حقوقهم عن طريق قضاة الشرع .

ولا ننسى أيضا كتاب ابن اياس (٢٨) « بدائع الزهور في وقائع الدهور » الذي يعد من المصادر التاريخية المهمة لعصر سلاطين المماليك الجراكسة ، وأوائل العصر العثماني بمصر ، وقد أمدنا بالعديد من التفاصيل المهمة عن الأطباء الموظفين اليهود في العصر المملوكي .

رابعا : كتب الطبقات والتراجم :

ولهذه الكتب أهمية خاصة لأنها تكمل أوجه القصور في بعض المصادر التاريخية لأنها تترجم للأشخاص وتلقى الضوء على حياتهم العامة والخاصة وتبرز مدى مشاركتهم في أوجه النشاط الإنساني والعلاقات الاجتماعية ، كما تكشف عن دورهم في الحياة السياسية وعن دورهم في الحياة العلمية والدينية ، لذا تعد على قدر كبير من الأهمية من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومن أهم هذه الكتب التي أفادت البحث كتاب ابن خلكان (٢٩) « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » ، وكتاب

---

(٢٨) هو محمد بن أحمد بن اياس المصرى الحنفى ، ولد بالقاهرة فى عام ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م ، وابن اياس شبيه بأبى المحاسن من حيث أن كلا منهما سليل أسرة مملوكية ، وظل معظم حياته متمتعا باقطاع وافر ، فعاش حياة راضية ، انظر زيادة ، المؤرخون فى مصر ، ص ٢٩ ، ٩٥ ؛ أحمد عبد الرازق ، دراسات ص ٢٤٥ ، ٢٤٧ .

(٢٩) هو أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر ابن خلكان ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م ، انظر للمؤلف كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ٤ أجزاء تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٨م .

الذهبى (٣٠) « سيرة أعلام النبلاء » وكتاب ابن شاكر الكتبيى (٣١) « فوات الوفيات » وكتاب ابن أيبك الصفــدى (٣٢) « الــوافى بالوفيات » ، وكتاب ابن حجر العسقلانى « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة » (٣٣) ، وكتاب ابن تغرى بردي « المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » (٣٤) ، وكتاب السخاوى « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » (٣٥) وكتاب ابن العماد (٣٦) « شذرات

---

(٣٠) هو محمد بن أحمد بن عثمان الشيخ الامام العلامة الحافظ شمس الدين أبو عبد الله الذهبى ، أتقن الحديث ورجاله وعرف تراجم الناس ، جمع الكثير ، وأكثر من التصنيف ، ومن تصانيفه « كتاب تاريخ الاسلام » عشرين مجلدا وكتاب تاريخ النبـلاء « عشرين مجلدا » و « طبقـات القـراء » و « طبقات الحفـاظ مجلدان و « العبر فى خبر من غبر » مجلدان وكان مولده فى عام ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م ووفاته ١٣٤٧/٧٤٨ م انظر محمد بن شاكر بن أحمد الكتبى ، فوات الوفيـات ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥١ م ، ج ٢ ص ٣٧٠ ، ص ٣٧١ ، أحمد عبد الرازق دراسات ، ص ٨١ ، ٨٢ .

(٣١) هو محمد بن شاكر بن أحمد الكتبيى ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م انظر فوات الوفيات ، المقدمة .

(٣٢) هو صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى ، ت عام ٧٦٥ هـ / ١٣٦٢ م انظر الوافى بالوفيات ، اسطنبول ١٩٤٩ م ، المقدمة .

(٣٣) خمسة أجزاء قام بنشرها محمد سيد جاد الحق ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

(٣٤) نشر الجزء الأول محمد محمد أمين ، تقديم سعيد عاشور القاهرة ١٩٨٥ م ، الجزء الثانى تحقيق محمد محمد أمين ، تقديم سعيد عاشور ، دار الكتب المصرية ١٩٨٦ م ، الجزء الثالث تحقيق محمد عبد العزيز ، دار الكتب ١٩٨٦ م ، الجزء الرابع تحقيق محمد محمد أمين ١٩٨٦ م ، الجزء الخامس تحقيق نبيل محمد عبد العزيز دار الكتب ١٩٨٨ م ، الجزء السادس تحقيق محمد محمد أمين دار الكتب القاهرة ١٩٩٠ م الجزء السابع تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤ م .

(٣٥) طبعة القاهرة عام ١٣٥٣ هـ/١٩٣٤ م .

(٣٦) هو أبو الفلاح عبد الحى بن العماد ت ١٠٨٩ هـ/١٦٧٨ م انظر شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ٨ أجزاء ، مكتبة القدسى طبعة ١٣٥٠ هـ .

الذهب فى اخبار من ذهب » ، وكتاب الشوكانى (٣٧) « البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع » .

خامسا : كتب الرحالة :

وقد أمدتنا بدورها بالعديد من التفاصيل التى اغفل المؤرخون فى كثير من الأحيان ذكرها والحديث عنها ، وترجع أهميتها الى ان ما يعتاده أهل البلاد ويرونه امرا طبيعيا لا يسجلونه ، ولكنه حينما يصطدم بعيون الغرباء فانهم يسارعون الى الحديث عنه وتسجيله ، وهو ما يوفر لنا مادة طيبة عن أحوال البلدان التى عاش بها اليهود فى تلك الآونة **وهى تنقسم الى نوعين :**

رحالة عرب ورحالة اجانب .

الرحالة العرب :

ويأتى على راسهم كتاب ابن سعيد المغربى (٣٨) « النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة » الذى يعد من الكتب المهمة التى افادت البحث فيما يتعلق بالحرف والمهن التى عمل بها اليهود .

---

(٣٧) هو محمد بن على ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م ، البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع من جزءين ط (١) القاهرة ١٣٤٨ هـ .

(٣٨) ابن سعيد المغربى ٦١٠ ـ ٦٨٥ هـ / ١٢١٤ ـ ١٢٨٦ م ، هو على ابن موسى بن محمد عبد الملك بن سعيد أبو الحسن نور الدين مؤرخ اندلسى من الشعراء العلماء بالادب ، ولد بقلعة يحصب قرب غرناطة وقام برحلة طويلة زار فيها مصر والعراق والشام وتوفى بتونس وقيل فى دمشق. من تاليفه « المشرق فى حلى المشرق » و « المغرب فى حلى المغرب » اربعة مجلدات طبع منها جزءان و « الغصون اليانعة فى محاسن شعراء المئة السابعة » و « ريحانة الادب » وغيرها من المؤلفات عنه انظر الزركلى ، الاعلام ، ج ٥ ، ص ٢٦ .

كذلك كتاب ابن بطوطة (٣٩) « تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار المعروفة برحلة ابن بطوطة » وهو من كتب الرحلات المهمة بالنسبة لهذه الدراسة ، فقد أمدنا ابن بطوطة بوصف شائق لمدينة قوص باعتبارها إحدى المدن التى سكنها اليهود، وقد زارها مرتين الأولى فى سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م والثانية فى سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م بعد عودته من الصين وذكر « انها غنية بمواردها الكثيرة وحدائقها وأسواقها الغنية » .

وهناك أيضا كتاب الحسن بن محمد الوزان المعروف بجان ليون الافريقى (٤٠) « وصف أفريقيا الذى تضمن معلومات وافية افادت الدراسة فيما يتعلق بحرف اليهود وبخاصة صياغة الذهب والفضة ، وأمدنى بالعديد من التفاصيل المهمة عن منطقة صائغى الذهب والتى تقع على الطريق الرئيسى لحى بين القصرين ، وأن عدداً كبيراً من اليهود عملوا فى صياغة الذهب وان اعمالهم تركزت فى حى الصاغة المذكور .

---

(٣٩) هو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتى (٧٠٣هـ / ١٣٠٤ م) نسبة الى لواته احدى قبائل البربر ، المعروف بابن بطوطة ولقبه شمس الدين ولد فى طنجة ، ولما بلغ العشرين من عمره ذهب للحج ، وكان محبا للتجوال فى بلدان العالم ، واستغرقت رحلته تسعا وعشرين سنة زار خلالها مصر وسوريا وأفريقيا وآسيا الصغرى وروسيا والهند والصين والأندلس والسودان وقد سمى مجموعة أخباره « تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار » المعروفة برحلة ابن بطوطة ، وقصة رحلاته من أطرف القصص وأجزلها نفعا لما فيها من وصف العادات والاخلاق ، وفوائد تاريخية وجغرافية وأسماء المدن وقد اهتم بها المستشرقون فترجموها ، انظر رحلة ابن بطوطة بيروت ١٩٦٠ ، ص ٥ ، ٦ ، ٧ ؛ أحمد رمضان ، الرحلة والرحالة المسلمون ، دار البيان العربى للطباعة والنشر ، جده ، بدون تاريخ .

(٤٠) قام بزيارة مصر أول القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى وقد عرف باسم جيوفانى ليون ، وقد اخذ هذا الاسم عن البابا ليو العاشر =

الرحـــالة الأجـــانب :

يعد كتاب الرحالة طافور (٤١) « رحلة طافور » من الكتب المهمة بالنسبة لهذه الدراسة ، فقد أمدتني بالعديد من التفاصيل المهمة عن الموظفين اليهود في العصر المملوكي وبخاصة من عمل في مهنة الترجمة في زمن سلاطين المماليك .

وينفرد كتاب « Jewish Travellers » (٤٢) ومؤلفة ادلر ، بأهمية كبرى لأنه يتضمن عدداً كبيراً من الرحالة ومنهم ميشولام وعوبديا وهما الوحيدان اللذان زارا مصر من بين الرحالة الذين ذكرهم ادلر في كتابه ، فقد قام الرحالة ميشولام بزيارة مصر في

= الذى كان يعرف قبل وصوله الى البابوية باسم جيوفاني دى مديتش . وكان الحسن الوزان في بداية الامر مملوكا له ولكنه لم يلبث أن أعتقه وعمده الى المسيحية وكان له الأب الروحي ، كما عرف باسم ليون الغرناطي ، غير أنه لما نشأ في افريقيا اشتهر باسم ليون الافريقى ، زار القاهرة فى عام ٩٢٣هـ/١٥١٧ م ، واشار الى مقتل السلطان المملوكى قنصوه الغورى على أيدى السلطان سليم ، كما عرض الى عادات المصريين وتقاليدهم كذلك عرض للأنظمة المملوكية وأهم المناصب المدنية والعسكرية فى السلطنة قبل سقوطها ، أنظر جمال زكريا قاسم ، كتاب وصف افريقيا وتاريخها للحسن بن محمد الوزان المسمى بليون الافريقى ، حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس م ٢٢ ، ١٩٩٨ ، ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

(٤١) قام الرحالة طافور بزيارته لمصر في النصف الأول من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، توفي طافور عام ٨٨٩هـ / ١٤٨٤ م انظر رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادى ترجمة وتقديم حسن حبشي ، دار المعارف ١٩٦٨ ، مقدمة المؤلف ، ى . ل . جيلان محمد عباس ، آثار مصر الإسلامية في كتابات الرحالة العرب والاجانب منذ الفتح العربي وحتى نهاية عصر المماليك الجراكسة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية السياحة والفنادق ، جامعة حلوان ، ١٩٨٨ م ، ص ٣٣ .

(٤٢) Adler. (E.N.), Jewish Travellers, London, 1927.

سنة ٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م ، أما عوبديا فقد زارها في عام ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م ، وقد تضمنت رحلاتهما الكثير من المعلومات عن الناجيد باعتباره رئيساً لليهود وعن دوره في الاشراف على النشاط الديني لمختلف الطوائف اليهودية ، والصلاحيات التي كان يتمتع بهما ومعاونيه ، وأشار الى اعداد يهود مصر وتحدثا عن احوالهم الدينية والاجتماعية ، وعن كيفية استقبالهم ليوم السبت ، مما يجعل رحلتيهما على قدر كبير من الاهمية بالنسبة لهذه الدراسة .

وهناك أيضا رحلة فلكس فابرى (٤٣) الذى زار مصر فى عام ٨٨٨ هـ / ١٤٨٣ م وامدنا بالعديد من التفاصيل المتعلقة بملابس اليهود والوانها والدواب المستخدمة فى تنقلاتهم ، فقد كان محظورا عليهم السير داخل المدينة ممتطين الحمير ، كما أمدنا بوصف شائق لبعض المحكوم عليهم بالسجن ، وعن كيفية سيرهم داخل احياء القاهرة مقيدين بالسلاسل والجنازير واستعطافهم للمارة بصوت عال طالبين الصدقة والمساعدة مما يجعل لرحلته اهمية خاصة فى هذا البحث .

ولا ننسى أيضا الرحالة الالماني ارنولد فون هارف (٤٤) الذي زار مصر في عام ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م ، الذي أمدنا بدوره بالعديد من المعلومات التي افادت البحث في كثير من المواضع ، فقد حدثنا عن تنقلاته بصحبة بعض المماليك وتردده على منازل بعض اليهود وعن مشاهدته لهم فى اثناء صناعتهم للخمور ، كما أمدنا بوصف لملابس اليهود والوانها .

---

(٤٣) Fabri - (Félix. Voyage en Egypte de Félix Fabri, 1483; Institut Francais d'archéoligie Orientale, 1975.

(٤٤) Letts. (M.), The Pilgrimage of Arnold Von Harff, London 194

اما الرحالة جان تنود (٤٥) الذى زار مصر عام ٩١٨ هـ / ١٥١٢ م ، فقد أشار الى أن يهود مصر كانت لهم حاراتهم وأسواقهم ومعابدهم ، وقدر عددهم بعشرة آلاف يهودى .

وكتاب Larrivaz (٤٦) الذى يعد من الكتب المهمة ، فقد ورد به أن يهود القاهرة كانوا يتعيشون من التجارة والعمل ببعض الحرف ، مما يجعل له أهمية كبيرة بالنسبة لهذه الدراسة .

سادسا : الكتب الفقهية :

والباحث فى موضوع اليهود زمن سلاطين المماليك لا يستطيع أن يغفل بأى حال من الأحوال الكتب الفقهية المعاصرة مثل كتاب النووى (٤٧) « منهاج الطالبين وعمدة المفتين » الذى يمتلىء بالجوانب الفقهية والشرعية التى تتعلق بأهل الذمة بصفة عامة واليهود بصفة خاصة لا سيما فيما يتعلق ببعض القضايا التى أثيرت بين اليهود وغيرهم ، وموقف قضاة المسلمين منها كشهادة الذمى ضد الذمى ، وشهادة الذمى ضد المسلمين ، وعقوبة المسلم الذى يقتل يهوديا ، وميراث أهل الذمة ، والآراء الفقهية الخاصة بهذه الموضوعات وغيرها من المسائل المتعلقة باليهود وموقف الفقه الاسلامى بمذاهبه الأربعة منها .

---

(٤٥) Schefer, Le Voyage D'Outremer de Jean Thenaud, Paris, 1864.

(٤٦) Larrivaz, Le Saintes Pérégrination de Bernard de Bredenbach. Le Caire, 1904.

(٤٧) هو يحيى بن شرف الدين النووى (٦٣١ – ٦٧٦هـ / ١٢٣٣ – ١٢٧٧) ، خير الدين الزركلى الاعلام ، جـ ٨ ، ص ١٤٩ .

وهناك أيضا كتاب الفقيه الحنبلى ابن تيمية (٤٨) « مجموعة فتاوى » الذى يمتلىء بالجوانب الفقهية والشرعية المتعلقة بالنواحى القضائية والمسائل الفقهية كموقف الاسلام من اليهود سواء فى بيع الخمور ، أو فى دية الذمى وغير ذلك من المسائل الفقهية .

وكتاب الفقيه المغربى ابن الحاج (٤٩) « المدخل الى الشرع الشريف » الذى ينفرد بأهمية كبيرة لأنه يتضمن الكثير من المعلومات حول التأثيرات اليهودية فى عادات وتقاليد المجتمع المصرى ابان القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ، كما يوضح هذا الكتاب أيضا روح الوفاق والوئام الاجتماعى التى سادت العلاقات بين المسلمين واليهود ابان العصر المملوكى ، كما يشتمل على العديد من أوجه النقد لمختلف نواحى الحياة لما ساد فيها من فسادو انحلال دينى وأخلاقى ، ويسخر من بعض الأوضاع القائمة السائدة فى عصره ، لذا يعد على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لموضوع هذا البحث .

وهناك كذلك كتاب ابن قيم الجوزية (٥٠) « أحكام أهل الذمة » الذى يزخر بالمعلومات عن موقف الشريعة الاسلامية من

---

(٤٨) هو تقى الدين أبو العباس احمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٨م) انظر مجموعة فتاوى شيخ الاسلام لتقى الدين بن تيميه ط (١) القاهرة ١٣٢٨ هـ .

(٤٩) هو الامام العالم العامل ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدرى الفاسى المالكى الشهير بابن الحاج . كان فاضلا عارفا يقتدى به أصحاب القلوب منهم ابو محمد عبد الله بن ابى جمرة ، عاش بضعا وثمانين سنة وتوفى بالقاهرة عام ٧٣٧هـ/١٣٣٧م انظر المدخل ، ٣ أجزاء ، ط (١) القاهرة ١٩٢٩ م ، ص ١ .

(٥٠) هو شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابى بكر ، ت ٧٥١هـ/١٣٥٠ م ، انظر احكام اهل الذمة ، نشره صبحى صالح دمشق ١٩٦١ ، المقدمة ٦ .

أهل الذمة سواء من ناحية عقد الذمة أو الجزية أو وضعهم فى المجتمع ، كما يضم عرضا لوجهات نظر فقهاء المذاهب الأربعة ، وقد أفدت منه بصدد عقد الذمة والجزية الواجبة على اليهود .

وكتاب خليل بن اسحق (٥١) « مختصر خليل » الذى أفاد البحث بصدد الجوانب الشرعية والفقهية المتعلقة بأهل الذمة من يهود ونصارى .

وكتاب السبكى (٥٢) « معيد النعم ومبيد النقم » وهو يعد بدوره من المؤلفات التى تعرضت للعلاقات الاجتماعية والسلوك الخارج عن الشرع وطرق الاصلاح ، كما أشار الى بعض الحرف والمهن التى عمل بها اليهود وطرق الغش التى تفشت فى هذه الحرف وكيفية معالجتها ، لذا كان من المصادر المهمة لبعض أجزاء هذا البحث لا سيما فيما يتعلق ببعض الحرف التى مارسها اليهود .

---

(٥١) هو خليل بن اسحق بن موسى المالكى المعروف بالجندى قرأ فى فقه المالكية ، ثم درس بالشيخونية وأفتى وأفاد ولم يغير فى زى الجندية ، وكان عفيفا نزيها له مختصر فى الفقه مفيد ، وكان أبوه حنيفا وكانت وفاة الشيخ خليل فى عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م انظر ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٧٥ .

(٥٢) هو التاج السبكى عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى ولد بالقاهرة عام ٧٢٧هـ/١٣٢٦م ونشأ فى بيت عريق فى العلم والتقى بالرياسة فأبوه قاضى القضاة تقى الدين السبكى ، تلقى العلم عن أبيه وعن غيره من علماء مصر ، تولى نيابة الحكم عن أبيه قاضى القضاة ، وظل فى منصب قاضى قضاة الشام ووظائف أخرى جليلة حتى أصيب بالطاعون ، وتوفى فى عام ٧٧١هـ / ١٣٦٩ م انظر السبكى معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق محمد على النجار ، أبو زيد شبلى ، ط (١) القاهرة ١٩٤٨ م ، انظر المقدمة .

.. وكتاب صدر الدين أبو عبد الله (٥٣) « رجمة الأمة فى اختلاف الائمة » الذى يلقى الضوء على الجوانب الفقهية والشرعيــة ، ويمدنا بصورة واضحة عن الأحكام الفقهية المتعلقة باليهود والجزية المفروضة عليهم ، وقد افدت منه فى التعرف على الأحكام القضائية المتعلقة باليهود والجزية الواجبة عليهم .

ولا ننس ايضا كتاب الغزى (٥٤) « فتح القريب المجيب فى شرح الفاظ التقريب » وهو يعرف أيضا « بشرح ابن قاسم على متن أبى شجاع » وبه معلومات وافية افادت الدراسة فيما يتعلق ببعض القضايا التى أثيرت بين اليهود وغيرهم ، وموقف قضــاة المسلمين منها ، والآراء الفقهية الخاصة بميراث أهل الذمــة ، وغيرها من المسائل الفقهية المتعلقة باليهود ، وموقــف الفقــه الاسلامى بمذاهبه الأربعة .

سابعا : كتب الحسبه :

وقد أشارت كتب الحسبة التى ألفت فى العصر المملوكى الى الشروط العمرية والى القيود المفروضة على اهل الذمة ، كذلــك القت الضوء على عقد الذمة والجزية الواجبة على اهل الذمة ، كما أشارت هذه المصادر الى بعض الحرف والمهن التى عمــل بها اليهود وطرق الغش والتدليس التى تفشت فى هذه الحرف وكيفية معالجتها ، كما أمدتنا هذه المصادر ببعض المعلومات عن

---

(٥٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن الحسين أبو عبد الله صدر الدين بعد سنة ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م انظر الزركلى ، الإعلام ، جـ ٦ ، ص ١٩٣ .

(٥٤) هو محمد بن قاسم بن محمد بن أبو عبد الله شمس الدين الغزى ويعرف بابن قاسم (٨٥٩ ـ ٩١٨ هـ / ١٤٥٥ ـ ١٥١٢ م) . انظر الزركلى ، جـ ٧ ، ص ٥ .

وضع اليهود فى المجتمع المصرى زمن سلاطين المماليك ، لذا كانت كتب الحسبة من المصادر المهمة لبعض أجزاء هذه الدراسة ، لا سيما فيما يتعلق ببعض الحرف التى مارسها اليهود .

ويأتى على راسها كتاب ابن الاخوة (٥٥) « معالم القربة فى أحكام الحسبة »وكتاب ابن بسام (٥٦) « نهاية الرتبة فى طلب الحسبة » ، وكتاب ابن تيمية « الحسبة فى الاسلام » .

يضاف إلى هذه الوثائق والمصادر مجموعة كبيرة من المراجع والأبحاث الحديثة باللغات العربية والأجنبية التى عاونت فى فى استجلاء غوامض هذه الدراسة ، وقد أضربت هنا عن الاشارة اليها لكثرتها واكتفيت بالاشارة اليها فى هوامش الدراسة كما اثبتها فى ثبت المصادر والمراجع فى نهاية الدراسة .

* * *

وبعد ان استقامت هذه الدراسة بحثاً مقروءاً ارى لزاماً على التصريح بماأجده فى نفسى من عرفان لأهل الفضل ، وثناء لحسن صنيعهم وعرفانا بجميل فضلهم ، واحسب ان كلمات الشكر والتبجيللا توفى حق مشرفى الأستاذ الدكتور أحمد عبد الرازق أحمد استاذ التاريخ والحضارة الاسلامية ، ورئيس قسم التاريخ الذى أفدت من غزير علمه واستهديت بسديد رأيه

---

(٥٥) ابن الاخوة (ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م) سيده كاشف ، مصر الاسلامية ، ص ٤٣ .

(٥٦) ليس لدينا اية معلومات عن مؤلف الكتاب اذ لم نجد ترجمة فى اى من كتب التراجم وكل ما نعرفه عنه أن اسمه محمد بن بسام المحتسب ، وقد حاول كل من الاب لويس شيخو ومحمد كرد على أن يجدا شيئا فلم يفلحا ، انظر ابن بسام نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق حسام الدين السامرائى بغداد ١٩٦٨م ، انظر مقدمة المؤلف .

فى جميع مراحل هذا البحث ، فلم يبخل على بعلمه وجهده ، كما سمح لى بالاستعانه بما حوته مكتبته من مصادر متعددة عاونتنى فى بحثى ، فجزاه الله عنى وعن كل الزملاء خير الجزاء .

كما أتوجه بخالص شكرى وتقديرى الى الأستاذ الدكتور اسحق عبيد أستاذ تاريخ العصور الوسطى على ما بذله من جهد فى ترجمة النصوص التاريخية المكتوبة باللغة الفرنسية ، وكذلك الدكتور الحسينى زغلول على ما قام به من ترجمة لبعض مراجع البحث المكتوبة باللغة الألمانية ، كما أتوجه بالشكر والتقدير والعرفان الى الأستاذ الدكتور ابراهيم عبد الرحمن الأستاذ بقسم اللغة العربية على تفضله بمراجعة الرسالة ، ولا يفوتنى ان أتوجه بالشكر والتقدير الى الدكتورة جيلان محمد عباس التى أمدتنى بالكثير من المصادر والمراجع وكذلك الأستاذة هالة عبد الرحمن ، والاستاذ محمد الأشقر ، كما أتوجه بخالص شكرى وعرفانى الى كل من قدم لى يد العون من الأساتذه والزملاء داخل القسم وخارجه .

وأخيراً أخص بالشكر والتقدير والاحترام والعرفان زوجى اللواء / نبيل عبد العظيم الذى عاش معى كل مراحل البحث وساعدنى بالكثير من جهده ووقته فجزاه الله عنى خير الجزاء .

والله ولى التوفيق ..

بيـان المختصرات

- AIEO : Annales de l'Institute des Etudes Orientales,
- AI : Annales Islomologiques.
- BEO : Bulletin d'Etudes Orientales.
- BIAC : Bulletin of the Israeli Academic Center in Cairo.
- BIFAO : Bulletin d'Institute Français d'Archeologie Orientale.
- BJRL : Bulletin of the John Rylonds Library.
- BSOAS : Bulletin of the School of Oriental and African Studies.
- BSRGE : Bulletin de la Société Royale de Géographie d'Egypte.
- HUCA : Hebrew Union College Annual.
- IC : Islamic Culture.
- IJMES : International Journal of Middle East Studies.

- IS : Islemic Studies.
- JA : Journal Asiatiques.
- JAOS : Journal of the American Oriental Society.
- JESHO : Journal of the Economic and Social History of the Orient.
- JQR : Jewish Quarterly Review.
- JRAS : Journal of the Royal Asiatic Society.
- JSS : Journal of Semitic Studies.
- OLP : Orientalia Lovanensia Periodica.
- RIE : Revue des Etudes Islamiques.
- RL : Revue de l'Orient Letin.
- ROMM : Revue de l'Occident Musulman et de la Mediterranée.
- RSO : Rivista degli Studi Orientali.
- SO : Studia Orientalia.
- ZDMG : Zeitschrft der Deutschen. Morgenlöndischen Gesellschaft
- ZDPV : Zeitschrift des Deutschen Palästina-Vereins.

مدخـل :

اليهود فى مصر الإسلامية

قبـل عهد المماليـك

اليهود فى مصر الاسلامية قبل عصر المماليك

فتح عمرو بن العاص مصر فى سنة ٢١ هـ / ٦٤٢ م (١) ، ولم يتعرض لأهل الذمة بسوء فقد عامل اليهود معاملة حسنة تنطوى على التسامح الدينى (٢) كما التزم بمبدأ حرية العقيدة ، وكانت العدالة تميز سلوكه تجاه أهل الذمة جميعا (٣) ، اذ يرى بعض الباحثين (٤) أن أحوال النصارى آنذاك كانت خيرا منها تحت حكم البيزنطيين ومن الطبيعى أن اليهود قد عوملوا المعاملة نفسها.

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، نشرة هنرى ماسيه القاهرة ١٩١٤م ، ص ٥١ ؛

نريمان عبد الكريم احمد معاملة غير المسلمين فى الدولة الاسلامية ، والهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦ م ، ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٢) حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ط (٩) القاهرة ١٩٧٩ م ، ج ١ ، ص ٢٤٣ ، على حسن الخربوطلى ، الحضارة العربية الاسلامية ، ط (٢) ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٩٩ ، سيدة اسماعيل كاشف ، مصر العصور الوسطى ، دراسة وثائقية ، ط (٢) القاهرة ١٩٧٩ م ص ٣١ ؛ مصر الإسلامية وأهل الذمة بالقاهرة ١٩٩٢٥ م ص ٥٦ ، قاسم عبده ، أهل الذمة فى كامل سعفان ، اليهود تاريخ وعقيدة ، القاهرة ١٩٨٨ م ، ص ٣١٠ .

(٣) قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٣٢ ؛ اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ، القاهرة ١٩٨٦ م ، ص ٨٨ .

(٤) ترايتون ، أهل الذمة فى الإسلام ، ترجمة حسن حبشى ، القاهرة ١٩٤٩ م ، ص ٤١ ، قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٣٢ .

وكان « رأس الجالوت » (٥) يتولى الاشراف على شئـون اليهود ويحكمهم وفقا لعاداتهم ، بالاضافة الى انه كان يستطيع المثول امام القضاء الاسلامى ، مع ان شهادته كان لا يعتد بها (٦).

خلاصة القول ان الاسلام منح اليهود فى مصر غداة الفتـح العربى لها منزلة قانونية تماثل منزلة النصارى المصريين الذيـن كانوا يفوقون اليهود عددا ، كما اعتبر الاسلام اهل الكتاب مـمن غير المسلمين اهل ذمة وجبت عليهم الجزية (٧) .

وعمل الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز (٩٩ — ١٠١ هـ / ٧١٧ — ٧١٩ م) على احلال الموظفين المسلمين محل الموظفـين اليهود والنصارى فى الجهاز الادارى والمالى للدولة ، وحرم عليهم ركوب الخيل ، والزمهم الركوب بالأكف (البرادع) ليدخلوا أرجلهم من جانب واحد ، وكتب بذلك الى أقاليم الدولة الاسلامية (٨) .

---

(٥) عهد بادارة شئون الطوائف اليهودية الى الرؤساء الدينيين من اليهود الذين كانوا مسئولين عن تصرفات طوائفهم امام السلطة ، وكان الواحد منهم يسمى « رأس الجالوت » ويعتبر البستانى أول رأس جالوت تولى شئون اليهود فى عهد عمر بن الخطاب ، سناء عبد اللطيف حسين ، الجيتو اليهودى ، دراسة لنشأته واثره فى الوجدان الثقافى اليهودى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٨٣ م ، ص ١٥٦ .

(٦) ديموبين ، النظم الاسلامية تحقيق صالح الشماع ، فيصل السامر بغداد ١٩٥٢ ، ص ١٦٦ ، عن القضاء انظر الباب الثالث الفصل الثانى .

(٧) مارك كوهن ، المجتمع اليهودى فى مصر الاسلامية فى العصور الوسطى ، ترجمة نسرين مرار وسمير نقاش ، جامعة تل ابيب ١٩٨٧ ، ص ١٣ ؛ عن الجزية انظر الباب الاول الفصل الاول .

(٨) ابن عبد الحكم ، عمر بن عبد العزيز ، المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٢٧ م ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، طبعة بيروت ، ١٩٨٣ ، جـ ٤ ، ص ١٨٥ ، الخربوطلى الحضارة العربية ، ص ١٦١ ، فيليب حتى ، تاريخ العرب ، بيروت ١٩٥٢ م ، جـ ٢ ، ص ٣٠٢ .

وفى تمام ٢٣٥ هـ/ ٨٤٩ م أمر الخليفة العباسى المتوكل بأن يتميز أهل الذمة بلبس الطيالسة العسلية والزنانير ، وأن تستبدل ركوب السروج بركوب الخشب ويكون السرج كهيئة الأكف وعلى رءوسهم القلانس المختلفة الألوان. وأمر ان يجعل على أبواب دورهم أساطين من خشب مسمورة وذلك لتمييز بين منازلهم من منازل المسلمين ، ونهى أن يستعان بهم فى الدواوين وأعمال الدولة التى تخالف احكامهم فيها أحكام المسلمين ، كما نهى ان يتعلم اولادهم فى كتاتيب المسلمين ، كما أمر أن تسوى قبورهم بالأرض لئلا تشبه قبور المسلمين ، وأن يقتصروا فى ركوبهم على البغال والحمير من دون الخيل (٩) ، وهذه المراسيم كان يعمل بها فى حين صدورها بمنتهى الدقة ، ولكن بمرور الوقت يعود كل شىء كما هو عليه وترجع سياسة التسامح مرة أخرى تجاه أهل الذمة .

وفى عهد الدولة الطولونية (٢٥٤ — ٢٩٢ هـ / ٨٦٨ — ٩٠٥ م) وجدت جالية يهودية بمصر ، وكان أفرادها من الأثرياء ورجال الأعمال (١٠) ، وشهدت هذه الفترة تحولا كبيرا من أهل الذمة نصارى ويهود الى اعتناق الاسلام (١١) ، وربما يكون ذلك

(٩) ابن النقاش ، المذمة فى استعمال أهل الذمة ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩٥٢ تاريخ ، ميكروفيلم رقم ١٠٦٥٤ ، ورقة ٨٧ ، ٨٨ ؛ ساويرس بن المقفع ، سير الأباء البطاركة ، نشرة يسى عبد المسيح وأسولد برمستر ، القاهرة ١٩٤٣م ، م ٢ ، ج ١ ، ص ٤ ، ٦٥ ؛ ابن دقماق ، الجوهر الثمين فى سيرة الملوك والسلاطين ، تحقيق محمد كمال الدين ، عالم الكتب ، ١٩٨٥ م ، ج ١ ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ ؛ أحمد عبد الرازق ، تاريخ وآثار مصر الاسلامية منذ الفتح حتى نهاية العصر الفاطمى ، القاهرة ١٩٩٣ م .

Wolter (J. Fishel), Jews and Economic and Political Life of Mediaeval Islam, New York, 1969, p. 7.

(١٠) Hassan (Z.M.), Les Tulunides, Paris, 1933, pp. 219-220.

Hassan, les Tulunids, p. 219 ;

(١١) الخربوطلى ، الاسلام وأهل الذمة ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، ١٩٦٩ م ، ٢١٨ .

راجعا الى ما وجدوه فى الدين الاسلامى من سماحة الى جانب انهم عاشوا فى المجتمع الاسلامى وتأثروا به .

ولم يحرم اليهود ، شأن بقية اهل الذمة فى مصر ، من مزاولة المهن المختلفة واقتناء الضياع ، بل اشتغلوا أيضا بالوظائف المالية وبالتجارة والطب ، مما يعنى انهم عاشوا فى العهد الطولونى متمتعين بقسط وافر من الحرية (١٢) .

ومن المعروف انه وفد على مصر فى العصر الطولونى اعداد كبيرة من يهود فارس الذين كانوا يعملون فى تجارة الشرق عبر الخليج العربى ، بسبب تعطل هذا الطريق وعودة تجارة الشرق الى طريقها الأول ، وقد أشارت وثائق الجنيزة الى بعض الأسماء الخاصة بهؤلاء التجار الذين نزحوا فى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى الى مصر من العراق وايران وبلاد ما وراء النهر كما يفهم من القابهم التى نجد من بينها السمرقندى ، والنيسابورى والتسترى ، والبغدادى ، والبصرى (١٣) .

وبرع اليهود أيضا فى مجال الطب ، واستخدم أحمد بن طولون عددا من أطبائهم (١٤) .

---

(١٢) محمود رزق محمود ، المجتمع المصرى فى العصر الطولونى ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب جامعة عين شمس ، ١٩٨٥ م ، ص ٤٠٥ .

(١٣) عطية القوصى ، تجارة مصر فى البحر الأحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ٧٠ . Fischel, Jews and Economic, p. 70.

(١٤) البلوى ، سيرة أحمد بن طولون ، حققها وعلق عليها محمد كرد على ، دمشق ١٩٣٩م ، ص ٣١٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٠ م ، جـ ٣ ، ص ١٧ .

ويفهم كذلك من السيرة الطولونية أن أحمد بن طولون تلم ببيع بعض الكنائس المسيحية لليهود (١٥) ، وذلك في الوقت الذى يذكر فيه زكى حسن أن البطريرك ميخائيل الثالث هو الذى اضطر الى بيع كنيسة بالفسطاط وممتلكات اخرى حتى يتمكن من جمع جزء من الضريبة التى يجب أن يدفعها الى البيت الطولونى (١٦) ، وان كان البعض قد أمدنا بمعلومات اخرى تفسر لنا سبب بيع ميخائيل الثالث لهذه الكنيسة ، حينما طلب منه احمد بن طولون مساعدة مالية (١٧) الأمر الذى يعنى ان اليهود كانوا على درجة كبيرة من الثراء مما مكنهم من شراء الكنيسة وملحقاتها ، ويعنى كذلك تسامح الحكام معهم فقد سمحوا لهم بشراء بعض المعابد الدينية .

ويستشف من روايات المؤرخين العرب أن اليهود قد شاركوا أيضا فى العديد من الأحداث الجارية ابان تلك الفترة ، من ذلك على سبيل المثال انه عندما أشتد المرض بأحمد بن طولنو أمر

---

(١٥) ابن الراهب ، تاريخ ابن الراهب ، نشرة لويس شيخو ، بيروت ١٩٠٣ م ، ص ١٣٢ ؛ المقريزى ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، طبعة النيل ١٢٧٠ هـ ج ٤ ، ص ٣٩٧ .

(١٦) Hassan, les Tuluni S., p. 219. سيدة كاشف ، احمد بن طولون اعلام العرب ، القاهرة ١٩٦٥ م ، ص ٢١٨ .

(١٧) قدرت هذه المساعدة بحوالى ٢٠ الف دينار لتغطية بعض النفقات العسكرية ، مما دفع البطريرك الى بيع هذه الكنيسة بملحقاتها بالاضافة الى قطعة من الارض فى ضواحى مدينة الفسطاط وكنيسة بالقرب من الكنيسة المعلقة فى قصر الشمع ، انظر ساويرس ، سير الاباء ، القاهرة ١٩٤٨ م ، م ٢ ج ٢ ، ص ٧٤ .
Paul ,Kahle), The Cairo Geniza, Oxford, 1959, p. 3 ;
Abû Sâlih, The churches and Monasteties if Egypt and some Neighbouring Countries, at the Clorndon, 1969, p. 136 ;
Mann, The Jews in Egypt and in palestine under the Fatimid Caliphs, Oxford 1969, I, p. 14.

الناس بالدعاء له فخرج المسلمون بالمصاحف والنصارى بالانجيل واليهود بالتوراة ، واستمروا على ذلك عدة ايام الى ان مات (١٨) .

ومن الواضح ايضا ان خلفاء احمد بن طولون اتبعوا سياسة متسامحة تجاه اهل الذمة ، فلم تشر مصادر تلك الفترة الى اية احداث متعلقة باهل الذمة في ايام خلفائه ، مما يعني ان حياتهم قد سارت في اطارها الطبيعي حتى سقوط الدولة الطولونية .

ولكن هذا لا يعني ان اليهود كانوا دائما موضع عناية وتكريم من تلك الاسرة الحاكمة اذ تروى المصادر ان احمد بن طولون امر بتدمير قبور اليهود والنصارى في عام ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م ليقيم فوقها عاصمته الجديدة التي عرفت بالقطائع (١٩) .

---

(١٨) ابن الجوزى ، مراة الزمان ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٥٥١ تاريخ ميكروفيلم ١٠٨٥٩ ، جـ ٣ حوادث ٢٧٠هـ/٨٨٣م ؛ البلوى سيرة ابن طولون ، ص ٣٣٠ ؛ الكندى ، كتاب الولاة والقضاة ، مهذبا ومصححا بقلم رفن جست ، بيروت ١٩٠٨ ، ص ٢٣١ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ص ١٨ ؛ سيدة كاشف ، أحمد بن طولون ، ص ٢١٨ ؛ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور تاريخ مصر الاسلامية ، القاهرة ١٩٩٣ م ، ص ١٤١ ؛
Hassan, Les Tulunides, p. 220.

(١٩) الكندى ، كتاب الولاة والقضاة ؛ ص ٢١٥ ؛ ابن دقماق ؛ الانتصار لواسطة عقد الامصار ؛ بيروت ١٨٩٣ م ، جـ ٤ ص ١٢١ المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ؛ ص ١٠٦ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ؛ جـ ٣ ، ص ١٥ ؛ ترتون ، اهل الذمة ، ص ١١٣ ـ ١١٤ ، لينبول ، سيرة القاهرة ؛ ترجمة حسن ابراهيم وعلى وابراهيم حسن ، القاهرة ١٩٥٠ م ، ص ٨١ ، ٨٢ ، عبد الرحمن زكى ، عواصم مصر الإسلامية مقال في كتاب مصر الاسلامية ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص ١٠٧ محمود رزق ، المجتمع المصري ، ص ١٤٢ .

وبعد سقوط الدولة الطولونية عادت مصر من جديد ولاية عباسية (٢٠) ، حيث نعم اهل الذمة بالحرية والأمان ولم يعكر صفو حياتهم سوى المرسوم الذى صدر فى اثناء ولاية عيسى النوشرى على مصر سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م الذى أمر فيه الخليفة المقتدر بالا يستخدم احد من اليهود والنصارى الا فى الطب والجهبذة أى أعمال الصيرفة ، كما الزمهم بلبس الغيار الذى يميزهم عن المسلمين (٢١) .

وفى عهد الدولة الاخشيدية (٣٢٣ — ٣٥٨ هـ / ٩٣٥ — ٩٦٩ م) كان لليهود انشطتهم الملحوظة فى الأعمال التى تدر الأرباح الوافرة ، فقد وجد بينهم اصحاب الضياع والأطباء والصيارفة والتجار ، ولهم يشهد العصر الاخشيدى أية اضطهادات لأهل الذمة بدليل صمت المصادر عن المراسيم التى كانت تصدر لالزام الذمة بالشروط العمرية من حيث الملبس والركوب ، هذا فضلا على انه كان لأهل الذمة ابان تلك الفترة محاكمهم الخاصة بهم ، مع احتفاظهم بحقهم فى الاحتكام الى قضاة المسلمين ، وظلوا يدفعون الجزية كل بحسب الطبقة التى ينتمى اليها (٢٢) .

وبعد يعقوب بن كلس من ابرز اليهود الذين عملوا فى ظل الدولة الاخشيدية ، فقد اشتغل بالتجارة واتصل بكافور وأصبح

---

(٢٠) الكندى ، ولاة مصر ، ص ٢٥٨ ؛ المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ١٣٢ ١٥٢ .

(٢١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ١٦٥ .
Fischel, Jewes, and Economic, p. 7.

(٢٢) سيدة كاشف ، مصر فى عصر الاخشيديين ، القاهرة ، ١٩٥٠ م ، ص ٢٣٩ ؛ على حسنى الخربوطلى ، العرب واليهود فى العصر الاسلامى القاهرة (بدون تاريخ ، ص ٦٩ ، ٧٠ ؛ الاسلام وأهل الذمة ص ٢١٨ .

يعرف فيما بعد بـ « تاجر كافور » ، كما أنه نظم مالية مصر فى عهده . وفى أواخر عهد الدولة الاخشيدية اعتنق يعقوب هـذا الاسلام وصلى فى الجامع ، فزادت مكانته عند كافور (٢٣) .

وتكشف لنا احدى وثائق الجنيزة المؤرخة بسنة ٣٤٨ / ٩٥٩ م عن كيفية اندماج اليهود مع غيرهم من المسلمين والنصارى من خلال السـكن بالقرب مـن حصـن الروم المعـروف بقصر الشمع (٢٤) ، كصورة من حسن الجوار والتعايش المشترك بين

---

(٢٣) اليافعى ، مرآة الزمان وعبر اليقظان ، ط (١) حيدر أباد ١١٣٧ هـ ، جـ ٢ ، ص ٤١٠ ؛ ابن زولاق ، أخبار سيبويه المصرى ، قام بنشره محمد ابراهيم بسعد وحسنين الديب ، ط (١) القاهرة ١٩٣٢ م ، ص ٧٤ ، ابن أيبك ، كنز الدرر وجامع الغـرر ، القـاهرة ١٩٦١ ، جـ ٦ ص ١٧٥ ، سـيدة كاشف مصر فى عصر الاخشيديين ، ص ١٧٧ ؛ عطية القوصى ، تجارة مصر ، ص ٧٩ ، ٨٠ ، نعيم زكى فهمى ، دور اليهود فى تجارة العصور الوسطى بين الشرق والغرب ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٤١ ، ٤٢ .

Bernard (Lewis) : Notes and Communications, BSOAS, XXX, paris (1), 1967, p. 179 ;

Fischel, Jews in the Economic, pp. 47, 49 ; Lev. (Yaacov), The Fatimid Vizier ya'qub ibn Kills and the Beginning of the Fatimid Administration in Egypt D. I., Band 58, 1981, p. 239.

(٢٤) ذكر المقريزى أن هذا القصر أحدث بعد خراب مصر على يد بخت نصر ، وقد اختلف فى الوقت الذى بنى فيه ومن أنشاه من الملوك ، كما ذكر نقلا عن الواقدى أن الذى بناه اسمه الريان بن الوليد ، وكان يوقد على هذا القصر الشمع فى رأس كل شهر ، واذا حلت الشمس فى برج من البروج أوقد الشمع فى تلك الليلة فيعلم الناس أن الشمس انتقلت من البرج الذى كانت فيه الى برج آخر غيره ولم يزل القصر على حاله الى أن خربت مصر على يد بخت نصر ، فظل خرابا خمسمائة سنة ولم يبق منه الا أثره فقط فلما ملكت الروم مصر ولى مصر من قبلهم رجل يقال له ارجاليس فبنى القصر على أساسه ، وقال آخر ان الذى بناه طخشيانشت احد ملوك الفرس وعرف بقصر الشمع لأنه كان له باب يقال له باب الشمع ، وأشار أيضا نقلا عن القضاعى أن فارس لما ظهرت على الروم وملكت عليهم =

كافة الطوائف الدينية فى ذلك الوقت (٢٥) .

خلاصة القول ان اليهود عاشوا فى أمان واطمئنان وأن حياتهم صارت فى اطارها الطبيعى ، وعملوا فى الجهاز المالى والادارى فى ظل الدولة الإخشيدية .

وبعد وصول الفاطميين الى مصر فى عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م راى خلفاء هذه الدولة انهم قد جاءوا الى مصر بمذهب شيعى يخالف مذهب المصريين السنى ومن ثم فقد صاروا فى حاجة الى من يعاونهم فى تثبيت سلطانهم ، وبعد أن ايقنوا أنه من المتعذر عليهم الاعتماد على السنيين فى مصر انصار الدعوة العباسية ، عمدوا الى تقريب اهل الذمة ، لأنهم كانوا يمثلون نسبة ضئيلة بين المسلمين فى كل من مصر والشام ، واظهروا لهم كثيرا من التسامح واستخدموهم فى أهم شئون الدولة الادارية والاقتصادية والسياسية (٢٦) .

= مصر والشام بدأت ببناء هذا القصر وبنت فيه هيكلا لبيت النار ولم يتم بناؤه على أيديهم الى أن ظهرت الروم فتممت بناء القصر وحصنته ولم تزل فيه حتى فتح مصر ، انظر المقريزى ، الخطط جـ ١ ، ص ٢٨٧ .

(٢٥) Goitein, Geniza Documents on the Transfor and Inspec-tion of Houses, Romm, Numeros 13-14, 1973, p. 42.

(٢٦) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٤ ص ٣١ ، ٣٢ ، ترتون ، أهل الذمة ، ص ٩٧ ، ٩٨ ، جمال الدين سرور ، مصر فى عصر الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٦٠ م ، ص ٥٤ ؛ حسن الزين ، الأوضاع القانونية للنصارى واليهود فى الديار الاسلامية حتى الفتح العثمانى ، بيروت ١٩٨٨ م ، ص ١٣٠ ، زغلول سلام ، الادب فى العصر الفاطمى الكتابة والكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٨٨ م ص ١٥٦ ، جواتين ، تشريعات قضائية من الجنيزة القاهرية بالعبرية فى مجلة Kirgath-Sefer (41) Jerusalem, 1955, pp. 2-4.

وقد وضح ذلك فى خلافة المعز لدين الله الفاطمى الذى اتبع سياسة التسامح ازاء أهل الذمة ، ففى ظل سياسته هذه وصل بعض اليهود الى أرقى المناصب الادارية والمالية فى الدولة الفاطمية ، ولعل أشهر هؤلاء يعقوب بن كلس الذى كان قد اعتنق الاسلام فى أيام كافور الاخشيدى ، كما سبق أن نوهنا من قبل ، والذى عهد اليه الخليفة المعز « بالخراج .. ووجوه الأموال ، والحسبة .. وجميع ما يضاف الى ذلك فى مصر وسائر الأعمال » (٢٧) .

كذلك فاق العزيز أباه فى التسامح ازاء أهل الذمة ، الذين نعموا فى عهده بالحرية التامة فى اداء شعائر دينهم ، وقد كان من اثر هذه السياسة زيادة نفوذ اليهود فى مصر وعلى رأسهم يعقوب بن كلس الذى عهد اليه الخليفة العزيز بالوزارة ولقبته بالوزير الأجل وأمر الا يخاطبه أحد ولا يكاتبه الا به (٢٨) .

---

(٢٧) ابن أيبك ، كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ١٧٥ ؛ المقريزى ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، القاهرة ١٩٤٨ م ، جـ ١ ، ص ١٥١ ؛ ميخائيل شاروبيم ، الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ط (١) بولاق ١٨٩٨ م ، جـ ٢ ، ص ٢٩٤ ؛ ابن سعيد الانطاكى ، تكملة سعيد ابن بطريق ابتداء من حوادث ٣٢١ هـ ، بيروت ١٩٠٩ م ، ص ١٧٢ ؛ زكى حسن ، كنوز الفاطميين القاهرة ١٩٣٧ م ، ص ٣١ ؛ عطية مصطفى مشرفة ، أهل الذمة فى العصر الفاطمى ، مجلة المقتطف ، جـ ٣ ، م ٧ بعد المائة ١٩٤٥ م ، ص ٢١٤ ؛ محمود نعناعة ، المشكلة اليهودية وهل تحلها اسرائيل ، جزءين القاهرة ١٩٧٥ م ، جـ ٢ ، ص ٢٧٢ ، محمد حمدى المناوى ، الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى ، القاهرة ١٩٧٠ م ، ص ٣٤١ ؛ سلام شافعى محمود ، أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الاول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٥ ، ص ٤٣ وما بعدها .

(٢٨) ابن زولاق ، أخبار سيبويه ، ص ٧٥ ، ابن سعيد النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب فى حلى المغرب . تحقيق حسين نصار ؛ طبعة دار الكتب المصرية ١٩٧٠ م ، ص ٢١٥ ؛ ابن ايبك ، كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ١٧٤ ؛ نعيم زكى ، دور اليهود ، ص ٤٩ ، ٥٠ =

وقد ترتب على استئثار اليهود بمناصب الدولة الكبرى فى عهد هذا الخليفة أن تمكنوا من تقديم الخدمات لاخوانهم فى العقيدة، بل استغل بعضهم هذا النفوذ فى الاساءة الى المصريين الـذين استاءوا من تزايد نفوذ اليهود وعمدوا الى تقديم الاحتجاجات الى الخليفة بسبب محاباته لليهود ، فكتبت اليه امراة تقول « بالذى أعز اليهود بمنشا والنصارى بعيسى بن نسطورس ، وأذل المسلمين بك الا قضيت أمرى .... » مشيرة بذلك الى نفوذ منشا اليهودى وابن نسطورس اللذين توليا مقاليد الأمور بعد الوزير يعقوب بن كلس مما دفع الخليفة العزيز الى اصدار أوامره بالقبض على منشا اليهودى وابن نسطورس المسيحى ومصادرة أموالهما (٢٩).

= المناوى ، الوزارة والوزراء ، ص ٢٤١ ، محمود نعناعه ، المشكلة اليهودية ، ص ٣٧٢ ؛ عبد المنعم ماجد ، الحاكم بأمر الله واسرار الدعوة الفاطمية ، ط (٣) ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ٨٠ ـ ٨١ .

Fischel, Jews in the Economic, p. 37 ;

Lane (Poole), History of Egypt in the Middle ages, Leiden 1901., pp. 126-127 ; Lev, The Fatimids vizier, p. 242 ; Ashtor, Histoire des prix et des salaires dans l'orient médiéval, Paris, 1969, p. 117 ; Lewis, Notes and Communications, pp. 179-180 ;

Cohen (Mark), Jews Self Government in Medieval Egypt, Princeton University Press, Princeton, New York, 1980, p. 4 ; Mann, The Jews in Egypt, I, pp .19-20.

(٢٩) ابن الجوزى ، المنتظم ، طبعة حيدر اباد ١٣٥٨ ، ج ٧ ، ص ١٩٠ ، ابن سعيد ، النجوم ، ص ٣٥٨ ؛ ابن ميسر ، اخبار مصر ، تحقيق هنرى ماسية ، القاهرة ١٩١٩ م ، جـ ٢ ص ٤١ : ٢ ؛ ابن ايبك ، كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ٢٧٩ ، عطية مشرفة ، اهل الذمة ، ص ٢٦٥ ؛ ٢١٦ ؛ جمال الشيال ، نظام الوزارة فى العصر الفاطمى ، مجلة الثقافة العدد ٦٣٨ ، ١٩٥١ م ، ص ١٢ ؛ خلف محمد الحسينى ، اليهودية بين المسيحية والاسلام ، القاهرة ١٩٦٤ م ، ص ١٠١ ، ١٠٢ ؛ نريمان عبد الكريم ، احوال المراة فى مصر فى العصر الفاطمى ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ٢١١ .

وقد صور لنا احد شعراء العصر الفاطمى ازدياد نفوذ اليهود زمن الدولة الفاطمية ومدى اتساع نفوذهم وتحكمهم فى الناس فى صورة هزلية دعا فيها الى اعتناق اليهودية مادام انها أقرب وسيلة للوصول الى السلطان والنفوذ فقال :

يهود هذا الزمان قد بلغوا
غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم والمال عندهم
ومنهم المستشـــار والملـــك
يا اهل مصر انى نصحت لكم
تهودوا قد تهود الفلك (٣٠)

وعلى الرغم من سياسة التسامح هذه التى حظى بها اليهود فى عهد العزيز فان الوضع سرعان ما تبدل فى عهد ابنه الخليفـــة الحاكم بأمر الله ، الذى سارع بنبذ سياسة التسامح الدينى التى سار عليها كل من المعز والعزيز بعد ان استقرت له الأمور فاشتد فى معاملة اهل الذمة ، والزمهم بالشروط العمرية ، فجعل اليهود يلبسون الزنار ويحملون الخشب الثقيل ، وحرم عليهم ركـــوب الخيل والا يستخدموا مسلما او جارية مسلمة ، وحذر المكاريـــة

---

(٣٠) ابن ميسر ، اخبار مصر ، جـ ٢ ، ص ٢ ؛ آدم متز ، الحضارة الاسلاميـة فى القرن الرابع الهجرى ، نقله الى العربية محمد عبد الهادى ابو ريدة بيروت ١٩٦٧ م ، ص ٦٧ ؛ عبـد المنعـم ماجـد ، نظـم الفـــاطميين ورســـومهم فى مصر ، القاهرة ١٩٥٣ م ، جـ ١ ، ص ٩٨ ؛ خلف الحسينى ، اليهودية ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ ؛ بنعناعة ، المشكلة اليهودية ، جـ ٢ ؛ ص ٢٧٥ ؛ مارك كوهن ، المجتمع اليهودى ، ص ٢٠ كامل سعفان ، اليهود تاريخ وعقيدة ، ص ٢٤ ؛ سلام شافعى ، أهل الذمة ، ص ٩١ .

المسلمين ان يحملوا على دوابهم ذميا ، كما حظر على الملاحين المسلمين ان يحملوا فى سفنهم ذميا وافردت لهم حمامات خاصة ، واحرق الحاكم حى اليهود وقام بنقلهم الى حارة زويلة واسكنهم بها (٣١) .

ويرى احد الباحثين ان الاسباب التى دفعت الحاكم بأمر الله الى ذلك مرجعها « ان اهل الذمة اشتد بأسهم بين المسلمين منذ ان تمكنوا فى ايام العزيز » (٣٢) ورغم سياسة الحاكم المتشددة تجاه اهل الذمة فقد عاد فى عام ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م الى سياسة التسامح معهم ومنحهم أمانا (٣٣) .

وفى الوقت الذى اجمعت فيه أغلب المصادر العربية على اضطهاد الحاكم لأهل الذمة فقد اشارت احدى وثائق الجنيزة

---

(٣١) اليافعى ، مرآة الجنان ، جـ ٢ ، ص ٤٤٩ ؛ ابن الراهب ، تاريخ ابن الراهب ، ص ٨٢ ، ٨٣ ؛ ابن سعيد تكملة سعيد بن بطريق ، ص ١٨٧ ــ ٢٠٢ ؛ يحيى ابن عمر ، كتاب النظر والاحكام فى جميع احوال السوق ، تونس ١٩٧٥ ، ص ٩٦ ، ٩٧ ؛ القرمانى اخبار الدول وآثار الاول فى التاريخ ، القاهرة بدون تاريخ ، ص ١٩١ ، ١٩٢ ، ابن أيبك ، كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ٢٦٠ ، جمال سرور ، مصر فى عصر الدولة الفاطمية ، ص ٨٧ ؛ ماجد ، نظم الفاطميين ص ٩٩ ؛ عبد المنعم سلطان المجتمع المصرى فى العصر الفاطمى ، دراسه تاريخية وثائقية ، القاهرة ١٩٨٥ م ، ص ١٠٠ .
Goitein The Documents of the Cairi Geniza as a source for Mediterranean Social History, JAOS No (2), 1960, p. 94 ; Ashtor, Saladin and Jews, HUCA, No XXVII, Jerusalem,1 1956, p. 306.

(٣٢) ماجد ، الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه ، القاهرة ، ١٩٨٢ م . ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٣٣) ابن أيبك ، كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ٢٦٠ ؛ المقريزى ، الخطط ، جـ ٤ ، ص ٣٩٨ ، ٣٩٩ ؛ ترتون ، اهل الذمة ، ص ١٢٧ .

المؤرخة فى عام ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م الى تسامح الخليفة الحاكم وعدله مع أهل الذمة فى عصره ، بل ووصفته هــذه الوثيقــة « بالمسيح المخلص » تأكيدا لسياسته العادلة معهم (٣٤) .

وفى عهد ابنه الخليفة الظاهر الفاطمى الذى كان على النقيض من ابيه عادت سياسة التسامح ازاء أهل الذمة ، فقد عمل على اكتساب عطفهم واصدر مرسوما اعلن فيه أنهم احرار فى عقائدهم وشعائرهم ، وأنه لا إكراه فى الدين وان آثر احد منهم الدخول فى الاسلام اختيارا من قلبه وهداية من ربه فليدخل فيه مقبولا ، ومن آثر البقاء على دينه مــن غــير ارتداد ، كــان عليه ذمته وحياطته (٣٥) .

والحديث عن اليهود فى العصر الفاطمى يحتم علينا الاشارة أيضا الى انهم برعوا فى مجال الطب ابان تلك الفترة ، فقد برزت أسماء الكثير منهم ممن حازوا شهرة واسعة فى العصر الفاطمى ، كموسى بن العازار الاسرائيلى الذى عمل فى خدمة الخليفة المعز ، وابنه اسحق بن موسى الذى احتل مكانة كبيرة عند الخليفة نفسه : ونقرأ أيضا عن أحد اليهود لقب « بالحقير النافع اليهودى » كان أحد أطباء الخليفة الحاكم بأمر الله ، وعن أبى منصور اليهــودى الذى عاش فى عهد الخليفة الحافظ لدين الله ، وعن كل من ابى الخير سلامة مبارك بن رحمون اليهودى ، والشيخ ابو جعفــر يوسف بن حسداى الاسرائيلى الذى اختص بخدمة الوزير المأمون البطائحى ، ولا ننسى كذلك الطبيب أبو كثير افرائيم بن يعقوب

(٣٤) Goitein, Studies in Islamic History and Institution, Leiden, 1968, p. 288 ; The Cairo Geniza, p. 84.

(٣٥) ابن سعيد ، تكملة ابن بطريق ، ص ٢٣٥ ؛ جمال سرور ، مصر فى عصر الدولة الفاطمية ، ص ٨٥ .

الذى خدم بعض الخلفاء الفاطميين وبعض قواد الدولة ووزرائها ، كان كالأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى الذى شمله برعايته وعنايته (٣٦) .

ويبدو أن اليهود قد لعبوا أيضا دوراً مهما فى مجال الادارة المصرية تحت حكم الدولة الفاطمية اذ تتحدث المصادر عن أبى المنجا بن يشعيا الذى كان مشارفا للأعمال بالشرقية ، وهى وظيفة كان يتولاها الموظفون الذين يشرفون على الأمور المالية وبخاصة فى الأوقاف (٣٧) ، ويفهم من المصادر العربية أن الوزير الأفضل شاهنشاه قد عهد اليه بحفر القناة التى عرفت باسم خليج أبو المنجا ، وهنا أيضا ابن أبى الدم اليهودى أحد كتاب ديوان الانشاء فى عهد الخليفة الآمر بأحكام الله (٣٨) ، وأبى يعقوب

---

(٣٦) ابن أبى أصيبعة ، عيون الانباء فى طبقات الأطباء ، ط (١) القاهرة ١٨٨٢ م ج ٢ ، من ص ٨٦ ـ ١١٧ ، ابن القفطى ؛ تاريخ الحكماء وهو مختصر الزوزنى المسمى بالمنتخبات والملتقطات من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، القاهرة ١٩٠٣ م ، ص ١٧٨ ، ٣٢٠ ؛ محمد عبد الله عنان الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، ط (٣) القاهرة ١٩٨٣ م ، ص ٨٠ ؛ سلام شافعى محمود سلام ، أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الثانى والعصر الأيوبى ، القاهرة ١٩٨٢ م ، ص ٩٩ ، ١٠٠ ؛ مارك كوهن ، المجتمع اليهودى ، ص ١٩ ؛
Lewis, Nots and Communications, P. 17.

(٣٧) ابن مماتى قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال ، القاهرة ١٩٤٣ م ، ص ٣٠٢ .

(٣٨) القلقشندى ، صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، طبعة دار الكتب المصرية ١٩١٣ م ، جـ ٣ ، ص ٣٠٢ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور . طبعة بولاق . جـ ١ . ص ١٧٢ ؛ سلام شافعى ، أهل الذمة ، ص ٢٨ ، ٦٧ ، ٧٥ ؛
Fischel, Jews in the Economic, pp. 87-88.

السامرى الكاتب احد اليهود الذين تولوا ديوان الخراج فى العصر الفاطمى المتأخر (٣٩) .

واسهم اليهود كذلك بدور كبير فى النشاط الصناعى ، ففى مجال صناعة الخمور كان اكثر المشتغلين بها من اهل الذمة يهودا ونصارى ، ولا ننسى ايضا صناعة السكر والعسل التى انتشرت مطابخها فى مدينة الفسطاط ، والتى عرف لها مطابخ عامة واخرى اهلية كان معظمها يدار بواسطة اليهود ، وهناك كذلك صناعة الزيوت والحلى والمعادن التى كانت مشاعا بين المسلمين واهل الذمة (٤٠) .

كما لعب اليهود فى مجال التجارة دوراً مهما بفضل سياسة التسامح التى نعموا بها فى ظل الخلفاء الفاطميين ، وبفضل تأمين طرق المواصلات الداخلية ، فمارسوا تجارة الذهب والجواهر والعملة واعمال الصيرفة (٤١) .

---

(٣٩) Mann, The Jews in Egypt, I, p. 288.
سلام شافعى ، أهل الذمة ص ٧٥ .

(٤٠) ابن دقماق الانتصار ، ص ٤٣ ، ٤٤ ، جمال الشيال ، تاريخ مصر الاسلامية ، الجزء الأول من الفتح الى نهاية العصر الفاطمى ، القاهرة دار المعارف ، ١٩٦٧ م ، ص ١٠٨ ؛ عاصم محمد رزق عبد الرحمن ، مركز الصناعة فى مصر الاسلامية من الفتح العربى حتى مجىء الحملة الفرنسية ، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٩ م ، ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٣١ ؛ سلام شافعى أهل الذمة ، ص ١٤٣ ، ١٧٣ ؛ آدم متز الحضارة ، جـ ٢ ، ص ٢٨٣ .

(٤١) ابن القفطى ، تاريخ الحكماء ، ص ٣١٨ ؛ قاسم عبده ، اليهود فى مصر ، ص ٦٢ ؛ سلام شافعى ، أهل الذمة ، ص ١٧٥ ، ١٨٣ ؛ عبد المنعم سلطان المجتمع المصرى ، ص ١٠٨ .
Fischel, Jews in the Ecinimcl, PP. 87-88

ويبدو انهم استطاعوا بفضل ممارسة الصناعة والتجارة تكوين ثروات ضخمة لفتت انظار الرحالة الذين زاروا مصر فى العصر الفاطمى ، فقد روى الرحالة الفارسى ناصر خسرو الذى زار مصر فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى انه كان بمصر رجل يهودى غنى ، يسمى أبا سعيد له مال كثير ، وكان يتاجر بالجواهر ، ولما مات ترك ثلاثمائة جرة من الفضة (٤٢)

بقى ان نشير الى أنه منذ ان استولى الفاطميون على مصر ، وامتد سلطانهم الى اليمن تبوأ اليهود فيهارئاسة الزعامة الروحية على جميع اليهود المقيمين فى شتى اقطار العالم الاسلامى ، فقد أخذ يتوافد على مصر علماء اليهود من الأندلس وشمال أفريقيا وفلسطين والعراق وفارس لتبادل الراى فى شتى الامور الدينية (٤٣) .

لذلك ليس بغريب أن يعد العصر الفاطمى بمثابة العصر الذهبى لليهود ، فقد تمتعوا فيه بالتسامح الدينى ، كما اسهموا فى شتى المجالات الاقتصادية والسياسية والادارية والاجتماعية فى المجتمع المصرى طوال تلك الفترة ، باستثناء عصر الخليفة الحاكم بأمر الله الذى تعرض فيه اهل الذمة من يهود ونصارى لبعض الاضطهادات التى سرعان ماعدل عنها قبل وفاته ، وعادت سياسة التسامح ازاء أهل الذمة الى ما كانت عليه من قبل .

---

(٤٢) ناصر خسرو ، سفر نامه ، تعريب يحيى الخشاب ، ط (١) القاهرة ١٩٤٥ م . ص ٦٤ ؛ آدم متز ، الحضارة ، ج ٢ ، ص ٣٨٤ : كامل سعفان ، اليهود تاريخ ، عقيدة ، ص ٣٣ .

(٤٣) رينيه قطاوى ، مجلة تاريخ الاسرائيليين فى مصر تصدرها جمعية الابحاث التاريخية الاسرائيلية المصرية ، العدد الأول ، القاهرة ١٩٤٧ م ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

لكن بعد سقوط الخلافة الفاطمية فى عام ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م، وانتقال الحكم الى الايوبين ، أصدر صلاح الدين مرسوما بصرف أهل الذمة ، ومنع استخدامهم فى الاعمال السلطانية دواوين الدولة ، ويبدو أنه أراد من وراء ذلك استئصال شأفة اليهود والنصارى (٤٤) .

وقد يتساءل البعض عن الأسباب التى دفعت بصلاح الدين الى اتخاذ مثل هذا القرار ضد اهل الذمة ، ومن المرجح أن صلاح الدين قد عمد الى اقصاء اهل الذمة بهدف ابعاد كل من كان مواليا للفاطميين ، خوفا من محاولة التآمر على حكمه ، خاصة وأن أهل الذمة كانوا قد حصلوا ابان العصر الفاطمى على العديد من الامتيازات ، كما امتدت أيديهم الى شتى المجالات ، وقد أثبتت الأحداث بالفعل صحة وجهة نظر صلاح الدين بالنسبة لليهود ، اذ يفهم من المصادر ان بعض المصريين والفرنجة تحالفوا لاخراج صلاح الدين من مصر ، وتولى أحد كتاب اليهود فى مصر كتابة الرسائل الى الفرنجة (٤٥) ، لذلك كان من الطبيعى أن يتشدد صلاح الدين فى أول أمره . مع اليهود بسبب ما ارتكبوه فى حقه من مؤامرات ومع هذا يمكن القول بأن سياسة صلاح الدين كانت تتسم بالحكمة والتماسك (٤٦) ، فقد أثر عنه أنه حاكم عطوف متسامح ، بدليل ما تشير اليه الأحداث التاريخية من اشتغال

---

(٤٤) المقريزى ، السلوك فى معرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، طبعة ١٩٣٤ ، جـ ١ ، ق (١) ، ص ٤٧ ، سلام شافعى ، اهل الذمة ، ص ٣٧ .

(٤٥) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، طبعة بيروت ١٩٦٦ م ، جـ ١١ ، ص ٣٤٥ ؛ المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢ ؛ ترتون ، أهل الذمة ، ص ٣٣ ، سلام شافعى ، أهل الذمة ، ص ٣٩ .

(٤٦) Ashtor, Saladin and the Jews, p. 303.

اليهود فى العصر الأيوبى بالدواوين ، واستعانة حكام تلك الدولة بالكتاب وجامعى الضرائب من بين اليهود والنصارى (٤٧) . وربما يكون السبب فى ذلك أيضا ولاء اليهود الناتج عن قلة عددهم ، بالاضافة الى خبرتهم الطويلة فى مجال الدواوين ، وعدم مقدرة كثير من المسلمين على القيام بمثل هذه الاعمال لقلة خبرتهم بالمسائل الادارية والمالية .

ويعتبر ابن كوجك من اليهود الذين تولوا رئاسة ديوان التحقيق فى عام ٦٢٤ هـ / ١٢٢٧ م فى عهد السلطان الملك الكامل محمد (٤٨) .

وتتحدث المصادر الأيوبية أيضا عن الدور المهم الذى لعبه اليهود فى مجال الطب ، فقد شاعت شهرة الكثيرين من الأطباء اليهود فى هذا العصر بسبب رعاية الدولة لهم ، اذ اهتم صلاح الدين برعاية الأطباء وبخاصة أطباء قصره والعاملون فى البيمارستانات ، ومنحهم الهدايا وتقريبهم اليه ، واجراء الرواتب المجزية عليهم وعطفه عليهم وعلى أولادهم ، كما سمح لهم أيضا باستخدام الخيل (٤٩) .

واحتفظت لنا الوثائق ببعض الأسماء اللامعة من اطباء اليهود الذين خدموا البلاط السلطانى فى عهد صلاح الدين وخلفائه نذكر منهم ابن جميع الاسرائيلى ، وابا البيان بن المدور ، والرئيس هبة الله ، والموفق بن شوعة ، وابو المعالى بن تمام ، وأبو البركات

---

(٤٧) Ashtor, Saladin and the Jews p. 308.

(٤٨) ابن ميسر ، اخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٤٢ .

(٤٩) Goitein, The Medical Profession in the Light of the Cairo Geniza, Documents, HUCA, XXXIV 1963, p. 184.. Ashtor, Saladin and the Jews, p. 307.

ابن شعيا ، والأسعد المحلى والطبيب يوسف بن أبى سعيد بن خلف السامرى (٥٠) ، وابراهيم بن موسى بن ميمون الذى شغل منصب رئيس اليهود منذ عام ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م حينما كن يبلغ من العمر تسعة عشر عاما ، حتى وفاتــه فى عــام ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م (٥١) . كمــا ســجلت لنــا وثــائق الجنيزة أيضــاً العديد من الأنشطــة التى قــام بها ومارسها على رأس الزعامة الدينية والعلمية لليهود فى مصر ، بالاضافة الى منصــبه كرئيس لليهود ، الذى جعله مرتبطا بالمسائل الدينية والشرعية ، فضــلا عن الشئون العامة لأفراد طائفته ، بما فى ذلك رعاية المــرضى واليتامى والغرباء وغيرهم ممن كانوا فى حاجة الى العون (٥٢) .

ويستشف من احدى وثائق الجنيزة ان ابراهيم هــذا عمل أيضا بالقضاء فى العاصمة (القاهرة) (٥٣) . ووصلتنا وثيقــة أخرى تحمل توقيعه باعتباره المسئول الشرعى عن المحــكمة ، وهناك وثيقة ثالثة توضح قيامه بتدريب أحد الكتاب على كيفيــة

---

(٥٠) ابن أبى أصيبعة ، طبقات الاطباء ، ج ٢ ، ص ١١٣ ، ١٨٨ ؛ عطية القوصى صلاح الدين واليهود ، المجلة التاريخية المصرية ، م ٢٤ ، ١٩٧٧ م ، ص ٤٤ ، ٤٥ ؛ أحمد فؤاد ، أوراق جنيزة القاهرة ، هل هى امتداد لعلم البرديات العربية ودراساته (دراسة نقدية للأبحاث المستخلصة من أوراق الجنيزة اليهودية) ضمن أبحاث الندوة التى نظمها مركز الدراسات البردية بجامعة عين شمس ١٩٨٣ م ، ص ٢٥٧ .

(٥١) Goitein, Abraham Maimonides and his Pietist Circle, ROMM. Numeros 13-14, 1973, p. 151.

(٥٢) Goitein, Abraham Maiminids, pp. 151-152.

(٥٣) Goitein, Abraham Maimonids, pp. 158.

صياغة اعلان اقامة دعوى قضائية من شخص مقيم ببلدة تقـع خارج مدينة القاهرة (٥٤) .

وتمدنا المصادر الأيوبية ايضا بأسماء بعض الأطباء اليهـود الذين اسلموا مثل السمو آل بن يهوذا المغربى الحكيم اليهودى الذى قدم من الأندلس الى المشرق ، والف كتبا فى الطب ، وارتحل الى اماكن عديدة ثم اسلم فحسن اسلامه ، وصنف لنا كتابـا فى اظهار عيوب اليهود (٥٥) ، ولا ننسى ايضـا موسى بن ميمـون الاسرائيلى الذى كان يعد من اشهر اطباء العصر الأيوبى بلا منازع، واسلم فى اثناء وجوده بالمغرب ، وحفظ القرآن ، وبعد قدومه الى مصر جعله صلاح الدين طبيبه الخاص وعينه رئيسا لليهـود فى مصر . وقيل انه كان بارعا فى آداب الدين والعهد القديم والعلوم الرياضية والفلسفية وخدم صلاح الدين وابنه ، ومن اهم كتبـه كتاب « دلالة الحائرين (٥٦) . وعلى ذلك يمكن القول بأن زعامة الطب فى العهد الأيوبى انتقلت الى اليهود بسبب عطف السلاطين الأيوبيين وتسامحهم ورعايتهم لليهود .

(٥٤) Goitein, Abraham Maimonids, pp. 159-160.

(٥٥) ابن القفطى ، تاريخ الحكماء ، ص ٢٠٩ ، ابن يحيى المغربى السموأل ، افحام اليهود ، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوى ، القاهرة ١٩٨٦ م ، ص ٩٤ .

(٥٦) ابن أبى أصيبعة ، طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ١١٧ ؛ ابن القفطى ، تاريخ الحكماء ، ص ٣١٧ ، ٣١٨ ؛ ترتون ، أهل الذمة ، ص ١٩٨ ، ١٩٩ ؛ عبد الوهاب المسـيرى ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، القاهرة ، ١٩٧٥ م ، ص ٣٨٦ ؛
Al-Exander (Marx,) History of the Jewish People, New York, 1977, p. 342.

وقد أمدتنا احدى وثائق الجنيزة بوصف للعمل الذى كان يقوم به أحد الأطباء اليهود فى المارستان الذى انشأه صلاح الدين بالقاهرة ، فذكرت أنه « ... قام بعلاج المرضى فى القاهرة ومصر ، ولازم المارستان ليلاً ونهارا يتابع المرضى مسلمين ويهود فى جميع الأوقات حتى فى يوم راحته .. (٥٧) .

أما فيما يتعلق بدور اليهود فى الحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر الأيوبى فقد مارس يهود هذا العصر جميع الحرف والصناعات التى سبق لهم ممارستها ابان الدولة الفاطمية مع بعض التغيرات القليلة ، اذ يستشف من احدى وثائق الجنيزة التى وصلتنا من هذا العصر اشتغال اليهود بالعديد من الحرف كحرفة الصباغة ، وصناعة المعادن والزجاج والحلى بالاضافة الى صناعة الخمور والسكر والعسل (٥٨) .

اما فيما يتعلق بالناحية التجارية ، فقد قام اليهود بدور كبير فى التجارة الداخلية وفى تجارة المرور بين الشرق والغرب ، وذلك بفضل سياسة التسامح التى نعموا بها ايضا فى زمن الدولة الأيوبية مما جعلهم يجنون ثروات لا حدود لها (٥٩) كما كان لهم نصيب كبير فى هذه التجارة ، اذ اسهموا برءوس أموالهم فى تجارة

---

(٥٧) Cohen (R. Mark), The Burdensome Life of A Jewish Physician and Communal Leader, A Geniza Fragment form the Alliance Israélite Universelle Collection 1993, pp. 127, 129-130.

(٥٨) مارك كوهن ، المجتمع اليهودى ، ص ٧١ ؛ سلام شافعى ، اهل الذمة ، ص ١٤٣ الى ١٧٢ .

(٥٩) عطية القوصى ، صلاح الدين واليهود ، ص ٤٢ ، ٤٣ ؛ سلام شافعى ، اهل الذمة فى مصر ، ص ١٧٥ .

أبناء عمومتهم من اليهود الراذانية (٦٠) ، الذين قاموا بدور نشط على مدى عدة قرون فى مجال التجارة بين الشرق والغرب (٦١) .

وهناك قصة تشير الى مدى الثراء الفاحش الذى وصل اليه بعض اليهود فى هذا العصر ملخصها أن السلطان صلاح الدين كان فى حاجة الى المال فأشار عليه الناصحون بأن يتصيد الأخطاء للايقاع بأحد اليهود الأثرياء الذى كان يقيم بأرضه ثم ينتزع ممتلكاته التى كانت كثيرة لا تحصى ولا تعد (٦٢) . ولعل سبب ثراء هؤلاء اليهود مرجعه الى عملهم فى تجارة العملة وأعمال الصيرفة ، والاقراض بالربا ، كما كانوا يقرضون على رهون ويستعملون الصكوك المثبتة لذلك (٦٣) .

---

(٦٠) كانوا يعملون بالتجارة العالمية ، وكانت مصر أحد مسالك تجارتهم ؛ وكانوا يتكلمون العربية والفارسية والرومية والأندلسية والصقلية ، وكانوا يسافرون من المشرق الى المغرب وبالعكس برا وبحرا ، يجلبون من المغرب الخدم والجوارى والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف ويركبون مع الفرنجة فى البحر العربى فيخرجون بالفرما ويحملون تجارتهم على الظهر الى القلزم الى الجار وجده ثم يمضون الى السند والهند والصين ويجلبون من الصين المسك والكافور والدار صينى ثم يرجعون الى القلزم ثم يحملونه الى الفرما ثم الى القسطنطينية ، انظر ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، طبعة لندن ١٨٨٩ م ، ص ١٥٣ ، ١٥٤ ؛ عطية القوصى ، تجارة مصر ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٦١) عطية القوصى ، تجارة مصر ، ص ٣٥ ؛ سلام شافعى ، أهل الذمة ، ص ١٨٦ .

(٦٢) سعاد حسين الأصفر ، صلاح الدين الايوبى كما جاء فى ال Novellina حوليات كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، م ١٩ ، ١٩٩٣ م ، ص ١١ ، ١٢ .

(٦٣) حسن ظاظا ، اليهود ليسوا تجارا بالنشأة ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ١٢٣ ؛ سلام شافعى ، أهل الذمة ، ص ١٨٤ .

وكان على التجار اليهود دفع الجزية شأنهم فى ذلك شـأن المسلمين فقد جاء فى احدى وثائق الجنيزة بصدد الجزية التى عرفت فى عهد الأيوبيين باسم (جعليه) ان تاجرا يهوديا من تجار الهند تغيب فى الهند تسع سنوات ، ثم توفى هناك فدفع عنه أخوته فى مصر جعلية السنين التسعة (٦٤) .

وقد تركت الدولة لليهود حرية ممارسة شعائرهم الدينية ، كما بقى التشريع والقضاء والتعليم والمساعدات الاجتماعية مـن صلاحيات رئيس اليهود ، مع الحفاظ على حق اليهود دائمـا فى اللجوء الى القضاء الاسلامى اذ رغب فى ذلك (٦٥) .

وقد أشار أحد الباحثين الى تجاوز رئيس اليهود أحيانـا لحدوده مع بعض أفراد رعيته ، كما أشار أيضا الى شغل هـذا المنصب عن طريق البذل والبرطلة (٦٦) ، فروى أن شخصـاً يهوديا يدعى يحيى اغتصب لنفسه رئاسة اليهود على أن يقدم الف دينار كل سنة لوزير مصر (٦٧) ، ولما علم صلاح الدين بأمره

---

(٦٤) عطية القوصى ، صلاح الدين واليهود ، ص ٤٣ ؛
Ashtor, Saladin and the Jews, p. 309.

(٦٥) Ashtor, Saladin and the Jews, pp. 307-313.

(٦٦) عن هذا الموضوع انظر أحمد عبد الرازق ، البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٧٩ م .

(٦٧) أشار اسرائيل ولفنسون فى كتابه موسى بن ميمون بقوله « ولعل ذلك الوزير كان شاور ، انظر ولفنسون ، موسى بن ميمون ، القـاهرة ١٩٣٦ م . ص ١٨ ، ولكن هذا القول ليس صحيحا لأن شاور قتل على يد شيركوه بعد موافقة الخليفة العاضد الفاطمى لخيانته واستعانته بالصليبيين ، انظر أحمـد عبد الرازق ، تاريخ وآثار مصر الاسلامية ، القاهرة ١٩٩٣ ، ص ١٩٩ .

وتجاوزه الحدود مع اليهود اصدر مرسوما بعزله وطرده مع اسرته من مدينة الفسطاط (٦٨) .

ولدينا بعض الحالات الأخرى للبذل والبرطلة التى حدثت فى العصر الأيوبى على وظيفة رئيس اليهود ، ففى منتصف القــرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى شغل يهوديا يــدعى « صموئيل بن حنانيا » منصب رئاسة اليهود ، وكان يعمــل فى الوقت نفسه طبيبا فى بلاط السلطان ويحظى بتقدير عظيم ، الا أن يهوديا آخر يدعى زوط اتصف بالطموح وكان مكروها من اليهــود استطاع بعد ان دفع مبلغا محددا من المال ان يغتصب هذا المنصب، ومع ذلك فلم يشغله سوى ستة وستين يوما وعزل بعدها واعيد « صموئيل بن حنانيا » مرة ثانية وبقى فى منصبه الى حين وفاته وبعدها بقى المنصب شاغرا لفترة طويلة (٦٩) .

وقد آل امر الاشراف على شئون اليهود فى العقود الأربعة الاخيرة من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى الى رؤساء اليشفا فى الفسطاط الذين يدعون جاؤنيم (٧٠) .

---

(٦٨) ولفنسون ، موسى بن ميمون ، ص ١٨ ، ١٩ ؛ آدم متز ، الحضارة الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٤٩ .

(٦٩) Mann, The Jews in Egypt, I, pp. 235, 236 ; Ashtor, Saladin and the Jews, p. 313.

(٧٠) جاؤنيم لقب عبرى يعنى « العظماء أو العباقرة » كان يطلق على رؤساء الاكاديميات التلمودية « اليشيفوت » فى سورا وبومباديثا ، اعتبارا من القرن السادس الميلادى حتى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى ، وكانوا يمثلون السلطة التشريعية العليا فى العالم اليهودى ، كما كانوا أيضا بمثابة الزعماء الروحانيين لليهود ، انظر الموسوعة العبرية ، جـ ١٠ ، ص ١٣١ ؛ رشاد الشامى ، الشخصية الاسرائيلية والروح العدوانية ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٦ م ، ص ٢٢٨ .

خلاصة القول ان العصر الأيوبى ، كان عهدا من الأمان والاطمئنان الحقيقى بالنسبة لليهود ، فقد نعموا خلاله بسياسة التسامح واحتفظوا بجميع حقوقهم المدنية ، وكان من حقهم الشكوى الى السلطان مثل باقى الرعية (٧١) ، والدليل على ذلك ما ذكره الألمانى فيتزتوم بور كهارد ، ملاح فريدريك بارباروسا ، الذى زار مصر فى عام ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م عن علاقة الدولة بأهل الذمة من يهود ونصارى فيما يتعلق بحرية العقيدة فقد روى « ... أن اختيار العقيدة كان مكفولا للجميع بحرية مطلقة ... » (٧٢) .

---

(٧١) اسرائيل ولفنسون ، موسى بن ميمون ، ص ١٦ ؛ مارك كوهين ، المجتمع اليهودى ، ص ٦٦ ؛
Ashtor, Saladin and The Jews, p. 309.

(٧٢) Ashtor, Saladin and The Jews, p. 309.

الباب الأول

مكانة اليهود فى الدولة المملوكة

الفصل الأول : علاقة اليهود بالطبقة الحاكمة .

الفصل الثانى : اليهـود والوظائف المؤثرة فى عصر سـلاطين المماليك .

الفصل الثالث : مـدى التزام اليهـود بالشروط العمرية وموقف الدولة من ذلك .

الفصل الأول

علاقة اليهود بالطبقة الحاكمة

كانت العلاقة بين الدولة المملوكية واليهود تسير على الأسس نفسها المطبقة على النصارى ، ومن اهم قواعد هذه العلاقة موضوع الجوالى التى كانت احد الشروط الأساسية فى عقد الذمة ، كما كانت من أهم الموارد المالية للدولة ، وكان اليهود يقومون بسدادها مقابل الدفاع عنهم وحمايتهم فى الدولة الاسلامية (١) ؛ تحقيقا لقوله تعالى فى كتابه العزيز : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (٢) .

---

(١) ابن زين القاضى ، كتاب شروط النصارى ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩٥٢ ، تاريخ ميكروفيلم برقم ٣٥٤٩٥ ، ورقم ٤١ ؛ ابن الاخوة ، معالم القربة فى أحكام الحسبة ، تحقيق محمود شعبان ، القاهرة ١٩٧٦ م ، ص ٩٩ ، ١٠٠ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٦٥ ؛ اليهود فى مصر ، ص ٩٤ ؛ حسين زين ، الأوضاع القانونية ، ص ٢٢٥ ؛ ريمان عبد الكريم ، معاملة غير المسلمين ، ص ٤١ .

(٢) سورة التوبة ، آية رقم ٢٩ .

وقد فسر قوله تعالى « حتى يعطوا الجـزية » تفسيرين أحدهما : « حتى يدفعوها فعلا » ، وثانيهما : « حتى يضمنوها » فاذا ضمنوها يجب الكف عنهم (٣) ، والجزية تعنى لغويا الجزاء بمعنى أنهم يدفعونها اما جزاء على كفرهم واما لتأمينهم فى ديار الاسلام والدفاع عنهم (٤) .

وقد عرفت الجوالى التى فرضت على اليهود زمن الدولـة المملوكية باسم ضريبة الرءوس (٥) وكانت تجبى منهم على النحو الذى ورد فى الشروط العمرية وعرفت أيضا فى العصور المتأخرة باسم « الجوالى » (٦) ، وكانت تفرض على كل شخص بالغ حر

(٣) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٤٣ ؛ ابن قيم الجوزية ، احكام أهل الذمة ، ج ١ ، ص ٢٢ ، ٢٣ ؛ النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٦ .

(٤) قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٢٦ .

(٥) ضريبة الرءوس عرفت فى العالم القديم ، وكنت الجيوش الفاتحة تفرضها على الشعوب المغلوبة ، فثمة اختلافات مهمة وجوهرية بين الجزية ، « وضريبة الرأس » ، صحيح أن كلا منها قد فرضت على الفرد ولكن شروط فرض الجزية ومقاديرها المختلفة تميزت بطابع انسانى اذ راعت عدم اخذها من النساء والأطفال والشيوخ فضلا عن غير القادرين ، كما أن الرهبان أعفوا منها بشرط انقطاعهم فى اديرتهم بالاضافة الى امكان تأجيل تحصيلها من المعسرة ، والجزية جزء من اتفاق عقد الذمة الذى هو التزام متبادل بين طرفين ، ففى مقابل التزام أهل الذمة بالشروط العمرية يكون على المسلمين حمايتهم وحماية أموالهم وتعويضهم عما يتلف منهم ، كما تكفل لهم حرية كسب العيش وتنظيم جماعاتهم داخليا بجانب حرية العقيدة والدفاع عنهم مادامو باقين داخل المجتمع الاسلامى . القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٣٦٢ ، ٣٦٥ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٢٩ .

(٦) الجوالى ، جمع جالية ، لفظ جالية يطلق على أهل الذمة ، وقد قيل لهم ذلك لأن الامام عمر أجلاهم عن جزيرة العرب ثم لزم هذا الاسم كل من لزمته الجزية من أهل الذمة وان لم يجلوا عن أوطانهم » ، انظر المقريزى ، السلوك ، ج ١ ق (١) ص ٣٨٤ هامش (١) ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٦٢ .

مقاتل ، واعفى منها الصبى والمراة والمجنون والخنثى المشكل « فان زال اشكاله وبان رجلا أخذت منه » وكان يعفى منها ايضا من ليس اهلا للقتال كالشيخ الكبير او من يعجز عن ادائها ، كما كانت تسقط عمن أسلم سواء أكان اسلامه فى أثناء العام او بعد نهايته ، وكان يجوز تأجيل الجزية على الفقير المعسر حتى يصبح قادرا على ادائها (٧) .

اما فيما يختص بفاقدى البصر واصحاب العاهات الأخرى وكبار السن وغير القادرين على العمل فهناك بعض الاجتهادات الفقهية بصددها ، فالمذهب الشافعى يفرض على هؤلاء الجزية ، اما المذهب الحنفى فهو يعفى هذه الفئات من دفع الجزية (٨) .

ويذكر ابو يوسف فى كتابه الخراج أن فاقد البصر الذى يعمل واصحاب العاهات وكبار السن الذين يمتلكون اية ممتلكات ملزمون بدفع الجزية (٩) ، كذلك فيما يخص الفقراء الذين لا يملكون شيئا فهناك اجتهادات فقهية مختلفة ، فالمذهب الشافعى يفرض

---

(٧) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ؛ ابن طلحة ، العقد الفريد للملك السعيد ، القاهرة ١٣٠٦ هـ ، ص ١٥٩ ، ص ١٦٠ ؛ النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ٢٣٦ ، ٢٤٠ ؛ ابن قيم الجوزية ، احكام اهل الذمة ، ص ٤٢ ، ٤٨ ، ٤٩ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٣٥٦ ، ٩٥٧ ؛ ابن مماتى ، قوانين الدواوين ، ص ٣١٧ ، ٣١٨ ؛ نريمان عبد الكريم ، معاملة غير المسلمين ، ص ٤٤ .

(٨) النووى ، منهاج الطالبين وعمدة المفتين فى الفقه ، ط (٢) بولاق ١٣١٤ هـ ، ص ١٢٢ ، ٢١٨ ؛

Gril (Denis, une émeute anti-chtienne à Qûs au début du VIII /XIV. Siécle, AI, (16) 1980, p. 256.

(٩) ابو يوسف ، كتاب الخراج ، تحقيق محمد ابراهيم البنا ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

عليهم الجزية (١٠) ، أما سائر المذاهب الأخرى فهى تبطل ذلك ، ويرى البعض بالنسبة لهؤلاء الفقراء أنه مادام قد تبـدل وضعهم الاقتصادى فهم ملزمون بدفع الجزية ، حتى ولو كانت مقدما للفترة التى قد لا يستطيعون السداد خلالها (١١) ٠

وعلى هذا يحق لنا أن نتساءل عن موقف الذمى الذى يموت وهو مدين بالجزية ، هل كانت الدولة تلزم ورثته بدفع المستحق عليه ؟ لقد شغلت هذه القضية قضاة العصر المملوكى ، واختلفت بصددها المذاهب الاسلامية الأربعة ، فقد ذهب كل من الحنفيـة والحنابلة الى رفض مطالبة الورثة بسداد هذا الدين ، على حين قال الشافعية والمالكية بضرورة سداد هذا الدين المستحق على السنوات السابقة على وفاة الذمى (١٢) ٠

ويعتقد الحنفية والمالكية والحنابلة أن الذى يتحـول الى الاسلام غير ملزم بدفع الجزية عن الفترة السابقة لتحوله ، وأنه لا يحق للدولة أن تطلب منه سداد أية مستحقـات عـن الفترة السابقة (١٣) ٠

وكانت الجزية تجبى عادة مرة واحدة فى السنة ، وكـان لها موعد ثابت بعد انتهاء السنة بشهور هلالية ، وفقا للمذهب

---

(١٠) ابو عبد الله ، رحمة الأمة فى اختلاف الأئمة ، ط (١) بولاق ١٣٠٠ هـ ، ص ١٥٦ ؛ نريمان عبد الكريم ، معاملة غير المسلمين ، ص ٤٤ ٠

(١١) ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٣١٨ ٠

(١٢) النووى ، منهاج الطالبين ، ص ٢٢٨ ؛ ابن مماتى ، قوانين الدواوين ، ص ٣١٨ ٠

(١٣) ابو عبد الله ، رحمة الامة ، ص ١٥٦ ٠

الشافعى والمالكى والحنبلى ، وان تمسك أصحاب المذهب الحنفى بضرورة دفعها فى مطلع السنة (١٤) .

ومن المعروف أن مقدار الجزية لم يكن ثابتا فى زمن الرسول (ﷺ) ولا فى أيام أبى بكر حتى جعله عمر بن الخطاب ثمانيــة واربعون درهما على الموسر ، وعلى الوسط أربعــة وعشرين ، وعلى المحتاج الحراث العامل بيده أثنى عشر درهما أى كل حسب طاقته ، وقد أقر أبو حنيفة هذا التقرير ، على حين تركه مالك لتقدير الامام نفسه ، أما الشافعى فقد جعل الحد الأدنى للجزية دينارا واحدا (١٥) ويستشف من كتب الحسبة المملوكية أن الجزية كانت تؤخذ من اهل الذمة على قدر طبقاتهم وحددتها بدينار على الفقير ، وديناريـن على المتوسط وأربعة دنانير على الغنى (١٦) .

وهذا التقسيم لأهل الذمة طبقا لأحوالهم الاجتماعية والمبالغ المحددة لكل منهم ، هو التقسيم الشائع لدى معظــم المذاهــب

---

(١٤) ابو عبد الله ، رحمة الامة ، ص ١٥٦ ؛ احمد محمد عدوان ، الوضع الاقتصادى فى مصر عصر الدولة المملوكية الاولى ١٢٥٠ – ١٣٨١ م . رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٢ ، ص ٤٤٠ .

(١٥) ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٤٦ ، ١٤٨ ؛ ابن آدم ، كتاب الخراج ، ص ٢٣ ؛ الماوردى ، الاحكام السلطانية ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ ؛ احمد عبد الرازق ، الحضارة الاسلامين فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٩٠ م ، ص ١٤٧ ؛ على حسنى الخربوطلى ، العرب واليهود فى العصر الاسلامى ، القاهرة ١٩٦٣ م ، ص ٥٦ ؛ حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، جـ ١ ، ص ٤٨٢ .

(١٦) ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ١٩٩ ، ١٠٠ ؛ ابن بسام ، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق جسام الدين السامرائى ، بغداد ١٩٦٨ م ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

الفقهية الاسلامية وبخاصة المذهب الحنفى الذى يعد أساسا فى هذا التقسيم (١٧) ٠

أما فيما يتعلق بجباية هذه الجـزية فـكان على (مباشر الجوالى) (١٨) أن يعد ثبتا بأسماء اليهود الربانيين والقرائين ، ثم يثنى بالسامرة ، ويثلث بالنصارى فى ترتيب أبجدى لتسهيـل مهمته ، فاذا اخذت الجزية من أحدهم كتب بها ايصال وشطـب إسمه من سجلات ذلك العام ، فاذا عاد أحد النازحين من اليهود الى بلده ولم تكن الجزية قد أخذت منه كان عليه أن يدفعهـا ، أما اذا كان قد سبق له أن قام بسدادها فى أى مكان خارج بلدته واحضر الايصال الدال على ذلك ، نقل المبلغ الى حساب بلـده الأصلى (١٩) ، وكان على اليهودى أن يحمل الايصال الدال على تسديده للجزية عن السنة نفسها اذا ما رحل من محل اقامته ولو

---

(١٧) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٤٤ ٠

(١٨) المباشر هو الموظف الذى يكلف بادارة العمل والاشراف على تنفيذه واجراء المبيعات والمشتروات المتعلقة به ، واستخدام عماله ، وربما أطلق على الموظفين بالدواوين اسم مباشرين ٠ وفى اللغـة باشر الأمر وليه بنفسه وبطبيعـة الحال تختلف أعمال المباشرين باختلاف الدواوين والانظار التى يعملون فيها ، وقد شاعت وظيفة المبـاشر فى دولة المـماليك ، فعـرف مباشروا الاصطبلات السـعيدة ، ومباشرة بيمارستان قلاوون ، ومباشرة وجهات المكوس ، ومباشر الحوائج خاناه ، ومباشرو الختم ، ومباشرو خزائن السلاح ، ومباشرو ديوان الجيش ، ومباشرو ديوان المرتجع ، ومباشرو الذخيرة ، ومباشرو الكسوة ٠ انظر حسن الباشا ، الفنون الاسلامية والوظائف علي الآثار العربية القـاهرة ١٩٦٦ م ، ج ٣ ، ص ٩٨٢ ، ٩٨٣ ٠

(١٩) النويرى ، نهاية الارب ، ج ٨ ، ص ٢٤٢ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ١ ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ ؛ قاسم عبده ، اليهود فى مصر ، ص ٩٥ ٠

لفترة قصيرة (٢٠) ، ويفهم من الرحالة ميشولام الذى زار مصر سنة ٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م أنه كان على اليهودى أن يحصل على الاذن من السلطان المملوكى إذا أراد الخروج من المدينة (٢١) ، كما كان على رئيس اليهود أن يكتب سنويا الى مباشر الجوالى برقاع تضم كافة أسماء أبناء الطائفة المقيمين فى البلاد ، وقد عرف المقيمون من أهل الذمة الذين تضمهم تلك الرقاع فى مصطلح عصر المماليك باسم الرواتب (٢٢) ، أما الوافدون من اليهود فكانـوا يضافون فى رقاع خاصة تحت اسم الطوارىء (٢٣) ، وكانت هذه الرقاع تضم أيضا أسماء الصبية الذين لم يبلغوا سن الرشد من اليهود والنصارى وكانوا يعرفون باسم النوابت (٢٤) ، وكانت الرقاع تحوى كذلك بيانا بأسماء الذين اعتنقوا الاسلام ، أو الذين ماتوا ، أو أسماء من سافروا واسم البلدة التى سافروا اليها (٢٥) .

وظلت أموال الجزية جارية فى ديوان الخاص السلطان حتى عام ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م حين قام السلطان الناصر محمد بن قلاوون .

---

(٢٠) Goitein, A Mediterranean Society, I, Londin 1967, p. 57 ; Rabie (H.), The Financia System of Egypt, Oxford, 1972, p. 110.

قاسم عبده ، اليهود فى مصر ، ص ٩٥ .

(٢١) Adler, Jewish Travellers, London, 1927, p. 163.

(٢٣) الطوارىء ، الذين طرءوا على البلد ولم يكونوا منه ، النويرى ، نهاية الارب ، جـ ٨ ، ص ٢٤٢ ، هامش (٧) .

(٢٣) الطوارىء ، الذين طرأوا على البلد ولم يكونوا منه ، النويرى ، نهاية الارب ، جـ ٨ ، ص ٢٤٢ هامش (٩) .

(٢٤) النوابت ، جمع نابتة أى النشء الصغار ، والمراد بهم هنا من دون البلوغ ، النويرى ، نهاية الأرب ، جـ ٨ ، ص ٢٤٢ هامش (٩) .

(٢٥) النويرى ، نهاية الأرب ، جـ ٨ ، ص ٣٤٠ ، ٣٤١ ؛ قاسم عبده ، اليهود فى مصر ، ص ٩٥ ؛ أحمد عدوان ، الوضع الاقتصادى ، ص ٤٤٠ .

ببعض التغييرات والتعديلات فى نظام الدولة المـــالى والادارى ، تمثلت فى عملية فك وتعديل زمام الأرض الزراعيـــة ، وإعـــادة مسحها وتثمينها لتقدير الخراج وتعديل الضرائب تلك التعديلات التى عرفت باسم « الروك الناصرى » (٢٦) ، وبعد أن كان توريد حصيلة هذه الجزية يوجه الى ديوان الخاص السلطانى (٢٧) ، صار اهل الذمة فى كل اقليم يدفعون الأموال المقـــررة عليهم الى صاحب الاقطاع (٢٨) .

أما حصيلة الجزية المستخرجة من اهل الذمة فى القاهـــرة والفسطاط فكان يحمل قدرا معينا منها الى بيت المال ، أما الباقى فكان يوزع رواتب القضاة وأهل العلم (٢٩) ، فى حين كانت الجزية المحصلة من الأقاليم تعطى لمقطع البلد سواءا كان أميرا أو غير ذلك كما يفهم من القلقشندى الذى كتب يقول : « ... يجـــرى

---

(٢٦) الروك كلمة قبطية معربة وفعله راك ، وهى عملية مسح الأراضى الزراعية وحصرها فى سجلات لتثميتها لتقدير الخراج وفقا لدرجة خصوبتها . ويقابل الآن عملية فك الزمام وتعديل الضرائب تبعا لذلك ، وقد تمت هذه العملية فى مصر الاسلامية عدة مرات ، أشهرها فى عصر سلاطين المماليك الروك الحسامى الذى أجراه حسام الدين لاجين ، والروك الناصرى الذى أجراه الناصر محمد ، انظر المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ص ٨٤١ ، ٨٤٢ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٤٢ هامش (١) .

(٢٧) هذا الديوان السلطانى الخاص بالنظر فى أموال السلطان والتحدث فى جهاته ومضافاته ، انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٥٦ ؛ عاشور ، العصر المماليكى ، ص ٤٣٩ .

(٢٨) المقريزى ، الخطط ، جـ ١ ، ص ٨٨ ، ص ٩٠ ؛ السلوك ، جـ ١ ، ص ٧٧٠ .

(٢٩) القلقشندى ، صبح الاعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٦٣ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (٢) ، ص ٤٧٥ .

مجرى مال ذلك الاقطاع ... » أما اذا كانت الجهة تابعة لبعض الدواوين السلطانية « .... كان ما يتحصل من ذلك جاريا فى ذلك الديوان ... » (٣٠) .

ويفهم من النويرى أن كل محاولة لإخفاء شخص ما عن موظف جباية الجزية ، كانت تقابل بعقوبة شديدة ، ويدفع الملتزم الجزية فورا ، كذلك كان موظفو الديوان يطلبون من أهل الذمة كل المعلومات بشأن الأطفال حتى يتسنى لهم جباية الجزية منهم عند بلوغهم السن القانونية ، وفى بعض الأماكن كان موظفو جباية الجزية لا يكتفون بقبول بيانات أهل الذمة بل كانوا يلزمون أهل الذمة بتسليمهم بصفة فورية بيانا بالمواليد والوفيات (٣١) . وهكذا كانت تجبى الجزية من اليهود فى القاهرة وفى المدن الأخرى طبقا لهذا النظام الذى أوضحه لنا القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى (٣٢) .

ويستشف أيضا من احدى وثائق الجنيزة التى ترجع الى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى أن طائفة اليهود فى القاهرة كانت ملزمة بدفع مبلغ كبير من المال مقابل الجزية المفروضة على اليهود مما اضطر بعض افراد الطائفة اليهودية الى بيع أوقافهم لسداد المبلغ المطلوب ، وان حصيلة البيع بلغت سبعة آلاف درهم الأمر الذى ساعد الطائفة على سداد الجزية

(٣٠) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٦٢ ، ٤٦٣ .

(٣١) النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ٢٤٢ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٦٢ .

(٣٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٦٢ ، ٤٦٣ .

المطلوبة وشراء وقف آخر من باقى المبلغ (٣٣) . وهذا يعنى ان الطائفة اليهودية كانت تأخذ على عاتقها فى العصر المملوكى مسئولية دفع الجزية ، وأنها كانت تتعهد أمام الدولة ، بسداد الجزيـة الواجبة والمفروضة على جميع يهود القاهرة .

بيد أن هذا النظام لم يكن ثابتا اذ نلاحظ أن نظام دفـع الجزية قد تم تعديله من فترة الى أخرى ، فاحيانا كانت الجزيـة تجبى بشكل فردى واحيانا أخرى كانت تجبى بشكل جماعى حيث كان يتم تحصيل مبلغ معين من رئيس الطائفة نفسه طبقا لتقدير عدد دافعى الجزية فى هذه الطائفة ، اذ يذكر المقريزى أن السلطان المؤيد شيخ أمر رؤوساء طوائف اهل الذمة فى عام ٨١٥ هـ ١٤١٢م بحمل الجزية عن كل فرد على حدة ، كما الزمهم بدفع فرق قيمة الجزية عن السنوات الماضية ، وانه اعيد فرض الجزية على كل فرد منهم وفقا للقيمة التى حددها فقهاء الاسلام الأول ، فالغنى أربعة دنانير ، والمتوسط اثنان ، ودينار واحد للفقير ، كما تكرر ذلك فى عام ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م (٣٤) .

ويستشف من احدى وثائق الجنيزة أنه فى حالة تأخير سداد الجزية كانت تفرض غرامة على اليهود المتأخرين ، بدليل ان رئيس الطائفة رابى يهوشوع كان يعمد الى تنبيه اليهود المقيمين فى مصر الى ضرورة الاسراع بسداد ما عليهم من الجزية والا يعتمدوا على المندوب المخصص لجمعها ، كما كان يحث أثرياء يهود القاهـرة على القيام بسداد العجز فى الجزية المتمثل فى المبالغ التى كانت تجبى من فقراء اليهود ، وجرت العادة أن يتفق رؤساء اليهود مع

(٣٣) Mann, Texts and Studies in Jewish History and Literature, I, New York, 1972, p. 432.

(٣٤) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ق (١) ، ص ٢٤٧ ، ٢٩٠ .

سلاطين المماليك على القيام بالسداد الجماعي للجزية عن الفقراء، سواء بسدادها اجماليا او على اقساط . ومن تعليمات رابى يهوشوع أيضا تكليف بعض الحاخامات مثل رابى ابراهام ، ورابى نصر الله ، وهبة الله ، ورابى موسى بالاسهام فى مبلغ الجزية المطلوبة عن طريق تحمل سداد مائة وخمسين درهما من صندوق النذور بدلا من بعض اليهود المعوزين الذين تأخروا عن دفعها ، كما حذر اليهود الذين يمتنعون عن دفع الجزية بعقوبة النبذ من الطائفة وهى احدى العقوبات التى تطبق فى تلك الآونة على كل من يخالف احكام الطوائف حتى يقوم بسداد ما عليه من الجزية ، فعلى اليهود تجميع مبلغ الجزية واعطاؤها الى الحاخامات الاربعة المذكورين آنفا وعدم مخالفة التعليمات (٣٥) .

ومع حرص سلاطين المماليك على الالتزام بالعدالة تجاه اليهود عملا بتعاليم الدين الاسلامى ، إلا انهم كانوا فى بعض الأحيان يمارسون عليهم ضغوطا شتى ارضاء لرجال الدين من المسلمين ، من ذوى النفوذ الواسع فى تلك الآونة (٣٦) ، ومراعاة لمشاعر العامة ، ورغبة فى الظهور بمظهر حماة الدين الاسلامى لتدعيم مركزهم فى نظر رعاياهم من المسلمين ، خاصة وان الحروب الصليبية كانت قد اثارت روح العداء بين المسلمين وغير المسلمين

---

(٣٥) وثيقة من الجنيزة تتضمن احد تعاليم رئيس الطائفة رابى يهوشوع ، انظر الملحق رقم (١) .

Ashtor, History, of the Jews in Egypt and Syria under the Rule of the Mamluks, Geniza documents, III, Jerusalem 1970, (In Hebrew) Fragments From the Cairo Genizak, pp. 82-83.

(٣٦) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٤٢ ؛ قاسم عبده ، اهل الذمة ، ص ٦٤ وما بعدها .

فى كل من مصر والشام (٣٧) . ومع ذلك فاليهود لم يتعرضوا للاضطهاد الا فى أوقات الشدة والاضطرابات والفتن فقط ، وفيما عدا ذلك كانوا يتمتعون بكل ما كان يتمتع به المسلمون من حقوق وامتيازات فى عصر المماليك (٣٨) ، لأن اليهود كانوا فى الواقع جزءا لا يتجزأ من المسار العام للتاريخ المصرى ، لذلك كان من الطبيعى أن صدر بعض سلاطين المماليك العديد من المراسيم لصالح أهل الذمة جاء فى بعضها التذكير : « .. بأن تكون جهتهم مرعية على الدوام وذمتهم محفوظة بذمة الاسلام ... » وذلك « .... عملا بحكم الملة الاسلامية وشريطة الشريعة المحمدية ... » (٣٩) .

وتوضح بعض الوثائق الأخرى التى حفظها لنا المؤرخون المعاصرون مدى اهتمام الدولة برعاياها من أهل الذمة كما يستشف من عبارات بعض هذه الوثائق « ... فنحن بحمد الله معتنون بمصالح الرعية وان اختلفت مللهم وآراؤهم وتفرقت مذاهبهم وأهواؤهم ... » (٤٠) كما التزم سلاطين المماليك فى كثير من الأحيان بالدفاع عن مصالح رعاياهم من أهل الذمة يهود ونصارى، فقد نودى فى القاهرة ومصر فى عام ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م بالا يتعرض أحد لليهود والنصارى (٤١) .

---

(٣٧) المقريزى ، السلوك ج ٣ ق (١) ، ص ٤٤ ، ٧٥ ؛ عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٤٢ .

(٣٨) ابن الأخوة ، معالم القربة ، ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٣٩) مجموعة وثائق دير سانت كاترين ، مراسيم قلاوون ، رقم ٢٢ ؛ وبرقوق ، رقم ٢٩ ؛ وفرج بن برقوق ٤٦ ؛ والمؤيد شيخ ، رقم ٤٩ .

(٤٠) ابن عبد الظاهر ، تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ، القاهرة ١٩٦١ م ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

(٤١) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (٣) ، ص ٩٢٤ ، ٩٢٩ .

وقامت الدولة المملوكية ايضا بمنح اليهود بعض الالقاب الخاصة التى ان دلت على شئ فانما تدل على تسامح سلاطين المماليك ازاء اليهود الذين كانوا جزءا لا يتجزأ من المجتمع المصرى يتفاعلون معه ويؤثرون فيه ويتأثرون به ، فقد عثر ضمن وثائق الجنيزة على خطاب يستشف منه أن سلاطين المماليك سمحوا لليهود باتخاذ لقب شيخ (٤٢) ، أو الشيخ الذى اختص به المسلمون بصفة خاصة كالشيخ الفخر ويبدو أن المقصود من اطلاق لقب شيخ على بعض اليهود كان التبجيل بدليل انه يوجد لدينا بعض الاسماء التى وردت فى الخطاب نفسه وقد خلت من لقب الشيخ مثل فرج الله الكارمى ، ونصر الله بن الكارمى ، ولعل فى حمل بعض اليهود لهذا اللقب خير دليل على سياسة التسامح التى انتهجتها دولة المماليك تجاههم مما جعلهم يندمجون داخل المجتمع المصرى ، الامر الذى وسع من دائرة معرفتهم بالمسلمين ومنحهم بالتالى حق استخدام اسمائهم والقابهم (٤٣) ، وهذا شاهد بدوره على تمتعهم بمكانة لائقة داخل المجتمع المصرى زمن سلاطين المماليك .

وتمدنا الوثائق العبرية ايضا ببعض الالقاب المضافة الى الشيخ مثل الشيخ سيد الاهل ، الشيخ الاجل ، الشيخ الجليل ،

---

(٤٢) الشيخ فى اللغة الطاعن فى السن ، وربما قصد به من يجب توقيره كما يوقر الشيخ ، وفى عصر المماليك كان هذا اللقب احد الالقاب الاصول ، ولم يكن هذا اللقب مقتصرا على المسلمين بل كان يطلق ايضا على اهل الذمة من الكتاب والصيارف يهودا ونصارى ، انظر حسن الباشا : الالقاب الاسلامية ، ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

(٤٣) اشتور ، خطاب شخصى من عصر المماليك بين اثنين من اليهود المصريين بالعبرية ، نشرت فى مجلة Kiriat Sefer ١٩٦٤ م ، ص ١٩٩ - ٢٠٥ ، انظر الملحق رقم (٢) .

الريس (٤٤) ، وببعض الألقاب الأخرى مثل لقب الحضرة السامية (٤٥) والرئيس ، والكافى والمقرب ، والحكيم ، وتاج الحكمة ، وثقة الملوك والسلاطين (٤٦) ، كما أشار القلقشندى الى أن أعلى ألقابهم كان الحضرة ، ثم حضرة الشيخ ، ثم الشيخ (٤٧) .

وقد حصل كبار القوم من الطائفة اليهودية على ألقاب غير مركبة مع كلمة دين ، فكان الشخص يحصل على اللقب ولكن بدون ياء النسبة وكان يأتى قبل اللقب لفظة الشيخ فالمسلم كان يدعى علاء الدين أو العلائى أما اليهودى فيدعى الشيخ أو العلاء كما كان المسلم يلقب ببدر الدين أما اليهودى فيطلق عليه الشيخ البدر (٤٨) ، وحصل اليهودى فى كثير من الأحيان على ألقاب مركبة مع لفظة دولة التى حلت هنا بدلا من كلمة الدين فقيل أمين الدولة بدلا من أمين الدين ، وفى حالة اعتناق اليهودى للاسلام كان يضاف الى اسمه الصبغة أو لفظة الدين أى يتم تسويته

---

(٤٤) Gil (Moshe), Documents of the Jewish Pious Foundations from the Cairo Geniza, Leiden, 1976, pp. 321 - 324 - 416 - 417 - 497 ; Gotheil, Fragments from the Cairo Genizah, p. 66.

(٤٥) Cohen (Mark), Geniza Documents Concerning, a Conflict in a Provincial Egyptian Jewish Community During the Nagidate of Meverk B. Saadya « Studies in Juraism and Islam Jerusalem, 1981, p. 137.

سلوى على ميلاد ، وثائق أهل الذمة فى العصر العثمانى وأهميتها التاريخية ، القاهرة ١٩٨٣ م ، ص ٣٥ .

(٤٦) سيده كاشف ، مصر الاسلامية ، ص ١١١ .

(٤٧) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٢٦٥ ، نريمان عبد الكريم ، معاملة غير المسلمين ، ص ٨٧ - ٨٨ .

(٤٨) Ashtor, History of the Jews, II, p. 334.

بالمسلم (٤٩) ، وتكشف لنا الأسماء التى وردت فى بعض الخطابات الخاصة من عصر سلاطين المماليك ان اليهود قد حافظوا على هذا النظام ، وقد أمدتنا احدى وثائق هذا العصر بالعديد من أسماء اليهود الذين منحوا لقب شيخ مثل رابى شموئيل الشيخ ، والشيخ الفخر موسى بن علم ، والشيخ عبد اللطيف أخيه ، والشيخ النجيب يوسف ، والشيخ الشمس عبد الواحد ، والشيخ الشمس عبد اللطيف ، والشيخ فرج الله ابنه ، والشيخ الفخر ابى المجد ، الشيخ يعقوب الاسكندرانى وشموئيل ابنه ، والشيخ الشمس عبد الحق الفيروزى (٥٠) .

وجرت العادة ايضا أنه فى حالة اعتناق احد اليهود للاسلام كانت آل التعريف تسقط من لقبه ويضاف اليه لفظ الدين ، فيقال فى حالة الشيخ الشمس ، شمس الدين ، وفى حالة الصفى ، صفى الدين ، وفى حالة ولى الدولة ولى الدين (٥١) ، كما هو الحال بالنسبة لتاج الدين بن فيروز وشرف الدين يحيى (٥٢) .

وفى حالة عدم توافق لقب اليهودى الذى اعتنق الاسلام مع الأسماء الاسلامية ، كان يضاف اليه كلمة الدين ، وفى هذه الحالة كان يتم تغير لقبه الى أقرب الالقاب اليه،فالشيخ السعيد مثلا كان يتحول الى سعد الدين (٥٣) ، بيد أن هذا التحديد لألقاب أهل الذمة كان نظريا بدليل أن أحد الفقهاء المعاصرين كتب يشكو آسفا من أن اليهود والنصارى كانوا « ... يدعون بالنعوت التى

---

(٥٠) اشتور ، خطاب من عصر المماليك ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٥١) عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢٠٧ .

(٥٢) اشتور خطاب من عصر المماليك ، ص ٢٠٦ .

(٥٣) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٩٠ ، ٤٩١ .

كانت للخلفاء ويكنون بأبى الحسن لقب على بن أبى طالب ، وبأبى الفضل لقب العباس عم رسول الله ﷺ » (٥٤) .

وكان رئيس اليهود يمثل فى الغالب واسطة العقد فى العلاقة بين الدولة ورعاياها من اليهود (٥٥) ، وقد اعتبرته الدول مستخدما رسميا ، بدليل أن مرسوم تعيينه كان يصدر عن ديوان الانشا ، كذلك كان الحال بالنسبة للوصايا التى كانت تصدر بعد التعيين اذ كانت تخرج أيضاً عن الديوان نفسه ، وكانت طائفة اليهود تختار رئيسها ليقوم بتنظيم العلاقة بينها وبين الدولة ، وكذا العلاقات بين أفراد الطائفة نفسها داخل اطار دولة المماليك وكانت التواقيع (٥٦) تبدأ عادة بالتقرير المعتاد عن موقف الدولة العادل والمتسامح مع أهل الذمة ، ثم موقفها من هذه الطائفة ثم تحدد مهام الوظيفة (٥٧) .

---

(٥٤) ابن الأخوة ، معالم القربة ، ص ٤٢ ؛ قاسم عبده ، اهل الذمة ، ص ٨٥ ؛ دراسات فى تاريخ مصر ، ص ٨٤ .

(٥٥) السخاوى ، التبر المسبوك فى ذيل السلوك ، المطبعة الاميرية ١٨٩٦ ، ص ٣٦ .

(٥٦) توقيع « وجمعه » « تواقيع » معناها الاساسى فى اللغة هو وضع خاتم أو شعار أو علامة فى أسفل وثيقة رسمية ، وفى العصر الفاطمى كان اصطلاح (علامة) مستخدما فى مصر وبلاد المغرب ، على حين استخدام المشارقة اصطلاح « توقيع » الذى لم يلبث أن عم تدريجيا ليكتسب معنى اصطلاحيا لمنشور ادارى عام صادر عن السلطان ويحتاج الى توقيعه أو علامته أو اليهما معا . إنظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ١١ ، ص ٣٨٥ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٦٦ هامش (١) .

(٥٧) ابن ابى الفضائل ، تاريخ سلاطين المماليك أو النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ أبن العميد نشره وترجمة الى الفرنسية وعلق عليه E. Blouchet, Patrologia Orientalis باريس ١٩١٩ م جـ ١ ص ٤٥٢ ٤٥٧ انظر الملحق رقم (٣) نسخة توقيع برئاسة اليهود .

وفى كثير من الأحيان كان اليهود يلجئون الى سلاطين المماليك عند خروج رئيسهم على قواعد الملة أو عادات الزعماء الدينيين للطائفة فقد عثر فى احدى وثائق الجنيزة على التماس مقدم من اليهود الى السلطان المملوكى الظاهر جقمق لنقل عبد اللطيف بن ابراهيم بن شمس رئيس اليهود الربانيين من منصبه واعادة رئيسهم القديم محله ، لأن العادة جرت فى عصر المماليك أن يتم تعيين رؤوساء طوائف اهل الذمة من خلال مرسوم سلطانى يصدر بذلك . وبالتالى كان عزلهم يتم أيضا بواسطة مرسوم يصدره السلطان ، وقد أشار المؤرخ السخاوى الى عبد اللطيف هذا ، كما ورد اسمه فى بعض الوثائق العربية المحفوظة بواسطة القرائيين فى القاهرة ، وهو يعد أحد الذين تولوا أمور طوائف اليهود من قبل السلطان الظاهر جقمق فى سنة٨٤٦ هـ /١٤٤٢ م ، بالاضافة الى عمله الأصلى كطبيب (٥٨) .

ويستشف من الوثيقة المذكورة أيضا أن قاضى القضاة كان يشارك السلطان احيانا فى حق اختيار رؤوساء الطوائف اليهودية وفى عزلهم بدليل توسل اليهود الى شهاب الدين بن حجر العسقلانى قاضى قضاة الحنفية أكثر من مرة فى متن الوثيقة ليتخذ موقفا حاسما من رئيس الطائفة اليهودية المذكور (٥٩) .

أما عن الأسباب التى أدت الى قيام اليهود بتقديم هذا الالتماس ضد رئيسهم عبد اللطيف بن ابراهيم فيرجع الى انه لم يراع الأسس الرئيسية لدينهم وأقرب قواعد ملتهم ، فاباح ما هو

---

(٥٨) Cohen, Jews in the Mamluk Environment : the Crisis of 1442 (A Geniza Study) BSOAS, XL VII, 3, 1984, pp. 435 436 - 437.

انظر السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٥٩) Cohen, Jews in the Mamluk, p. 437.

محرم لديهم ، واجاز بعض الأمور التى حرمتها اليهودية ، فقام ببيع قسم من ممتلكات اليهود ، واجر بعضا منها نظير مبالغ زهيدة كمقدم لعدة سنوات ، كما قام بتأجير بعض الأوقاف اليهودية التي تعد مصدرا اساسيا للريع المادى الذى يخص الطائفة اليهودية ، ومن المعروف ان نقل ملكية مثل هذه الأشياء كان يحدث ضررا بالغا بميزانية الطائفة (٦٠) .

كما لجأ عبد اللطيف هذا الى استخدام نفوذه القضائى فى استغلال الطائفة اليهودية ماليا ، وكان يفرض على كل قضية مبلغا جزافيا من المال . وكل هذه الأمور تتعارض مع تقاليد المشنا التى نصت على عدم تحصيل اموال من المتقاضين أو اليهود ، كما أن اى تعويض يتم تحصيله كان يعد بمثابة مكافأة لما بذل فى بحث القضية ومع ذلك فقد خاب ظن اليهود فى خلع رئيسهم رغم ما بذلوه من جهد كبير للايقاع به (٦١) .

وجدير بالذكر أن المصادر العربية المعاصرة قد خلت تماما من هذه الواقعة التى حدثت بين اليهود ورئيسهم ، لذلك فان وثيقة الجنيزة التى بين أيدينا تعد على درجة كبيرة من الأهمية لأنها امدتنا بمعلومات لا يستهان بها حول علاقة اليهود بالسلطة المملوكية ، كما كشفت لنا عن لجوئهم الى السلاطين فى وقت الحاجة .

أما فيما يتعلق بموقف سلاطين المماليك من اليهود ، فقد كشفت المصادر المعاصرة عن تعصب بعض سلاطين المماليك ضد اهل الذمة فى بعض الأحيان فعلى الرغم من حرص السلطان بيبرس على عدم الاساءة الى اليهود ، فانه حدث فى عام ٦٦٤ هـ/

(٦٠) Cohen Jews in the Mamluk, pp. 439-440.

(٦١) Cohen, Jews in the Mamluk, pp. 438-443.

١٢٦٥ م أن نشبت عدة حرائق فى القاهرة والفسطاط أثناء حملات هذا السلطان على الشام ، فعم الذعر بين مختلف طوائف الشعب ، وانتشرت شائعات حول قيام النصارى باشعال هذه الحرائق ، وبعد عودة السلطان من بلاد الشام وابلاغه بما حدث أمر بجمع اليهود والنصارى وأصدر أمره بحرقهم فى النار ، بعد أن اتهمهم بخرق الشروط العمرية ، فتم حشد جمع كبير من اليهود والنصارى فى القاهرة تمهيدا لالقائهم فى النار وفقا لأوامر السلطان غير أن وساطة الأمير فارس الدين اقطاى أنقذتهم فى اللحظة الأخيرة ، وفرضت عليهم غرامة قدرها خمسمائة الف دينار ، وتم الافراج عنهم ، بعد أن تعهد البطريرك بدفع اقساط هذه الغرامة ، كما تعهد أهل الذمة أنفسهم بعدم تكرار ما حدث وتم الزامهم بالشروط العمرية (٦٢) .

ويفهم من المصادر المعاصرة ايضا أن معاملة أهل الذمة اتسمت فى أواخر عهد السلطان قلاوون بالشدة والذل ، فقد أصدر السلطان مرسوما فى عام ٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م بضرورة مراعاة عدم استخدام أهل الذمة من يهود ونصارى فى وظائف الدولة ، كما شدد على ضرورة عزل من يعمل منهم فى احدى وظائف الدولة ، الا اذا تحول الى الاسلام . وبعد انتشار الخبر بين العوام قاموا

(٦٢) النويرى ، نهاية الارب ، تحقيق محمد عبد الهادى شعيره ، محمد مصطفى زيادة ، جـ ٣٠ ، ص ١١٤ ؛ ابن أبى الفضائل ، تاريخ سلاطين المماليك ، ص ٤٧٥ ، ٤٧٦ ؛ المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٨ ؛ السلوك ، جـ ١ ق (٢) ، ص ٥٣٥ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ؛ جـ ١ ق (١) ، ص ١٠٤ ؛ ترتون ، أهل الذمة ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ ؛ جمال الدين سرور ، الظاهر بيبرس وحضارة مصر فى عصره ، القاهرة ١٩٣٨ ، ص ١٦٥ ؛
Perlmann, Notes on Anti-Christion Propaganda in the Mamluk Empire BSOAS, X 1939,. pp. 846-852.

بتتبع آثار أهل الذمة وهجموا عليهم فى بيوتهم ، وأخرجوا حريمهم مسبيات وقتلوا جماعة منهم بأيديهم ، بيد انه عندما بلغ السلطان قلاوون ذلك ، أمر الوالى بالمناداة « بأن من نهب بيت نصرانى او يهودى يشنق ، فتم الامســاك بجماعــة من الحــرافيش ، واشهروهم ، وكان أعظم ما جرى فى مصر بقصر الشمع والكنيسة المعلقة وعدمت أموال كثيرة للنصارى واليهود ايضا فلما نسادى السلطان كفوا عن ذلك ... » (٦٣) .

وفى أيام السلطان الأشرف خليل بدأت احوال اهل الذمة فى التحسن اذ اتسمت سياسته نحوهم بالود والتسامح فى بادئ الأمر ولكن سرعان ما تبدلت الأحوال ، فقد روى المقريزى ، أن الكتاب النصارى الذين التحقوا بخدمة الأمراء الخاصكية (٦٤) ،

(٦٣) المقريزى : السلوك جـ ١ ، ق (٣) ص ٧٥٣ ؛ العينى ، عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، الحوادث من ٦٤٨ الى ٦٦٤ هـ ، تحقيق محمد محمد أمين ، القاهرة الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٧ م ، ٦٨٩ ـ ٦٩٨ هـ تحقيق محمد محمد أمين ١٩٨٩ م ، ص ١٨١ ، ١٨٢ ؛
Little (D.P.), Coptic Conversion to Islam under the Bahri Mamluks, BSOAS, XXXIX/3 London, 1976, p. 553.

(٦٤) الخاصكية ، جماعة من حاشية السلطان يأتون فى ترتيب البروتوكول المملوكى بعد الامراء المقدمين ، كان عددهم فى أول الامر اربعة وعشرين ثم زادوا على الاربعمائة ، وقد أطلق عليهم هذا اللقب منذ عصر دولة المماليك البحرية ، وقد تمتع الخاصكية بمكانة كبيرة فكانوا يدخلون على السلطان فى أوقات فراغه وفى خلواته بغير اذن وخصص لهم السلاطين الارزاق الواسعة والعطايا الجزيلة وامتازوا بحسن المظهر واناقة الركوب والملبس ، وقد كان السلطان يقوم بارسالهم فى بعثات خاصة الى بعض الولايات ، كما عينوا ولاة على بلاد الشام وكان منهم عشرة من الدوادارية من حملة الدواة ، وعشرة من الجمدارية السقاة من حملة الكئوس ، واربعة من الخازندارية ، واربعة من البشمقدارية اى حملة النعال .
انظر : سعيد عاشور ، العصر المماليكى ، ص ٤٣٢ ، ٤٣٣ انظر ايضا :
Ayalon, Studies on the Structure of the Mamluk Army, BSOAS. XV, 1953, pp. 213, 214-215.

اساء بعضهم معاملة مرءوسيهم من المسلمين واثاروا بذلك شعور الكراهية نحو أهل الذمة ، وبلغ من غضب السلطان انه أمر بان ينادى فى القاهرة ومصر بالا يخدم احد من النصارى واليهود عند أمير ، كما أمر الأمراء بأجمعهم أن يعرضوا على من عندهم من الكتاب النصارى الاسلام (٦٥) .

اما فى عهد السلطان الناصر محمد ؛ فعلى الرغم مما عرف عنه من تسامح مع أهل الذمة ، فان عصره شاهد العديد من المراسيم ؛ ففى بداية عصر الناصر محمد ، امر باعادة كل من طرد من اهل الذمة الى وظيفته وحباهم بعطفه ومنع عنهم الضرر والاذى ، فتمتعوا فى عهده بالهدوء والطمانينة وراحة البال ، اللهم الا اذا استثنينا بعض الحوادث العارضة التى كانت تؤدى الى تغيير خاطر السلطان والعامة عليهم ، ولكن تلك الحوادث كانت تزول بزوال الدافع اليها ، واستمر اهل الذمة يتمتعون فى عهده بتلك الطمانينة حتى عام ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م (٦٦) ، فقد شهد هذا العام اهم حوادث الاضطهاد التى تعرض لها اهل الذمة فى عصر المماليك ، وترجع هذه الاهمية الى حقيقة مؤداها أنه قبل هذا التاريخ لم يكن هناك ما يميز اليهود والنصارى عن سائر المصريين سوى الزنار بالنسبة للنصارى وعلامة توضع على عمائم اهل الذمة تمثلت فى اللون الازرق للنصرانى والاصفر

---

(٦٥) المقريزى ، السلوك ، ج ١ ق (٣) ، ص ٧٥٣

(٦٦) المقريزى السلوك ج ١ ق (٣) ، ص ٧٥٣ ؛ على ابراهيم ، دراسات فى تاريخ المماليك البحرية وفى عصر الناصر بوجه خاص ؛ القاهرة ١٩٤٤ م ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ ؛

Wiet (G.), L'Egypt Arabe de La conquéte Arabe a la Conquéte ottomane 642-1517 de L'ere Chrétienne dans L'Histoire de la nation Egyptienne, Tome IV, Paris, 1938, p. 473.

لليهودى والأحمر للسامرة (٦٧) ويبدو ان أهل الذمة لم يحرصوا على اثباتها على عمائمهم ، بدليل أن وزير المغرب عند زيارته لمصر فى القرن ٨ هـ / ١٤ م لم يستطع ان يميز المستخدم النصرانى الذى حسبه من أعيان المسلمين ، هذا فضلا عما كان يتمتع به أهل الذمة من مظاهر الحرية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى الدولة (٦٨) .

خلاصة القول ان السلطان الناصر محمد أصدر فى سنة ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م فى أثناء سلطنته الثانية مرسومه الشهير الخاص بأهل الذمة ، بعد أن وضح فى كل من القاهرة والفسطاط مدى ثرائهم الفاحش ، وصاروا يمتطون الخيول ويلبسون الملابس المزركشة الزاهية ، ويتقلدون المناصب الرفيعة ، وقد فجر هذه القضية أحد وزراء المغرب فى أثناء زيارته لمصر اذ صادف فى أثناء سيره فى شوارع القاهرة رجلا يمتطى جواداً حوله عدد من الرجال المترجلين الذين كانوا ينظرون اليه بخنوع وذل ويتوسلون بطلباتهم اليه ويقبلون قدمه فى حين أنه كان يدير رأسه عنهم متجاهلا اياهم ، وقد قيل للوزير المغربى ان ذلك الرجل نصرانى ، حينئذ ثار الوزير كثيرا وذهب الى كل من الأمير بيبرس الجاشنكير والأمير سلار وتحدث معهما بشأن ما رأى وادان ذلك بشدة وبكى كثيرا ، وتحدث بشأن النصارى فى اشمئزاز بقوله : كيف تطلبون العون من السماء والنصر على الأعداء مادام أن النصارى عندكم يمتطون الخيول ويلبسون هذه الثياب ، فى حين أن المسلمين يعانون من الفقر ، وقد أوضح الوزير بأن على سلاطين المماليك ان يعملوا

---

(٦٧) قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ١٨٥ ؛ مارك كوهن المجتمع اليهودى ، ص ٦٧ .

(٦٨) قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ١٨٥ .

على التقليل من شأن أهل الذمة مع التميز بينهم وبين المسلمين من خلال زى خاص ، وقد أثر حديثه هذا فى الأميرين ، فقاما بعقد مجلس حضره السلطان والأمراء والقضاة والفقهاء ، وطلب بطريرك النصارى وجماعة من أساقفهم وأعيان ملتهم ودعيا أيضاً ديان اليهود (٦٩) ، وأكابر ملتهم ، وبعد جدل طويل استقر الحال على ضرورة ارتداء النصارى لعمائم زرقاء ، واليهود لعمائم صفراء ، كما استقر الرأى على منعهم من ركوب الخيل أو البغال، فالتزموا بذلك (٧٠) .

وسمح لهم بما قرره الخليفة عمر بن الخطاب وقد تقبل الطرفان ذلك ، واضطر بطرك النصارى أن يعلن على رءوس الأشهاد بأنه قد منع النصارى من مخالفة هذه الشروط ، كما أعلن رئيس اليهود ذلك ، وانفض المجلس وأرسل بيان بذلك الى

---

(٦٩) الديان ، الرئيس الدينى وهو معرب اللفظ الإسبانى (den) المشتق من الكلمة اللاتينية (decanus) ، والديان هو صاحب الدين ، وقد تعنى رجلا زاهدا أو ناسكا ، انظر المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ق (٢) ، ص ٩١٠ هامش ، ص ٩١٠ هامش (٣) ؛

Dozy, (R.) Supplément aux dictionnaires arabes, Leiden, 1881, I, p. 482.

(٧٠) Quatremére, Histoire des sultans Mamluks de l'Egypte, Paris 1-845, II, pp. 177 - 178 ; Lane (poole), History of Egypt in the Middle Ages, London 1968, pp. 300-301 ; Perlmann, Notes on Anti-Christian, pp. 852-853 ; Wiet, Histoire de la nation, p. 473 ; Vermeulen (Urbain), The Rescript of al-Malik as-Salih Against the Dimmis, (755 - A.H / 1354 A-D) OLP , (9) 1978, pp. 180-181.

السلطان والأمراء وارسلت منه الى مختلف الاقاليم فى كل من مصر والشام (٧١) .

وقد صور لنا ادباء هذا العصر ما كان يعقب هذه الموجات الغاضبة من تشديد على أهل الذمة ، والزامهم بلبس مغاير لما يرتديه المسلمون ، فقال علي بن مظفر الوداعي :

لقد الزم الكفار شاشات ذلة

تزيدهم من لعنة الله تشويشا

فقلت لهم ما البسوكم عمائما

ولكنهم قد البسوكم براطيشا

---

(٧١) ابن حبيب ، درة الاسلاك فى دولة الاتراك ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٦٥٣ ح ، ميكروفيلم ٢٤٨٥٢ ، جـ ١ ورقة ٤٤٤ ؛ ابن النقاش ، المذمة ، ورقة ٩٧ ، ٩٨ ؛ ابن الوردى ، تاريخ ابن الوردى ، النجف ١٩٦٩ م ، جـ ٢ ، ٣٥٦ ؛ ابن ايبك ، كنز الدرر وجامع الغرر وهو الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر ، تحقيق هانس روبرت ويمر القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٤٧ ، ٤٨ ؛ مجهول تاريخ سلاطين المماليك ، نشره Zettersteen ، ليدن ١٩١٩ م ص ٨٤ وما بعدها ؛ المقريزى ، الخطط جـ ٤ ، ص ٤٠٤ ، ٤٠٥ ؛ السلوك ، جـ ١ ، ق (٣) ص ٩٠٩ وما بعدها ؛ ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصره من ذوى السلطان الاكبر ، القاهرة ١٩٧١ م ، جـ ٥ ، ص ٤١٦ ؛ العينى ، عقد الجمان ، حوادث وتراجم من ٦٩٩ ــ ٧٠٧ هـ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٨ ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ ؛ على ابراهيم دراسات فى تاريخ المماليك ، ص ١٢٣ ؛ جمال سرور ، دولة بنى قلاوون ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ ؛ حياة ناصر الحجى ، احوال العامة فى حكم المماليك دراسة فى الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ط (١) الكويت ١٩٨٤ م ، ص ٢٨٨ ؛

Donald, Coptic Conversion, pp. 555-557.

وقال شمس الدين الطيبى :

تعجبوا للنصارى واليهود معا
والسامريين لما عمموا الخرقا
كأنما بات بالأصباغ منسهلا
نسر السماء فاضحى فوقهم فرقا (٧٢)

وفى أثناء سلطنة الناصر محمد الثالثة ، حاول الوزير ابن الخليلى عام ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م ، تخفيف القيود التى فرضت على أهل الذمة فى مرسوم ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م وسعى لأن يسمح للذميين بلبس العمائم البيضاء لقاء مبلغ من المال يلتزم به أهل الذمة للديوان علاوة على الجزية التى يدفعونها ، وكاد سعيه أن يحظى بالقبول لولا معارضة الشيخ تقى الدين بن تيمية الذى حال دون حدوث ذلك (٧٣) ؛

وفى عام ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م صدر مرسوم آخر بالزام النصارى بلبس العمائم الزرق وأشياء أخرى كرد فعل للحريق الذى التهم أجزاء كبيرة من القاهرة والذى دبره بعض أهل الذمة

---

(٧٢) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ص ٤٠٥ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، القاهرة ١٢٩٩ هـ ، جـ ٢ ، ص ٢١١ ؛ ابن اياس بدائع الزهور ، ج ١ ، ق (١) ، ص ٤٠٨ ، ٤٠٩ ؛ ترتون ، أهل الذمة ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٧٣) ابن حجر الهيثمى ، اتحاف تاريخ اخوان الصفا بنبذ من أخبار الخلفا ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٠٦ ؛ ميكروفيلم برقم ٨٤٢٣٠ ، ورقة ١٢٨ ؛ السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد يحيى الدين ط (٣) ، القاهرة ١٩٦٤ م ، ص ٤٨٥ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ٢١٢ ؛ ترتون ؛ أهل الذمة ، ص ١٣١ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٧٥ .

ونودى بالقاهرة ومصر « من وجد نصرانيا بعمامة بيضاء حل دمه » ، وكتب مرسوم بلبس النصارى العمائم الزرق ، والا يركبوا الخيول ولا البغال ولا يدخلوا الحمامات الا بلبس الجرس فى أعناقهم ولا يلبسوا ملابس مشابهة لما يرتديه المسلمون ، هم ونساؤهم وأولادهم ، ورسم للأمراء باخراج النصارى من دواوينهم ودواوين السلطان ، وكتب بذلك الى سائر الأقاليم ، فلم يتجاسر نصرانى أن يخرج من بيته ، وكان النصرانى اذا أراد الخروج ومغادرة بيته يستعير عمامة صفراء من احد اليهود ويتعمم بها ليكون آمنا على نفسه من تعرض العامة له (٧٤) .ويلاحظ ان هذا المرسوم لم يتعرض لليهود ، وفى هذا دليل قاطع على أن اغلب المراسيم التى صدرت فى عصر المماليك ، كانت بشأن النصارى فقط ومع ذلك فقد حرص اليهود على الالتزام بها .

ويبدو أن هذا المرسوم سرعان ما سقط فى طى النسيان شأن ما سبقه من مراسيم وعاد أمراء المماليك الى الاعتماد على الكتاب النصارى والاستعانة بهم ، وقد أفضى هذا بدوره الى زيادة نفوذهم وتكبرهم على المسلمين ، حتى قيل ان بعض كتابهم مر امام الجامع الأزهر راكبا وخلفه عدد من العبيد فى عام ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م . فشق ذلك على المسلمين ، وثاروا فى وجهه وأنزلوه عن فرسه وكادوا يقتلونه ، ورتبوا قصة على لسان المسلمين قرئت بدار العدل على السلطان الصالح صالح بحضرة الأمراء والقضاة وكبار رجال الدول ، وحضر بطريرك النصارى

---

(٧٤) المقريزى السلوك ، جـ ٢ ق (١) ، ص ٢٢٢ ؛
Perlmann, Notes on Anti-Christian, pp. 846-852 ; Vermeulen. The Rescript of al-Malik as-Salih, p. 180 ; Bosworth, The « Protected peoples » (Christians and Jews). in Medieval Egypt and Syria, BJRL, 62, 1979-80, p. 3Σ.

ورئيس اليهود واعيانهم ، وقرأ العلائى على بن فضل الله كاتب السر نسخة العهد الذى عقد بين المسلمين وأهل الذمة ولما فرغ من تلاوته ، التزم بطريرك النصارى ورئيس اليهود باتباع ما ورد فيه (٧٥) .

وفى عام ٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م حرم على اليهود والنصارى لبس العمائم الكبيرة والفراجى والجبب بالأكمام الواسعة « ... كهيئة قضاة الاسلام ... » (٧٦) ، وفى عام ٨٢٢ هـ / ١٤١٩ م تجددت القيود على أهل الذمة ، فقد استدعى السلطان المؤيد شيخ بطرك النصارى وقد اجتمع القضاة ومشايخ العلم عند السلطان وحضر محتسب القاهرة صدر الدين احمد بن العجمى وتكلم مع بطرك النصارى فى تهاونهم فى الملبس والهيئة واستقر الحال بأن لا يباشر أحد منهم فى ديوان السلطان ولا أحد عند الأمراء ، والتزم اليهود بذلك ، امتنعوا عن ركوب الحمير فيما عدا خارج القاهرة (٧٧) .

---

(٧٥) ابن النقاش ، المذمة ، ورقة ٩٩ ؛ المقريزى الخطط ، جـ ٤ ، ص ٤٠٥ ؛ السلوك ، جـ ٢ ، ق (٣) ، ص ٩٢٢ وما بعدها ؛ القلقشندى ، صبح الاعشى ، جـ ١٣ ، ص ٣٧٨ ، ٣٨٧ ؛
Vermeulen, The Rescript of al-Malik as-Salih Salih, pp. 181-182.

(٧٦) ابن حجر ، انباء الغمر بأنباء العمر ، تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ١٩٦٩ ، ج ٢ ، ص ١٩٨ ؛ ابن الصيرفى ، نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان ، تحقيق حسن حبشى القاهرة ١٩٧٢ م ، ج ٢ ، ص ٤٠١ ؛ ماير ، الملابس المملوكية ، ترجمة صالح الشيتى ، مراجعة عبد الرحمن فهمى ، القاهرة ١٩٧٢ م ، ص ١١٩ .

(٧٧) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ق (١) ، ٤٨٦ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ؛ ابن حجر ، انباء الغمر ج ٣ ، ص ١٩٥ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ٨١ ، ٨٢ .

وبعد مرور عشر سنوات ضج أهل الذمة بالشكوى من القيود المفروضة عليهم ، ورفعوا شكواهم فى عام ٨٣٠ هـ / ١٤٢٦ م الى السلطان برسباى الذى عقد مجلس حضره الأمراء والقضاة والفقهاء ووصلوا فى النهاية الى ضروره تخفيف تلك القيود المفروضة عليهم (٧٨) ، ثم ما لبثت هذه القيود أن تجددت على أهل الذمة مرة أخرى فى أيام السلطان الظاهر جقمق فى عام ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م « ... لكونهم تعدوا فى ذلك وزادوا عن الحد ... » (٧٩) .

وفى عام ٨٦٨ هـ / ١٤٦٣ م عقد السلطان الظاهر خشقدم مجلساً حضره الأمراء وكبار رجال الدولة والقضاة الأربعة لمناقشة الوضع الشرعى والقانونى لأهل الذمة ، فأعلن قاضى القضاة الشافعى علم الدين البلقينى أنه يجب فرض كل الشروط العمرية على أهل الذمة من يهود ونصارى فيما عدا الصيارف والأطباء (٨٠) .

هذا وقد تعرض اليهود المصريون لمصادرات (٨١) وابتزازات مالية غير الجزية المفروضة عليهم ، وكان ذلك يحدث فى نطاق

(٧٨) ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ٣ ، ص ٣٨٢ .

(٧٩) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ، ص ٤٠٧ ؛ قاسم عبده ، اهل الذمة ، ص ٧٧ .

(٨٠) ابن إياس ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، طبعة محمد مصطفى ١٩٨٢ م ، ج ٢ ، ص ٤١٢ ، ٤١٣ ؛
Ashtor, The Jews and the Mediterranean, p. 756.

(٨١) المصادرة ، عقوبة مقررة واجبة النفاذ هدفها المال سواء كان بالضمان او بالمطالبة او بالاستيلاء عليه بالقوة لصالح الدولة دون ان يكون للشخص المعاقب حق الاعتراض وفى عصر المماليك رادفت لفظة المصادرة أربعة الفاظ اخرى هى : =

اجراءات مالية عامة تسرى على جميع افراد المجتمع المصرى بمختلف طوائفه (٨٢) ، ويمكن القول بان المصادرات التى تعرض لها اليهود هنا لم تكن من جراء تعصب دينى ، بل كان يلحق بهم ما لحق بالمصريين عامة من نكبات فى تلك الفترة ، باستثناء بعض الأوقات القليلة جدا التى تعرضوا فيها الى مخالفة السلاطين للمراسيم التى اصدروها بشأن بعض فئات اهل الذمة (٨٣) .

فقد حدث فى اثناء الفوضى الناتجة عن فرار السلطان الظاهر برقوق عام ٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م ان قبض على بطريك النصارى ورئيس اليهود ورسم بمصادرة املاكهما والزما بمبالغ من المال (٨٤) .

وفى عام ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م استقرت الأمور بعد مقتل السلطان فرج بن برقوق وتولى شيخ المحمودى السلطنة الذى وجد خزينة الدولة خاوية من جراء هذه الفتنة فعمد فى تلك السنة الى حصر اعداد اهل الذمة وضاعف الجزية المفروضة عليهم (٨٥) .

= الغرامة ، الحوطة ، العقوبة ، الجناية ، فالالفاظ مختلفة والمعنى واحد ، وكان يسبق الجميع الترسيم انظر البيومى اسماعيل الشربينى ، المصادرات فى عصر سلاطين المماليك ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الاداب جامعة المنصورة ، ١٩٩٥ م ، ، ص ٤ .

(٨٢) قاسم عبده ، اهل الذمة ، ص ٧١ .

(٨٣) البيومى اسماعيل ، المصادرات فى عصر سلاطين المماليك ، ص ٣١ .

(٨٤) المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ق (٢) ، ص ٦٧٥ ، ٦٦٧ ؛ ابن الفرات وتاريخ ابن الفرات ، نشره قنسطنطين رزيق ونجلاء عز الدين ببيروت ١٩٣٩ م ، م ٩ ، ج ١ ، ص ١٦١ ، ١٦٢ .

(٨٥) المقريزى السلوك ، ج ٤ ق (١) ، ص ١٤٧ ، ٢٨٩ ؛ حسنين خليفى ، الاحتكار المملوكى علاقته بالحالة الصحية ، حوليات كلية الاداب جامعة عين شمس ، ١٩٦٤ ، ص ١٣٨ .

وفى عام ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م زادت جوالى اهل الذمة الى الضعف بعد أن نكل السلطان المؤيد باليهود والنصارى والزمهم بسداد عشرين الف دينار ، لأن ما سدد منها لم يكن وفقا للمتفق عليه (٨٦) .

وفى سنة ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م أحضر السلطان الأشرف قايتباى بطرك النصارى ورئيس اليهود والزمهما بمبالغ من المال لتجهيز الجيش لقتال العثمانية (٨٧) . وفى عام ٩٠١ هـ /١٤٩٥م قام السلطان قايتباى بمصادرة أموال من اليهود والنصارى مرتين (٨٨) وفى عام ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م فرض ابنه الناصر محمد ضرائب جديدة فى صورة مظالم على جميع أفراد الشعب المصرى والمباشرين وقضاة القضاة وأعيان الناس من التجار وغيرهم وقد شملت الضرائب اليهود والنصارى وجمعت تلك الأموال بالضرب والترسيم والحبس (٨٩) .

وفى عام ٩٠٥ هـ / ١٤٩٩ م أطلق السلطان الأشرف جان بلاط نار المصادرة وقاست اعيان الناس من الظلم والمضايقة ما لا يعبر عنه ، وعمت هذه المصادرات أهل الذمة من يهود ونصارى (٩٠) .

(٨٦) المقريزى السلوك ، ج ٤ ق (١) ص ٢٩٠ ؛ ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ٣ ، ص ٣٩ .

(٨٧) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ط بولاق ، ١٣١١ هـ ، جـ ٢ ، ص ٢٤٩ .

(٨٨) ابن اياس بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ٢٤٩ ، ٣٠٢ .

(٨٩) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ٤٤٢ ؛ جمال جرجس يوسف ،

(٩٠) ابن اياس بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ٤٤٢ ، جمال جرجس يوسف ، الاحتكار فى الدولة المملوكية الثانية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية البنات جامعة عين شمس م ، ص ٢٢ .

نستنتج مما سبق أن أغلب المصادرات والابتزازات المالية التى تعرض لها أهل الذمة من اليهود والنصارى فى مصر كان يتم فى نطاق اجراءات مالية عامة شملت جميع أفراد المجتمع المصرى، أو حدثت نتيجة لسوء سلوك أهل الذمة أحياناً تجاه المسلمين وتعاليهم عليهم أو بسبب احتكارهم لكثير من الوظائف المهمة مما أدى الى وقوع صدام بينهم وبين المسلمين ، أضف الى ذلك عدم التزام أهل الذمة بالمراسيم التى كانت تصدر لتصحيح هذه الأوضاع . وفيما عدا ذلك فقد عاش اليهود فى المجتمع المصرى كجزء منه ، ويمكن القول أيضا أن الدولة المملوكية حافظت على اليهود وعملت على مساواتهم بالمسلمين فى كثير من الحالات ، لذلك لم يخرج اليهود على الدولة المملوكية الا فى حالات قليلة نادرة ، أبرزها ما حدث فى عام ٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م عند هروب السلطان برقوق من منافسيه على السلطنة واضطراب البلاد وانتشار الفوضى ، فى جميع أنحاء الدولة ، وفى أثناء ذلك وصل الى القاهرة جماعة من أهل الشام والتركمان ونهبوا الناس واخذوا أموالهم وممتلكاتهم وتصدى لهم التجار واليهود فى محاولة للدفاع عن حوانيتهم ، وقد انتهزت العامة تلك الفوضى لممارسة أعمال السلب والنهب واتهم اليهود بقتل أربعة أشخاص من العامة رمياً بالنشاب ، فهاجم العامة اليهود وقبضوا عليهم وارادوا معاقبتهم ، ولكن محمد بن الحسام والى القاهرة منعهم من ذلك ، ودافع عن اليهود وقال انهم لم يفعلوا شيئاً يعاقبون عليه ، وانما كان قصدهم الدفاع عن ممتلكاتهم فتم اطلاق سراحهم (٩١) .

خلاصة القول أنه رغم تعدد المراسيم التى صدرت لالزام أهل الذمة بتلك القيود فان الالتزام بها كان يخف تدريجيا بمضى

---

(٩١) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ، ق (١) ، ص ٩٠ .

الوقت حتى ينسى أمرها فيعاد تجديدها بعد فترة . كما كانت هذه المراسيم تصدر لتصحيح بعض الأوضاع القائمة بالفعل ، بسبب سيطرة أهل الذمة على الدواوين السلطانية مما كان يحول احيانا دون اشتغال المسلمين فى هذه الدواوين ، لذلك كان المسلمون يطالبون بعزلهم واحلالهم محلهم ، كما كانوا أحيانا يقومون بترويج الشائعات ضدهم ، كذلك يلاحظ ان التعصب ضد أهل الذمة كان يأتى فى كثير من الأحيان بتحريض من رجال الدين ، ومع ذلك فلم يستطع سلاطين المماليك الاستغناء عن خدماتهم بسبب خبرتهم ودرايتهم بالشئون الادارية والمالية . كما التزمت الدولة المملوكية فى كثير من الأحيان بالدفاع عن مصالح رعاياها من أهل الذمة لأسباب مختلفة منها نفوذهم فى البلاط السلطانى ، وتأثير القوى السياسية الخارجية لصالحهم وخوف سلاطين المماليك من تمادى العامة فى اعمال السلب والنهب التى كانت تمتد احيانا لتشمل دور المسلمين أيضا (٩٢) ، كما حدث فى عام ٧١٤ هـ / ١٣١٤ م اذا ركب أحد سكان الحسينية فرساً فى يوم الجمعة وشق القاهرة شاهراً سيفه « ... فما وجد يهودياً ولا نصرانيا الا ضربه .. » فجرح عدداً منهم وقطع أيدى عدد آخر قبل أن يتم الامساك به وضرب عنقه (٩٣) .

وفى عام ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م عزل قاضى القضاة الحنفى عن « قضاء مصر » ... لانه بالغ فى الحط على الكتاب النصارى .. » وكان اذا راى ذمياً راكباً انزله واهانه ، واذا راى عليهم ثيابا باهظة الثمن نكل بهم فسعى نصارى الدواوين فى عزله (٩٤) .

---

(٩٢) قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٧٩ .

(٩٣) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (١) ، ص ١٣٩ ــ ١٤٠ .

(٩٤) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (١) ، ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

ونقرأ أيضاً فى حوادث سنة ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م أنه نودى بالقاهرة ومصر الا يتعرض أحد لليهود والنصارى (٩٥) . مما يدفع الى القول ان سلاطين المماليك وقفوا فى كثير من الأحيان موقفاً حازماً ضد كل من يحاول الاعتداء على أهل الذمة من يهود ونصارى .

هذا وقد شارك اليهود فى الأحداث الجارية فى المجتمع المصرى زمن سلاطين المماليك مشاركة فعالة ، وتأثروا بها وخضعوا للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية نفسها التى خضع لهاباقى أفراد المجتمع وشاركوا فى العديد من المناسبات ذات الطابع السياسى ، مع بقية أفراد المجتمع المصرى فى التعبير عن رأيهم فى تلك الأحداث ولعل ما حدث فى أثناء احياء السلطان الظاهر بيبرس للخلافة العباسية والخروج للقاء الخليفة العباسى أبى القاسم أحمد حين قدم الى مصر ، خير دليل على ذلك فقد شارك فى هذا الاحتفال أهل الذمة فخرج اليهود وهم يحملون التوراة والنصارى وهم يرفعون الانجيل (٩٦) .

---

(٩٥) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ق (٣) ، ص ٩٢٤ ، ٩٢٥ .

(٩٦) ابن أبى الفضائل ، تاريخ سلاطين المماليك جـ ١ ، ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ق (٢) ، ص ٤٤٨ ، ٤٤٩ ؛ بيبرس المنصورى ، التحفة المملوكية فى الدولة التركية ، نشرة عبد الحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، ط (١) ، ١٩٨٧ م ، ص ٤٧ ؛ ابن أيبك ، كنز الدرر ، ص ٧٢ ، ٧٣ ؛ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ، تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، ١٩٧٦ م ، ص ٩٩ ، ١٠٠ ؛ اليونينى ، ذيل مرآة الزمان م ١ ، ط (١) الهند ، ١٩٥٤ م ، ص ٤٤١ ، ٤٤٢ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ق (٢) ، ص ٤٤٨ ـ ٤٤٩ ؛
Hautecaeur et Wiet, Les Mosquées du Cairo, Paris, 1931, I, p. 147.

ومن المناسبات التى شارك فيها أهل الذمة من يهود ونصارى مع بقية أفراد المجتمع المصرى زمن سلاطين المماليك صلاة الاستسقاء ، فقد أدرك المصريون أهمية نهر النيل فى حياة مصر وحياة أهلها باعتباره الشريان الرئيسى لحياة البلاد وساكنيها ، ومن ثم فان القلق الذى كان يسود البلاد فى حالة انخفاض مياه النهر أو تأخر الفيضان كان يشمل جميع المصريين مسلمين ويهود ونصارى ، لذا كان أهل الذمة ينزحون مع غيرهم من ابناء مصر الى الصحراء لأداء صلاة الاستسقاء يحملون كتبهم المقدسة ويبتهلون الى الله تعالى أن يجرى مياه النيل (٩٧) ، كما حدث فى عام ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م عندما توقف فيضان النيل واختفى الخبز من الأسواق وبدأ شبح المجاعة يهدد البلاد ، فخرجت جموع المصريين ، ومن بينهم اليهود يحملون التوراة والنصارى يرفعون الانجيل الى الصحراء لصلاة الاستسقاء (٩٨) ، وتكرر ذلك فى أعوام ٨٢٢ هـ / ١٤١٩ م و ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩ م (٩٩) ، و ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م (١٠٠) .

وشارك أهل الذمة أيضاً مع بقية أهل البلاد فى الاحتفالات الخاصة بتنصيب بعض السلاطين ، ففى عام ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م عندما عاد السلطان برقوق الى السلطنة ، خرجت طوائف الناس لاستقباله ، فخرج اليهود يحملون التوراة فى حين كان النصارى يرفعون أناجيلهم ومعهم الشموع الموقدة لاستقبال السلطان القادم

---

(٩٧) قاسم عبده ، أهل الذمة ، ، ص ١٥٠ ؛ انظر أيضا النيل والمجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٧٨ م .

(٩٨) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ١ ق (٢) ، ص ١٢٤ .

(٩٩) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ٣١ ، ٤٦ .

(١٠٠) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣١١ .

من بلاد الشام (١٠١) ، كما خرجت الطوائف نفسهـا لاستقبال السلطان نفسه بعد عودته من رحلة صيد حيث اجتمع اليهـود والنصارى مع الشعب المصرى ومعهم الشموع للقائه (١٠٢) .

واسهم اليهود كذلك فى العديد من اعمال الخدمـات العامة كصيانة النهر وحفر الترع والخلجان وبناء الجسور وما الى ذلك ، وكان اشتراكهم فى مثل تلك الأعمال يتم برغبتهم احياناً وبتسخيرهم مثل غيرهم من المصريين احياناً أخرى (١٠٣) ، ففى عام ٨١٨هـ / ١٤١٥ م ركب السلطان المؤيد شيخ من قلعة الجبـل بأمرائـه ومماليكه وكبار رجال الدولة متوجها الى موقع الحفر فى أحـد الخلجان على النيل ، ونودى بخروج الناس للعمل فى الحفـر فخرجت جميع الطوائف للعمل فى أعمال الحفر ، وفى العام نفسه أيضاً ركب الأمير صارم الدين ابراهيم ابن السلطان للهدف نفسه وجمع له الناس من المسلمين واليهود والنصارى للعمل فى الحفر لمدة يومين (١٠٤) .

---

(١٠١) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ م (١) ، ص ١٩٩ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ٢٨٩ .

(١٠٢) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ م (١) ، ص ٢٣٥ .

(١٠٣) Hautecaeur et Wiet, Les mosquées, I, p. 117.

(١٠٤) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ق (١) ، ص ٣١٧ ، ٣١٨ .

الفصل الثانى

اليهـود والوظائف المؤثرة
فى عهد سلاطين المماليك

شارك اليهود المصريون مشاركة فعالة وكبيرة داخل المجتمع المصرى ، ولم يكونوا مجرد أقلية متميزة أو منعزلة ، وانما امتزجوا داخل المجتمع المصرى ، شأنهم فى ذلك شـأن باقى الأقليـات الأخرى ، كما أنهم كانوا جزءا لا يتجزأ من المجتمع المصرى ، فرغم قلة عدد اليهود بالنسبة للمجتمع ككل فانهم لعبوا دورا كبيرا سواء فى مجال الطب أو فى تولى الوظائف الادارية بالاضافة الى الأعمال المصرفية . فقد استعان بعض سلاطين المماليك بالاطباء اليهود فصارت لهم منزلة رفيعة ومكانة متميزة فى قصور هؤلاء السلاطين.

ويفهم من بعض مصادر العصر المملوكى أن عدد الأطبـاء اليهود كان ضخما بالنسبة الى عدد اليهود فى المجتمع المصرى ، اذ تروى المصادر التى ترجع الى القرن السابع الهجرى / الثالث

عشر الميلادى « أن أكثر ما تعيش به اليهود والنصارى ، هـو جباية الخراج والطب » (١) .

كما نوه ابن الاخوة الذى عاش أبان القرن الثامن / الرابع عشر الميلادى بأن المسلمين لا يعملون فى مجال الطب وذكر أن بعض الأماكن خلت تماما من الأطباء المسلمين ، ولم يوجـد بهـا سوى أطباء من أهل الذمة (٢) ، وقد أكد هذه الرواية أحـد الشعراء حين قال :

لعن النصارى واليهود لأنهـم
سحروا الملوك وغيروا الأحوالا
وغدوا أطباء وحسابا لهم
فتقاسموا الأرواح والأموالا (٣)

ويبدو أن هذه الظاهرة لم تكن جديدة على العصر المملوكى بل شاعت منذ عصر مبكر بدليل ما ذكره الجاحظ عن الميـل الى الاستعانة بأطباء من أهل الذمة (٤) .

---

(١) ابن سعيد المغربى ، النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق حسين نصار ، دار الكتب المصرية ١٩٧٠ م ، ص ٢٨ ؛ المقريزى ، الخطط ج ١ ، ص ٣٦٧ ؛
Goitein, The Midical Profession in the Light of the Cairo Geniza Documints, HUCA, XXXIV, 1963, p. 178 ; Ashtor, History of the Jews, I, p. 202 Behrens (A.D.), Fath Allah and Abu Zakariyya : Physicians unrer the Mamluks, Supplement aux, AI, Le Caire, 1987, p. 9.

(٢) ابن الأخوة معـالم القربة ص ٢٥٤ .

(٣) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣٩ .

(٤) يروى الجاحظ بصدد أسد بن جانى بانه « كان طبيبا فاكسد مرة فقال له قائل : « السنة وبئة والأمراض فاشية ، وأنت عالم ولك صبر وخدمة ، ولك =

وكان لاحتكار أهل الذمة من اليهود والنصارى لمهنة الطب (٥) ، أن ارتبطت هذه المهنة باليهود الى حد بعيد حيث استطاعوا من خلالها التأثير الواضح على رجال البلاط ، مما ترتب عليه ارتفاع مكانتهم بين أهل طائفتهم وتوليهم الاشراف على شئونهم (٦) .

وتحدثنا المصادر المعاصرة عن بعض الأطباء الذين كانوا فى الوقت نفسه زعماء دينيين للطوائف اليهودية ، مثل الشيخ المهذب ابو الحسن بن الموفق بن النجم بن المهذب ابى الحسن بن صموئيل الذى كان طبيبا وتولى رئاسة اليهود فى سنة ٦٨٤ هـ /١٢٨٥ م ، وكتب له ابن المكرم كاتب الدرج الشريف تقليدا بذلك (٧) ، وعبد اللطيف بن ابراهيم بن شمس الذى كان يعمل طبيبا بالاضافة الى كونه رئيساً لليهود (٨) .

= بيان ومعرفة فمن اين يؤتى هذا الكساد ؛ فقال أما واحدة فانى عندهم مسلم وقد اعتقد القوم قبل ان أتطبب بل قبل ان اخلق أن المسلمين لا يفلحون فى الطب ، واسمى أسد وكان ينبغى أن يكون اسمى صليبا أو جبرائيل أو يوحنا ، وكنيتى ابو الحارث ، وكان يجب أن تكون أبو عيسى وأبو زكريا وأبو ابراهيم ، وعلى رداء قطن ابيض ، وكان ينبغى أن يكون رداء حرير أسود ، ولفظى عربى وكان ينبغى أن تكون لغتى لغة أهل سابور » انظر الجاحظ ، البخلاء ، تحقيق طه الحاجرى ، القاهرة ١٩٤٨ م ص ٦٠ ؛ أحمد عبد الرازق ، الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ، العلوم العقلية ، القاهرة ١٩٩١ ، ص ١٤٨ .

(٥) Goitein, The Miedical Profession, p. 178.

(٦) Cohen (M.), Jews in the Mamluk, p. 436.

(٧) المقريزى ، السلوك ، ج ١ ق (٣) ، ص ٧٢٨ ؛ ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، م ٨ ، ص ٨ وعن هذا التقليد انظر الملحق رقم (٤) .

(٨) Cohen, Jews in the Mamluk, pp. 435-436.

استطاع بعض اليهود أن يتولى أيضا رئاسة الأطباء ، كما حدث فى عام ٨١٣ هـ / ١٤١٠ م زمن السلطان فرج بن الظاهر برقوق الذى عهد الى علم الدين سليمان برئاسة الأطباء ،وكان أبوه يهوديا ، وقد نشأ سليمان هذا مسلما ، وعمل فى مهنة الطب، واستطاع بمهارته الفائقة أن يحوز شهرة واسعة بفضل حسن معالجته للمرض ، وصار من الأطباء البارعين فى مهنته (٩) .

ويفهم من المصادر المعاصرة أيضا أن بعض أطباء اليهود استطاعوا أن يصلوا الى منزلة عالية ، وكانت لهم مكانة رفيعة ، الى درجة أن بعض سلاطين المماليك كانوا يلجئون اليهم عند الضرورة بل أن بعضهم صار طبيباً خاصاً لبعض سلاطين المماليك مثل السلطان الأشرف برسباى الذى كان طبيبه الريس زين الدين خضر الاسرائيلى ، والسلطان خشقدم الذى اتخذ من الريس محب الدين طبيبا خاصا له (١٠) .

ويبدو أن نساء العصر المملوكى كن يفضلن بدورهن الطبيب اليهودى عن أى طبيب آخر ، بدليل ما ذكره ابن حجر العسقلانى بصدد الطبيب اليهودى السديد الدمياطى اذ يقول ان « هؤلاء النساء ان لم يكن الطبيب يهوديا شيخا مائل الرقبة سائل اللعاب لم يكن لهن عليه اقبال » (١١) .

---

(٩) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ق (٢) ، ص ٥٩٨ ؛ ابن اياس بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ٦٦ .

(١٠) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ١٣٣ ، ص ١٨٥ ؛ ٤٥٢ .

(١١) ابن حجر ، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، نشرة محمد جاد الحق ، ط (٢) القاهرة ١٩٦٦ م ، ج ٤ ، ص ٣٠٩ ؛

Behrens, Fath Allah and Abu Zakariyya, p. 12.

ومن الأطباء اليهود من كانت له مؤلفات طبية مهمة ، وصل الينا بعضها وفقد البعض الآخر ، وكان معظم هؤلاء الأطباء من أصحاب السلطة والثراء كما يستشف من وثائق الجنيزة (١٢) ، فقد امدنا المستشرق الفرنسى أشتور فى كتابه عن تاريخ اليهود فى مصر بأسماء ستة عشر طبيبا يهوديا هم :

اسم الطبيب	تاريخ الوفاة
١ ـ دافيد بن الناجيد حفيد موسى بن ميمون	لم يذكر تاريخ وفاته
٢ ـ مفضل بن ماجد بن أبى البشر	٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م
٣ ـ المهدب بن الموفق	٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م
٤ ـ ابن منصور سليمان بن حافظ	لم يذكر تاريخ وفاته
٥ ـ شله اللاوى عاش بعد عام ٦٨٨هـ/١٢٨٩ م	ـــ
٦ ـ بهاء الدين عبد السيد بن المهذب اسحق بن يحيى	٧١٥ هـ / ٣١٨ م
٧ ـ شهاب الدين احمد المغربى	٧١٨ هـ / ١٣١٨ م
٨ ـ عبد الدايم بن عبد العزيز	٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م
٩ ـ يشوعة بن مناحم	٧٣٥ هـ / ١٣٣٤ م
١٠ـ جمال الدين عبد الله	٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م
١١ـ السديد الدمياطى	٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م
١٢ـ نفيس بن داود بن عانان	٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م
١٣ـ صدقة بن عبد القاهر عاش عام ٧٥٨هـ/١٣٥٦م	ـــ
١٤ـ شرف الدين موسى	٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م
١٥ـ عوض	٧٨٨ هـ / ١٣٨٦ م
١٦ـ عوبديا الطبيب	لم يذكر تاريخ وفاته (١٣)

(١٢) Goitein The Miedical Profession, p. 193.

(١٣) Ashtor, History of the Jews, I, p. 203.

وبدراسة وفحص هذه الأسماء يتضح لنا أن المصادر العربية (١٤) قد اشارت الى اربعة اطباء منهم فقط وهم : المهذب ابن الموفق ، ونفيس بن داود ، وصدر الدين بن بديع بن نفيس ، والسديد الدمياطى ، وامدتنا فى الوقت نفسه ببعض الأسماء الأخرى التى خلت منها قائمة المستشرق الفرنسى آشتور مثل يوسف بن عبد السيد بن المهذب اسحاق بن يحيى الاسرائيلى ، وعبد السيد بن اسحاق بن يحيى ، وموسى بن كجك .

وكشفت لنا كذلك دراسة اسماء هؤلاء الأطباء الذين اشار اليهم آشتور ان بعضهم كان ينتمى الى اصول عربية مثل شهاب الدين احمد المغربى ، وجمال الدين عبد الله ، مما يدفع الى الاعتقاد بأن آشتور قد غالى فى ثبته ، فى محاولة منه للايحاء بكثرة عدد الأطباء اليهود زمن سلاطين المماليك، وللايحاء أيضاً باتساع نفوذهم وقوة تاثيرهم فى المجتمع المصرى آنذاك ، وقد دفع به هذا الى عدم تحرى الدقة فى التميز بين الأطباء اليهود وغيرهم من الأطباء المسلمين .

ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار ايضا أن بعض هؤلاء الاطباء ربما كانوا من اصول يهودية واسلموا ، ولعل تجاهل آشتور لاسماء بعض الأطباء اليهود مرجعه الى تحولهم الى الاسلام ، فقد خلا ثبته من اسم الطبيب يوسف بن عبد السيد بن المهذب اسحاق ابن يحيى الاسرائيلى المتوفى سنة ٧٥٧ هـ / ١٢٥٦ م ، ومن المعروف أن هذا الطبيب كان فى الأصل يهودياً ثم اعتنق الاسلام

(١٤) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان ، جزءان ، القاهرة ١٨١٣ م ؛ السخاوى ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ٩٣٤ ام ؛ الشوكانى ، البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع ، ط (١) ، القاهرة ١٩٢٩ م .

مع أبيه فى عام ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م وسمع معـــه من محـــمد بن عبد المؤمن الصورى ، وكان يوسف هذا ماهرا فى الطب (١٥) .

كما خلا ثبت المستشرق آشتور أيضا من اسم مـــوسى بن كجك الشيخ شرف الدين الطبيب المتوفى سنة ٧٦١ هـ / ١٣٥٩م، وكان ابوه يهوديا يعالج أهل العلم ويخدمهم ، فهدا الله ولده الى الاسلام ، واشتغل على يد الشيخ تاج الدين التبريزى والشيخ شمس الدين الأصبهانى ، كما اشتغل بالعلوم العقلية وكتب بخطه كثيرا ، وكان يعامل الطلبة معاملة حسنة (١٦) .

وخلا الثبت كذلك من اسم صدر الدين بديع بن نفيس الطبيب التبريزى الذى أقام بالقاهرة شريكا لعلاء الدين بن صغير فى رياسة الطب عام ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م ، تحت رعاية السلطان برقوق ، وكان بديع بن نفيس هذا يهوديا ثم تحول الى الاسلام ، وهو عم فتح الله بن مستعصم بن نفيس الذى ولى كتابـــة السر (١٧) فى اواخر دولة السلطان الظاهر برقوق (١٨) .

---

(١٥) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ٤٦١ .

(١٦) المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ق (١) تحقيق سعيد عاشور ، القاهرة ١٩٧٠ م ص ٥٦ ؛ ابن حجر الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ٣٨٠ ، ج ٥ ، ص ١٥١ .

(١٧) كتابة السر ، يولى من قبيل الابواب السلطانية بتوقيع شريف ، ويحترز السلطان فيها على أن يكون كاتب السر من خاصة الموثوق بهم ليطالعه بخفيات أمور المملكة وما يحدث بها مما لعل النائب قد يخفيه عن السلطان ، وبديوانه كتاب الدست وكتاب الدرج ، وهى رفيعـة القدر ، انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٨٩ .

(١٨) ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ١ ، ص ٢١٦ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ١ ق (٢) ، ص ٢٦٦ .

هذا عن الأطباء فى عصر دولة المماليك البحرية . أما فيما يتعلق بأطباء اليهود فى عصر دولة المماليك الجراكسة فكان هناك أيضا الكثير منهم ممن اتخذوا من مهنة الطب مصدرا للارتزاق وتمتعوا بفضلها بمكانة اجتماعية مرموقة وقد عمل هؤلاء الأطباء جاهدين للحفاظ على المستوى المهنى وساعدهم على ذلك المسلمون أنفسهم (١٩) .

ويفهم من المصادر المعاصرة أن السلطان برقوق قرب أهل الذمة منه ، فقد جاء فى أحداث سنة ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م أن السلطان العثمانى طلب من السلطان برقوق أن يرسل له طبيبا حاذقا ومواد طبية أخرى ، فاستجاب لطلبه وبعث اليه بالريس شمس الدين بن صغير (٢٠) .

ورغم أن المصادر العربية لم تمدنا بمعلومات كافية حول طرق عمل هؤلاء الاطباء اليهود فانه من الثابت أن هؤلاء الأطباء قد تخصصوا فى مختلف فروع الطب ، وبصفة خاصة فى الكحالة أى طب العيون . فقد جاء فى وثيقة يهودية ترجع الى عام ٨٤٠ هـ/ ١٤٣٦ م اشارة الى كحال أى طبيب عيون يهودى يدعى خلف الكحال (٢١) .

ويحدثنا المؤرخ ابن اياس أيضا فى أحداث عام ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م عن استعانة السلطان الأشرف قايتباى بأحد الأطباء اليهود عندما أراد معاقبة مملوك له مارس اللواط مع أحد العسكر،

(١٩) Ashtor, History of the Jews, II, p. 173.

(٢٠) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ١ ق (٢) ، ص ٤٦ ؛
Ashtor, History of the Jews, II, p. 173.

(٢١) Ashtor, History of the Jews, II, p. 174.

وكان هذا الطبيب اليهودى قد ذاع صيته فى اجراء عملية الاخصاء ، فاستعان به السلطان فى اجراء هذه العملية الجراحية لهذا الملوك ، الأمر الذى يعنى أن سلاطين المماليك الجراكسة كانوا يلجئون الى أطباء اليهود عند الضرورة فقط (٢٢) ، كما كانوا يعاملون الطبيب اليهودى معاملة الطبيب المسلم ، فقد حدث فى عام ٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م ان استدعى الطبيب اليهودى خضر لمعالجة احد المرضى من ابناء المماليك ، فوصف له دواء غير أن المريض توفى بعد يومين ، فتم اعتقال الطبيب ومثل أمام الأشرف على الأطباء ، ورغم محاولات الاضرار به من قبل بعض المتعصبين ، فلم يصدر مرسوم بقتله وبقى حيا بل احتفظ بدينه أيضاً (٢٣) وتكشف لنا هذه الحادثة عن مدى تسامح حكام المماليك الذين لم يقسوا على طبيب يهودى أخطأ فى معالجة احد المرضى المسلمين .

ويفهم من المصادر المعاصرة ان سلاطين المماليك لم يفرقوا ايضا فى المعاملة بين الأطباء اليهود والمسلمين ، فقد حدث فى عام ٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م أن ازداد مرض السلطان الأشرف برسباى ، واجتمع عنده الاطباء ، فشفى بعض الشىء وخرج فى موكب وخلع على الأطباء ، ثم عاوده المرض مرة أخرى وعجز عن القيام ، وتوهم ان الأطباء يقصرون فى تطبيبه ، وكان قد وقع خلاف بين الأطباء فى استعمال شىء من الدواء ، فاعتقد السلطان برسباى انه انتكس بسبب خلافهم هذا ، وطلب من عمر بن يوسف والى القاهرة أن

---

(٢٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ٩٦ .

(٢٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ج ٢ ، ص ٢٨٦ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١٦٨ ، وما بعدها .
Doris, Fath Allah and Abu Zakariyya pp. 9-10.

يوسط الريس شمس الدين بن عفيف الأسلمى ، والريس زين الدين خضر الاسرائيلى ، فوسطا وحملا الى داريهما ليدفنا (٢٤).

وحدث ايضا فى عام ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م أن اشتد المرض بالسلطان خشقدم ، فظن أن الأطباء قصروا فى معالجته ، فغضب عليهم ووعدهم بالتوسيط ، كما فعل الأشرف برسباى بالريس خضر الاسرائيلى وابن العفيف (٢٥) ، مما يدل دلالة قاطعة على أن سلاطين المماليك كانوا لا يفرقون فى المعاملة بين الأطباء اليهود والمسلمين .

وجدير بالذكر أنه وصلنا العديد من أسماء أطباء اليهود زمن المماليك الجراكسة نذكر من بينهم الطبيب الفاضل جمال الدين يوسف بن أبى الشان الداوودى الاسرائيلى ، الذى توفى فى عام ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م ، عن عمر يناهز التسعين عاما (٢٦) .

كما أمدنا المستشرق اليهودى آشتور نقلا عن وثائق الجنيزة بأسماء بعض أطباء اليهود الذين مارسوا مهنة الطب تحت حكم المماليك الجراكسة هم :

---

(٢٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ١٨٥ ؛ السخاوى الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ١٨٠ – ١٨١ ؛
Doris, Fath Allah and Abu Zakariyya, p. 16.

(٢٥) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ٤٥٢ ؛
Doris, Fath Allah and Abu Zakariyya, p. 16.

(٢٦) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج٢ ، ص ١٣٣ .

	اسم الطبيب
عاشا فى القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى	١ ـ اليعازر الطبيب ٢ ـ يوسف الطبيب
	٣ ـ داقيد بن يعقوب ٤ ـ وأبوه يعقوب ٥ ـ صدقه هكاهان بن افراهام ٦ ـ موشى هكاهان بن يروشاليم
احد عشر طبيبا عاشوا ابان القرن التاسع الهجرى/الخامس عشر الميلادى	٧ ـ شموئيل بن موشى بن يشوعاه ٨ ـ خلف ٩ ـ يهوشوع بن يهودا ١٠ ـ خضر ١١ ـ افراهام بن فرج الله بن عبد الله الكافى ١٢ ـ صدقه ١٣ ـ شموئيل ركح
القرن العاشر الهجرى/السادس عشر الميلادى	١٤ ـ يوسف ١٥ ـ خضر ١٦ ـ افراهام بن سعديا ١٧ ـ العنانى ١٨ ـ شموئيل هكاهان
نجهل تماما الوقت الذى خدموا فيه تحت حكم المماليك (٢٧)	١٩ ـ شموئيل بن يعقوب ٢٠ ـ يتسحاق ٢١ ـ يوسف الناجيد ٢٢ ـ يوسف اسكندرانى ٢٣ ـ افراهام ابنه ٢٤ ـ يوسف المصرى المدعو عفيف بن عزر

(٢٧) Ashtor, History of the Jews, II, p. 175.

كما أشارت المصادر العربية الى اسمين فقط من بين هؤلاء هما خضر ، وافراهام بن فرج الله بن عبد الله الكافى الاسرائيلى اليهودى (٢٨) .

وتكشف لنا كل هذه الأسماء عن وجود أعداد ضخمة من اليهود كانوا يمارسون مهنة الطب زمن المماليك الجراكسة .

وتمدنا المصادر التاريخية المعاصرة أيضا بأسماء بعض اطباء اليهود الذين لمعت أسماؤهم فى الناحية الثقافية مثل « موسى بن كجك » الذى برع فى الطب وغيره من العلوم الى جانب تأليفه لكثير من الكتب ، وقد أسلم ابن كجك فى اواخر ايام حياته (٢٩) ، ومنهم ايضا « أحمد بن المغربى الاشبيلى » الذى اعتنق الاسلام فى عهد الاشرف خليل بن قلاوون » وتولى رياسة الأطباء وكان ملما بالتنجيم والفلسفة (٣٠) ، ومنهم أيضا ابراهيم بن فرج الله بن عبد الله الكافى اليهودى العانانى الذى كان يجمع بين معرفة حاذقة بالطب وبين الالمام بأصول الديانة اليهودية من حفظه لنصوص التوراة وكتب الأنبياء (٣١) .

أما عن القاب الاطباء اليهود فقد كان للطبيب لقبان مشهوران هما المهذب (٣٢) ، والموفق (٣٣) يضاف اليهما لقب خضر الذى

(٢٨) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٢ ص ١٨٥ ؛ السخاوى ؛ الضوء اللامع ، ص ١١٦ ، ١١٧ ، ج ٣ ، ص ١٨٠ ـ ١٨١ .

(٢٩) المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ، ق (١) ، ص ٥٦ .

(٣٠) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (١) ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

(٣١) السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ١ ، ص ١١٦ .

(٣٢) ابن أبى أصيبعة ، طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ص ١٢٢ ، ١٣٠ ، ١٦٢ ، ١٨١ ، ٢٣٩ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ق (٣) ، ص ٧٣٨ .

(٣٣) ابن أبى أصيبعة ، طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ص ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢٢ ، ١٧٥ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ق (٣) ، ص ٧٨٢ .

لقب به الكثير من الأطباء ، وعلى ما يبدو انه لم يكن اسما حقيقيا ولكنهم اختاروه تيمنا ببطل اسطورة تنسب اليه المهارة فى الطب (٣٤) .

ولم يقتصر عمل اليهود المصريين على مهنة الطب فقط بل عملوا ايضا فى الجهاز الادارى للدولة ، وذلك منذ أن سمحت الدولة الاسلامية المبكرة باحلالهم محل المستخدمين البيزنطيين وتكونت منهم — النصارى بوجه خاص — طبقة من الخبراء فى شئون الادارة والمال ، ولم تستطع الدولة الاستغناء عنهم رغم العديد من المحاولات التى شنتها ضدهم القضاة والفقهاء المسلمون ، بعد ان اصبحت الحاجة ماسة لوجودهم فى الدواوين بحيث أصبح لا يمكن الاستغناء عنهم فى دواوين السلطان والأمراء على حد سواء (٣٥) .

وتعد عبارة الأمير بيدرا نائب السلطان الاشرف خليل خير شاهد على اهمية استخدام اهل الذمة فى الوظائف الحكومية عندما اراد عقابهم فى عام ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م اذ قال له : « ... يلاخوند هؤلاء أصحاب دواوين يحفظون الأموال والخراج ، وليس للسلطان غنى عنهم . » (٣٦) .

---

(٣٤) Ashtor, History of the Jews, II, p. 332.

(٣٥) قاسم عبده ، اهل الذمة ، ص ٨٤ ؛ دراسات فى تاريخ مصر ، ص ٩٢ .

(٣٦) العين ، عقد الجمان ، ج ٣ ، حوادث ٦٨٩ — ٦٩٨هـ/١٢٩٠ — ١٢٩٨م ، ص ١٨٢ ؛ Bosworth, The (Protected peoples), p. 33 ; Tritton, Islam and the protected, p. 326.

وقد أثار استخدام السلاطين لأهل الذمة سخط المسلمين بسبب تحكم هؤلاء فيهم وتعاليهم عليهم ، بل انهم استخدموا نفوذهم لصالح أبناء ملتهم ، مما أنزع المعاصرين الذين تعددت مؤلفاتهم فى معارضة استخدام اهل الذمة ، فابن النقاش يعارض استخدامهم والاستعانة بهم فى الكتابة عند الأمراء وفى البلاد وفى جباية الأموال (٣٧) .

ويبدى الأسنوى اسفه الممزوج بالدهشة من استخدام اهل الذمة قائلا « ... العجيب أنه لا يعرف فى إقليم من الاقاليم من الشرق الى الغرب توليتهم الا فى إقليم مصر خاصة ، فيالله العجب ما بال هذا الاقليم دون سائر الاقاليم مع أنه أعظم أقاليم الاسلام وأوسعها عالما وأكثرها علما ... » (٣٨) ويعكس لنا هذا القول موقف العلماء المسلمين الذين عارضوا استخدام أهل الذمة فى وظائف الدولة والأعمال الادارية .

---

(٣٧) ابن النقاش ، المذمة ، ورقة ٧٩ ؛ ابن بيدكين التركمانى ، كتاب اللمع فى الحوادث والبدع ، مخطوط مصور محفوظ فى برلين ، MS ١٨٦٢م ORS ورقه ١١٧ ؛ ابن قيم الجوزية ، احكام أهل الذمة ، ج ١ ص ٢٠٨ ؛ انظر الفصل الدال على غش أهل الذمة للمسلمين وعداوتهم وخيانتهم ، ص ٢٢٨ ، ٢٤٢ ؛ ابن الأخوة ، معالم القربة ، ص ٩٢ ، ٩٣ ؛ ابن ايبك ، الدرر الفاخر ، ص ٤٧ ، ٥٠ ؛ الابشيهى ، المستطرف فى كل فن مستظرف ، بيروت ١٩٨٦ م ، ج ٢ ، ص ١٧٢ ؛ جاك تاجر ، اقباط ومسلمون منذ الفتح العربى الى عام ١٩٢٢ م ، القاهرة ١٩٥١ م ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٣٨) الاسنوى ، الكلمات المهمه فى مباشرة أهل الذمة ، نشره موشى برلمان ، بروكلين ، ١٩٦٩ م ، ص ٩ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٨٤ ؛ فوزى أمين ، المجتمع المصرى فى أدب العصر المملوكى الاول ، القاهرة ١٩٨٢ م ، ص ٢٢٢ ؛

Bosworth, The (Protected peoples, pp. 31-32.

كما نادى بعض الفقهاء بضرورة مجادلة أهل الذمة وهدايتهم ، كتاج الدين السبكى الذى شدد النكير على العلماء الذين يتقاعسون عن مناظرتهم ، وأشار الى أن هذا من الأمور المهمة قائلا « ... يأيها الناس بينكم اليهود والنصارى قد ملئوا بقاع البلاد فمن الذى انتصب منكم للبحث عنهم ، والاعتناء بارشادهم ، بل هؤلاء أهل الذمة فى البلاد الاسلامية ، تتركونهم هملا ، تستخدمونهم ، وتستطبونهم ، ولا نرى منكم فقيها يجلس مع ذمى ساعة واحدة ، يبحث معه فى أصول الدين ، لعل الله يهديه على يديه ، وكان من فروض الكفايات ، ومهمات الدين أن تصرفوا بعض هممكم الى هذا النوع : فمن القبائح ان بلادنا ملأى من علماء الاسلام ولا نرى فيها ذميا دعاه الى الاسلام مناظره عالم من علمائنا بل انما يسلم من يسلم .. » (٣٩) .

وقد كان كارهو اليهود الذين اثاروا الرأى العام ضدهم كانوا فى معظمهم من رجال الدين ، وكانت أقوال العلماء تجد دائما آذانا صاغية لأنهم لم يكونوا فقط زعماء روحيين لطائفتهم بل كانوا أيضا من ذوى أصحاب الوظائف المهمة فى الدولة ، ومن هنا كان تأثيرهم على السلاطين بالغ القوة كما كان الحال بالنسبة للفقيه الحنبلى تقى الدين أحمد بن تيمية الذى كان يعتبر وجود اليهود والنصارى على حد تعبير المستشرق آشتور خطرا اجتماعيا وسياسيا ودينيا على الاسلام ، لذا نجده يطالب بتطبيق الشروط العمرية بكاملها واعادة اليهود والنصارى الى حكمهم المطلوب مع اشعارهم دائما بأن ديانتهما لا تضارع الاسلام بأى حال من الأحوال فضلا عن ضرورة منعهم من تولى الوظائف المهمة مع تميزهم بارتداء زى خاص (٤٠) .

---

(٣٩) السبكى ، معيد النعم ومبيد النقم ، ص ٧٥ ، ٧٦ ؛ قوزى أمين ، المجتمع المصرى ، ص ١٢٢ .

(٤٠) Ashtor, History of the Jews, I, p. 210.

ومع ذلك فان فحص مؤلفات (٤١) تقى الدين بن تيمية ينفى كل مزاعم المستشرق الفرنسى آشتور .

وبالرغم من كل محاولات العلماء والفقهاء للحد من سيطرة ونفوذ أهل الذمة فى المجتمع المصرى فقد استمر اليهود مثلهم مثل النصارى فى العمل فى الجهاز الادارى والمالى للدولة بسبب تراجع السلاطين والأمراء عن المراسيم التى كانوا يقومون باصدارهـا بشأن منع استخدام أهل الذمة فى تلك الوظائف ، وكانوا يتراجعون دائما ويقومون باصدار المراسيم التى تسمح بعودة أهل الذمـة ثانية الى مباشرة أعمالهم ، فقد نودى فى القاهرة عام ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م بمنع استخدام أحد من اليهود والنصارى عند أمير ، وأمر الأمراء بأجمعهم أن يعرضوا على من عندهم من الكتاب النصارى الاسلام ، فمن امتنع عن الاسلام ضربت عنقـه ، ومـن أسلـم استخدموه عندهم ، فاختفى أهل الذمة ، وصارت العامة تسبق الى بيوتهم وتنهبها حتى عم النهب بيـوت اليهـود والنصـارى بأجمعهم وأخرجوا نساءهم مسبيات وقتلوا جماعة بأيديهم ، فقام الأمير بيدرا النائب مع السلطان المنصور قلاوون فى أمر العامة ،

(٤١) ابن تيمية ، الحسبة فى الاسلام ، القاهرة ١٩٠٠ م ؛ مجموعة الرسائل الكبرى ، القاهرة ١٩٠٥ م ؛ القواعد النورانية الفقهية ، تحقيق محمد حامد الفقى ، ط (١) ، القاهرة ١٩٥١ ؛ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، تقديم على السيد صبح المدنى ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٩٦٤ م ؛ مجموعة فتاوى شيخ الاسلام تقى الدين بن تيمية ، (١) القاهرة ١٣٢٨ هـ ؛ جامع الرسائل ، تحقيق محمد رشاد سالم ، القاهرة ١٩٦٩ م ؛ السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية ، القاهرة ١٩٧١ م ؛ كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول ، بيروت ١٩٧٥ م ؛ المقياس فى الشرع الاسلامى ، ط (٣) بيروت ١٩٧٥ م ؛ مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية ، اختصره بدر الدين ابو عبد الله محمد ابن على الحنبلى وراجعه وفهرسه وقدم له احمد حمدى امام ، القاهرة ١٩٨٠ م ؛ العصيان المسلح أو قتال أهل البغى فى دولة الاسلام وموقف الحاكم منه ، القاهرة ١٩٩٩ م ؟

ونادى من نهب بيت نصراني شنق ، وقبض على طائفة من العامة وشهرهم بعد ضربهم فكفوا عن النهب (٤٢) كما أشرنا من قبل .

وفى عام ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م أصدر السلطان الناصر محمد ابن قلاوون مرسوماً بفرض القيود على أهل الذمة ، فرسم بعدم استخدام أحد منهم فى الجهات السلطانية ولا عند الأمراء ، وان تغير عمائمهم ، فيلبس اليهودى عمامة صفراء والنصرانى زرقاء ، وكتب بذلك الى جميع الأعمال (٤٣) ، كما ذكرنا من قبل .

وفى عام ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م دار الحديث فى أمر اليهود والنصارى واعادة وقائعهم وانهم بعد التزامهم بالعهد العمرى يعودون الى ما نهوا عنه ، فاستقر الحال على أنهم يمنعون من الخدمة فى جميع الأعمال ، ولا يستخدم يهودى ولا نصرانى فى ديوان السلطان او الأمراء ، ولا يكره أحد على الاسلام ، فان اسلم برضاه لا يدخل منزله ولا يجتمع بأهله ، الا اذا اسلموا ويلازم أحدهم اذا أسلم المساجد ، واذا مروا بجماعة من المسلمين نزلوا عن دوابهم ، وأن يلجئوا الى أضيق الطرق ، ولا يكرموا فى مجلس ، وان تلبس نساؤهم ثياباً مغايرة اذا مررن فى الطرقات ، وكتب بذلك كله مراسيم سلطانية (٤٤) ، كما سبق أن نوهنا من قبل .

---

(٤٢) المقريزى ، الخطط ، ج ٤ ، ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

(٤٣) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

(٤٤) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (٣) ، ص ٩٢٤ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ص ٣٧٨ وما بعدها .

وبعد قراءة المرسوم بجامع عمرو والجامع الأزهر هاجت منه حفائظ المسلمين ، ونهضوا بعد صلاة الجمعة ، وثاروا على اليهود والنصارى ، وامسكوهم فى الطرقات ومزقوا ثيابهم واعتدوا عليهم بالضرب مع اكراههم على الاسلام ، وزادوا فى الأمر حتى اضرموا النيران ، وحملوا اليهود والنصارى والقوهم فيها ، فاختفوا فى بيوتهم ، فلما شنع الأمر نودى فى القاهرة ومصر الا يعارض أحد من اليهود والنصارى ، فلم يرجعوا عنهم وحل بهم بلاء شديد ، منه أنهم منعوا من الخدمة بعد اسلامهم ، وامتنع اليهود والنصارى من مزاولة الطب وبذل النصارى جهدهم فى ابطال ذلك ، فلم يستجيبوا اليهم فازداد اليهود والنصارى خوفا على خوفهم ، وبالغوا فى الاختفاء (٤٥) .

وفى عام ٨٦٨ هـ / ١٤٦٣ م نودى بشوارع القاهرة الا يستخدم أحد من الأعيان ذميا فى ديوانه — أعنى من الكتبة وغيرهم — فمنعت هذه المناداة أهل الذمة من الاشتغال بالدواوين ، وكتب بذلك الى سائر الأقطار ، ثم عقد السلطان خشقدم ملجسا حضره القضاة الاربعة وحضره الدوادار (٤٦)

(٤٥) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (٣) ، ص ٩٢٤ ، ٩٢٥ .

(٤٦) وردت هذه الوظيفة بكثرة على الآثار العربية ، وتتالف من كلمتين « دواة » العربية وهى ما يكتب منه ، و « دار » الفارسية بمعنى ممسك ، والمعنى الكلى ممسك الدواة أو الموكل بالدواة ويقصد بذلك الموكل بدواة السلطان أو الأمير ، وقد عرفت هذه الوظيفة فى عصر العباسيين ، وأطلق على صاحبها فى عصر الغزنويين والسلاجقة اسم « الدواتدار » وانتقلت الوظيفة عن طريق السلاجقة والأتابكية والأيوبيين ، الى دولة المماليك حيث عرف صاحبها باسم دوادار واذ حذفت التاء فى « دواتدار » استثقالا فصارت « دوادار » ، وقد أخذت وظيفة الدودار فى عصر المماليك تتطور تدريجيا وتزداد أهميتها وتنظم اختصاصتها وتتفرع رتبتها ، شأنها شأن غيرها من الوظائف فى دولة المماليك ، انظر السبكى ، معيد النعم ، ص ٢٥ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٩ ، ج ٥ ص ٤٦٢ ؛ حسن الباشا ، الفنون الاسلامية ، ج ٢ ص ٥١٩ وما بعدها .

الكبير وجماعة من الأعيان ، وقرئت العهود التى كتبت عليهم قديما بالا يباشروا فى ديوان أحد من الأمراء ، عملا ولا يتعمموا بأكثر من عشرة أذرع ، وأن تتميز ملابس نسائهم عن ملابس نساء المسلمين باللونين الأزرق والأصفر على رءوسهن عند مسيرهن بالأسواق والحمامات ، فحكم قاضي القضاة علم الدين صالح البلقينى الشافعى بالزام أهل الذمة بذلك جميعه ، ما عدا الصرف والطب ، واسلم بسبب ذلك جماعة من أهل الذمة ،ثم سعوا بمال له صورة أوردوه للخزائن الشريفة حتى أبقاهم السلطان على حالهم الأول فى المباشرة بالدواوين (٤٧) . وكانت مثل هذه الأوامر السابقة « عامة » أى أنها كانت تصدر ضد أهل الذمة بصفة عامة بل كانت فى واقع الأمر موجهة ضد النصارى ، كما سبق أن نوهنا من قبل .

والمعلومات التى وصلت الينا بشأن المستخدمين اليهود فى هذه الفترة تبرهن على أن اليهود عملوا بالوظائف الادارية والمالية ، ففى كتابات المؤرخين العرب وفى كتب التراجم توجد شخصيات يرد بينها أسماء بعض مستخدمي الدواوين من اليهود والنصارى (٤٨) .

وقد أكد المستشرق الفرنسي آشتور فى كتابه عن تاريخ اليهود فى عصر المماليك على عدم وجود معلومات واضحة عن تولى

(٤٧) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ١٦ ، ص ٢٨١ ، ٢٨٢ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ٤١٢ ؛ صفحات لم تنشر من بدائع الزهور فى واقع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ١٩٥١ م ، ص ١٣٢ ،

(٤٨) السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ١ ص ٢١٦ ؛ ابن اياس بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٨٩ ؛
Ashtor, History of the Jews, I, pp. 203-204.

احد اليهود احد المناصب الادارية او المالية الرفيعة فى الدولة المملوكية (٤٩) .

وعلى الرغم من زعم المستشرق الفرنسى آشتور ، فقد أمدتنا المصادر المعاصرة بالعديد من المعلومات بشأن المستخدمين اليهود من ذوى الوظائف المهمة الذين كثيراً ما كانوا ينافسون المسلمين ، كما عمل بعضهم على استغلال وظائفهم مما اثار حنق جموع المسلمين ، ففى عام ٨٠١ هـ / ١٣٨٩ م استدعى السلطان برسباى الريس فتح الله بن معتصم بن نفيس الداودى ريس الأطباء ، وخلع عليه واستقر به فى كتابة السر عوضا عن بدر الدين محمود الكلستانى بحكم وفاته (٥٠) . مما يدفع الى الترجيح بأن اليهود قد عملوا أيضا فى بعض وظائف السلك الادارى لا سيما وأن المراسيم التى كانت تصدر بشأن تحريم استخدام أهل الذمة لدى السلاطين أو الأمراء او فى دواوين الدولة كانت تشير دائما الى اليهود والنصارى وذلك على الرغم مما زعمه المستشرق الفرنسى آشتور من عدم توافر معلومات بصدد اشتغال اليهود فى الوظائف الادارية والمالية ، وربما يرجع ذلك الى اعتماد هذا المستشرق بصفة اساسية على وثائق الجنيزة التى خلت من الاشارة الى اشتغال احد من اليهود فى احدى الوظائف الادارية أو المالية ابان عصر المماليك .

أما فيما يتعلق بطبقة المستخدمين اليهود فى عصر سلاطين المماليك الجراكسة فيلاحظ أنه قل التعصب ضدهم فى المجتمع المصرى ابان القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ،

(٤٩) Ashtor, History of the Jews, I, p. 205.

(٥٠) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ١ ق (٢) ، ص ٥١٧ ، ٥١٨ .

ويفهم مما ذكره آشتور أن المستخدمين اليهود كانوا على صلة وثيقة ببعض الأنشطة المتصلة ببعض الخدمات ، وانه كان ليهود مصر صلات عديدة مع البلاد الأخرى ، فقد تاجروا مع التجـار الذين كانوا يأتون من أوربا (٥١) .

كما كان هناك من اليهود من يأتى من دول البحر المتوسط ويقيمون بين اليهود فى مصر ، ومن ثم فقد وجد من بين اليهود من يجيد اللغات الاوربية ويعمل فى مجال الترجمة ، فقد أشـار آشتور الى وجود بعض اليهود ممن عملوا كمرشدين ورافقـوا السياح الأوربيين فى رحلاتهم الى الشرق سواء كانوا سواحـا يهودا او سواحا نصارى ، كما عمل بعض هؤلاء المترجمين مـن اليهود فى خدمة المؤسسات التجارية الاوربيـة بل وفى خـدمة المماليك أنفسهم (٥٢) ، اذ يروى الرحالة طافور الذى زار مصر فى سلطنة الأشرف برسباى أن مترجم السلطان كان يهـوديا ثم أسلم ، وكان اسمه قبل الاسلام حايم ثم تغير وأصبح صايم بعد اسلامه (٥٣) .

ونجد ايضا فى الاتفاقيات التجارية التى ابرمت فى تلك الآونة بين الدولة المملوكية والدول الاوربية الأخرى ما يشير أحيانا الى السماح للتجار الاوربيين بتشغيل بعض اليهـود من أبناء هـذه الدول ، ففى الاتفاقية التى ابرمت عام ٨٣٤ هـ / ١٤٣٠ م بين مملكة ارجون وبين السلطان برسباي تم الاتفاق على السـماح

---

(٥١) Ashtor, History of the Jews, II, p. 176.

(٥٢) Ashtor, History of the Jews, II, p. 176.

(٥٣) طافور ، رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر الميلادى ، ترجمة حسن حبشى ، القاهرة ١٩٦٨م ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

للقنصل الكتالونى بتشغيل كل من يستطيع القيام بأعمال الترجمة سواء أكان مسلما أو يهوديا أو نصرانيا ، ولدينا بالفعل اشارة الى مترجم يهودى كان يعمل فى خدمة المماليك عندما وصل الى مصر وفد من ملك فرنسا فى سنة ٩١٨ هـ / ١٥١٢ م واستقبلـه فى الاسكندرية مندوب عن السلطان وكان بصحبته مترجم يهـودى ، كان يعمل فى خدمته ، استعان به أيضا المندوب الفرنسى حينما أراد التعبير عن شكره لهذا الاستقبال (٥٤) .

ويلاحظ كذلك أن أغلب المعلومات المتوافرة لدينـا حـول المستخدمين اليهود فى عصر المماليك الجراكسة تتعلق ببعض اليهود ممن عملوا فى مجال الادارة المالية . فقد جاء فى أحد المصـادر المعاصرة اشارة الى يهودى كان يعمـل صيرفيـا بالاصطبـلات الشريفة (٥٥) ، وهناك اشارة أخرى تتحدث عن يهودى آخر كان يعمل صيرفيا فى ديوان السلطان نفسه (٥٦) ، وقد أكد هـذه الحقيقة المستشرق الفرنسى آشتور فى كتابة عن تاريخ اليهود ، وذكر أن هناك الكثير من اليهود الذين كانوا يعملـون فى الادارة المالية لدى سلاطين المماليك (٥٧) .

---

(٥٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٢٦٩ ؛

(٥٥) السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ١ ، ص ٣١٦ ؛
Ashtor, History of the Jews, II, p. 177.
موضوع الاصطبلات الشريفة تتمثل فى مباشرة اصطبلات السلطان والتحدث فى أنواع الخيول والبغـال والدواب والجمال السلطانية ، وعليقها وعدتها ، ومالها من الاستعلامات والاطلاقات ، وكل ما يبتاع لها أو يباع فيها ، وأرزاق المستخدمين بها ونحو ذلك ، انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٢ .

(٥٦) الديوان السلطانى أو الديوان الخـاص بالنظـر فى أموال السـلطان والتحدث فى جهاته ومضافاته ، انظر القلقشـندى ، صـبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٥٣ ؛ السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٥ ، ص ٢٨٧ .

(٥٧) Ashtor, History of the Jews, II, p. 177.

ويفهم ايضا من الفتاوى التى أصدرها فقهاء مصر فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى أنه كان يعهد بالاشراف على موارد الدولة المملوكية الى اليهود الذين كانوا يتولون الاشراف على نظام الالتزام ، فقد جرت العادة أن تعهد الدولة لمن يتقدم لها مبلغا كبيرا من المال بمهمة جمع بعض الأموال لفترة محدودة ، وكان وزراء العصر المملوكى يعهدون احيانا بحقوق هذا الالتزام الى آخر يطرح مبلغاً أكبر حتى ولو كان ذلك فى أثناء فترة الالتزام الأول الذى تم الاتفاق عليه ، ومن المعروف أن الالتزام كان يعد بالنسبة لليهود مصدراً مهماً من مصادر الرزق لأن الملتزمين كانوا يقومون فى أغلب الأحيان بتشغيل يهود آخرين كمستخدمين لديهم ، ومن هنا كان حرص الفقهاء على أن يكون التنافس بين أبناء مختلف الطوائف مشروعا حتى تسير أمور الالتزام كما ينبغى ، وقد شدد هؤلاء الفقهاء على ضرورة احترام الاتفاقيات المبرمة وحرصوا بأنه اذا أبرم أحد اتفاقا مع دولة المماليك فلا يجوز أن يأتى يهودى آخر ويتقدم بسعر مرتفع ليستولى على حق الطرف الأول (٥٨) .

ولدينا كذلك بعض المعلومات عن قيام بعض اليهود بجباية المكوس (٥٩) فى الاسكندرية وعن قيامهم بجباية المكوس على

---

(٥٨) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 177-178.

(٥٩) المكوس جمع مكس ، وفى مصطلح مؤرخى مصر الاسلامية كل ما تحصل من الاموال لديوان السلطان أو لاصحاب الاقطاعات ، أو لموظفى الدولة ، خارج عن الخراج الشرعى ، وقد عرفت هذه الاموال فى مصر باسم المكوس منذ الدولة الفاطمية وأنواعها ما كان يؤخذ فى الثغور البحرية والبرية على المتاجر الآتية من الخارج ، وما كان مقررا بالقاهرة والفسطاط على مختلف المحاصيل مثل حقوق ساحل الغلة التى كانت عبارة عن ضريبة تفرض على القمح ، ونصف السمسرة وهى عبارة عن مكس يجمع من كل سمسار أو دلال ، وكانت هناك =

التوابل ، ومن المعروف انه فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى كان هناك الكثير من اليهود ممن عملوا فى جباية المكوس (٦٠) .

وعمل اليهود ايضا فى دار السكة (٦١) بمدينة القاهرة ، ويفهم مما ذكره المقريزى ان هذه الدار كان يشرف عليها فى العصر الفاطمى قاضى القضاة (٦٢) ، كما اكد على هذه الحقيقة القلقشندى الذى أشار ايضا الى ان الوضع استمر على هذا المنوال بعدها بقليل (٦٣) ، حتى بداية العصر المملوكى حيث عهدت دولة المماليك بادارة دار سك النقود فى القاهرة والأقاليم الأخرى

= رسوم ترخيص اجبارية على الحمامات والحوانيت والمطاحن والمخابز وغيرها يطلق عليها الأموال الهلالية أو المال الهلالى ، وهناك مكس معدية الجسر بالجيزة وغيرها ، انظر المقريزى ، الخطط ، ج ١ ، ص ١٠٣ ، ١١ ؛ ج ٢ ، ص ١٢١ ـ ١٢٤؛ السلوك ، ج ١ ، ص ٢٦٧ هامش (٤) ؛ الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٥ م ، ص ٨٨ ؛ هامش (١) ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ج ٣ ، ص ٤٦٨ ، ٤٧١ ؛
Rabie (H.), The Financial System, pp. 101-104.

(٦٠) Ashtor, History of the Jews, II, p. 177.

(٦١) المقصود بالسكة هى الختم على النقود المتعامل بها بين الناس بطابع من حديد ينقش عليه اسم الخليفة ، وتعد السكة من شارات الخلافة ، بل من شارات الملك على الاطلاق ، وهى كما يقول ابن خلدون « ... ضرورية للملك اذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس فى النقود عند المعاملات » ، انظر ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ط (٥) بيروت ١٩٨٤م ، ص ٢٦١ ؛ احمد عبد الرازق ، الحضارات الاسلامية ، ص ٥٠ .

(٦٢) المقريزى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٤٤٥ .

(٦٣) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٦٦ .

الى كبار المستخدمين ، فسار الحال على هذا المنوال حتى عصر السلطان الظاهر بيبرس في القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى (٦٤) .

أما القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى فقد انتقلت ادارة دار سك النقود المركزية الى الادارة السلطانية المتمثلة في ناظر الخاص (٦٥) وفى عهد المماليك الجراكسة عهد بهذه الوظيفة احيانا الى ناظر الخاص او الى أحد الاشخاص ، فقد جاء في أحداث سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م ان السلطان الغورى سلم دار الضرب الى شخص يدعى جمال الدين ، فلعب في أموال المسلمين وأتلف المعاملة وسبك ذهب السلاطين ، حتى أنه أصبح لا يحصل أى من الناس على درهم أو دينار ، فلما شنق جمال الدين خلع السلطان الغورى على المعلم يعقوب اليهودى وقـراره فى دار الضرب ، فسار على منوال سابقه طوال فترة حكم الغورى (٦٦) ، واخذ يغش فى العملة وقام بخلط الفضة بنسبة كبيرة من النحاس تزيد عن المقرر ، بحيث أن العملة كان يظهر غشهـا فى يـوم

---

(٦٤) المقريزى ، السلوك ، ج ١ ق (٢) ، ص ٥٠٨ ؛
Ashtor, History, of the Jews, II, p. 178.

(٦٥) ناظر الخاص هو الذى ينظر فى خاص أموال السلطان ، انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٥ .

(٦٦) ابن طولون ، مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان ، القسم الثانى ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ١٩٦٤ م ، ص ٥ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٨٩ .

صدورها نفسه عن دار الضرب ، وبالتالى كانت قيمتهـا تقل ، الأمر الذى أدى الى الاضطراب والانهيار الاقتصادى (٦٧) .

ومع هذا فقد اشار المستشرق الفرنسى آشتـور الى ان الوثائق التى ترجع الى العصر المملوكى قد خلت تماما من الاشارة الى اى من اليهود حتى هؤلاء الذين اعتنقوا الاسلام ، ممن عملوا فى دار سك النقود (٦٨) . ومن الواضح أن هـذا المستشرق اليهودى قد جانبه الصواب بصدد هذا الموضوع لأن المصادر المملوكية تضمنت العديد من المعلومات عن بعض اليهود ممن عملوا فى أواخر عصر المماليك فى ادارة دار الضرب بالقاهرة ، فقد جـاء فى احداث عام ٩١٨ هـ / ١٥١٢ م ان السلطان الغورى خلع على المعلم يعقوب اليهودى وقرره متحدثا على دار سك النقود ، كما كان ابن نصر الله ، فالبسه كاملية (٦٩) صوف أزرق ، ونزل من القلعة وهو فى غاية العظمة (٧٠) .

وجدير بالذكر أن بعض فقهاء العصر المملوكى قد حذروا من تولية الصيارف فى بيت المال من بين أهل الذمة كالسبكى الذى

---

(٦٧) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٨٩ ؛ عبد الرحيم عبد الرحمن ، دور اليهود فى اقتصاديات دمياط فى القرن السادس عشر ، مجلة كليـة الاداب جامعة القاهرة ، عدد خاص ٥٧ ، ابحاث ندوة تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى ١٥١٧ ــ ١٧٩٨ م ، ١٩٩٢ ، ص ٣٧٢ .

(٦٨) Ashtor, History of the Jews, II, 178.

(٦٩) الكاملية وجمعها كوامل ، نوع من الملابس الخارجيـة كالعبـاءة انظر :
Dozy, Supplément aux dictionnaires, pp. 489-490 ; Asytor, L'évolution des Prix dans le Proclie orienta la basse-époque, JESHO, IV Part (1), 1961, p. 41.

(٧٠) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٢٨٣ .

ذكر : « ... انه لا يجوز ، واكثر الصيارف يخلطون فيصيرون عامة اموالا الخلق جراما » (٧١) .

كما اشارت وثائق الجنيزة الى يهودى آخر من طائفة القرائيين كان يعمل صرافا لدى أحد سلاطين (٧٢) المماليك (٧٣).

خلاصة القول أن اليهود فى عصر سلاطين المماليك شغلوا عدة وظائف مهمة فى مجال الطب ، وفى الجهاز الادارى والمالى ، كما عمل بعضهم فى بلاط بعض سلاطين المماليك وفى وظائف شتى .

---

(٧١) السبكى ، معيد النعم ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٧٢) لم يذكر اشتور اسم هذا السلطان .

(٧٣) Ashtor History of the Jews, II, pp. 171-172.

الفصل الثالث

مدى التزام اليهود بالشروط العمرية
موقف الدولة من ذلك

رغم حرص سلاطين المماليك على إثبات التزامهم بالعدالة تجاه أهل الذمة من يهود ونصارى عملا بتعاليم الدين الاسلامى (١) ، لقوله ﷺ : « من قذف ذميا حد له يوم القيامة بسياط من نار » (٢) ، وقوله أيضا : « من آذى ذميا فقد آذانى » (٣) ، وقوله كذلك : « من ظلم معاهدا أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا خصمه يوم القيامة » (٤) . كما قال عمر بن الخطاب فى كتابه الى عمرو بن

---

(١) قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٦٤ ؛ اليهود فى مصر ، ص ٥٣ .
(٢) لم يرد هذا الحديث فى الصحيحين الا انه ذكر فى الجامع الصغير للسيوطى ، انظر السيوطى ، الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ١٣٠٦ هـ ، ج٢ ، ص ١٦٢ .
(٣) السيوطى ، الجامع الصغير ، ج ٢ ، ص ١٤٠ .
(٤) ابو داود ، سنن أبو داود ، تعليق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة بدون تاريخ ، ج ٣ ، ص ١٧٠ ، ١٧١ .

العاص فى أثناء ولايته على مصر مشيرا الى الحديث السابق ذكره : « ان معك اهل الذمة والعهد فاحذر يا عمرو أن يكون رسول الله خصمك (٥) .

ومع ذلك فقد مارس بعض سلاطين المماليك على أهل الذمة ضغوطا شتى اما ارضاء لنزعة دينية لديهم وإما لرغبة منهم فى الظهور بمظهر حماة الدين الاسلامى ، أو مراعاة لمشاعر العامة او ارضاء لرجال الدين المسلمين ذوى النفوذ الواسع آنذاك (٦).

فقد فرضت على أهل الذمة بعض القيود ، تضمنت ما اصطلح على تسميته « بالعهد العمرى » أو « الشروط العمرية » (٧) ، وهى تنقسم الى قسمين مستحق ومستحب ، أما المستحق فيضم ستة شروط :

— عدم ذكر الاسلام بذم له أو قدح فيه .
— عدم ذكر الله بطعن له أو تحريف فيه .
— عدم ذكر الرسول بتكذيب له أو ازدراء .

---

(٥) على عبد الواحد وافى ، حقوق الانسان فى الاسلام ، ط (٥) ، القاهرة ١٩٧٩ م ، ص ٢٢ ؛ المساواة فى الاسلام ، القاهرة ١٩٦٥م ، ص ٣١ ، ٣٢ ؛ شعبان محمد عبد الله ، موسى بن عزرا وأثره فى نقد الشعر والنثر ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٦م ، ص ١٣ .

(٦) قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٦٤ ؛ اليهود فى مصر ، ص ٩٣ .

(٧) ابن قيم الجوزية ، شرح الشروط العمرية مجردا من كتاب احكام اهل الذمة ، تحقيق صبحى الصالح ، ط (١) دمشق ١٩٦١م ، الفصل الاول وما بعده ؛

Tritton, Islam and the Protected Religions, TRAS, I, 1927, p. 479.
Doris, Locations of Non-Muslim Quarters in Medieval Cairo AI, XXII, 1986, p. 124.

ـــ الا يصيبوا مسلمة بزنا أو باسم نكاح .

ـــ الا يفتنوا مسلما عن دينه أو يتعرضوا لماله أو دمه .

ـــ الا يعينوا اهل الحرب ...

وهذه الشروط ملزمة فاذا نقضوها نقض عهدهم (٨) ، ومع ذلك فقد وجدت بعض الحالات التى تجرا فيهـا البعض عـلى شخصية الرسول ﷺ (٩) وكان هؤلاء يعرضــون على قضـاة المسلمين ممن ينتمون الى المذهب المالكى ، الذى يفرض فى حالة المساس بشخصية الرسول (ﷺ) عدم الأخذ بمبدأ التوبة على عكس ما تتجه اليه بقية المذاهب الأخرى ، وتؤكد المصادر العربية أن قضاة المالكية كانوا يتشددون فى أحكامهم المتعلقة بهذا الأمر اساسية ومهمة لحامية الاسلام (١١) .

ونظرا لخطورة التهم لم يكن لنواب القضاة صلاحية الفصل فى القضايا من هذا النوع من تلقاء انفسهم بل كانوا يرفعونها الى قاضى القضاة باستثناء حالات نادرة نظرها نواب القضاة ، وكانت الدولة المملوكية ترى فى التشدد فى الحكم على المارقين ضرورة اساسية ومهمة لحامية الاسلام (١١) .

(٨) الماوردى ، الاحكام السلطانية ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ ؛ النويرى ، نهاية الارب ، ج ٨ ، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ ؛ قاسم عبده اهل الذمة ، ص ٢٦ ؛
Gril, Une émeute anti-Chrétienne à Qûs, p. 257.

(٩) ابن تيمية ، الحسبة ، ص ٣٧ ، ٣٨ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب فى اخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٦٦ م ، ج ٧ ، ص ٩٦ ، ابن اياس بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ١٨٠ ، ١٨١ .

(١٠) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ، ص ٤٠١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ط (١) ، ١٩٦٦م ، ج ١٤ ، ص ٢٧٣ .

(١١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٨١ .

وكانت العقوبة المعتادة فى مثل هذه التهم القتل عن طريق قطع الرأس علانية وأمام الشهود من العامة والوجهاء فضلا عن القضاة ونوابهم ، وبعد ذلك تحرق جثة المارق ويعلق رأسه على رمح يدار به على الأحياء المجاورة مع المنادة عن الجريمة المقترفة والحكم الصادر ضدها (١٢) .

ومع ذلك فيستشف من المصادر المملوكية أنه تمت محاكمة بعض أفراد أهل الذمة أمام القضاء الاسلامى بتهمة الاساءة الى شخصية الرسول (ﷺ) وقد عرض عليهم التحول الى الاسلام مع رفع العقوبة عنهم غير أن معظم هؤلاء لم يرضوا بهذا الاختيار وفضلوا عقوبة الموت (١٣) .

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن الشروط العمرية المستحقة ان نشير هنا الى جريمة الزنا ، فقد انتشر الزنا فى عصر سلاطين المماليك ، كما وجدت البغايا اللائى كن يسمين بنات الخطأ والخواطىء (١٤) ، وقد كثر عددهن فى الديار المصرية على عصر سلاطين المماليك ، وكان لهن لباس خاص يعرفن به ، وهو لبس الملاءات والطرح وفى أرجلهن سرافيل من أديم أحمر (١٥) وقد

---

(١٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١٢٢ ، ٢١٠ .

(١٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٢٨٦ .

(١٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ١ ص ١٠٤ ، ١٠٥ ؛ احمد عبد الرازق ، المرأة فى زمن سلاطين المماليك ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٣٥ ؛
Abd Al-Raziq (A), La Femme Au temps des Mamlouks en Egypte, Le Caire 1973, p. 79.

(١٥) المقريزى الخطط ، ج ٢ ، ص ٩٦ ؛ احمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ٣٥ ؛

أعترفت الدولة بهن وفرضت عليهن ضرائب مقررة (١٦) وجمعت من هذه الضرائب على حد زعم المؤرخ ابن تغرى بردى « جملة مستكثرة » (١٧) ، كما جعلت الدولة الملوكية للبغايا ضامنة عرفت باسم ضامنة المغانى ، تذهب اليها محترفة البغاء لتسجيل اسمها عندها . وكانت هذه الضامنة تتعهد بدفع مال الى الدولة فى مقابل أن تتولى جمع ضريبة المغانى ، التى كانت تجمعها من النساء البغايا فى مقابل أن تحميهن الدولة (١٨) . وهكذا انتشر البغاء فى مصر زمن سلاطين المماليك ، ووقفت البغايا بالأسواق تحت أعين المارة (١٩) .

وقد حاول السلطان الظاهر بيبرس أن يحد من البغاء فى البلاد ، فابطل المكوس المقررة على البغايا ، ومنع البغاء فى القاهرة وسائر البلاد ، كما حبس البغايا حتى يتزوجن ، وأمر بألا تزيد مهورهن عن اربعمائة درهم يعجل منها مئتان رغبة فى تيسير زاوجهن (٢٠) .

---

(١٦) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (١) ص ١٥٠ ، ١٥٢ ؛ عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢٢٧ ؛ احمد عبد الرازق ، المراة ، ص ٣٦ ؛

(١٧) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٤٧ ؛ احمد عبد الرازق ، المراة ، ص ٣٦ ؛
Abd Al-Raziq, La Femme, pp. 79-80.

(١٨) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ق (٢) ، ص ١٠٢٨ ؛ احمد عبد الرازق ، المراة ، ص ٣٦ .

(١٩) احمد عبد الرازق ، المراة ، ص ٣٦ .

(٢٠) المقريزى ، السلوك ، ج ١ ق (٢) ، ص ٥٧٨ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٢٩٩ هـ ؛ احمد عبد الرازق ، المراة ، ص ٣٦ .

والزنا عند فقهاء الاسلام من الجرائم التى لا تغتفر لا سيما اذا حدث الزنا بين رجل ذمى وامرأة مسلمة (٢١) ، اذ ان مثل هذه الحوادث كثيرا ما كانت تحدث من فترة الى اخرى ، ويلاحظ فيها أن تطبيق الحد كان يتم بكل شدة على الذمى فى حين كان يتم التساهل فى عقوبة المرأة المسلمة ، فى سنة ٧٣٥ هـ / ١٣٣٤ م ضبط أحد اليهود يزنى بامرأة مسلمة من طبقة المماليك ، فحكم عليها بالسجن فقط وحكم على اليهودى بالقتل ، وبعد قتله حرقت جثته وصودرت أملاكه (٢٢) .

وفى سنة ٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م ضبط فى القاهرة ذمى وامرأة مسلمة فى واقعة زنا ، فحكم برجم الاثنين ثم حرق الذمى ودفنت المرأة (٢٣) . ولدينا أيضا بعض المعلومات بصدد وقوع الزنا بين أهل الذمة أنفسهم ففى عام ٨٤٤ هـ / ١٤٤٠ م نظر نائب القاضى الحنفى قضية يهودى متزوج ارتكب الفاحشة مع يهودية ، وقد عفى به بعض خواص السلطان حتى حكم القاضى برفع الرجم عنه ، بناء على مذهب الحنفية الذى يقضى بأن الكتابى المتزوج لا يرجم (٢٤) .

هذا ومن المعروف أن الشريعة اليهودية قد نهت عن الزنا لأنه رذيلة يجب الابتعاد عنها ، كما نصت على ضرورة عقوبة

---

(٢١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٣٦٥ ؛ النووى منهاج الطالبين ، ص ١١٧ ، ١١٢ ، ١٢٩ ، خليل بن اسحق ، مختصر خليل ، ص ٢٧٠ .

(٢٢) ابن الوردى ، تاريخ ابن الوردى ، النجف ١٩٦٩ م ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ .

(٢٣) السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢١٨ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ٥٧ .

(٢٤) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ١٢١١ .

الزانى بالقتل (٢٥) ، فقد جاء فى سفر التثنية « ... لا تكن زانية من بنات اسرائيل ولا يكن مأبون من بنى اسرائيل لا تدخل اجرة زانية ولا ثمن كلب الى بيت الرب الهك من نذر ما لانها كلهيما رجس لاله الرب الهك ... » (٢٦) .

اما فيما يتعلق بالعقوبات التى حددتها الشريعة اليهودية على الزانى فكانت تتمثل فى الرجم وهو عقوبة الزانى والزانية ، والحرق وتنفذ عقوبة الحرق بالنار عادة مع الزانى او الزانية ويكون ذلك أمام جماعة بنى اسرائيل (٢٧) .

اما فيما يتعلق بالقسم الثانى من الشروط العمرية اى القسم المعروف بالشروط المستحبة فكانت تشتمل ايضا على ستة شروط تمثلت فى :

— لبس الغيار (وهو الملابس ذات اللون المخالف للون ملابس المسلمين لتمييزهم عنهم) .

— الا تعلو ابنيتهم فوق أبنية المسلمين .

— الا تعلو اصوات نواقيسهم وتلاوة كتبهم .

— الا يجاهروا بشرب الخمر واظهار صلبانهم .

— أن يخفوا دفن موتاهم ولا يجاهروا بندب عليهم ولا نياحة.

— أن يمنعوا من ركوب الخيل ولا يمنعوا من ركوب البغال والحمير .

---

(٢٥) الفت جلال ، العقيدة الدينية والنظم التشريعية عند اليهود كما يصورها العهد القديم ، القاهرة ١٩٧٤ م ، ص ٧٤ .

(٢٦) سفر التثنية ، الاصحاح الثالث والعشرون ، ١٧ ، ١٨ .

(٢٧) الفت جلال ، العقيدة الدينية ، ص ٧٤ .

وهذه الشروط الستة المستحبة لا تلزم بعقد الذمة ، ولا يكون ارتكابها نقضا للعهد ، وتؤلف هذه الشروط بقسميها صورة « العهد العمرى » أو « الشروط العمرية » (٢٨) .

وسواء أكان صحيحا أن هذه الشروط كانت منسوبة الى الخليفة عمر بن الخطاب أم الى الخليفة عمر بن عبد العزيز فانها كانت الأساس في فرض القيود على أهل الذمة (٢٩) .وكان على اليهود حسب الشروط الواردة فى هذا العهد الا تعلو ابنيتهم فوق ابنية المسلمين ومع ذلك ففى كثير من الأحيان لم تحترم هذا الشرط، بدليل أن المصادر المعاصرة للدولة المملوكية أو السابقة عليها أشارت الى تجاهل أهل الذمة لهذاالشرط ، وبخاصة فى الأماكن الجديدة التى لم يسبق لهم البناء عليها ، كما كان مسموحا لهم بترميم دور العبادة الموجودة بالفعل ، وكانت مثل هذه الترميمات تتم حينما يتولى الحكم سلاطين من المماليك اقل تعصبا ، ذلك لأنها كانت تتم تحت حماية هؤلاء المماليك (٣٠) .

---

(٢٨) الماوردى ، الاحكام السلطانية ، ص ١٤٥ ؛ الشيزرى ، نهاية الرتبة ، ص ١٠٦ ؛ ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ٩٩ ، ١٠٠ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٢٦ ، ٢٧ ؛ نريمان عبد الكريم ، معاملة غير المسلمين ، ص ٦٠ ؛

Gril, Une émeute Anti-Chrétienne à Qûs. p. 257.

(٢٩) فيليب خورى حتى ، تاريخ العرب ، م (١) ط (٣) ١٩٥٢م ، ص ٢٩٠ ، ٢٩١ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ١٥٥ ؛ عبد المنعم أحمد بركة ، الاسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين فى عصور التاريخ الاسلامى وفى العصر الحديث ، ط (١) الإسكندرية ١٩٩٠ م ، ص ١٨٨ .

(٣٠) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (١) ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

وقد كان اليهود غالبا ما يتقدمون الى السلاطين والأمراء طلبا بذلك ، فاذا تمت الموافقة عليه لم يكن يلتفت الى سبب تهدم هذه الدور الدينية ، وما اذا كانت سقطت من نفسها أم أنها خربت بيد احد ، واحيانا كان السلاطين يعطون الموافقة على ترميم جزء من هذه الدور ، واحيانا ما كانوا يوافقون على اعادة بنائه كاملا (٣١) ، ففى عام ٧٣١ هـ / ١٣٣٠ م اشتعلت النيران فى احدى الكنائس بالفسطاط وحصل النصارى على موافقة باعادة بناء الكنيسة بالكامل ، كذلك وافق السلطان الناصر على ترميم كنيسة النصارى الا أن النصارى استغلوا هذه الموافقة واقاموا بناء فخما فقام المسلمون بحرق هذه الكنيسة بالكامل (٣٢) .

ومن المعروف أن مثل هذه الترميمات أو عمليات البناء للدور الجديدة كانت تتم بناء على موافقة القضاة ، فضلا عن موافقية السلطان والأمراء الذين كانوا يمدونهم بالادوات اللازمة لذلك (٣٣) .

وكان البعض من اهل الذمة يسعون ايضا الى رشوة بعض القضاة فى سبيل الحصول على فتاوى تبيح لهم اجراء عملية الترميم المطلوبة كما زعم المستشرق آشتور (٣٤) ، مع أن طبقة المتعممين

---

(٣١) Ashtor, History of the Jews, II, 208-209.

(٣٢) المقريزى ، السلوك ، ، ج ٢ ق (٢) ، ص ٣٢٠ .

(٣٣) الذهبى ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق محمد أسعد طلس ، القاهرة ١٩٦٠م ؛ السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٧ ، ص ٢٣٣ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٧ ، ص ١٣١ ، ١٣٣ .

(٣٤) بالرجوع الى المصادر العربية المعاصرة لم نجد اشارة الى حدوث رشوة على الاطلاق كما زعم آشتور .

كانت تبذل دائما ما فى وسعها لمنع أهل الذمة من ترميم دور العبادة الخاصة بهم ، وكانت العامة تساندهم فى ذلك بالاضافة الى دورها الفعلى فى تخريب دور عبادة أهل الذمة (٣٥) .

لذلك كان السلطان المملوكى ينتدب من حين لآخر بعض كبار الأمراء وبصحبتم المحتسب والوالى وبعض قضاة الاسلام للتفتيش على دور عبادة أهل الذمة للكشف عما استجد فيها من بناء ، ولكن مثل هذه الحملات التفتيشية كانت تتم دائما بناء على تظلمات يتقدم بها بعض المسلمين (٣٦) .

وفى عام ٨٣١ هـ / ١٤٢٧ م عندما اشتد الخلاف حول ما احدثه اليهود من بناء حول أحد معابدهم أرسل السلطان الأشرف برسباى ناظر الأوقاف وبصحبته بعض القضاة لكشف ذلك ، وانتهى الأمر بالحكم بهدم ما استجد ، وصدر الأمر الى الوالى بتنفيذ الهدم ليلا خوفا من العامة (٣٧) ، مما يؤكد أن العامة كانت تجد فى مثل تلك الامور فرصة للسلب والنهب ، ويدل أيضا على أن سلاطين المماليك والقضاة قد ادركوا ذلك وعملوا على منعه .

وفى عام ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م توجه المحتسب ومعه القاضيان الشافعى والمالكى فى جماعة من الناس ، الى معبد اليهود بقصر الشمع فوجدوا منبرا يضم ثلاث عشرة درجة يبدو عليها الترميم

---

(٣٥) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (١) ، ص ١٨٢ .

(٣٦) المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ق (٢) ، ص ٥١٨ .

(٣٧) ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ٣ ، ص ٣٩٨ ، ٣٩٩ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٨٢ .

الحديث ، وبينما كانا يتشاوران فى أمرها ، اكتشف فوق الدرجة التى يقفان عليها نقشا مازالت آثاره باقية ، وقد طالب القاضى الشافعى بفحص هذه الكتابة ، فاذا بها اسمان : احمد ومحمد وثار خلاف بين القضاة حول ما يجب اتباعه ازاء ذلك ، فرأى البعض معاقبتهم ، على حين اكتفى آخرون بهدم المنبر ، وفى العام التالى عوقب اثنان من يهود المعبد بسبب ذلك بالموت (٣٨) ، ثم تولى الشيخ امين الأقصرى مهمة تحديد اماكن عبادة اليهود ، واغلق العديد من هذه الأماكن مؤقتا باغلاق أبوابها الى أن يتم تجديد وضعها بعد ذلك (٣٩) .

وفى عام ٨١٦ هـ / ١٤٥٦ م دبت الحياة مرة أخرى فى دور العبادة الخاصة بأهل الذمة ، ووفقا للوثيقة المحفوظة فى ارشيف الطائفة اليهودية القرائية فى القاهرة التى تام بنشرها ريتشارد جوتهل ، فقد الغيت بعض أوامر التفتيش على دور عبادة أهل الذمة فى ذلك العام ، وكان ذلك قبل تولى السلطان اينال (٤٠) .

ومنع اهل الذمة ايضا من عدم تعلية دورهم على دور جيرانهم المسلمين ومن حمل السلاح (٤١) . فقد كان من بين مهام رؤساء أهل الذمة التى لا يمكن التجاوز عنها (٤٢) .

(٣٨) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٢٠ ، ٣٦٠ ؛ قاسم عبده أهل الذمة ، ص ٨٣ ؛
Cohen, Jews in the Mamluk Environment, p. 426.

(٣٩) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣١ ؛
Cohen, Jews in the Mamluk Environment, p. 430.

(٤٠) Cohen, Jews in the Mamluk Environment, p. 430.

(٤١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٢ ، ص ٣٦٢ ، ٣٦٣ ؛ ابن طلحة ، العقد الفريد ، ص ١٨١ .

(٤٢) ابن عبد الظاهر ، تشريف الايام والعصور ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ ؛ العمرى ، التعريف بالمصطلح الشريف ، بيروت ١٩٨٨م ، ص ١٤٤ .

وهناك رأيان فقهيان فى مسألة عدم السماح لأهل الذمة ببناء ابنية تعلو على ابنية المسلمين المجاورة لهم ، أولهما يقضى بحظر ذلك ، والآخر يقضى بحظر ابنية مساوية لبيوت المسلمين المجاورة لهم ، وقد كان الفقهاء القدامى يميلون الى الاخذ بالرأى الأول (٤٣) ، غير انه فى العصور الوسطى المتأخرة تشدد الفقهاء فى ذلك ومنعوا أهل الذمة من بناء المنازل المساوية فى الارتفاع لمنازل المسلمين (٤٤) ، ولكن حتى هؤلاء المتشددون كانوا يعترفون بان من حق أهل الذمة الاحتفاظ بالمنزل الذى يعلو على منازل المسلمين ، اذا كان قد أشتراه من مسلم ، أما فى حالة انهيار هذا المنزل فكان محظورا عليه عند اعادة البناء تجاوز الارتفاع المنصوص عليه (٤٥) ، بدليل ما حدث فى عام ٧٠١ - ١٣٠١ م عندما منع أهل الذمة من بناء منازل تعلو على منازل المسلمين ، وما حدث ايضا فى عام ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م عندما اتخذت الدولة موقفا أكثر تشددا ، وقامت بمنع أهل الذمة من بناء منازل مساوية فى الارتفاع لمنازل جيرانهم من المسلمين (٤٦) .

وقد وصل الحال فى بعض الأحيان الى منع اليهود من ترميم منازلهم اذ يوجد لدينا مرجع مسيحى يرجع الى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى جاء فيه ان المسلمين كانوا يحظرون

---

(٤٣) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٤٦ .

(٤٤) النووى ، منهاك الطالبين ، ص ١٢٢ .

(٤٥) Kofler (Hans), Handbuch des Islamichen Staats-und verwaltung Srechtes von Badr-Ad-Din Ibn Gama ah, Islamic, VI, Leipzig, 1934, p. 349.

(٤٦) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٣٨٤ .

على اليهود أحياناً القيام بترميم منازلهم الآيلة للسقوط (٤٧) ، ومع ذلك فقد أشارت المصادر العربية الى أن سلاطين المماليك لم يستغلوا « الشروط العمرية » فى الاساءة الى اهل الذمة ، كما جاء ايضا فى مجموعات الفتاوى لربانى مصر فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، التى يفهم منها انه سمح ببناء المنازل وأن بعضهم كانوا يمتلكون المنازل التى تصرفوا فيها بالبيع والشراء مع بعضهم البعض ، ومع غيرهم من افراد المجتمع المصرى زمن سلاطين المماليك (٤٨) .

ويستشف من هذه الفتاوى ايضا انه كان يسمح لليهود بشراء الأراضى فى مصر ، وأن بعضهم كانوا من ملاك الأراضى ، وان هذه الأراضى آلت اليهم عن طريق الميراث ، وأن بعضها الآخر انتقل عن طريق المنح والعطايا ، وأن جميع الأحكام المتصلة بنقل ملكية الأراضى من غير اليهود الى اليهود ، فضلا عن القضايا المتصلة بملكية اليهود للأراضى ، كانت تعرض امام مجالس القضاء الاسلامية (٤٩) .

وتتحدث الوثائق اليهودية كذلك عن منزل كان يقع فى حارة بحى زويلة بالقاهرة ويعرف بمنزل أشجار النخيل كان يطل على الطريق العام ، ويمتلكه خمسة أخوة من اليهود قاموا ببيعه الى أحد أمراء المماليك (٥٠) .

---

(٤٧) Kabatik (Martin), Beschreibung der Stadt Jerusalem und ihrer umegbung, ZOPV, Band XXI, Leipzig, 1898, p. 57.

(٤٨) Ashtor, History of the Jews, II, p. 220.

(٤٩) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣٦ ، ٣٨ ؛ ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٤١ ، ٤٢ ؛ وعن امتلاك اليهود للأراضى انظر مجموعة وثائق دير سانت كاترين مرسوم رقم ٤٦ ، ٤٩ ، وثيقة بيع رقم ٢٥٥ ، ورقم ٢٩٥ .

(٥٠) Goitein, A Mediterranean Society, Daily Life, London, 1983, IV, p. 80.

ويستشف ايضا من احدى الوثائق العربية الخاصة بطائفة القرائين بالقاهرة المؤرخة بسنة ٨٣٩ هـ / ١٤٤٠ م أن احد اليهود يدعى زين الدين عبد الكافى بن علم الدين الشهير بالداوؤدى ابتاع منزلا بحارة زويلة ، وقد شهد على عقد البيع اثنان من المسلمين هما على بن حسن القاهرى وعلى بن محمد (٥١) ، مما يؤكد على أنه كان مسموحا لليهود بامتلاك وشراء الأراضى فى مصر ؛ كما يشير أيضا الى حسن العلاقات السائدة بين المسلمين واليهود بدليل وجود شهود من بين المسلمين على هذا العقد

اما فيما يتعلق بدور عبادة اليهود فيفهم من مصادر العصر المملوكى أن بعض حجرات منازل اليهود كانت تخصص لغرض العبادة (٥٢) ، ويستشف كذلك من وثائق الجنيزة التى ترجع الى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى أنه فى الحالات التى كانت تقتضى فيها الضرورة القيام بترميم احد المعابد القائمة بالفعل فان اليهود كانوا يقومون بذلك بحذر شديد ، وأنهم كانوا ينتهزون اللحظة المناسبة لتقديم طلبهم الى الدولة المملوكية ، وبعد صدور الموافقة على هذا الطلب كانوا ينفذون ما ورد فيه بكل دقة (٥٣) .

اما بخصوص ملابس اليهود (٥٤) فقد الزم القسم الخاص بالشروط المستحبة من الشروط العمرية اهل الذمة بلبس الغيار ،

---

(٥١) Richards (D.S.), Arabic Documents from the Karaite Community in Cairo, JESHO, XV, 1972, pp. 152-153-154.

(٥٢) المقريزى ، الخطط ، ج ٣ ، ص ٥١٩ .

(٥٣) Ashtor, History of the Jews, II, p. 210.

(٥٤) وسوف نتحدث فى الباب الرابع الفصل الاول عن ملابس اليهود بالتفصيل .

ومن المعروف أن هذا الشرط لم يطبق الا فى فترات متقطعة من عصر سلاطين المماليك ، حيث حرم عليهم أحيانا لبس الفراجى والجبب بالأكمام الواسعة كهيئة قضاة الاسلام (٥٥) ، كما اشترط فى ثيابهم أن تكون قصيرة وغير طويلة (٥٦) ، وفرض عليهم أيضا تصغير العمائم بحيث لا يزيد طول عمامة احدهم عن عشرة أو سبعة أذرع (٥٧) ، مع تلوين هذه العمائم باللون الأزرق للنصارى والأصفر لليهود والأحمر للسامره (٥٨) . وأن تلبس المرأة إزارا من اللون نفسه وخفين أحدهما أبيض والآخر اسود (٥٩) .

والواقع أن ارتداء اليهود للون الأصفر لم يكن يمثل أى تحقير لمن يرتديه ، لأنه سبق للرسول (ﷺ) والخلفاء الأول أن ارتدوا الملابس الصفراء (٦٠) ، كما ارتدى صلاح الدين الأيوبى عمامة وسترة صفراء (٦١) .

---

(٥٥) ابن حجر ، أنباء الغمر ، ج ٣ ، ص ١٤١ ؛ عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢١٦ .

(٥٦) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

(٥٧) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣٠٦ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ، ص ٤٠٧ .

(٥٨) السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ .

(٥٩) ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ٩٤ ــ ٩٦ ؛ ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ؛ قاسم عبده ، اهل الذمة ، ص ٧٤ ، ٧٥ ؛ اليهود فى مصر ، ص ٧٣ .

(٦٠) ابن الهمام ، شرح فتح القدير ، ط (١) بولاق ١٣١٦ هـ ، ج ١ ، ص ٣١٣ .

(٦١) أبو شامة ، الروضتين فى اخبار الدولتين ، مطبعة النيل ، القاهرة ١٢٨٨ هـ ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ .

وقد روى كثير من حجاج أوربا الذين كانوا يذهبون الى الاماكن المقدسة عبر الاراضى المصرية زمن سلاطين المماليك ان قانون العمائم التى كان يرتديها أهل الذمة والذى صدر فى عام ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م كان يطبق فى جميع انحاء الدولة المملوكية (٦٢).

كما اتفق هؤلاء على أن عمائم اليهود كانت صفراء اللـــون وعمائم النصارى كانت ذات لون أزرق كما جاء فى أقوال رحالـــة زار بلاد المشرق فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى، الذى كتب يقول ان عمائم المسلمين كانت بيضاء وعمائم اليهـــود صفراء وعمائم النصارى زرقاء وعمائم السامره حمـــراء (٦٣)، واكد هذه المعلومات ايضا الرحالة چون دى موند فيل (٦٤)، كما ذكر الرحالة اليهودى ميشولام أن اليهود كانـــوا يرتدون فـــوق رءوسهم عمائم صفراء فى جميع انحاء الدولة المملوكية (٦٥) وهو ما يؤكده ايضا رحالة ايطالى يهودى زار مصر فى عام ٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م (٦٦).

وتشير المراجع المسيحية التى ترجع الى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى الى ان المسلمـــين كانوا يرتدون عمائم بيضاء وأن عمائم النصارى كانت صفـــراء وعمائم اليهود كانت ذات لون أزرق مشرب بلون رمادى (٦٧)،

---

(٦٢) Ashtor, History of the Jews, II, 210.

(٦٣) انظر : Ashtor, History of the Jews, II, p. 211.

(٦٤) Wright (Thomas) Early Travels in Palestine, London, 1848, p. 183.

(٦٥) Adler, Jewish Travellers, p. 163.

(٦٦) Adler, Jewish Travellers, PP. 163-164.

(٦٧) Ashtor, History of the Jews, pp. 210-211.

اما الراهب يعقوب فقد ذكر ان المسلمين كانوا يرتدون عمائم بيضاء والنصارى عمائم سوداء (٦٨) .

ويبدو ان هذا التضارب الذى نجده احيانا فى كتابات الرحالة الاجانب بصدد الوان عمائم عصر السلاطين المماليك مرجعة الى التباس الامر على هؤلاء الرحالة الاوربيين لان الوان هذه العمائم كانت تتبدل فيما يبدو من وقت لآخر . فقد جاء فى خطاب بالعبرية ارسل من فلسطين بعد سقوط الدولة المملوكية بسنوات قليلة الى ان اليهود كانوا يرتدون عمائم خضراء (٦٩) ، مع ان العمائم الخضراء كانت خاصة بطبقة الاشراف فى المجتمع المصرى منذ عصر السلطان الاشرف شعبان الذى الزم جميع الاشراف بلبس العمائم الخضراء تمييزا لهم (٧٠) .

خلاصة القول ان القوانين الخاصة بالالوان المميزة لملابس اهل الذمة كانت ترسل الى كل انحاء الدولة المملوكية ليتم تنفيذها على الفور ، بدليل ما ذكره الرحالة الالمانى ارنولد فون هارف الذى زار مصر فى عام ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م من أن أهل الذمة من يهود ونصارى كانوا يرتدون العمائم وفقا للقانون السائد فى ذلك الحين (٧١) .

---

(٦٨) Liber, Peregrinations Fratris Jacobi De Verona, ROL, III, Paris, 1895, p. 211.

(٦٩) Ashtor, History of the Jews, II, p. 212.

(٧٠) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ١ ق (٢) ، ص ١٠٧ .

(٧١) Letts (M.), The pilgrimage of Arnold Von Harff, London, 1946, p. 113.

أما فيما يتعلق بالشرط الخاص بضرورة ارتداء أهل الذمة للمناطق (٧٢) ، التى تخالف تلك التى ترتديها المرأة المسلمة ، فيعد فى الواقع أقدم من الشرط الخاص بلون العمائم لأن المؤرخين العرب أشاروا الى أن الخليفة عمر بن الخطاب هو الذى استن هذا القانون ، كما شدد عليه كل من الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز والخليفة العباسى المتوكل (٧٣) ، وشدد على ارتدائه أيضا بعض قضاة المسلمين فى العصور الوسطى (٧٤) .

والمناطق جمع منطقة وهى تعنى الزنار (٧٥) ، وهو فى الأصل عبارة عن حبل غليظ ، غير أن أهل الذمة كانوا يتحايلون

---

(٧٢) المنطقة نوع من الأحزمة التى توضع حول الوسط ، ويكون غالبا من الذهب أو الفضة وأحيانا من الجلد أو القماش ، كما جاء فى دوزى أنه لا يجوز للرجل التحلى بالذهب والفضة الا فى ثلاثة مواضع هى الخاتم والمنطقة وحلية السيف انظر .

Dozy, Dictionnaire détaillé des noms des vétements chez les Arabes, Amsterdam, 1845, pp. 420-421.

والمنطقة اطلق عليها فيما بعد اسم حياصة ، وكان السلطان هو صاحب الحق الوحيد فى منح الأحزمة الى الأمراء العظام كجزء من ثيات التشريف وكان من المألوف أن ترصع بالأحجار الكريمة ، والحياصة هى القطعة الوحيدة من ملابس الرجال التى أباحتها الشريعة الاسلامية وسمحت بصنعها من الفضة أو الذهب انظر ماير ، الملابس المملوكية ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٧٣) الطبرى ، تاريخ الطبرى تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٧١ م ، ج ٩ ، ص ٧١ ، ٧٢ .

(٧٤) النووى ، منهاج الطالبين ، ص ١٢٢ ، ١٢٩ ؛ خليل بن اسحق مختصر خليل ، ص ٩٦ .

(٧٥) زنار جمعه زنانير وهو حزام أو وشاح تميز بلبسه أهل الذمة فى العصور الوسطى ، انظر :

Dozy, Dictiinnaire détaillé, pp. 196-198.

سعيد عاشور ، العصر المماليكى ، ص ٤٤٦ .

على ذلك ويصنعون المناطق المنسوجة من الحرير ، الأمر الذى حدا بأحد قضاة المسلمين الى أن يحدد سمك الحبل المستخدم فى هذا الزنار ، واشترط بأن يكون سميكا فى حجم الأصبع (٧٦) .

ويفهم من ابن الاخوة ايضا أنه كان لزاما على اليهـود أن يرتدوا عمائم صفراء ، أما النصارى فكـان لزامـا عليهم ارتداء الزنار (٧٧) ، كما روى الرحالة المغربى ابن سعيد فى منتصـف القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى أن النصارى كانوا يتميزون عن المسلمين بارتداء الزنار ، أما اليهود فكانوا يتميزون من خلال علامة صفراء على عمائمهم (٧٨) .

وحينما أوصى السلطان الناصر محمد بضرورة التشدد مـع أهل الذمة والزامهم بالشروط العمرية فى عام ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م نص على ضرورة التمييز بين المسلمين وأهل الذمة ، من حيث لون العمامة والزم النصارى فقط بضرورة ارتداء الزنار (٧٩) . أما فى سنة ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م فقد صدر مرسوم سلطانى بالزام جميع أهل الذمة بارتداء الزنار المصنوع من غير الحرير (٨٠) . ومع ذلك فقط لاحظ احد الرحالـة الذين زاروا مصر فى العصر المملوكى أن الفارق الوحيد المميز بين المسلمين وأهل الذمـة فى

---

(٧٦) ابراهيم بن شرف ، شرح الوقاية ، ص ٢٤٧ .

(٧٧) ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ٩٥ ، ٣٢٢ .

(٧٨) المقريزى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٣٦٧ .

(٧٩) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٩٨ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ١٣٢ .

(٨٠) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٣٨٤ .

الهيئة والملبس كان ينحصر فقط فى لون العمامة (٨١) . وعلى ذلك يمكن القول بأن باقى القيود التى فرضت على ملابس أهل الذمة لم تكن تنفذ ولم تكن ملحوظة بدرجة واضحة ، بدليل أن الرحالة الأوربيين الذين كانوا يهتمون بأدق التفاصيل لم يسجلوا لنا فى كتب رحلاتهم شيئا يذكر بصدد الاختلاف بين ملابس المسلمين وملابس أهل الذمة زمن سلاطين المماليك ، باستثناء ألوان العمائم .

كما فرضت الشروط المستحبة أيضا على أهل الذمة عدم ركوب الخيل وسمح لهم بركوب البغال والحمير ، وقد أكد على ذلك بعض مؤرخى العصر المملوكى اذ يذكر كل من مفضل بن أبى الفضائل والقلقشندى أن أهل الذمة كانوا يستخدمون الحمير فى تنقلاتهم بالاكف عرضيا أى من جهة واحدة (٨٢) . وأكد على هذه الحقيقة أغلب الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر زمن سلاطين المماليك ، فقد ذكر احد الرحالة اليهود ممن زاروا مصر خلال الثمانينيات من القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى أنه لم يكن مسموحا لأى يهودى أو نصرانى فى مصر بالسير راكبا داخل المدن حتى ولو كانت وسيلته الحمير ، لذلك كان اليهود والنصارى مضطرين الى ترك حميرهم خارج أبواب المدن (٨٣) ، كما روى الرحالة فليكس فابر الذى زار مصر فى أواخر العصر

---

(٨١) Dopp, Le Caire vu par les voyageurs occidentaux du moyen age, BSRGE, Tome 23, 1950, p. 129.
سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢١٧ .

(٨٢) ابن أبى الفضائل ، تاريخ سلاطين المماليك ، ص ١٩٦ ؛ القلقشندى صبح الاعشى ، ج ١٣ ، ص ٣٦٤ .

(٨٣) Adler, Jewish Travellers, p. 163.

المملوكى أنه كان محظوراً على اليهود والنصارى السير داخل المدن وهم راكبون الحمير ، بدون الحصول على اذن من السلطان وفى هذه الحالة فقط كان يسمح لهم بركوب الحمير واستخدامها فى تنقلاتهم داخل المدن (٨٤) .

وقد أمدتنا مؤلفات بعض فقهاء المسلمين التى وضعت فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى بتفسير لذلك، فقد جاء فيها أنه لم يكن مسموحا لليهود او النصارى بالركوب داخل المدن حتى ولو كانت وسيلة انتقالهم هى الحمير الا فى بعض الحالات الخاصة كالمرض وغيره وحتى فى مثل هذه الحالات كان لزاما عليهم الترجل من فوق الحمير اذا مر احدهما بأحد من المسلمين (٨٥) .

وقد سرى هذا الوضع أيضا على حجاج النصارى الذين كانوا يذهبون للحج فى فلسطين زمن سلاطين المماليك فقد كانوا ينتقلون من مدينة الى أخرى على ظهور الحمير ، كما كانوا يستخدمون فى أثناء زياراتهم لسائر أقاليم الدولة المملوكية الحمير والبغال (٨٦) .

هذا ومن المعروف أن ركوب الخيل فى العصر المملوكى اقتصر فقط على طبقة المماليك وعلى رجال البلاط ، وحسبنا دليلا على ذلك أنه فى السنوات الأولى من حكم المماليك الجراكسة أعلن فى

---

(٨٤) Félix (Fabri), Voyage en Egypte, p. 171.

(٨٥) ابن الهمام ، الفتح القدير ، ج ٤ ، ص ٣٨٠ ؛ النووى ، منهاج الطالبين ، ص ١١٧ .

(٨٦) Ashtor, History of the Jews, II, p. 214.

القاهرة مرات عديدة أنه من غير المسموح لأحد فى المدينة بركوب الخيل عدا قادة الجند (٨٧) . ومثل هذه الأوامر المتغيرة بين الحين والآخر تقدم لنا الدليل على أن هذه الأوامر لم تكن تنفذ بصورة صارمة فى معظم الأحيان ، بدليل أننا نقرأ فى أحداث سنة ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م أن المماليك كانوا يقفون فى شوارع القاهرة وينزلون العامة من فوق خيولهم ولا يسمحون بذلك الا لكبار القادة ولرجال البلاط الملوكى فقط (٨٨) .

وقد ذكر آشتور أنه كان يسمح بركوب الخيل للمماليك فقط (٨٩) . وكان يسمح أحيانا بركوب الخيل لبعض كبار القوم من غير العسكر علامة على تمييزهم ، كما يفهم من كتابات بعض المؤرخين العرب (٩٠) .

وبالنسبة لمواريث أهل الذمة فقد أكدت أوراق البردى ووثائق ديرسانت كاترين فى سيناء وكتابات مؤرخى مصر الاسلامية ، وأ نمواريث أهل الذمة كانت تخضع لأحكام الشريعة الاسلامية ، وأن تلك المواريث كانت تعود الى أهل ملتهم فى حالة عدم وجود وارث للمتوفى (٩١) . ومع ذلك فان هذا لم يحدث دائما بدليل أن مرسوم السلطان الناصر محمد الذى أصدره فى أعقاب أحداث ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م ومرسوم السلطان الصالح

(٨٧) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ، ص ٢٦٤ .

(٨٨) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣١٤ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ، ص ٤١٨ .

(٨٩) Ashtor, History of the Jews, II, p. 217.

(٩٠) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ١٥٣ .

(٩١) سيده كاشف ، مصر الاسلامية وأهل الذمة ، ص ١٢٧ .

صالح بن محمد بن قلاوون الذى جدد المرسوم السابق قد انتزع من أهل الذمة هذا الحق (٩٢) ، وحددت الدولة المملوكية فى مرسوم عام ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م أن سلطة الأشراف على مواريث اهل الذمة يجب أن تكون من خلال الادارة الرسمية للدولة المملوكية ، طبقا لتعاليم الشريعة الاسلامية ، لذلك فان الورثة كانوا يحصلون على أنصبتهم طبقا للشريعة الاسلامية وما تبقى كان يذهب الى بيت المال (٩٣) باعتباره من المواريث الحشرية التى كانت تعد جزءا من بيت المال . ومن المعروف أنه كان للمواريث الحشرية ديوان خاص يختص بتركات من يموت ولاوارث له ، وأن عادة هذا الديوان جرت بأن يقوم كاتبه كل يوم بكتابة تعريف بمن يموت بمصر والقاهرة من رجال ونساء وأطفال ، ويهود ، ونصارى ، وتكتب منه نسخ لديوان الوزارة ، ولناظر الدواوين ومستوفى الدولة ، وكان هذا الديوان يغلق من وقت العصر ، فمن توفى بعد العصر كان يضاف فى الغد (٩٤) .

ومن المعروف أيضا أن هناك قاعدة أساسية فى الفقه الاسلامى تقول « لا يتوارث مسلم وكافر » وقد أضر هذا المبدأ بطبيعة الحال باليهود والنصارى الذين تحولوا الى الاسلام ، لذا أجاز بعض الفقهاء توريث المسلم لغير المسلم (٩٥) .

---

(٩٢) قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ١١٨ .

(٩٣) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٢ ، ص ٣٧٨ ، ٢٨٧ .

(٩٤) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٥٠٠ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٦٠ ، ٤٦٤ ، ج ١١ ، ص ٣٩٧ ، ج ١٢ ، ص ٤٢٥ ، ج ١٣ ، ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ ؛ ابن كثير ، البداية ج ١٤ ، ص ٢٥٠ .

(٩٥) النووى ، منهاج الطالبين ، ص ٧٦ ؛ خليل بن اسحق ، مختصر خليل ، ص ٢٩٥ ؛ آدم متز ، الحضارة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٤٤ .

وقد اختلفت الآراء الفقهية بشأن ميراث اهل الذمة من يهود ونصارى ، فأصحاب المذهب المالكى والمذهب الحنبلى يمنعان توارثهما ، اما أصحاب المذهب الشافعى والمذهب الحنفى فيقولان بأن اهل الذمة يعدون من طائفة واحدة ومن ثم فيمكنهم التوارث (٩٦) . وتجمع المذاهب الأربعة على أنه يجوز للمسلم ان يوصى ببعض ما له للنصرانى أو اليهودى (٩٧) .

وفى بعض الأحيان كانت الدولة تترك أمر تشريع مواريث أهل الذمة لرؤساء طوائفهم فكانوا يقومون بتوزيع الميراث طبقا لتشريعهم الدينى الخاص الذى ينص على أن اول من يرث الميت ولده الذكر ، واذا تعدد الذكور من الأولاد فللبكر حظ اثنين من اخواته ، ولا فرق بين المولد بنكاح صحيح أو غير صحيح من الاولاد فى المواريث ، اذ نص تشريعهم الدينى على ضرورة إعطاء كل منهم نصيبه بصرف النظر عن النكاح الذى ولد منه ، ولا يحرم البكر من امتيازه بسبب كونه من نكاح غير شرعى ، أما البنات فمن لم تبدأ منهن الثانية عشرة فلها النفقة والتربية حتى تبلغ هذه السن تماما ، وليس لها شىء بعد ذلك ، واذا لم يكن للميت ولد ذكر فميراثه لابن أبيه ، واذا لم يكن له ابن انتقل الميراث الى البنت فأولادها وهكذا ، ويرى القراءون (٩٨) أن يكون للبنت نصيب مع الولد ، سهمان للولد وسهم للبنت ، فاذا لم تكن له ذرية فميراثه لأصوله ، وأحق الأصول بميراث الميت أبوه وله كل التركة فان لم يكن له أب فجده ، واذا لم يكن له أصول انتقل الميراث الى

---

(٩٦) أبو عبد الله ، رحمة الأمة ، ص ٩٨ .

(٩٧) أبو عبد الله ، رحمة الأمة ، ص ١٠١ .

(٩٨) انظر الباب الثالث الفصل الأول .

درجات الأقارب الفرعية من الذكور (٩٩) ، وإذا كان هناك ميراث بغير صاحب كانوا يوظفونه لصالح الطوائف اليهودية (١٠٠).

وقد أفتى بذلك القاضي المالكي خليل بن اسحق الجندي المتوفى سنة ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م (١٠١) فذكر أنه يجب تسليم تركة الذمي لبني دينه الذين يعيشون معه (١٠٢) ، كما كانت مراسيم تعيين رؤساء طوائف أهل الذمة في مصر المملوكية تتضمن بعض النصوص الصريحة التي تدل على أنه من بين مهام هؤلاء الرؤساء الفصل في المنازعات التي تنسب حول الميراث بين أبناء طوائفهم (١٠٣) .

وفي بعض الأحيان كان البعض يلجأ إلى كتابة وصيته أمام مجالس القضاء الدينية لليهود ، وغالبا ما كان المورثون يشترطون في وصاياهم بأن يكون نفاذها بعد موتهم ، كما كانوا يحتفظون لأنفسهم بحق تغيير بعض نصوصها أو إلغاء البعض الآخر مادأموا أنهم على قيد الحياة (١٠٤) . وهذا القانون يتشابه في الواقع

---

(٩٩) احمد شلبي مقارنة الأديان « اليهودية » القاهرة ، ١٩٦٦ م ، ج ١ ، ص ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

(١٠٠) Ashtor, History, of the Jews, II, p. 223.

(١٠١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ١ ق (٢) ، ص ٤١ .

(١٠٢) خليل بن اسحق ، مختصر خليل ، ص ٩٦ ، ٢٩٥ .

(١٠٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٣٩٧ ، ٤٠٤ . ج ١٢ ، ص ٤٢٥ .

(١٠٤) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 232-233-234.

مع التشريع الاسلامى الذى ينص بدوره على حق الموصى فى تغيير او الغاء وصيته مادام انه مازال على قيد الحياة (١٠٥) .

ويستشف من بعض الفتاوى الخاصة بأوقاف اليهود انه كان يتم تخصيص جزء من الميراث لفقراء اليهود ، وجزء آخر لفقراء المسلمين ، ويفهم أيضا من بعض الفتاوى الأخرى التى ترجع الى نهاية العصر المملوكى انه كان يتم تخصيص جزء من الميراث لليهود وجزء آخر لفقراء مكة أو لفقراء الخليل (١٠٦) .

ويبدو أن اشراف رؤساء طوائف اهل الذمة من يهود او نصارى على مواريث بنى جلدتهم ظل سائدا طوال عرصرى السلطان برقوق وابنه فرج ، وأن احدا من المسلمين لم يعترض على تحويل تركة النصرانى الذى يموت ولا وارث له الى البطريرك ليتم استثمارها فى شتى امور الطائفة ، كما يستشف من خطاب أرسله امبراطور الحبشة الى السلطان برقوق (١٠٧) .

وفى عام ٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م طرأ تغيير مهم فى هذا الصدد فقد أخذ السلطان برسباى من رؤساء طوائف اهل الذمة حق تقسيم التركات وتم نقله الى ديوان المواريثبل وطبق ذلك عليهم بأثر رجعى كما طلب منهم تقديم ما يثبت ملكيتهم لأموالهم

---

(١٠٥) برهان الدين ابراهيم ، الاسعاف فى احكام الأوقاف ، بدون تاريخ ، ص ٣٠ ؛ محمد قدرى ، قانون العمل والانصاف للقضاء على مشكلات الاوقاف ، ط (٢) بولاق ١٨٩٥ م ، ص ٢٥ ، ٢٦ ؛

(١٠٦) Ashor, Hisory of the Jews, pp. 232-233.

(١٠٧) Ashtot, History of the Jews, p. 224.

وممتلكاتهم (١٠٨) ، ولعل السبب فى قيام السلطان الأشرف برسباى بهذا الاجراء هو ما اشتهر به من رغبته فى جمع المال بكل السبل والوسائل المتاحة .

ولدينا رواية للرابى موشى مصرانى بصدد احدى الفتاوى الخاصة بتحايل اليهود على قانون الميراث تعود الى ما بعد سقوط الدولة المملوكية يفهم منها أن المسئولين عن بيت المال كانوا يحتفظون بتركة من يموت ولا وارث له ، وحينما يأتيهم من يطالب بنصيبه فى التركة كانوا يطلبون منه أجراً عن فترة الحراسة وكان هؤلاء المستخدمون يسعون دائما الى مصادرة هذه التركات فى معظم الاحيان ، حتى فى حالة وجود بعض الورثة ، غير أنه فى حالة وجود بعض العاملين من اليهود فى بيت المال كان يصعب كثيرا على المستخدمين المسلمين أن يتعرفوا على شىء من أملاك وتركات اليهود الذين ماتوا ، وفى حالة توصلهم الى معرفة شىء عن ذلك كان اليهود يشهدون أمام قضاة المسلمين بأن لهم أقارب ، وكان هؤلاء القضاة يقبلون شهادتهم ، كما جرت العادة أنه فى حالة وجود أحد من المستخدمين اليهود فى بيت المال فانه كان يسهل عليه التعرف على أغلب مواريث اليهود ، وكان يسعى بالتالى الى تقسيم تلك التركات اليهودية بعيداً عن أعين بيت المال (١٠٩) .

ويلاحظ بالنسبة لأوقاف اليهود أن اهتمام سلاطين المماليك لم يقتصر على أوقاف المسلمين فقط بل حظيت أوقاف أهل الذمة أيضا برعايتهم واهتمامهم (١١٠) ، وكان التصرف فيها يتم وفقا

(١٠٨) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ق (٢) ، ص ١٠٣٨ .

(١٠٩) Ashtor, History of the Jews, II, p. 227.

(١١٠) محمد محمد أمين ، الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر دراسة تاريخية وثائقية ، القاهرة ، ١٩٨٠ م ، ص ١٢٩ .

للشروط التى حددتها تعاليم الشريعة الاسلامية ، ومن أهم هذه الشروط أن تكون موقوفة على أعمال الخير ، فقد ذكر ابن قيم الجوزية : « ان وقفوه على معين أو جهة يجوز للمسلم الوقف عليها كالصدقة على المساكين والفقراء واصلاح الطرق والمصالح العامة ، أو على أولادهم وانسالهم واعقابهم فهذا الوقف صحيح حكمه حكم وقف المسلمين على هذه الجهات ، لكن ان شرط استحقاق الأولاد والاقارب بقائهم على الكفر لم يصلح هذا الشرط ... » (١١١) .

ومن المعروف أن القضاء الاسلامى والقضاة المسلمين لم يضعوا أية عقبات أمام اليهود فى مجال الوقف وان كانوا قد طالبوهم احيانا بتخصيص جزء من الوقف لصالح فقراء المسلمين (١١٢) .

ويفهم من المؤرخ ابن دقماق أنه كان يوجد وقف يعرف ببنى عطا اليهودى فى سوق المغاريج الذى كان سكنا لليهود (١١٣) .

كما أشار السخاوى فى حوادث عام ٨٤٦ هـ / ١٤٤٢ م الى تحويل احد المنازل التى وقفت على تعليم الأطفال الى كنيس يهودى (١١٤) .

اما فيما يتعلق بامتلاك اليهود للعبيد ، فتتضمن المصادر التاريخية بعض الشكاوى المتعلقة بامتلاك اهل الذمة لعدد كبير

---

(١١١) ابن قيم قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، نشره صبحى الصالح ، دمشق ١٩٦١ م ، ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

(١١٢) Ashtor. History, of the Jwes, II, p. 234.

(١١٣) ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٤١ ، ٤٢ .

(١١٤) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣٦ ، ٣٨ .

من العبيد ، وبخاصة العبيد الذين يتيمون المستخدمين النصارى ويسيرون خلفهم فى الطرقات (١١٥) وجدير بالذكر أن الدين الاسلامى حرم على اليهود امتلاك عبيد من المسلمين (١١٦) ، ولا شك أن ذلك كان أمرا طبيعيا لأن الرق لا يجرى على مسلم . وفى الصيغ المختلفة للعهد العمرى يرد حظر على امتلاك أهل الذمة لعبيد من بين المسلمين (١١٧) .

وقد وجد من بين قضاة المذهب المالكى من اصدر فى هذا الصدد حكما متشددا بعدم جواز امتلاك اليهود لعبيد من طائفة اخرى ، بل ذهب بعضهم الى القول بعدم جواز امتلاكهم لعبيد من غير بنى عقيدتهم واشترطوا فى حالة امتلاكهم لعبيد من بنى عقيدتهم أن يكون العبد بالغا (١١٨) .

والحق أن أهل الذمة قد التزموا فى معظم الأحيان بما حدده الفقه الاسلامى ولم يتجهوا الى شراء عبيد من المسلمين ، بل جرت العادة أنه فى حالة اعتناق أحد مواليهم الاسلام يتم عتقه على الفور (١١٩) . كما فرضت دولة المماليك بدورها العديد من القيود على شراء العبيد ، ففى عام ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م صدر

(١١٥) المقريزى ، الخطط ، ح ٢ ، ص ٤٩٩ .

(١١٦) ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٧٢ .

(١١٧) حظر الحاكم على اهل الذمة طبقا لما يرويه المقريزى شراء العبيد او الجوارى مطلقا مسلمين أو غير مسلمين ، المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٩٥ .

(١١٨) خليل بن اسحق ، مختصر خليل ، ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

(١١٩) النووى ، منهاج الطالبين ، ص ٧٦ ، ٧٧ ؛
Tritton, Non-Muslim Subjects, pp. 38-39.

مرسوم يقضى بقصر شراء الرقيق من الترك على المماليك فقط(١٢٠)، ومع ذلك فمن الواضح أنهم كانوا يتجاوزون هذا الشرط فى بعض الأحيان بدليل أنه تقرر فى سنة ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م منع أهل الذمة من شراء عبيد من بين المسلمين او جارية مسلمة ، ثم رسم بعد ذلك بحظر امتلاكهم العبيد على الاطلاق .

الأمر الذى يكشف لنا أن أهل الذمة قد اعتادوا فى بعض الأحيان شراء جوار من المسلمات ومن غيرهن ، بدليل أن ناظر الجوالى طالب نصار القاهرة فى عام ٨٥٦ هـ / ١٤٥٢ م باحضار ماللديهم من الجوارى حينما بلغه أنهم يشترون الجوارى المسلمات وينصرونهن « ... فمن وجدها مسلمة فى الأصل ردها الى الاسلام ، أمر صاحبها ببيعها ... » (١٢٢) .

ويتضح من الفتاوى التى أصدرها الفقهاء اليهود فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى بأن قوانين امتلاك العبيد استمرت باقية حتى نهاية عصر سلاطين المماليك ، ويفهم منها أيضاً أن المرسوم الصادر فى عام ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م لم يستمر العمل به طويلا فقد ورد فى بعض هذه الفتاوى أشارات الى امتلاك اليهود لبعض الجوارى على الرغم من المراسيم المتعددة التى أصدرتها الدولة المملوكية وحظرت فيها على اليهود شراء العبيد أو الجوارى ، ولكن من الواضح أن اليهود كانوا يتحايلون دائما على

(١٢٠) السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ .

(١٢١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٣٨٤ .

(١٢٢) ابن تغرى بردى ، منتخبات من حوادث الدهور فى مدى الايام والشهور ، نشر وليم بوبر ، كاليفورنيا ، ١٩٣٠ م ، ج ١ ، ص ١٢٤ ؛ السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣٨٥ .

هذه القوانين كما يتضح لنا من الفتاوى التى صدرت ابان تلك الفترة (١٢٣) .

بقى أن نتعرض لموضوع تعرض اليهود للاضطهادات (١٢٤)، والذل والهوان تحت حكم المماليك كما جاء فى بعض الدراسات ، فقد زعم مارك كوهن أن حكم المماليك كان معاديا لليهود والنصارى ، ودلل على ذلك بتعدد المراسيم الصادرة عن بعض العلماء المعروفين بعدائهم لأهل الذمة ، بالاضافة الى كره الشعب لليهود والنصارى ، كما زعم ايضا أن الاضطهاد والعداء لأهل الذمة لم يكن ينفجر عادة تجاه النصارى أولا بل تجاه اليهود ثم النصارى بعد ذلك (١٢٥) . وهو حكم جائر وخاطىء ولا ينسحب على عصر سلاطين المماليك بأكمله ، بل على فترات قصيرة كان يحدث خلالها بعض الاضطهادات قصيرة الأجل نتيجة لسلوك اهل الذمة تجاه المسلمين كما حدث فى عام ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م عند مرور وزير المغرب بالقاهرة فى طريقه الى الحجاز واله لما وجد ما عليه اهل الذمة فى مصر من نعمة وهناء وحرص اهل الدولة عليهم(١٢٦).

أما فيما يتعلق بالمراسيم التى كانت تلزم اهل الذمة بالشروط العمرية فقد كانت تصدر بين الحين والآخر وكانت تحض على منع استخدام اهل الذمة فى الجهاز الادارى وضرورة طردهم من دواوين السلطان والأمراء ، وهذه بدورها كانت تختص بالدرجة الأولى بالنصارى من دون اليهود كما أشرنا سالفاً .

وبالنسبة لمقولة كره الشعب لأهل الذمة فهى غير صحيحة ايضا والدليل على ذلك مشاركة المسلمين لأهل الذمة طوال العصر

(١٢٣) Ashtor, History of the Jews, III, P. 236.

(١٢٤) Doris, Locations of Non-Muslim, p. 124.

(١٢٥) Cohen, Jews in the Mamluk Environment, pp. 445-446.

(١٢٦) المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ق (٢) ، ص ٩٠٩ .

المملوكى فى احتفالاتهم وأعيادهم ومواسمهم ، وحتى فى حالة وجود العداء فى بعض الأحيان فإنه كان يرجع دائماً إلى تفرد أهل الذمة بالوظائف وتطاولهم على المسلمين ومحاولة تعطيل مصالحهم لصالح بنى جلدتهم .

وسوف يلاحظ الدارس لأحوال اليهود فى المجتمع المصرى بوضوح انه لم تحدث اية اضطهادات لهم طوال العصر المملوكى الا فيما ندر ، وكما جرت العادة أنه اذا حدث واشتدت الازمة ضد النصارى فان الموقف كان يبدو هادئا بالنسبة لليهود ، بدليل أن النصرانى كان يعمد الى استعارة العمامة الصفراء لأحد جيرانه اليهود ليلبسها فى الطريق اذا ما أراد الخروج من داره حتى يسلم من العامة المتشددين (١٢٧) .

خلاصة القول ان اليهود لقوا من محاسن المسلمين فوق ماقتيه النصارى (١٢٨) وكانت الأوطان العربية والاسلامية موطنا وملجأ لهم على مر العصور ، ولم يعرف التاريخ بلدا عربيا أو اسلاميا اضطهد اليهود (١٢٩) ، وشهادة اليهود أنفسهم بحسن هذه المعاملة خير دليل على ذلك (١٣٠) ، فقد أشار الرحالة اليهودى مشولام بن مناحم الذى زار مصر عام ٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م فى عصر المماليك الجراكسة بسماحة الاسلام وحسن معاملة المسلمين لليهود وتميزهم عن غيرهم فى كثير من الأعفاءات المالية

---

(١٢٧) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ .

(١٢٨) محمود نعناعه ، المشكلة اليهودية وهل تحلها اسرائيل ، جزءين ، القاهرة ، ج ١ ، ص ٣٥٩ .

(١٢٩) الاب طانيوس منعم ، خطر اليهودية الصهيونية على النصرانية والاسلام ط (٢) بيروت بدون تاريخ ، ص ٥٢ .

(١٣٠) حسن ظاظا ، اليهود ليسوا تجارا ، ص ١٤٨ .

وخصوصا المكوس ، وذكر أيضا أن اليهود كانوا يعاملون معاملة حسنة فى الاسكندرية ولم يكونوا يدفعون مكوساً على بضائعهم بخلاف غيرهم من أهل الدول الأخرى (١٣١) . ولو كانت هنــاك اضطهادات تعرض لها اليهود لذكرها الرحالة اليهــودى ونــدد بها .

وهذا يعنى ببساطة ان اليهود تمتعوا تحت حكم المماليك بكل ما تمتع به اخوانهم المسلمون من حقوق وامتيازات باستثناء بعض فترات الشدة القصيرة الأجل التى كانت تعمد الدولة خلالها الى الزام اهل الذمة بالشروط العمرية والتى كثيرا ما استثنى اليهود منها كما سبق أن أوضحنا .

(١٣١) Adler, Jewish Travellers, p. 162.

الباب الثانى

أحوال اليهـود الاقتصـادية

الفصل الأول : حرف وصناعات اليهود فى العصر المملوكى

الفصل الثانى : النشاط التجارى لليهود فى العصر المملوكى

الفصل الأول :

حرف وصناعات اليهود

فى العصر المملوكى

من يرغب فى التعرف على الوضع الاقتصادى لدولة المماليك ، والبحث فى أساليب معيشتهم ودورهم فى الحياة الاقتصادية فى مصر إبان تلك الفترة ، وفقا للظروف التى خلقها نظام الحكم المملوكى بصدد أنشطة اليهود الاقتصادية ، عليه أن يبادر قبل كل شىء بالبحث حول مدى مشاركة اليهود فى الحياة الاقتصادية زمن سلاطين المماليك ، خاصة وأنهم كانوا يمثلون جماعة ذات طابع دينى خاص ، وعلى الباحث أن يحاول التعرف أيضا على أسس وأساليب الحكم المملوكى وسياسته الاقتصادية فى تغيير البناء الاجتماعى للطوائف اليهودية (١) .

ويجب ، فيما يختص بالنقطة الأولى ، أن نضع فى الاعتبار أن هذه الفترة قد شهدت صدور بعض المراسيم التى كانت تمنع استخدام أهل الذمة من يهود ونصارى فى دواوين الدولة ، كما

(١) Ashtor, History of the Jews, I, P. 172.

صدرت بعض المراسيم الأخرى التى كانت تحـد من النشـاط الاقتصادى لأهل الذمة وتمنعهم من مزاولة الحرف (٢) ومع ذلك فان هذه المراسيم لم تكن تتجاوز فى معظم الأحيان حدود الاعلان ، ولم توضع فعليا فى حيز التنفيذ ، بل كانت تظل دائماً مجرد حبر على ورق لأنها كانت تصدر فى أوقات خاصة تتسم بالشدة والتزمت تجاه أهل الذمة ، ورغم أن المعلومات المتوافرة لدينا عن وضـع اليهود الاقتصادى زمن سلاطين المماليك البحرية ليست كثيرة ، فانه يمكن أن نقرر بدقة أن أساليب معيشتهم ومصادر رزقهم كانت متعددة ، الامر الذى جعل وضعهم الاقتصادى غنيا ومتنوعا وان كان نشاطهم الزراعى ضئيلا للغاية (٣) .

ويستشف من وثائق الجنيزة أن معظم يهـود مصر زمـن سلاطين المماليك كانوا يصنفون ضمن ابناء الطبقة الوسـطى ، وهى الطبقة التى كانت تضم صغار التجار والحرفيين ، وانهم لم يصنفوا مطلقا ضمن طبقة الأثرياء ، والا كان سلاطين المماليك قد التفتوا اليهم عند فرض المكوس (٤) ، وان كان هذا لا ينفى بالطبع وجود أثرياء يهود من ذوى المكانة الأجتماعية المتميزة بدليل ما روته المصادر التاريخية فى أحداث عام ٧٣٥ هـ / ١٣٣٤ م من أن احد

---

(٢) عن هذه المراسيم انظر المقريزى ، الخطط ، ج ٤ ، ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ ؛ القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج ١٣ ، ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ ؛ وأيضا السلوك ، ج ٢ ق (٣) ، ص ٩٢٤ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ١٦ ، ص ٢٨١ ، ٢٨٢ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ٤١٢ ؛ صفحات لم تنشر من بدائع الزهور ، ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٣) Ashtor, History of the Jews, I, p. 173.

(٤) Ashtor, History of the Jews, II, p. 174.

اليهود حكم عليه بالقتل مع مصادرة أملاكه ، كما ذكرت أيضا انه عثر لديه على مليون درهم ومجموعة من الأحجار الكريمة (٥).

ومن المرجح ايضا أن الوضع الاقتصادى لليهود فى مصر كان أحسن من وضعهم فى بلاد الشام ، فقد عثر بين وثائق الجنيزة على خطاب أرسله احد يهود حبرون فى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى نيابة عن جماعته الى رؤساء الطوائف اليهودية فى مصر ، إذ كان يهود فلسطين طوال العصور الوسطى تابعين لاخوانهم فى مصر ، يصف فيه فقرة ويطلب عون اخوانه اليهود فى مصر (٦) . وقد كان معروفا أن يهود مصر من الوجهاء وأنهم كانوا أحسن حالا من غيرهم (٧) .

اما فيما يتعلق بالنشاط الاقتصادى ليهود مصر فى عصر المماليك فقد أمدتنا وثائق الجنيزة بمعلومات مهمة تكشف لنا عن أوضاع اليهود طبقا لوظائفهم ومهنهم ، ومدى تفوقهم فى بعض

---

(٥) ابن الوردى ، تاريخ ابن الوردى ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ .

(٦) Mann, The Jews in Egypt, II, p. 330.

(٧) حسبنا دليلا على ذلك انه بعد قيام بعض قراصنة البحر بأسر مجموعة من اليهود توجهوا بهم مباشرة الى مصر لعلمهم بأن بامكان يهودها القيام بفداء هؤلاء الأسرى ، ومن الثابت ايضا أن يهود القدس كانوا يأتون دائما الى مصر قبل ذهابه الى الأراضى المقدسة بالقدس لجمع نفقات السفر ، وقد استمر هذا لجمع التبرعات ، فقد جاء فى احدى وثائق الجنيزة أن احد اليهود اتجه الى مصر الوضع طوال دولة المماليك ، انظر .
Mann, The Jews in Egypt, II, pp. 87-103, 161 ; Ashtor, History of the Jews, I, pp. 175-176.

الأعمال والحرف (٨) التى كانت مفتوحة أمام جميع أفراد المجتمع المصرى زمن سلاطين المماليك (٩) .

فقد عمل اليهود (١٠) فى العصر المملوكى فى العديد من الحرف والصناعات ، مثل حرفة الصياغة ، وصناعة الحلى من الذهب والفضة وصناعة الأمشاط وصناعة الحلوى والكعك وصناعة الحرير وصناعة السكر ، ومهنة التنجيم ، وحرفة الخياطة وحرفة طحن الحبوب وصناعة النسيج بالاضافة الى بعض المهن المتعلقة بالمال كالاقراض بالربا وأعمال الصرافة .

---

(٨) Goitein, The Main Industries of the Mediterranean Area as Reflected in the Recotds of the Cairo Geneza, JESHO, IV,, part II, 1961, p. 172 ; A Mediterranean Society, Economic Foundations, Press Berkeley and Los Angeles, California, 1967, I, p. 101.

(٩) Adler, Jewish Travellers, p. 228.

ومن المعروف أن عددا كبيرا من اليهود عملوا فى دول المشرق الاسلامى بالعديد من الحرف والصناعات ، وطبقا لما نكره المقدسى فى نهاية القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى كان معظم عمال الصباغة فى بلاد الشام من اليهود ، وعلى ذلك فلم تكن الحرف مصدر العيش لعدد كبير من اليهود فحسب ، بل كان اليهود فرعا من فروعها الرئيسية · انظر المقدسى ، أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ، طبعة ليدن ١٩٠٦ ، ص ١٨٣ ·

(١٠) أمدنا المستشرق أشتور باحدى وثائق الجنيزة غير المؤرخة وقد اتضح من خلالها أن اليهود مارسوا العديد من الحرف والصناعات مثل صناعة السكر والحلوى ، وصناعة الزجاج وتجارة الزيت والعسل والاعمال المصرفية والطب والخياطة والسمسرة وصناعة الخمور والنسيج ، انظر :

Ashtor, History of the Jews, I, P. 177.

ولدينا وثيقة ثانية من وثائق الجنيزة غير مؤرخة تضم بدورها قائمة ببعض أسماء دافعى المكوس وفقا للعنوان الذى يتصدرها وتشتمل على أسماء ستة وخمسين يهوديا من بينهم (١٨) يهوديا ذكر نوع حرفة كل منهم الى جانب اسمه أما باقى الأسماء فقد خلت من اشارة الى مهنة كل منهم ، من هذه الحرف

وفيما يتعلق بحرفة الصباغة (١١) ، فقد برع اليهود فى هذه الحرفة فى دول المشرق ، حيث ظلت هذه الحرفة مصدرا اقتصاديا مهما لهم حتى القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادى، ولفظة صباغ كانت من الالفاظ المشهورة لديهم ، فقد تضمنت وثائق الجنيزة القاهرية أسماء العديد من الصباغين من العصر الفاطمى والأيوبى والمملوكى من بينهم ميخال بن يشوع الصباغ وجميع بن يوسف الصباغ ، كما أشارت هذه الوثائق الى اثنين من الشركاء كانا يعملان فى مدينة الفسطاط بحرفة الصباغة ، أحدهما يدعى افراهام الصباغ ، والثانى حلفون وقد هاجر أحدهما الى فلسطين ووكل الى شريكه رعاية أملاكه واسرته بالفسطاط ، ونقرا فى وثائق أخرى من الفسطاط عن دار ابن الفضل الصباغ وعن يوسف الصباغ والشيخ محرز الصباغ (١٢) .

ونتيجة لانتشار حرفة الصباغة حذرت كتب الحسبة التى دونت زمن سلاطين المماليك من أساليب الغش فى مجال الصباغة وموادها وأشارت الى ما يقوم به الصباغون فى حوانيتهم من

والصناعات التى وردت فى هذه الوثيقة المذكورة نجد صناعة السكر وحرفة الصباغة والطب وصناعة الاشربة وتجارة البذور والصيرفة وصناعة الحلوى وحرفة الخياطة والرفا ، وصناعة الزجاج والذهب والفضة ، وصناعة العسل ؛ كما اشارت هذه الوثيقة الى أحد الزياتين وأحد اليهود الذى عمل فى الشرطة أنظر :

Gotthell, R., Fragmants from the Cairo Genizah freer collection, Lindon, 1927, pp. 66-71 ;

انظر الوثيقة بالملحق رقم (٥) .

(١١) صباغ ، هو الذى يصبغ او يلون الثياب او القماش ، انظر حسن الباشا ، الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ، القاهرة ١٩٦٦ م ، ج ٢ ، ص ٧٠٣ .

(١٢) Ashtor, History of the Jews, I, p. 180.

صبغ الحرير الأحمر وغيره من الغزل والثياب بالحناء عوضا عن الفوة فيخرج الصبغ حسنا مشرقا ، فاذا أصابته الشمس تغير لونه وزال اشراقه ، كما أشارت الى البعض الآخر من الصباغين الذين يدكنون الثياب بالعفص والزاج اذا أرادوا صبغها باللون الكحلى ثم يدلونها فى الخابية فتخرج صافية اللون شديدة السواد ، فاذا مضى عليها مدة تغير لونها ونقص صبغها (١٣) ، كذلك حذر السبكى الصباغ من أن يصبغ بمحرم مثل الدماء ، وذكر أنه كثر الصبغ بالدماء فى زمنه (١٤) .

وكانت صناعة الحلى من الذهب والفضة والنحاس من الحرف الشائعة فى العصور الوسطى ، بل كانت من أهم الصناعات زمن سلاطين المماليك ، وقد أشارت وثائق الجنيزة الى العديد من أشكال ومجموعات التحف المعدنية المزينة بالأحجار الكريمة التى وردت بصفة خاصة فى قوائم جهاز العرائس وفى غيرها من الوثائق (١٥) وكانت منطقة صياغ الذهب تقع على الطريق الرئيسى لحى بين القصرين ، كما يفهم من كتابات بعض الرحالة الذين ذكروا أيضا أن عددا كبيرا من اليهود كانوا يعملون فى صياغة الذهب وأن أعمالهم تركزت فى حى الصاغة المذكور (١٦) .

(١٣) الشيزرى ، نهاية الرتبة ، ص ٧٢ ؛ ابن الأخوة معالم القربة ، ص ٢٢٤ .

(١٤) السبكى ، معيد النعم ، ص ١٣٦ ؛ حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، ج ٣ ، ٧٠٣ .

(١٥) Goitein, The Main Industries, pp. 183-187 ; A Mediterranean Society, I, pp. 103-108.

(١٦) الحسن بن الوزان ، وصف افريقيا ، ترجمة عبد الرحمن حميدة مراجعة على عبد الواحد ، الرياض ، ١٩٧٩ م ، ص ٥١٨ ؛ فيت ، القاهرة مدينة الفن والتجارة ، القاهرة ١٩٩٠ م ، ص ١١٦ .

وعمل الهود كذلك فى مجال صناعة الأمشاط ، ولدينا قصيدة شعرية للشاعر يوسف بن تنحوم الاورشليمى يهنىء فيها صدوق بن شموئيل الديان المعروف بابن الأمشاطى بمناسبة زواجه فى عام ٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م ، ولفظة الأمشاطى تعنى هنا صانع الأمشاط ، تلك الحرفة التى كانت منتشرة بين يهود مصر زمن سلاطين المماليك (١٧) .

ومن الحرف التى مارسها اليهود بكثرة حرفة الخياطة التى وصلنا عنها عدة اشارات مهمة ترجع الى القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى تذكر أسماء بعض اليهود الذين احترفوا الخياطة لدى بعض أصحاب الصناعات من المصريين (١٨) وعمل اليهود أيضا فى مجال صناعة الحلوى والكعك اذ يذكر الفقيه المغربى ابن الحاج الذى زار مصر فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى أن كثيرا من اليهود كانوا يعملون فى هذه الصناعة ، وحذر المسلمين من الشراء منهم خوفا من الدنس الموجود فى فم اليهودى (١٩) ، وأشار أيضا الى أن بعض الطحانين (٢٠) المسلمين كانوا يستعينون ببعض الصبية من اليهود والنصارى ، للقيام بنقل الغلة من البيوت واعادتها اليها ثانية (٢١) .

(١٧) Ashtor, History of the Jews, I, p. 183.

(١٨) Ashor, History of the Jews, I. P. 183-184.

(١٩) ابن الحاج ، المدخل ، ج ١ ، ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

(٢٠) الطحان ، هو الذى يقوم بطحن الغلال ، ويقال له ايضا الدقاق ، انظر حسن الباشا ، الفنون الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٧٣٩ .

(٢١) ابن الحاج ، المدخل ، ج ٤ ، ص ١٦٥ .

وتفوق اليهود فى صناعة الحرير كما يفهم من وثائق الجنيزة، ويرجع ذلك الى أن هذه الصناعة كانت تعد من أقدم الصناعات المحلية فى فلسطين (٢٢) ، وقد كانت صناعة الحرير فى العصور الوسطى فى الشرق على درجة عالية من الرقى ، خاصة فى بلاد الشام حيث كان انتاج الحرير وتصديره من الانشطة المهمة ، ويعرف ناسج الحرير فى العربية باسم القزاز (٢٣) ، وقد أمدتنا وثائق الجنيزة بأسماء العديد من القزازين (٢٤) مثل بيت افراهام القزاز الذى ورد فى وثيقة ترجع الى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى (٢٥) .

وكان يطلق عليه أحيانا الحريرى مثل الرابى يوسف بن الحافظ الحريرى الذى أشارت اليه احدى وثائق الجنيزة من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، كما تضمنت

---

(٢٢) Goitein, The Main Industries, p. 177 ; A Mediterranean Society, I, pp. 103, 104.

(٢٣) القزاز هو الحائك ، والقزازة صنعة نسيج الحرير خاصة ، وقد تستعمل للنسيج عموما ، وأيضا الحياكة ويطلق لفظ القزاز ايضا على بائع القز ، انظر ، حسن الباشا ، الفنون الاسلامية ، ج ٢ ص ٨٩٢ ؛ أحمد عبد الرازق ، اضواء جديدة على صناعة النسيج فى مصر الاسلامية من خلال أوراق البردى العربية ، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش ، العدد الحادى عشر ، ١٩٩٤ م ص ١٢٩ .

(٢٤) سلامة اليهودى القزاز الذى ورد اسمه فى وثيقة ترجع الى الفسطاط فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى وابو الفضل القزاز بن أبو البركات فى وثيقة ترجع الى عام ٥٨٥هـ/١١٨٩ م ،
انظر : Mann, The Jews in Egypt, II, p. 320; Ashtor, History of the Jews, I, p. 184.

(٢٥) Mann, The Jews in Egypt, II, p. 320 ; Ashtor, Histiry of the Jews I, p. 184.

اسئلة الرابى افراهام بن موسى بن ميمون وورود خمسة اسماء لشركاء كانوا يعملون فى محل للصباغة وبيع الحرير ، أما بخصوص اماكن صناعة الحرير فيبدو انها تركزت فى اماكن سكن الاقباط التى كانت تضم عددا من اليهود ، كما اشارت وثائق الجنيزة غير المؤرخة الى بعض اماكن الغزل الخاصة بيهود الفسطاط كدار الغزل القديمة ، ودار الغزل المعروفة (٢٦) .

وعن عمل اليهود فى صناعة السكر فى مصر ، أمدتنا المصادر اليهودية والمصادر العربية بالعديد من الاشارات التى تدل على مدى حرص اليهود على القيام بهذه الصناعة (٢٧) ، فقد زودنا المؤرخ ابن دقماق فى كتابه الانتصار بقائمة تشتمل على ستة وخمسين مطبخا للسكر من بينهم ستة مطابخ كانت ملكا لليهود (٢٨) ، وقد استمر وجود هذه المطابخ بالمدينة خلال القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى وفقا لرواية المقريزى ، وقد وافقه فى ذلك كل من ابن دقماق وابن سعيد (٢٩) .

ومهنة التنجيم من الأعمال التى مارسها أيضا اليهود فقد حدثنا ابن دقماق عن أن أحد اليهود يدعى خلف المنجم ، أقام حانوتا كان يمارس فيه التنجيم على مدى أكثر من أربعين عاما حتى عرف المكان باسم سقيفة خلف المنجم (٣٠) .

(٢٦) Ashtor, History of the Jews, pp. 180, 184

(٢٧) Ashtor, History of the Jews, I, p. 185.

(٢٨) ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ .

(٢٩) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٨ ؛ ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٤١ ، ١٠٨ ؛ ابن سعيد ، النجوم الزاهرة ، ص ٢٩ ؛ عاصم رزق ، مراكز الصناعة ، ص ٢٤ .

(٣٠) ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٤٩ .

أما فيما يتعلق بدور اليهود فى الحياة الاقتصادية فى عصر المماليك الجراكسة ، فقد تأثر أيضا بالوضع السياسى والاقتصادى للبلاد ابان هذه الفترة التى غلبت عليها الاضطرابات والقلاقل بسبب ثورات المماليك وتمردهم ، هذا فضلا عن الازمات الاقتصادية التى توالت على البلاد وأثرت سلبيا على الاقتصاد مما حال بدوره دون استقرار النظام المالى لدولة المماليك الجراكسة (٣١) فعندما تولى المماليك البحرية حكم مصر عام ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م ، اتبعوا السياسة النقدية التى سار عليها أسلافهم الالويبون ، والمتمثلة فى ضرب الدنانير الذهبية والدراهم الفضية والفلوس النحاسية (٣٢) ، ولكن يلاحظ أنه فى السنوات الأولى لحكمهم حدثت تغيرات مهمة فى السياسة النقدية ترجع اهميتها الى استعمال النحاس بكثرة على حساب الفضة التى قل

---

(٣١) عن الأزمات الاقتصادية والأوبئة والمجاعات انظر المقريزى ، اغاثة الأمة بكشف الغمة ، نشره محمد مصطفى زيادة ، جمال الشيال ، القاهرة ، ١٩٤٠ ؛ السلوك ، ج ٣ ، ص ٥٧٥ ؛ ابى حجر ، أنباء الغمر ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ ؛ وعن الطواعين انظر السيوطى ، حسن المحاضرة ، احداث ٧٩٠ هـ ، ٨١٠ هـ ، ٨١٦ هـ ، ٨١٩ هـ ، ٨٢٢ هـ ، ٨٣٣ هـ ؛ وعن الثورات وحركات التمرد انظر المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ق (٢) احداث ٧٩٠ هـ ؛ ابن قاضى شهبة ، تاريخ ابن قاضى شهبة ، م ١ ، ج ٣ ، تحقيق عدنان درويش ، احداث ٧٧٩ ، ٨٥١ هـ ؛ وعن تغيرات العملة ، انظر ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ٢ ، ص ٥١٠ ، ج ٣ ، ص ٣٦٤ ، ٣٩٩ ، ٤٠٦ ؛ وانظر ايضا :

Balog (Poul), The coinage of the Mamluk Sultans of Egypt and Syria, New York 1964 ; Ashtor, Les métaux Précieux et la balonce des payements du proche - Orient à la basse époque, Paris, 1971.

(٣٢) رافت محمد النبراوى ، السكة الاسلامية فى مصر عصر دولة المماليك الجراكسة ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ٢٣٢ .

تداولها ، أما الدنانير الذهبية فى العصر المملوكى البحرى فكانت تميز بعيار مرتفع واختلاف فى أوزانها (٣٣) .

وبعد أن استطاع السلطان برقوق أن يؤسس دولة المماليك الجراكسة فى سنة ٧٨٤ — ٩٢٢ هـ / ١٣٨٢ / ١٥١٧ م ، صارت النقود الذهبية التى ضربت فى فترة حكمه تتميز باختلاف أوزانها التى كانت تتراوح ما بين ٥٫٩٠ جرام و ١٥٫٢٢ جرام ونتيجة لهذا الاختلاف فى الوزن تم التعامل بها بالوزن وليس بالعدد ، وظل سعر الذهب آخذاً فى ارتفاع حتى وصل سعر الدينار المصرى الى تسعين درهما والدينار الأفلورى (٣٤) الى سبعين درهما وذلك فى عام ٨٠٦ هـ / ٤٠٤ م ووصل سعر المثقال الذهب (٣٥) نحو المائة درهم والدينار الأفرنتى (٣٦) خمسة وسبعين درهما ،

(٣٣) Balog, The Coinage, pp. 17-246 ;

رأفت النبراوى ، السكة الاسلامية ، ص ٢٣٣ .

(٣٤) الدينار الأفلورى هو العملة الذهبية التى ضربتها فلورنسا سنة ٦٥٠ / هـ ١٢٥٢ م ، واطلق عليها اسم فلورين ، وعرفت فى الأسواق الشرقية باسم افلورى ، ولكن لم يكن لها رواج البندقى ، وقد استخدمت فى دفع مرتبات أرباب الوظائف فى بعض المنشات الدينية بمصر فى العصر المملوكى الجركسى ، النبراوى ، السكة الاسلامية ، ص ٣٤٠ .

(٣٥) ويقصد بالمثقال وحدة حسابية للوزن تبلغ ٤٫٢٥ جرام اى اثنان وسبعون حبة من الشعير النبراوى ، السكة الاسلامية ، ص ٣٤٤ .

(٣٦) اطلق عليه بعض التسميات هى البندقى والدوكة والمشخصة ، وفى نهاية القرن ٨ هـ/١٤ م سيطرت هده العملة على الأسواق المصرية ، ومنذ سنة ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م كثر تداولها فى مصر وغيرها من بلاد الشرق وأصبحت هى النقد المرغوب فيه التجارة الدولية بصفة عامة وفى كل بلاد الشرق بصفة خاصة ، انظر النبراوى ، السكة الاسلامية ، ص ٣٤١ .

وهكذا كانت سنة ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ م من أصعب السنوات التى مرت على الديار المصرية على حد قول المقريزى (٣٧) .

وفى عهد دولة المماليك الجراكسة اختفت العملة الفضية وصار نظام التعامل بالفلوس النحاسية ، وذلك بسبب ندرة المعادن النفيسة (٣٨) ، ويبدو أن ندرة الفضة كانت نتيجة لاكتناز سلاطين المماليك والقادة العسكريين كثيرا من خام الفضة عن طريق تحويله الى حلى وتحف فضية لتزيين قصورهم (٣٩) .

وقد قام السلطان الظاهر برقوق بسك عملات فضية جديدة سميت الدراهم الظاهرية صدرت فى عام ٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م (٤٠) ويذكر القلقشندى فى أحداث عام ٨٠٠ هـ / ١٣٩٨ م أن ورود الفضة قد توقف من أوربا الى مصر الأمر الذى ترتب عليه التقليل من ضرب الدراهم فى مصر (٤١) .

أما عن أسباب قلة الدراهم الفضية بمصر بعد عام ٨٠٠ هـ/ ١٣٩٧ م فيرجع الى عدة أسباب منها : بطلان ضربها الا فى القليل

---

(٣٧) المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ق (٣) ، ص ١١٢٧ ؛ النبراوى ، السكة الاسلامية ، ص ٢٤٠ ، ٣٤١ .

(٣٨) Ashtor, Hisoire des Prix, p. 247.

(٣٩) Ashtod, Les métaux Prtcieux, p. 41.

(٤٠) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ، ص ٦ .

Balog, The Coinage of the Mamluk, p. 13 ; Bacharach (L.J.), Studies ; on the Fineness of Silver Coins, JESHO, XI, Part III, Leiden, 1968, p. 310.

(٤١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٤٦٧ ؛ ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ٢ ، ص ١٤٥ .

النادر ، واستهلاك الفضة فى صناعة السروج الآنية وغيرها ، وقيام أمراء السلطان واتباعهم بصهر الدراهم المتداولة وتصنيعها محليا ، وانقطاع وصول معدن الفضة من بلاد الفرنجة الى مصر ، وقيام الفرنجة بجمع الدراهم المتداولة فى مصر ثم يقومون بصهرها واستخدامها فى اغراض أخرى (٤٢) .

اما المستشرق آشتور فيوضح أن الفضة المصرية كان يجرى تهريبها إلى أوربا بواسطة التجار النصارى ، وقد نتج عن ذلك ازمة مالية خطيرة وظلت مصر تفتقر الى معدن الفضة على مدى خمسة عشر عاما (٤٣) ، حتى قام السلطان المؤيد شيخ بضرب عملات جديدة فى عام ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م (٤٤) .

وتعرضت العملات الذهبية بدورها فى عصر المماليك للتلاعب فى العيار والتغيير فى الوزن والتبديل فى الحجم كما سبق أن ذكرنا ، وبخاصة فى زمن المماليك الجراكسة ، مما جعلها لا تحوز ثقة التجار وغيرهم ، فقد أشار القلقشندى الى ان العبرة فى وزن الدنانير كانت بالمثاقيل وذكر أيضا عن الدنانير التى تم سكها فى مصر عصر سلاطين المماليك : « ان الغالب فيها نقص أوزانها ، وكأنهم جعلوا نقصها فى نظير كلفة ضربها (٤٥) .

---

(٤٢) النبراوى ، السكة الاسلامية ، ص ٢٨٥ .

(٤٣) Ashtor, Les métaux précieux, p. 44 ; Bacharach, Studies on the Fineness, p. 310.

(٤٤) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ق (١) ، ص ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ؛ ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٥٤ ؛ Ashtor, Histoire des prix, p. 274 ; les métaux, p. 45.

(٤٥) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ .

وذلك على العكس مما ذكره المستشرق آشتور من أن العملات الذهبية لمصر بالمقارنة مع العملات الأخرى فى ذلك الوقت كانت مستقرة للغاية ، بسبب ثبات قيمتها ووزنها بالنسبة لسعر التبادل الدولى باستثناء بعض الفترات القليلة (٤٦) .

وهكذا لم يكن سعر العملة فى دولة المماليك الجراكسة فى مستوى واحد بصفة دائمة ، بل كان مرتبطاً بالتغيرات المتتالية التى تطرأ على النظام المالى ، كذلك أدت التغييرات فى قيمة العملة الى عدة ظواهر سلبية انعكست على الحياة الاقتصادية فى مصر فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى .

وقد أشار كل من المقريزى ، والسيوطى ، وابن حجر ، وابن إياس الى الكثير من حالات المجاعة والأوبئة التى أصابت مصر فى فترة المماليك الجراكسة كما سبق أن أشرت من قبل ، وبالطبع ففى أوقات هذه الأزمات كانت الطبقات المتضررة هى الطبقة الوسطى من المستخدمين وأصحاب الحرف الحرة ، فقد كانت رواتب معظم هذه الطبقات تنخفض بصورة ملحوظة (٤٧) ، والمثال على ذلك ما جاء بشأن رواتب مؤذنى عشرة مساجد فى مصر خلال العصور الوسطى المتأخرة (٤٨) .

وتعد المعلومات التى وصلتنا بشأن الأسواق فى القاهرة التى اغلقت فى زمن المقريزى (٤٩) دليلا واضحا على ذلك فقد

---

(٤٦) Ashtor, Hisiry of th Jews, II, 147.

(٤٧) Ashtor, History of the Jews, II, 147.

(٤٨) المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ق (٣) ، ص ١٠٠ وما بعدها .

(٤٩) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٩٤ ؛

Raymond et Wiet, Les marchés du Caire, traduction annotée du texte de Maqrizi, Le Caire, 1978, pp. 155-156-184-195-196.

ادى تدهور أوضاع الطبقات الأخرى الى تدهور أوضاع التجار بطبيعة الحال ، ومن ثم فقد فقدت أغلب هذه الطوائف مصادر رزقها كما أدى انخفاض الطلب على الشراء الى تدهور أوضاع التجار واصحاب الحرف ، الذى شكل اليهود جزءاً منهم (٥٠) . وقد وصلنا عن أصحاب الحرف من اليهود معلومات جاءت من مصادر متعددة ترجع الى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ، والنصف الأول من القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، منها ما رواه القس الألمانى برنارد بريد نباخ الذى زار مصر فى الثمانينيات من القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى من أن اليهود فى القاهرة يتعيشون من وراء الاشتغال ببعض الحرف أو عن طريق ممارسة التجارة (٥١) ، وان كان فاته أن ينص صراحة على أنواع هذه الحرف .

كما أشار آشتور الى أن اليهود فى مدينة بلبيس كانوا من أصحاب الحرف وذلك عام ٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م (٥٢) وفى الجنيزة وجدت بعض الوثائق غير الكاملة تتضمن بعض المعلومات عن هذا الموضوع ، منها واحدة ترجع الى عام ٨٤٠ هـ / ١٤٣٦ م ، واخرى ترجع الى تاريخ مقارب ، يحمل كل منهما توقيع « أبو النصر الخياط بن محفوظ » ، وان كنا لا ندرى شيئا عن مكان تسجيلها ، وبالتالى لا نعرف مكان هذا الخيط (٥٣) .

---

(٥٠) Ashtor, History of the Jews, II, p. 148.

(٥١) Larrivaz (Félix), Les saintes pérégrinations de Betnard de Breydenbach, 1483, Le Caire, 1904, p. 56.

(٥٢) Ashtor, History of the Jews, II, p. 151.

(٥٣) Ashtor, The Jews and the Mediterranen Economy 10th - 15th Centuries, London, 1983, pp. 23-24-25

وعمل اليهود كذلك فى بعض الحرف الأخرى ، ففى احدى الفتاوى التى ترجع الى العصر المملوكى ما يشير الى أن بعض اليهود كانو يعملون فى طحن القمح (٥٤) ، وقد أكد ذلك الفقيه المغربى ابن الحاج (٥٥) .

وعمل اليهود أيضا فى زمن المماليك الجراكسة فى مجال القروض المالية ، فقد تضمنت احدى وثائق الجنيزة التى ترجع الى النصف الأول من القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى اشارة الى بعض اليهود الذين كانوا يعملون فى عمليات الاقراض ، كما عملوا أيضا فى مجال الملاحة فقد أشير فى وثيقة ترجع الى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى الى يهودى كان يعمل ربانا لاحدى السفن وأشير الى آخر كان يعمل ملاحا ابان فترة المماليك الجراكسة (٥٦) .

واستمر اليهود يعملون فى زمن المماليك الجراكسة بصناعة السكر فقد أشار السخاوى فى معرض ترجمته للفقيه شمس الدين محمد عبد المنعم الجوجرى الذى عاش فى القاهرة ومات بها عام ٨٨٩ هـ / ١٤٨٤ م ، أنه كان يعمل بالتجارة ، وكان أحيانا ما يجالس بعض اليهود فى بعض ورش صناعة السكر (٥٧) .

ووصلنا أيضاً ضمن وثائق الجنيزة خطاب مرسل من دمشق الى القاهرة فى النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى / الخامس

---

(٥٤) Ashtor, History of the Jews, II, p. 152.

(٥٥) ابن الحاج ، المدخل ، جـ ٤ ، ص ٦٤أ ، ص ١٦٥ .

(٥٦) Ashtor, History of the Jews II, p. 154.

(٥٧) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٨ ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

عشر الميلادى ، يهدى كاتبه الذى سافر من القاهرة الى بلاد الشام ، السلام الى اهارون اليهودى طاهى السكر المعروف بابن صنيعه (٥٨) .

وعمل اليهود كذلك فى مجال صناعة النسيج ، فقد ذكر المؤرخون العرب معلومات عن وجود كثير من الأفراد مسلمين ويهود ونصارى ممن كانوا يعملون فى صناعة النسيج فى مدينة الاسكندرية ، التى كانت فى عصر المماليك البحرية من اهم مراكز صناعة النسيج حيث وصل عدد ما بها من الأنوال فى عام ٧٩٨ هـ / ١٣٩٥ م الى ١٤٠٠٠ نول ، بيد أن هذا العدد تناقص تناقصا كبيرا فى عام ٨٣٨ هـ / ١٤٣٤ م حيث اقتصر على ٨٠٠ نول فقط (٥٩) ، مما يدل على مدى التدهور الذى لحق بصناعة النسيج الذى انعكس بدوره على عدد اليهود ممن احترفوا هذه الصناعة .

اما فيما يتعلق بالتجارة والصرافة فيقول المستشرق أشتور انها كانت قدرا مفروضا على اليهود ، فلم يكن لليهود رغبة خاصة فى العمل بالتجارة والصرافة ، غير أن تطور الاقتصاد الوطنى للبلاد التى كانوا يقيمون فيها ، وفقد اليهود لأغلب الوظائف ذات الطابع الاقتصادى ، وتفاقم الأزمات الاقتصادية المتعاقبة وقد تسببت جميعا فى ابعاد اليهود عن العديد من الصناعات واضطرتهم

---

(٥٨) Ashtor, History of the Jews, II, p. 155.

(٥٩) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ق (٢) ، ص ٩٠٩ ؛ ابن حجر ، انباء الغمر : ج ٣ ، ص ٥١٦ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٧١٤ ؛
Darrâg (Ahmad) L'Égypte Sous le régne de Barsbay, Damas, 1961, p. 71.

الى ترك أماكنهم وأعمالهم (٦٠) ، والحق ان هذه العبارة فيهــا من التجنى الشيء الكثير لأنه من الثابت من خلال معرفتنا بتاريخ اليهود قبل الاسلام وبعده وفى كل زمان ومكان أنهم اقبلوا على الاشتغال بالتجارة وأعمال الصرافة (٦١) ، وأنهم كانوا مشهورين بخبرتهم وبراعتهم فى هذا المجال ، اضف الى ذلك حبهم الشديـد لجمع المال ، ولا شك أن هذين المجالين عادا عليهم بالأمـوال الطائلة وذلك على العكس من زعم المستشرق آشتور بأنهم لم يكونوا شديدى الرغبة فى ممارسة هذه المهنة .

اما عن الازمات الاقتصادية المتعاقبة فى دولة المماليك والتى قيل انها أبعدت اليهود عن بعض الصناعات وعن عمليات الانتاج الأساسية ، فان هذه الازمات التى تعرضت لها دولة المماليك ، انعكست آثارها على أفراد المجتمع المصرى كلهم وليس عـلى اليهود فقط ، ويلاحظ أيضا أن اليهود لم يتركوا أماكنهم نتيجـة

(٦٠) Ashtor, History of the Jews, II, p. 155.

(٦١) الصيرفى من وظائف كتاب الأموال ، وهو الذى كان يتولى قبض الأموال وصرفها ، وهو مأخوذ من الصرف ، وهو صرف الذهب والفضة فى الميزان ، وكان يقـال ايضا الجهبذ ، وقد يجمع شخص واحد بين مهمة الصيرفى والجابى ، انظر حسن الباشا ، الفنون الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٧٢٣ ؛ وقد إختلفت التفسيرات حول وظيفة الجهبذ ، فالبعض لم يفرق بين الجهبذ والصراف أو انه صاحب مصرف او تاجر او انه الناقد الخبير لغوامض الامور العـارف بالنقد ، ويرى أحـد الدارسين ان الجهابذة ايضا كانوا فى الاصل تجارا مثل الصيارفة وانهم عملوا فى اول الامر بالصيرفة ثم ارتقى بهم الحال دون سائر الصيارفة ، فأصبحوا كتاب خراج فى اقاليم الدولة المختلفة ، ثم تطور الأمر بهم وزاد رقى أحوالهم فأصبحوا بيوتا مالية كبيرة تعمل لحساب الخلفاء والوزراء وكانوا يقومون بدور الوسطاء بين الخلفاء وكبار التجار الذين كان الخلفاء يقترضون المال منهم ، انظر نريمان عبد الكريم ، معاملة غير المسلمين ، ص ١٤٣ .

للازمات الاقتصادية ، بل ان الظروف التى جديت ذلك كانت عامة بالنسبة لجميع افراد المجتمع المصرى من مسلمين ويهود ونصارى .

ويقى أن نشير الى أن أصحاب الحرف المتنوعة كانوا يندرجون تحت نظام خاص بكل حرفة وهو ما عرف بنظام الأصناف (٦٢) أو الطوائف ، ومن المعروف أن الطائفة الحرفية كانت تعنى « مجموعة من الأشخاص يمارسون نشاطا حرفيا واحداً فى المدينة وكان لها نظام يكفلها » (٦٣) أطلق عليه أصحاب الأصناف او اصحاب الحرف أو أهل الصنايع (٦٤) .

وقد وجد نظام الطوائف (٦٥) هذا منذ العصر الفاطمى ، فقد ذكر المقريزى أنه كان يوجد « فى كل سوق من أسواق القاهرة على ارباب كل صنعة من الصنايع عريف يتولى أمرهم » (٦٦) ،

---

(٦٢) الأصناف جمع صنف وان كانت تعنى لغويا الأنواع او الأشياء المميزة عن بعضها ، انظر حسين مصطفى رمضان ، طوائف الحرفيين ودورهم الاقتصادى والاجتماعى والثقافى فى مصر الاسلامية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ، كلية الآثار ، ١٩٨٧ ، ص ٤ .

(٦٣) حسين رمضان ، طوائف الحرفيين ، ص ٤ .

(٦٤) عبد العزيز الدورى ، نشوء الأصناف والحرف فى الاسلام ، مجلة كلية الاداب جامعة بغداد ، العدد الاول ١٩٥٩ م ، ص ١٤١ .

(٦٥) وقد أطلق البعض على الأصناف والطوائف لفظة نقابة مثل برنارد لويس فى بادى الأمر ثم عاد وسحب كلامه فى عام ١٩٦٨ وقد اشارت سيرة الظاهر بيبرس الى وجود نظام طوائف للحرف . انظر سيرة الظاهر بيبرس ، خمسون جزءا فى خمس مجلدات ط (١) مطبعة عبد الحميد حنفى ، بدون تاريخ ، م (١) ج ٩ ، ص ٤٩٩ .

(٦٦) المقريزى ، اغاثة الامة ، ص ٨١ .

وعبارة أرباب كل صنعة تعنى الطائفة الحرفية التى تضم داخلها الأشخاص العاملين فى صنعة من الصنائع .

وقد خضع العاملون فى الصناعات المختلفة ، مثلهم مثل التجار فى الأسواق لرقابة الدولة المتمثلة فى المحتسب الذى كان يقوم بتعيين العرفاء على كل نوع من فروع الحرف ، وكان يتولى الحسبة فى العصر المملوكى مسلم قادر ... ويفهم ذلك من سياق ما جاء بسجل الحسبة فى العصر المملوكى الذى أورده القلقشندى (٦٧) ، وليس كما زعم المستشرق آشتور أن نسخة تقليد المحتسب لم يأت فيها أى ذكر لشرط أن يكون المحتسب من المسلمين .

---

(٦٧) اذ جاء به « ... خذ النصارى واليهود والمخالفين بلبس الغيار وشد الزنار ففى ذلك اظهار لما فى الاسلام من العزة ... » انظر القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج ١٠ ، ص ٤٦٠ وما بعدها ؛ وعن هذا الموضوع انظر ايضا ابن الأخوة معالم القربة ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

الفصل الثانى

النشـاط التجـارى لليهود فى العصر المملـوكى .

رغم أن التجارة كانت تعد ضمن الحرف التى مارسها اليهود فى عصر سلاطين المماليك ، فاننى خصصت لها فصلا مستقلا نظرا للدور الذى لعبه اليهود فى هذا المجال .

كانت القاهرة فى العصر المملوكى من أفضل البلاد تجاريا على مستوى العالم ، حيث كان يسهل على الانســان أن يثرى فيها بسرعة على حد تعبير احد الرحالة الذين شاهدوها ابـان هذه الفترة (١) .

ويبدو أن ثروة مصر واتساع تجارتها فى العصر المملوكى الأول قد اجتذبت كثيراً من يهود القسطنطينية وبغـداد ودمشـق وعكا وصور وحلب والأندلس ، فضلا عن البلاد الأوربيـة مثل

(١) Adler Jewish Travellers, p. 228.

فرنسا وايطاليا وغيرهما ، ويبدو كذلك أن هؤلاء اليهـود الذين كانوا قد استقروا فى مصر وصارت لهم سيطرة ونفوذ على النشاط المصرفى والأعمال المالية (٢) .

وان كان المستشرق آشتور يرى أن فترة دولة المماليـك البحرية كانت بمثابة فترة اضمحلال بالنسبة للنشاط التجـارى لليهود فى مجال التجارة الداخلية للدولة ، ويرجع ذلك الى عـدة أسباب منها ازدياد الاحتكار التجارى الذى تأسس على فرض قيود على الدلالين (٣) ، وبطبيعة الحال لم تكن هذه المشكلـة تخص اليهود وحدهم بل تأثر بها التجار عامة ، حقيقة ان التجار من غير اليهود استطاعوا أن يجدوا لأنفسهم مخرجا عن طريـق مشاركة رجال الدولة ,وهو ما لم يكن باستطاعة اليهود أن يفعلوه لذا تعرضوا لصعوبات كثيرة . وأشار أيضا الى أن سبب تقلص تجارة اليهود يرجع الى قيام رجال الدولة بالعمل فى التجارة من خلال وكلائهم ، الأمر الذى ضيق من التنافس الحر بين كافـة المواطنين الذين احترفوا ومارسوا مهنة التجارة (٤) .

ويفهم من وثائق الجنيزة أن معظم تجار اليهود كانوا مـن صغار التجار ومن متوسطى الحال ، كما يستشف من الأعمـال التى كانوا يقومون بها ، ومن السلع التجارية التى كانوا يتعاملون

---

(٢) Clerget (M.), Le Caire, étude de géographie urbaine et d'histoire economique, Le Caire, 1934, I, p. 217 ;
سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٤٢ .

(٣) الدلالون جمع دلال وهو الشخص الذى يتوسط بين البائع والمشترى ، انظر الشيزرى ، نهاية الرتبة ، ص ٦٤ هامش (١) .

(٤) Ashtor, Histoty of the Jews, I, 186.

فيها ، ويستشف من هذه الوثائق أيضا أن تجار اليهود قد أضيروا بشدة من جراء السياسة الاقتصادية لدولة المماليك (٥) .

وقد اشتغل اليهود بتجارة العطور والأدوية والعطـارة ، وكان يطلق على من يشتغل بها اسم العطار ، ومن المعروف أن العمل بالعطارة قد شكل بالنسبة لليهود أحد المصـادر المهمـة للكسب (٦) ، فوجد من بينهم من تخصص في بيع منتج واحد من العطارة مثل النشادر والعنبر (٧) ، أو غيرهما كما وجد بينهم من كان يتجول بين المدن والقرى أي أشبه بالدلال ، وكان يعمد في بعض الأحيان الى طرق الأبواب ليقنع النساء بقيمة ما يقدمه لهن من تركيبات علاجية بسبب عدم امتلاكه لحانوت يمارس فيه مهنته فقد كان العطار ياسمى اليهودى يمارس التجارة في أوائل العصر المملوكى عن طرق السعي والطواف في أنحاء البلد حتى يتمكن من بيع بضاعته (٨) .

---

(٥) Ashtor, The Jews in the Mediterranean Trade in the later Middle Ages, HUCA, IV, 1984, p. 176.

(٦) Ashtor, History of the Jews, I, p. 186.

(٧) العنبر مادة صلبة شهباء اللون تشبه الشمع ، اذا سخنت خرجت منها رائحة طيبة ويرى البعض أنه مادة بحرية تقذفها الأمواج الى الشاطىء ، أو انه مستخرج من الحوت ، ويقال أيضا انه مادة نباتية غير ان اغلب الاراء متفقة على أن مصدره بحرى من المحيط الهندى ، وهو يستخدم فى الطب والعطر ، انظر الشيزرى ، نهاية الرتبة ، ص ٤٩ ، ٥٠ هامش ١٥ ؛ ابن الأخوة ، معالم القربة ، ص ١٩٩ .

(٨) Ashtor, History of The Jews I, p. 187 ;

هذا وقد امدتنا وثائق الجنيزة باسـماء العـديد من العـطارين اليهود في العصر الفاطمى نذكر منهم :

– ابو سعيد نثانئيل بن صدقة العطار رابى وورمان .

كما ذاعت شهرة اليهود أيضا فى مجال بيع الخمور والاتجار فيها فى جزيرة العرب قبل الاسلام وبعده ، فقد أشاد الشعراء العرب بنبيذهم المعطر فى قصائدهم الشعرية (٩) .

وفى مجموعة وثائق الجنيزة فى القدس ، توجد وثيقة تنص على الغاء الكميات المطلوبة بين تاجرى خمر فى الفسطاط (١٠) ، وهذا يؤكد اشتغال اليهود فى هذه التجارة ابان العصر المملوكى .

وقد سئل ابن تيمية سؤالا بشأن اليهود الذين يقيمون فى مدينة كبيرة ويبيعون الخمر للمسلمين ويثرون من وراء ذلك ، فكان رده أنهم يستحقون على ذلك العقوبة التى تردعهم وأمثالهم عن ذلك ، وينقضى هذا عهدهم فى مذهب الامام أحمد وغيره ، واذا انتقض عهدهم حلت دماؤهم وأموالهم وحل بهم ما يحل

ـ ابو على العطار الفسطاط ، وأبو على العطار العسقلانى ، انظر :
Mann, The Jews in Egypt, II, pp. 286-287.
ـ وهليل العطار بن نحمان الحسيد الفسطاط انظر .
ـ والشيخ ابو الفخر العطار الفسطاط انظر :
Mann, The Jews in Egypt, II, p. 293.
ـ وأبو سعيد العطار ، وصدقة بن اهارون العطار . انظر :
ـ وابن اسحق الاعزازى العطار انظر : .
Ashtor, History of the Jews I, p. 187.
مما يؤكد امتهان اليهود لحرفة العطارة .

(٩) ومن الابيات التى تدل على ذلك :

أنا حنين ومنزلى النجف ... وما نديمى الا الفتى القصف
اقرع بالكاس ثغرباطية ... مترعة تارة واغترف
من قهوة باكر التجار بها ... بيت يهود قرارها الخزف
والعيش غض ومنزلى خصب ... لم تغذنى شقوة ولا عنف

انظر الأصبهانى ، كتاب الأغانى القاهرة ١٩٠٥ م جـ ٢ ، ١١٦ ، ١١٧ .

(١٠) Ashtor, Histiry of the Jews, I, p. 188.

بالمحاربين الكفار ، وللسلطان أن يأخذ منهم هـذه الأمـوال التى قبضوها من أموال المسلمين بغير حق ، ولا يردها الى من اشترى منهم الخمر ، وهذا بخلاف اذا ما باع ذمى لذمى خمرا سرا فانه لا يمنع من ذلك ، ويجوز للامام أن يخرب المكان الذى يباع فيه الخمر (١١) .

ومن المعروف أن الخمور كـانت قـد انتشرت بين مختلف طبقات الناس فى العصر المملوكى ، فعصرت الخمور فى شتى انحاء البلاد وبيعت طوال السنة على رءوس الأشهاد ، حتى أن ما عصر منها فى خزانة البنود (١٢) ، فى سنة واحدة قد بلغ اثنين وثلاثين الف جرة ؛ كما ذكر الكثيرون من الأوربيين الذين زاروا مصر فى عصر سلاطين المماليك أن الخمور كانت متوافرة فى البلاد ، وانهم لم يلقوا أية صعوبة فى الحصول على نبيذ فاخر فى اى وقت ، فضلا عن أن كثيرا من أهل البلاد كانوا يتظاهرون بشربه (١٣) .

(١١) ابن تيمية ، مجموعة فتاوى ابن تيمية ، القاهرة ١٣٢٩ هـ مقالة ٥١٠ بعنوان مسئلة فى اليهود بمصر من أمصار المسلمين ، جـ ٤ ، ص ٢٧٨ ؛ وكذلك فتوى رقم ٤٩٤ ، ص ٢٦٤ .

(١٢) كانت هذه الخزانة من منشآت الدولة الفاطمية ، بناها الخليفة الظاهر بين قصر الشوق وباب العيد لخزن أنواع البنود من الرايات والأعلام عدا أنواع السلاح والآلات الحربية ، وكان فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين فى سائر الصنائع وبها مدرسة لتعليم مماليك تلك الدولة أنواع العلوم وفنون الحرب وصنوف حيلها من الرماية والمطاعنة والمسابقة . ثم احترقت تلك الخزانة بما فيها من أنواع المتاع عام ٤٦١ هـ / ١٠٦٨ م ، وجعلت بعـد هذا الحريق حبسا للأمراء والوزراء والأعيان الى أن زالت الدولة الفاطمية . وقد اتخذها ملوك بنى أيوب سجنا تعتقل فيه الأمراء والمماليك ، ثم جعلوها منازل للأسرى من الفرنج المأسورين من البلاد الشامية ، واستمرت مخصصة لذلك الغرض زمن دولة المماليك حتى عهد الناصر محمد بن قلاوون . انظر المقريزى ، الخطط ، جـ ١ ص ٤٢٣ ، وما بعدها ؛ السلوك ، جـ ١ ق (٣) ص ٧٩٥ ، هامش (٤) .

(١٣) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢٣١ .

وقد عرفت مصر فى ذلك العصر انواعا عديدة من الخمور ، منها نبيذ التمر وكان يصنع من لبن الخيل الخمر ، وشغف به السلاطين كثيرا (١٤) والمزر وهو شراب يعمل من القمح (١٥) ، والنبيذ التمر بغاوى الذى كان يصنع عن طريق مزج عشرة أرطال من الزبيب الى اربعين رطلا من الماء ثم يوضع المزيج فى جرار تدفن فى زبل الخيل أياما حتى يتخمر (١٦) ، والاقسما التى كانت تعمل من الزبيب ، والبوزا التى كانت تعمل من الدقيق أو من الأرز أو من الشعير أو الذرة العويجة (١٧) ، والقند وهو عسل قصب السكر اذا تجمد ، واسمه فارسى معرب ، أى كند (١٨) وواضح من أسماء بعض هذه الأنبذة أنها ارتبطت ببعض أسماء المماليك مثل التمر بغاوى نسبة الى الأمير تمربغا ، والبشتكى نسبة الى الأمير بشتاك ، ومن المعروف أن المماليك شغفوا بشرب الخمر وأسرفوا فى تقديمها فى أفراحهم وولائمهم (١٩) ، وروى عن بعض السلاطين أنهم كانوا يجلسون فى أيام محددة لشرب الخمر

---

(١٤) المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ق (٢) ، ص ٦٠٧ هامش (٢) ؛ عبد المنعم ماجد ، نظم سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر جزءان القاهرة ١٩٦٤ ، ١٩٦٧ ، جـ ٢ ، ص ١١٧ ؛ اسماعيل عبد المنعم ، الأمراض الاجتماعية بين الطبقة الارستقراطية المملوكية فى مصر زمن سلاطين المماليك البحرية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب جامعة عين شمس ١٩٨٨ ، ص ١٥٦ ص ١٥٧ .

(١٥) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ص ١٠٥ ؛ اسماعيل عبد المنعم ، الأمراض الاجتماعية ، ص ١٥٦ .

(١٦) المقريزى ، السلوك جـ ٢ ، ق (٢) ص ٨٢٦ .

(١٧) ابن تغرى بردى ، منتخبات ، جـ ٢ ، ص ٢٧٩ ؛ اسماعيل عبد المنعم الأمراض الاجتماعية ، ص ١٥٦ .

(١٨) اسماعيل عبد المنعم ، الأمراض الاجتماعية ، ص ١٥٧ .

(١٩) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ٦٠ .

وقيل ذلك عن ابى بكر بن محمد بن قلاوون أنه عكف فى قصره على الشراب ومعه ندماؤه من الأمراء حتى لا يكاد الواحد منهم يفيق ساعة واحدة (٢٠) ، وروى أيضا بصدد السلطان فرج بن برقوق أنه عند عودته من الصيد كان يشق شوارع القاهرة وهو لا يكاد يثبت على فرسه من شدة السكر (٢١) .

وحاكى أمراء المماليك سلاطينهم فى الشغف بتعاطى الخمور، بل تجاهر بعضهم بشربها أمام الناس (٢٢) ، واعتادوا أن يتهادوا بها فى أفراحهم (٢٣) ، فقد بلغ ما استهلكه بعض الأمراء من الخمر خمسين رطلا فى اليوم الواحد (٢٤) ، وكان الناس يعتقدون أنه اذا حج أمير فانه سوف ينتهى عن شرب الخمر ، ولكنه كان لا يتوب (٢٥) ، ويفهم من المصادر المملوكية أنه كان اذا احتاج أحد السلاطين أو الأمراء الى كمية كبيرة من الخمر لحفل أو ظرف طارىء كانوا يقومون بتوزيعها على التجار اليهود والنصارى ذوى الشهرة فى صناعتها ، خاصة عندما تعوزهم الحاجة الى كميات كبيرة منها فى مناسبة ما ، ويطلبون اليهم توفيرها وقتما شاءوا لاحياء مجالسهم ومناسباتهم الاجتماعية ، ويحصلون على مرادهم من كميات الخمر مهما كانت ضخمة بتوزيع الكمية المطلوبة على أكثر من بيت من بيوت الخمر لتجهيزها سريعا (٢٦) ، واذا

---

(٢٠) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٦٢ .

(٢١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٢٥٠ .

(٢٢) المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ق (١) ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .

(٢٣) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ ١ ، ص ٥٠٠ .

(٢٤) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ٥٢ .

(٢٥) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢٣٢ ؛ اسماعيل عبد المنعم ، الأمراض الاجتماعية ، ص ١٨٠ .

(٢٦) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ق (١) ص ٢٧٢ ؛ اسماعيل عبد المنعم ، الأمراض الاجتماعية ، ص ١١٧ .

تأخروا فى توريدها كماحدث فى عام ٨١٦ هـ / ١٤١٣ م ، « كانت تجبى منهم بعنف وعسف وضرب » (٢٧) .

وشاع ايضا شرب الخمر بين عامة المصريين من غير المماليك ، فاذا وقع هجوم على كنايس اهل الذمة أو بيوتهم ، أسرع العامة الى نهب ما بها من خمور واحتسائها فى الحال قبل ان ينتزعها منهم منافس (٢٨) .

واعتبرت الخمور فى كثير من الحفلات والأفراح الشعبية متممة للمغانى (٢٩) ، وروى أن أحد فقهاء القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى تحدى أصحابه على أن يشرب الخمر وسط المجلس الدينى وهو على المنبر ، فاتفق مع شخص على ذلك وتظاهر بالسعال واستاذن الحاضرين فى شرب دواء « يصرف البلغم والخلط » فاحضر له ذلك الشخص زجاجة الخمر وشربه ما فيها عن آخره » (٣٠) .

ومع ذلك فقد وجد من بين سلاطين المماليك من حارب الخمور ومتعاطيها بل عمد بعضهم الى اراقة الخمور وتجريم تعاطيها فى مختلف أنحاء البلاد اظهارا للتوبة ، كما حدث فى عام ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م فى سلطنة الظاهر بيبرس ، وفى ذلك يقول أحد الشعراء :

لقد كان حد السكر من قبل صلبه

خفيف الأذى اذ كان فى شرعنا جلدا

---

(٢٧) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ق (١) ، ص ٢٧٢ .

(٢٨) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢٣٢ .

(٢٩) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢٣٣ .

(٣٠) الجوبرى ، المختار فى كشف الأسرار ، دمشق ١٨٨٤ ، ص ٣٥ .

فلما بـدا المصـلوب ، قلت لصـاحبى

الا تب ، فان الحد قد جـاوز الحـدا (٣١)

وتكرر ذلك فى السنوات ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م (٣٢) ، ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م (٣٣) و ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م (٣٤) ، وسنة ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م (٣٥) وسنة ٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م (٣٦) وسنة ٨١٦ هـ / ١٤١٣ م (٣٧) ، وسنة ٨٢٢ هـ / ١٤١٩ م (٣٨) ، وسنة ٨٣١ هـ/ ١٤٢٧ م ، ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م (٣٩) ، وفى ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م ، ولكن هذه الأوامر لم تكن لتستمر طويلا وسرعان ما يعود الناس بعدها الى التجاهر بشرب الخمر ، « ولم ينتهوا عما هم فيه »(٤٠).

وعمل عدد كبير من الباعة اليهود أيضاً فى تجـارة الزيت ، الذى كان يعد من الضروريات المهمة للغاية ، فقد أشارت وثائـق

(٣١) المقريزى ، الخطط ، جـ ١ ، ص ١٠٦ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ١ ق (١) ص ٣٣٦ ؛ اسماعيل عبد المنعم ، الأمراض الاجتماعية ، ص ١٦٧ .

(٣٢) المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ق (٢) ، ص ٥٩٥ .

(٣٣) المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ق (٢) ، ص ٥٩٧ .

(٣٤) المقريزى ، السلوك ، جـ ١ (٢) ، ص ٦٢٣ .

(٣٥) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (١) ، ص ٥٥ ، ٥٦ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ١ ق (١) ، ص ٤٢٤ ؛ احمد محمد عدوان ، الوضع الاقتصادى فى مصر ، ص ٢٣١ .

(٣٦) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ق (١) ، ص ٢٧٢ .

(٣٧) ابن الصيرفى ، نزهة النفوس والابدان فى تواريخ الزمان ، تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ١٩٧١ م ، ج ٢ ، ص ٤٥٣ .

(٣٨) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ق (٢) ، ص ٧٦٨ .

(٣٩) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج٤ ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٤٠) ابن اياس ، بـدائع الزهـور ، ج ٥ ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ ؛ اسـماعيل عبد المنعم ، الأمراض الاجتماعية ، ص ١٨١ .

الجنيزة التى ترجع الى القرن التاسع الهجرى / الثالث عشر الميلادى الى الزيات (٤١) ، ويقصد به من يقوم ببيع الزيت ، كابن الزيات ، وخلف الزيات ، كما جاء فى احدى الوثائق اشارة الى حانوت كان متخصصا فى بيع الزيتون والحبوب بحى اليهود فى الفسطاط (٤٢) .

وعمل اليهود كذلك فى تجارة النسيج بمصر ، فقد جاء فى وثائق الجنيزة انهم كانوا يتاجرون فى المنسوجات ، وانهم كانــوا يقومون كذلك بتصديره الى بلاد الشام (٤٣) .

ونقرأ أيضا فى وثيقة من القرن السابع الهجـرى / الثالث عشر الميلادى عن ثلاثة من تجار النسيج هم الكاهن البزاز (٤٤) ، بيان البزاز ومكارم البزاز (٤٥) .

(٤١) الزيات : هو عاصر الزيت وتاجره وصانعه ، وربما اطلقت على صاحب معصرة الزيت ، انظر حسن الباشا ، الفنون الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٢٥٧ .

(٤٢) Ashtor, History of the Jews, I, p. 188.

(٤٣) Ashtor, History of the Jews, I, p. 189 ; David (A), Jewish lief in Egypt, p. 18.

(٤٤) من المعروف أن البز هو الثياب الرفيعة من الكتان ، والبزاز هو بائع الثياب أو تاجرها ، ومن المعروف أيضا أن أبا بكر الصديق كان يعمل بزازا ، انظر حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، جـ ١ ، ص ٢٠١ ؛ وان محمد بن طغج الاخشيدى يعد أول من اهتم فى القرن ٤ هـ ؛ ١٠م بالمتاجر الخاصة بالثياب والمنسوجات فانشا قيسارية البز بمدينة الفسطاط ، وقد لعبت هذه القيسارية دورا مهما فى التصدير الى الخارج ، وكان نصيب العراق منها فى أيام الدولة الفاطمية عظيما ، ويفهم كذلك من حديث المؤرخ ابن دقماق عن قيسارية بدر الخفيفى بالفسطاط أنه كان يوجد للبزازين أسواق خاصة بهم فى المدن المصرية ، وأن وجه قيسارية البز كان فى ســوق البزازين ، وأن مدينــة المحـلة كانت تضـم قياسر وبزازين البز ، وتجارته كانت غاية فى الرواج ، انظر ابن دقماق ، الانتصار جـ ٤ ، ص ٤٠ ؛ أحمد عبد الرازق ، أضواء جديدة ، ص ١٣٦ .

مما يعنى أنه كان للبزازين أسواقا خاصة بهم فى المدن المصرية ، وأن خرقة

(٤٥) Mann, The Jews in Egypt, I. p. 178.

وقد خضعت حرفة البز والبزازين ، شأنها شأن بقية الحرف لاشراف المحتسب الذى كان يشترط الا يتحدث فى البز الا من عرف أحكام البيع وعقود المعاملات (٤٦) ، وكان يحلف البزازون فيما يباع بينهم (٤٧) ، كما كان المحتسب يتفقد موازينهم وأذرعتهم ويمنعهم من مشاركة المنادى والدلال ويراعى حسن معاملتهم مع المشترين وجلابى البضائع (٤٨) ، وكان يشترط أيضا على البزاز أن يعمل ذراع خشب طوله بعرض الابهام ، أربعة وعشرون أصبعا محزوزة ، وينقش على طرفه الأول اسم الامام ، وعلى الطرف الثانى اسم المحتسب ، ليتعيشوا به وليرتفع الشك فى طول أمتعة الناس وعرضها (٤٩) .

ويبدو كذلك أن بعض تجار اليهود قد تخصصوا فى تجارة الحرير ، فقد اشتكى تاجر يهودى فى خطاب غير مؤرخ من صعوبات بيع الحرير فى الاقاليم المصرية ، كما عثر فى قوائم احد هؤلاء التجار على كشف حساب يرجع الى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى لتصنيع كمية الحرير (٥٠) .

وكانت تجارة الحرير تخضع لاشراف المحتسب ، الذى اشترط على الحريرى عدم صبغ القز قبل تبييضه حتى يتغير لونه بعد ذلك ، وقد يفعلونه حتى يزيد لهم ، ومنهم من يثقله

---

(٤٦) الشيزرى ، نهاية الرتبة ، ص ٦١ .

(٤٧) ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص ٨٠ .

(٤٨) الشيزرى ، نهاية الرتبة ، ص ٦٣ .

(٤٩) ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص ٨٠ ؛ احمد عبد الرازق ، اضواء جديدة ، ص ١٢٦ .

(٥٠) Ashtor, History of The Jews, I, p. 189.

الحرير بالنشا ومنهم من يثقله بالسمن أو الزيت ومنهم من يجعل فى ظهره عقداً من غيره (٥١) .

ومن اليهود من عمل أيضا فى تجارة الأقمشة الغالية ، فقد كان بالقاهرة عدة حوانيت لليهود فى سوق الجملون تخصصت فى بيع الأقمشة الغالية (٥٢) ، وسوق الجملون معروف بحوانيتـه الزاخرة بالبضائع الثمينة ، وهناك سوق الجملون الصغير الذى روى المقريزى أنه تجول فى حوانيته وذكر أنه كان يضـم تجـار الأقمشة البزازين ، المتخصصين فى بيع ثياب الكتان المصنوعة من الخام الأزرق وأنواع الطرح المختلفة ، وأصناف ثياب القطن ، وكان يتم بهذه السوق بيع الأقمشة بالمزاد أحياناً ، كذلـك وجـد به بعض الخياطين وعدد من البابيه الذين كانوا يقومون بغسـل الثياب وصقالها ، ووجد به أيضا حوانيت الضببين (٥٣) .

وسوق الجملون الكبير الـذى كان يقـع بوسـط سـوق الشرابشيين (٥٤) ، ويصل من البندقـانيين (٥٥) ، وحـارة

---

(٥١) الشيزرى ، نهاية الرتبة ، ص ٧١ .

(٥٢) المقريزي ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٠٣ ؛ ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، جـ ٩ م (١) ، ص ١٠٢ .

(٥٣) Raymond (A), Les marchés du Caite, pp. 184-185.

(٥٤) الشرابشيين ، لفظ فارسى من كلمة ، سربوش ومعناها غطاء للرأس وهى معربة عامية بمعنى طربوش ، محمد التونجي المعجم الذهبى ، بيروت ١٩٦٩ م ، ص ٣٤١ ، والشرابشيين مفردها شربوش وهو شيء يشبه التاج كأنه شكل مثلث يجعل على الرأس بغير عمامه ، وقد بطل أستخدامه في دولة الجراكسة انظر :

Dozy, Dictionnaire détaillé des noms des vétements, pp. 220-222, 223.

(٥٥) يفهم من سياق كلام المقريزى من يقومون بعمل وصناعة قسى البندق انظر المقريزى ، الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٤٩ .

الجودرية (٥٦) ، وكان يوجد به حوانيت سكنها البزازون ، وهذا السوق عرف ايضا بحوانيته الزاخرة بالبضائع الثمينة ومن هنا اقتضت الضرورة وضع حماية شديدة عليه فى مواجهة اللصوص وخاصة فى أوقات الازمات ، وفى نهاية القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى بنى له بابين على جانبه كانا يغلقا ليلا ، وكان يوجد الى جواره فندق الصرف (٥٧) .

وكما كان التجار اليهود يقومون بنقل المنتجات الصناعية المصرية الى بلاد الشام ، فقد كان تجار الشام ينقلون بدورهم بعض المنتجات الى مصر ، وكانت صناعة الصابون فى كل من بلاد الشام أو فلسطين من الصناعات المهمة لذا كان يقوم بعض تجار اليهود بنقل الصابون من بلاد الشام الى مصر (٥٨) .

اما الباعة الجائلون فقد كانوا يجوبون القرى المصرية فضلا عن طائفة منهم كانت تحصل على اجورها فى مقابل عملها فى الحوانيت الضخمة فى المدن الكبيرة ، وكان هؤلاء الجوالون يعودون الى منازلهم فى أيام السبت وفى أوقات متباعدة فى أيام الأعياد ، وقد كتب« يتسحاق بن مئير لطيف » فى النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى فى خطاب

---

(٥٦) عرفت بهذا الاسم نسبة الى الطائفة الجودرية أحد طوائف العسكر فى الدولة الفاطمية وهو جودر خادم عبيد الله المهدى ، اختطوها حين بنى جوهر القاهرة ، ثم سكنها اليهود بعد ذلك الى أن بلغ الحاكم الفاطمى أنهم يهزءون بالمسلمين ، فسد عليهم أبوابها وأحرقهم ليلا ، انظر المقريزى ، الخطط ، جـ ٣ ، ص ٦٠ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٣٥٣ .

(٥٧) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٠٣ ؛ ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات جـ ٩ م ١ ، ص ٩٠ ؛
Raymond, Les marches du Caire, pp. 195-196.

(٥٨) Ashtor, History of the Jews, I, p. 189.

أرسله من القدس ، أن اليهود كانوا يعملون فى التجارة فى القرى وفى دمشق ثم يعودون أدراجهم بسلام ذلك لأن الطرق كانت آمنة للغاية (٥٩) . وكان لليهود نصيب كبير فى تجارة السكر ، فقد أشارت العديد من وثائق الجنيزة الى هذه التجارة (٦٠) .

وجدير بالذكر أنه فرضت قيود كثيرة على اليهود بالنسبة لكل أنواع التجارة السابقة بسبب سياسة الاحتكار التى طبقتها الدولة المملوكية ، وما ترتب على ذلك من فرض مكوس باهظة ، وقد انعكست هذه الاجراءات على تجارة المحاصيل التى كانت بدورها تجارة مهمة فى الدول الزراعية فى كل من مصر وبلاد الشام ، ومن المعروف أن اليهود عملوا فى العصور السابقة على العصر المملوكى ، فى كل من مصر وبلاد الشام فى تجارة المحاصيل كما يفهم من وثائق الجنيزة (٦١) .

غير أن الحال تبدل فى العصر المملوكى الأول حيث تركزت تجارة المحاصيل فى أيدى الأمراء من أصحاب السلطة والنفوذ ، كما تركزت فى أيدى أبناء السلاطين ، الذين أحضروا كميات ضخمة من المحاصيل من الوجه القبلى الى بولاق وجمعوها هناك فى أهراء (٦٢) ضخمة ثم قاموا بنقلها بعد ذلك بواسطة السفن

(٥٩) Ashtir, History of the Jews, I, p. 160.

(٦٠) Ashtor, History of the Jews, p. 19ù.

(٦١) Ashtor, History of the Jews, I, pp. 190, 191.

(٦٢) الأهراء ، المخازن والشون ، وهناك أهراء سلطانية كانت تخزن فيها الغلال الخاصة بالسلطان ولا تفتح الا فى حالات الشدة والمجاعات ؛ انظر خليل بن شاهين الظاهرة ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، باريس ١٨٩١ م ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ ؛ عاشور ، العصر المماليكى ، ص ٤١٥ .

والى بلاد الشام والحجاز (٦٣) ومن المعروف أنه فى نهاية القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى والنصف الأول من القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى انخفض مستوى التجارة الخارجية فى دولة المماليك ، وتقلص بالتالى عدد اليهود المشاركين فيها (٦٤) .

ووصلنا كذلك بعض المعلومات عن اليهود الذين عملوا فى تجارة الأحذية ، ففى خطاب باللغة العبرية أرسل فى الفترة الموازية لنهاية عصر المماليك من القدس الى ايطاليا ، يأتى ذكر تجـار الأحذية اليهود الذين يجوبون القرى ، ويروى كاتب هذا الخطاب كيف أن اهل القرى كانوا يستقبلون هؤلاء التجار بحفاوة ويقدمون لهم الأطعمة ويعطونهم أجرهم كاملا (٦٥) .

اما بالنسبة لتجارة الكارم ، فيلاحظ أن الأصل اللغــوى لمصطلح الكارم لا معنى له فى العربية ، ومدلوله مازال غامضـا حتى الآن ، بعد أن تعددت الافتراضات حول أصله اللغوى ، اذ يرى البعض انه اشتق من كلمة Kanima وهو اسم لقاطفة كانت تسكنها بعض قبائل الزنوج فى غرب الســودان (٦٦) . ويرى القلقشندى الذى اعتنق هذا الأصل أن هذه الكلمة مشتقة

(٦٣) Poliak, Les révoltes pipulaires en Egypte à l'époques res Mamlouks et levrs Causes économiques, REI, Cahier III, 1934, pp. 234-260.

(٦٤) Ashtor, History of the Jews, I, p. 191.

(٦٥) Ashtor, History if the Jews, II, p. 151.

(٦٦) Fischel (W.) The Spice Trade in Mamluk Egypt, JESHO, I, Leiden, 1958, p. 158.

من كلمة كانم (٦٧) وهى حسب زعمه فرقة من السودان ، منهم طائفة مقيمة بمصر تتاجر فى البهار من الفلفل والقرنفل ونحوهما مما يجلب من الهند واليمن فعرف لذلك بهم (٦٨) . وقد أيد هذا الرأى المستشرق كاترمير فى تأصيله لهذه اللفظة (٦٩) ، منذ ما يزيد على مائة عام وتبعه فى ذلك كثير من الباحثين الأوربيين ، وبعدها دخلت هذه اللفظة فى المعاجم العربية وان كان فيشيل يرى أن هذا الرأى يعد ضعيفا الى حد كبير لأنه ليست هنـاك سمات عرقية أو جغرافية تتصل بتجار الكارم فى مصر يمكـن ربطها بتلك التى فى غرب السودان (٧٠) .

---

(٦٧) يقع اقليم الكانم فى السودان الأوسط الى الشرق والشـمال الشرقى من من بحيرة تشاد ، انظر ابراهيم على طرخان ، امبراطورية البرنو الاسلامية ، القاهرة ١٩٧٥ م ، ص ٤٥ ؛ وكانم بكسر النون من بلاد البربر فى أقصى الغـرب فى بلاد السودان انظر ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ ٧ ، ص ٢١٠ ؛ وبلادهم ـ أى الكانم ـ بين أفريقية وبرقة وتمتد جنوبا الى سمت الغرب الأوسط ومبدأ هذه المملكة من جهة مصر مدينة دالا أو زالا ـ وآخرها بلدة كاكا ، بينهما ثلاثة شهور انظر ابن فضل العمرى ، مسـالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، تحقيق أيمن فؤاد سيد القاهرة ١٩٨٥ م ، ص ٩ ؛ ويرجع تاريخ ظهور مملكة كانم الى الأزمنة السحيقة ، وقد كثرت الروايات والأساطير حول أصول هذة المملكة غير أن التاريخ المحقق لظهور مملكة كانم يرجع الى القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى ؛ ثم نمت واتسعت خلال القرنين ٣ ـ ٤ هـ/٩ ـ ١٠ م ؛ ابراهيم طرخان امبراطورية البرنو الاسلامية ، ص ٤٦ .

(٦٨) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٣٢ .

(٦٩) Quatremére Mémoirés gégraphiques historiques sursu l'Egypte, II Paris, 1811, pp. 27-28-285 ; Subhi (Labil), Encyclopedia of Islam, IV, Leiden, 1990, p. 640, art, Karimi.

(٧٠) انظر : Fischel, The Spice Trade, p. 158.

أما ليتمان فيرجح أن أصل هذه التسمية يرجع الى الكلمة الأمهرية Karkuma (٧١) وهى نوع من التوابل كان تجار الكارم يقومون بتصديره الى اثيوبيا ، ونظرا لأن تجار الكارم كانوا فى المقام الأول يديرون تجارتهم عبر المحيط الهندى والبحر الأحمر ، فقد رجح ليتمان أنه ربما ارتبطت كلمة كارم باسم نوع من انشطتهم التجارية (٧٢) . على حين ذهب بلوشيه الى الترجيح بأنها مشتقة من الأصل السريانى Karkuna (٧٣) .

أما جاستون فييت فيذكر أن الاشتقاق اللغوى لكلمة كارم ليس له دلالة فى اللغة العربية ، ويبدو أن اسمه القديم Kanim مشتق من كلمة Kapam وهو اسم لشعب من جنوب السودان ، وان الكارمية هم التجار المتخصصون فى توابل الكارم ، ويرى أيضا أن Karim او Karam ذات أصول آشورية اشتقت من كلمة Karkuma التى وجدت على أحد النقوش بمعنى الأصفر ، ويؤكد على أن هذا التفسير الآشورى لا يستند الى أية دلائل مقنعة (٧٤) .

على حين يرى صبحى لبيب أن الكارميين اسم لمجموعة من التجار المسلمين كان نشاطهم يمتد عبر مراكز التجارة فى دولة الأيوبيين والمماليك خاصة فيما يتعلق بتجارة التوابل (٧٥) .

---

(٧١) Littmann. (E.), Recensiones, ORIENTALIA, VII, 1939, p. 176.

(٧٢) Littmann, Recensiones, p. 175 ; Subhi, Karimi, p. 640.

(٧٣) Blochet (E.), Histoire de Makrizi, Revue de l'orient latin VIII, 1900 - 1901, p. 540.

(٧٤) Wiet (G.) Les marchands D'epices sous les sultans mamlouks, Cahiers d'histoire Egyptienne, 1955, pp. 86-87.

(٧٥) Subhi (Labib), Karimi, p. 640.

والتفسير الجديد لكلمة « كارم » الذى أورده جواتين مفاده أن أصل هذه الكلمة ليس عربيا ولكنه هندى ، لأن لغـة جنوب الهند « التامل » تشتمل على كلمة « كاريام » وهى تعنى أشياء أخرى ، الأعمال أو الأشغال . وهناك تفسير جديد أورده الشاطر بصيلى فى مقال له عن الكارمية ورد فى ذلك التفسير أننا اذا اقتطعنا لفظة كارم قسمين لوجدناه يتكون من « كار » فى المقطع الأول ثم « يم » فى المقطع الثانى ، وكار معناه الحرفة أو العمل أو التجارة أو الوظيفة و « يم » معناه المحيط أو البحر البعيد الشواطىء ، أو النهر الكبير ثم سقط حرف الياء من « كاريم » فأصبحت «كارم» وأن معنى الكلمة حسب هذا التفسير هو حرفـة التجـارة فى البحـار (٧٦) .

هذا وقد استدل البصيلى من تفسيره لتجارة الكارم على أن هذه التجارة قديمة وسابقة ايضا على العصر الفاطمى ، وقـد ظل نشاطها فى المحيط الهندى واستمرت عدن مركزا لنشاط تجارها حتى انتقل مركز تجارة العالم من المحيـط الهندى الى البحـر المتوسط وانتقلت مراكز تجارة العالم الى سواطىء هذا البحر ، وكان من الطبيعى أن يتخذ العاملون فى هذه التجارة مراكز لهم على مقربة من هذا البحر ، ولهذا جاء هؤلاء التجار الى مصر واتخذوا منها موطنا لهم فى سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م (٧٧) .

(٧٦) عطية القوصى ، تجارة مصر فى البحر الاحمر ، ص ١٠١ ، ١٠٢ ؛ اضواء جديدة على تجارة الكارم من واقع وثائق الجنيزة ، المجلة التاريخية المصرية ، م ٢٢ ، ١٩٧٥م ، ص ٣٦ ؛ الشاطر بصيلى ، الكارمية ، المجلة التاريخية م ١٣ ، القاهرة ١٩٦٧ م ، ص ٢٢٠ ؛

Goitein, New Light on the Beginings of the Karim Merchnts, JESHO, I, 1958, p. 182.

(٧٧) الشاطر البصيلى ، الكارمية ، ص ٢٢٧ ؛ عطية القوصى ، تجارة مصر ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

وكان الفلفل والبهار من أهم سلع تجارة الكارم ، وبالاضافة الى هاتين السلعتين المهمتين ، تاجر الكارمية فى سلع اخرى كالحاصلات الزراعية ، والملبوسات ، والحرير الخام ، والخشب والدقيق والسكر ، والاسلحة ، وأدوات الزينة وبضائع اليمن الغالية الثمن ، واحتفظت التوابل طوال الوقت بمكان الصدارة فى تجارة الكارمية ، وكانت اليمن وبخاصة عدن مركز تجارة الكارم ونقطة الانطلاق الرئيسية لهم فى العهد الفاطمى ، وكانت توابل الهند تصل الى اليمن اما على ايديهم او على ايدى تجار الهند ، وكانت تجمع فى عدن وتصدر الى عيذاب ، وكان ذلك يتم فى مواسم معينة من السنة ، ويعتبر يوم وصول قوافل الكارمية الى مصر حدثاً مهماً تؤرخ به الأحداث فى البلاد (٧٨) .

كذلك كان العاج وجلب الرقيق الى مصر من أهم صادراتهم ، وكان التاجر الكارمى فى العادة عند وصوله لبعض المناطق التى يجلب منها تجارته مثل الهند ، يرسل الى زوجته وأولاده أو من يعولهم يزف اليهم بشرى بضائع قيمة ثمينة ، مما يدل على أن بعض بضائعهم كانت ذات قيمة كبيرة ونادرة (٧٩) .

ويستشف من وثائق الجنيزة ان ذروة النشاط التجارى لتجار الكارم كان فى الفترة الأيوبية والمملوكية (٨٠) ، كما تظهر وثائق الجنيزة بوضوح انه على الأقل فى العصر الفاطمى كان

---

(٧٨) Fischel, The Spice Trade in Mamluk Egypt, pp. 161-162.

عطية القوصى ، تجارة مصر فى البحر الأحمر ، ص ١٠٣ .

(٧٩) زين العابدين عبد الرحيم السراج ، دولة كانم الاسلامية ، من القرن التاسع الميلادى الى الرابع عشر الميلادى ، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة القاهرة ١٩٧٥ م ، ص ١٦٧ .

(٨٠) Goitein, New light, pp. 181-183 ,

عطية القوصى ، تجارة مصر فى البحر الاحمر ، ص ٩٧ .

الهندوس والمسلمون والنصارى واليهود يعملون معا فى عمليات التجارة بين الهند والغرب ، كما أن تجارة الكارم كانت تحمل الركاب والبضائع واليهود (٨١) .

واغلب المعلومات التى وصلتنا عن تجار الكارم تأتى من خلال التراجم الذاتية لهؤلاء الكارميين فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ، فضلا عن بعض المعلومات المتناثرة فى المصادر التاريخية للمؤرخين العرب التى ترجع الى نهاية العصور الوسطى ، ولا شك فى أن هؤلاء التجار قد عملوا بنشاط فى تجارة التوابل وفى سائر أنواع المتاجرات الأخرى التى تأتى من الهند الى عدن ثم الى مصر ، وكانت فى حوزتهم كل مقاليد التجارة الخاصة بتجارة الهند (٨٢) ، كما كانوا يملكون مخازن كثيرة فى الفسطاط (٨٣) ، وفى قوص بصعيد مصر (٨٤) كذلك كان الحال بالنسبة لعدن وتعز وزبيد فى اليمن (٨٥) ، وكانوا أيضا يملكون السفن التجارية بالإضافة الى بعض السفن الحربية بهدف حماية قوافلهم من قراصنة البحار (٨٦) .

وقد حرصت الدولة المملوكية على تعيين مستخدمين لتجار الكارم كان من أهم اختصاصاتهم جباية المكوس المفروضة

---

(٨١) Goitein, New Light, pp. 181-183.

(٨٢) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ق (١) ص ١٣٢ ، ١٣٣ ؛ ابن حجر ، أنباء الغمر جـ ١ ، ص ٤٩ ، ٥٠ ؛ الدرر الكامنة ، جـ ٤ ، ص ٢٥٧ .

(٨٣) ابن دقماق ، الانتصار ، جـ ٤ ، ص ٤٠ .

(٨٤) Garcin (J.C.), Un centre musulman de la haute-Egypte médiévale Qûs, Institut Fransais d'Archéologie orientale du Caire 1976, p. 230.

(٨٥) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١١٧ .

(٨٦) Ashtor, Histiry of the Jews I, p. 197.

عليهم (٨٧) ، غير أن دولة المماليك لم تكن تهتم نتط بتجارة الكارم لأنها تجبى من ورائها مكوسا كثيرة بل كان يوجد بين هؤلاء التجار من يمتلك ثروات هائلة كان السلاطين يلجئون إليهم فى أوقات الشدة والمحن طلبا للقروض ، اذ تروى المصادر أن أحد هؤلاء التجار قام باقراض السلطان الناصر محمد مبلغ ستة عشر ألف دينار (٨٨) ، كما أقرض ثلاثة من تجار الكارم وهم برهان الدين ابراهيم المحلى وشهاب الدين أحمد بن محمد بن مسلم ونور الدين على بن الخروبى السلطان برقوق فى سنة ٧٩٦ هـ / ١٣٩٦ م ألف الف درهم فضة (٨٩) .

وتشير المصادر العربية أيضا الى المكانة الاقتصادية المهمة التى كان يتمتع بها تجار الكارمية فى البحر الأحمر ومصر اذ عن طريقهم أمتد نفوذ مصر التجارى الى المحيط الهندى ، كما لعب هؤلاء الكارمية دوراً مهما فى اقامة علاقات تجارية وصلات طيبة بين مصر واليمن واستطاعوا الوصول الى أعلى المناصب (٩٠) .

وهنا يتبادر الى الذهن سؤال مهم هل شارك اليهود فى تجارة الكارم ؟ هناك بعض المعلومات المتفرقة التى تشير الى وجود بعض تجار الكارم من بين اليهود الذين ظلوا حتى بعد اعتناق

---

(٨٧) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٣٢ .

(٨٨) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ق (١) ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ ؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ ١ ، ص ٤٠٢ ؛ نعيم زكى فهمى ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٣ م ، ص ١٩٢ .

(٨٩) ابن حجر ، أبناء الغمر ، جـ ١ ، ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

(٩٠) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية ، مصر ١٩١١ م ، جـ ١ ، ص ٣٧٣ ؛ صبحى لبيب ، التجارة الكارمية ، ص ١٦ ، ١٧ .

الاسلام مخلصين لدينهم ، فقد حدثنا المقريزى عن تاجر يهودى من تجار الكارم اعتنق الاسلام (٩١) .

ووصلنا ايضا خطاب ضمن وثائق الجنيزة يرجع الى العصر المملوكى ومدون بالعربية بحروف عبرية يضم أسماء العديد من المسلمين واسم نصرانى واحد ، نقرأ فيه لفظة الكارمى مرتين إحداهما مع اسم نصر الله بن الكارمى والثانية مع اسم فرج الله الكارمى (٩٢) .

ونظرا لأهمية تجارة الكارم وتاثيرها البالغ على سلاطين المماليك واليمن ، فقد رجح احد الباحثين أن التجار المسلمين سيطروا سيطرة كاملة على هذه التجارة ولم يدعوا لغيرهم من اهل الذمة مكانا فيها ، كما ذكر انه لا يوجد لدينا معلومات مؤكدة عن وجود تجار يهود للكارم ، خاصة من بين هؤلاء الذين احتفظوا باصلهم وعقيدتهم (٩٣) .

وقد ورد فى أحد المراجع ما يفيد وجود احدى العائلات اليهودية لقبت باسم بيت الكارم ، ولم يرد فى هذا المرجع ذكر للمصدر الذى أستقى منه هذه المعلومات (٩٤) .

كما يعتقد فيشيل أن تجار الكارم كانوا من تجار المسلمين فقط ، ومع ذلك فلدينا وثيقة بالعربية اليهودية جاء فيها عبارة

---

(٩١) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ق (١) ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٩٢) اشتور ، خطاب من عصر المماليك ، ص ٢٠٥ .

(٩٣) اشتور خطاب من عصر المماليك ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٩٤) Lane (A.), Pottery and Glass Fragments form the Aden Litteral with Historical Notes, JRAS, I, 1948, p. 113

عطية القوصى ، اضواء جديدة ، ص ٢٩ .

وهذا يتصل بالكارمين من رفاقنا اليهود » (٩٥) . ولدينا أيضا بقايا خطاب من وثائق الجنيزة يقرأ فى السطر الأخير منه « وقد خرج فى الكارم من أصحابنا اليهود » (٩٦) ومع ذلك فان هـذه المعلومات لا تعد دليلا قاطعا على اشتغـال اليهـود بتجـارة الكارم .

ويرى جاستون فيت أن جميع تجار الكارم من المسلمين ، كانوا يلقبون برؤساء الكارمية أو رؤساء التجار ، على أن واحدا منهم كان يهوديا (٩٧) ، فى حين يرى Clerget أن غالبية هؤلاء التجار كانوا من اليهود (٩٨) ، وهذا يخالف تماما ما ذهب اليـه جاستون فيت الذى يؤكد أن هؤلاء التجار كانوا من بين المسلمين ومن أهل التقوى ، كما يستشف من سيرة حياتهم (٩٩) ، وقـد دلل هذا المستشرق على رأيه بثبت ضمنه أسماء العديد مـن تجار الكارم نجد بينهم أثنين فقط يرجعان الى أصول غير اسلامية، أولهما كان والده نصرانيا ثم اعتنق الاسلام وهو سدر الدين حسن ابن السويدى الذى عمل بتجارة الكارم فيما بين القاهرة واليمن فى عام ٨٢٩ هـ / ١٤٢٦ م ، والآخر عز الدين عبد العزيز بن منصور الكولامى ، الذى كان والـده يهوديـا من حلب ثم تحـول الى الاسلام (١٠٠) .

(٩٥) Ashtor, The Karimi Merchants, JARS, Paris 1-2, 1956, p. 55.

(٩٦) Ashtor, History of the Jews, I, p. 198.

(٩٧) Wiet (G.) Les marchands d'epices, p. 130.

(٩٨) Clerget, Le Caire, II, pp. 321-322.

(٩٩) Wiet, Les marchands d'epices, p. 130.

(١٠٠) Wiet, Les marchands d'epices, pp. 107-119 ; Fischel, The Spice Trade in Mamluk, p. 166.
؛ المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ق (١) ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

وهناك مجال واحد من مجالات التجارة فى مصر لم يشارك فيه اليهود وهو تجارة الرقيق ، ومن المعروف أن اليهود اشتغلوا فى بدايات العصور الوسطى فى تجارة الرقيق فى أوربا وفى بلاد الشرق وفى بلاد أخرى (١٠١) ، أما فيما يتعلق باشتغال يهود مصر فى تجارة الرقيق فليس لدينا معلومات عن هذه الفترة (١٠٢) ، كما تخلو اغلب وثائق الجنيزة التى وصلت الينا فى الفترة من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى الى القرن السابع الهجرى/الثالث عشر الميلادى من اية معلومات عن اشتغال اليهود بتجارة الرقيق سواء فى حوض البحر المتوسط أو على المستوى الافريقى او الهندى (١٠٣) .

ويحق لنا أن نتساءل هنا هل بحث التجار اليهود الذين لم يجدوا فى التجارة ربحا كافيا عن وسيلة اخرى للرزق ؟ وهل تحول بعضهم للاقراض بالربا ؟ او بالعمل بالنشاط المصرفى بمختلف صوره ؟ الواقع أن ظاهرة اخذ الربا كانت شائعة عند اليهود قبل الاسلام بدليل أن القرآن الكريم وجه اليهم بسببها أشد تقريع واعنف تأنيب (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما) (١٠٤) .

(١٠١) Goitien, Slaves and Slavegirls in the Cairo Geniza records , ARABICA Revue d'études Arabes, Leiden, 1962, op. 1-20.

Ashtor, History of the Jews, I, p. 200.

(١٠٢) Ashtor, History of the Jews, I, p. 200.

(١٠٣) Giitein, Letters and Documents on he India Trade in Medieval Times, 16 XXXVII, (1), 1963, p. 197.

(١٠٤) سورة النساء ، اية رقم ١٦٠ ، ١٦١ ؛ اسرائيل ولفنسون ، تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام ، القاهرة ١٩٢٧ م ، ص ١٨ .

وقد أكد ابن قيم الجوزية فى كتابه هداية الحيارى على أكلهم الربا واستبدادهم دون العالم بالخبث والمكر والبهت وشدة الحرص على الدنيا ، وقسوة القلوب والذل والصغار والخزى ، والتحيل على الأغراض الفاسدة .. فإلى الله إيابهم وعلى الله حسابهم (١٠٥) .

وقد كان الربا محرما بين اليهود بعضهم البعض ، ومباحاً بينهم وبين الملل الأخرى لاعتقادهم باستباحة أموال الأديان الأخرى (١٠٦) . وقد انتقدهم غازى بن الواسطى (١٠٧) فى ذلك بمقاله « رد على أهل الذمة » (١٠٨) .

أما عن النشاط التجارى لليهود فى عصر دولة المماليك الجراكسة فمن الواضح أن عدد اليهود الذين عملوا بالتجارة فى هذه الفترة كان يفوق عددهم فى عصر المماليك البحرية ، يؤكد ذلك المعلومات التى وصلتنا من القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى والنصف الأول من القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى من خلال بعض المراسلات التى دارت بين يهود مصر ويهود بلاد الشام بصدد النشاط التجارى بينهم (١٠٩) .

---

(١٠٥) ابن قيم الجوزية ، هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ، تحقيق أحمد حجازى السقا ، القاهرة ١٩٧٨م ، ص ٢٥٩ .

(١٠٦) وافى ، حقوق الانسان فى الاسلام ص ٣٦ ؛ حسن ظاظا ، الفكر الدينى الاسرائيلى أطواره ومذاهبه ، القاهرة ١٩٧٥ م ، ص ٢٣٧ .

(١٠٧) الشيخ غازى بن الواسطى خدم الملك الأشرف المظفر موسى فى حمص ، ومن بعده ابنه المنصور ابراهيم ، ثم رحل الى مصر وعاش فى أيام السلطان الظاهر بيبرس وانقطعت أخباره بعد ذلك ، انظر :

Gottheil (R.), An Answer the Dhimmis, JAOS. 41, 1921, p. 409 ;

(١٠٨) Gottheil, An Answer, p. 475.

(١٠٩) انظر : Ashtor, History of the Jews, II, 157.

كما نجد في المصادر الاسلامية والمراجع اليهودية معلومات بشأن النشاط التجارى لليهود في هذه الفترة ، يمكن الاستدلال منها على اشتغال اليهود بتجارة المنسوجات والملابس ، فقد كانت لهم في القاهرة حوانيت متعددة في سوق الجملون (١١٠) . ومن اليهود من عمل أيضا بتجارة الكحل ، ففى وثيقة ترجع الى عام ٩١٧ هـ / ١٥١١ م كتبت في القاهرة ، نقرأ اسم رابى يعقوب المعروف باسم الكحلى أى الذى كان يبيع الكحل (١١١) .

ومن اليهود من عمل أيضا في تجارة الأغذية ، فقد جاء في خطاب يرجع الى النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى الاشارة الى يهودى عمل بتجارة الجبن ، ومارس كبار اليهود أيضا تجارة الحنطة ، بل وعملوا في مجال الأحجار الكريمة فقد جاء في مصدر عبرى يرجع الى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى اشارة الى تاجر احجار كريمة كان يقيم بالقاهرة (١١٢) .

وعمل كثير من اليهود في تجارة الخمور في زمن المماليك الجراكسة ، ولكنهم لم يكونوا وحدهم في هذه الصناعة ، فقد نافسهم في ذلك النصارى والأوربيون الذين تم أسرهم في مصر (١١٣) ، لأن هذه التجارة كانت مربحة لليهود ، وكان أكثر

---

(١١٠) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٠٣ ؛ ابن الفرات ، تاريخ الفرات ، جـ ٩ م (١) ، ص ١٠٢ ؛
David (A), Jewish Life in Egypt, p. 18.

(١١١) Ashtor, History of the Jews, II, p. 159.

(١١٢) Ashtor, History of the Jews, II, p. 159.

(١١٣) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، جـ ٩ ، م ١ ص ٩ .

المشترين للخمور من بين أمراء المماليك وسلاطينهم ، فقد روى الرحالة الألماني أرنولد فون هارف الذى زار مصر فى نهاية القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى أنه تقابل مع بعض المماليك من أصل ألمانى ، وقد تنقلوا معه على منازل اليهود والنصارى ، وشاهد الخمر فى الأماكن التى مر بها ، وحكى أيضا أن هناك بعضا من المسلمين كانوا يشاركون اليهود فى تناول الخمر ، وكان لليهود حانات للخمور (١١٤) .

ومن المعروف أن بعض سلاطين المماليك لجئوا فى أوقات الازمات والشدائد الى اراقة الخمور وتحريم تعاطيها فى مختلف انحاء الدولة المملوكية فى محاولة منهم لاظهار التوبة (١١٥) .

أما عن نصيب اليهود فى تجارة البحر المتوسط ، فيلاحظ انه لم يكن لهم نصيب كبير فى هذه التجارة ، ففى جنوة جرى اضطهاد لليهود وطردوا مرة تلو الأخرى من المدينة ، ولم يكن يسمح لهم بالبقاء فيها أكثر من ثلاثة أيام ، كما كان حالهم أكثر سوءاً فى مدينة البندقية (١١٦) .

ومع ذلك فمن الصعب القول بأنه لم يكن للتجار اليهود أى دور فى التجارة مع أوروبا والغرب ، لأن تجار اليهود لم يكونوا جميعا من بين تجار التجزئة بل كان يوجد بينهم العديد من التجار الأثرياء الذين أرسلوا تجارتهم فيما وراء البحار واشتروا بضائع من بين ما كان يصل الى سواحل مصر ثم باعوها لتجار التجزئة بعد ذلك فى الداخل ، بدليل اشارة بعض الوثائق التى ترجع الى

---

(١١٤) Arnold (V.H.) The Pilgrimage of Arnold, pp. 118-119.

(١١٥) انظر : ص ١٢٥ من هذا الفصل .

(١١٦) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 167-168.

النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادي الى الصلات التى كانت لهؤلاء التجار مع تجار ايطاليا (١١٧) ، كما أشارت بعض وثائق الجنيزة الى مجموعة من تجار اليهــود الأثرياء الذين كانو يستعينون بيهود آخرين كوكلاء تجاريين لهم فى البلاد الأخرى (١١٨) .

وعمل اليهود أيضا فى مجال الأعمال المصرفية (١١٩) التى كانت تدر عليهم أرباحا عالية .

---

(١١٧) David (A), Jewish Life in Egypt, p. 18 ; Ashtod, History of the Jews, II, pp. 169-170.

(١١٨) David (A.), Jewish Life in Egypt, 18-19.

(١١٩) أنظر الباب الأول الفصل الثانى .

الباب الثالث

البنية الداخلية لجماعات اليهود

فى العصر المملوكى

التقسيم الطائفى الدينى

الربانيون ، والقراءون ، والسامرة

انقسم اليهود فى مختلف مراحل تاريخهم الى فرق دينية تدعى كل فرقة أنها أمثل طريقة وأشد تمسكا بأصول الدين اليهودى وروحه عن غيرها ، وتركز الاختلاف بين تلك الفرق حول الاعتراف بأسفار العهد القديم « التوراة » والتلمود أو انكار بعض هذه الأصول ورفض الأخذ بما جاء فيها من أحكام وتعاليم (١) .

وكان اليهود فى مصر زمن سلاطين المماليك ثلاث طوائف هم : الربانيون ، والقراءون والسامرة (٢) ، فقد ذكر السخاوى

(١) على عبد الواحد وافى ، اليهودية واليهود بحث فى ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعي والاقتصادى ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٨٧ .

(٢) وعن الفرق اليهودية ، انظر مراد فرج ، القراءون والربانيون ، القاهرة ١٩١٨ م ، ص ١٣ ، ٤٢ ، ١١٢ ؛ محمد بحر ، اليهودية — القاهرة بدون تاريخ ، ص ١٤١ ؛ وما بعدها ؛ حسن ظاظا الفكر الدينى الاسرائيلى ، ص ٢٩٥ وما بعدها ؛ سيده كاشف ، مصر الإسلامية ، ص ٥٧ ؛ محمود رزق ، المجتمع المصرى ، ص ١٣٧ ؛ سلوى ميلاد ، وثائق أهل الذمة ، ص ٣٨ ، ٣٩ .

فى أحداث عام ٨٤٦ هـ / ١٤٤٢ م أن السلطان جقمق استدعى عبد اللطيف من الربانيين وفرج أحد مشايخ القرائيين وابراهيم كبير السامرة بالاضافة الى بطرك الملكية وبطرك اليعاقبة لأمور تتعلق بطوائفهم (٣) ، وهذا دليل على وجود الفرق الثلاث فى عصر المماليك .

والربانون أو الربانيون أو الربيون هم جمهور اليهود المعروفون أكثر من غيرهم ، وتعنى كلمة « ربانيم » بالعبرية الامام الحبر الفقيه ، وقد عربت هذه الكلمة الى « ربانى » ووردت فى القرآن الكريم فى قوله تعالى « انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله ... » (٤) ، وقد سمى أبناء هذه الفرقة « ربانين » اشارة الى اتباعهم تفسير علماء اليهود وفقهائهم فى المشنا (٥) ،

---

(٣) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٤٠ .

(٤) قران كريم ، سورة المائدة ، اية رقم ٤٤ .

(٥) المشنا ، كلمة عبرية تنطق « مشنة » بكسر فسكون ففتح وهو اسم كتاب عبري فقهى بمنزلة التفسير للتوراة ولكن للربانيين فيه اعتقاد خاص دون القرائين وهو أنه سنة عن موسى عليه السلام ، أوحى بها الله اليه فى أثناء الأيام الاربعين التي قضاها فى طور سيناء وأمره الا يكتبها وأن يبلغها شفويا ، ولذا فهى تعرف بالتوراة الشفوية وتقسم « المشنه » ستة أقسام تعرف ب سداريم وهى لفظة آرامية تعنى الأوامر وهذه العناوين الستن ، هى « زرعيم » أى الزراعة والبدور و « موعيد » أى الأعياد ، وناشيم ومعناها النساء ، ونزيكين ومعناها الجروح ، وقوداشيم ومعناها المقدسات والأشياء المقدسة ، وتوهاروت ، ومعناها المطهرات من الطهارة والنجاسة وما يتعلق بهما ، أنظر ابن النديم ، الفهرست ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة بدون تاريخ ، ص ٤٠ ؛ جواد على ، علم ابن النديم باليهودية والنصرانية ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، م ٨ ، ١٩٦١ م ، ص ٩٠ ، ٩١ ؛ مراد فرج القراءون والربانون ، ص ٣٦ الى ٣٨ .

والتلمود (٦) ، وتقيدوا بذلك حتى
صار هذا الاسم سمة عامة لهم (٧) .

وكانت رئاسة اليهود لواحد من الربانيين وهم أكبر طوائف اليهود فى تلك الآونة ، وكان له حق الأشراف على أبناء الطوائف الثلاث (٨) .

---

(٦) التلمود بالعبرية « المعرفة » أو « التعليم » ومصدرها العبرى لمد ، ومنها تلميذ بمعنى التلميذ لأنه يعلم الفقه والدين وتفسير التوراة ويقسم قسمين المشنة وهى النص أو المتن والجمارا وهى التفسير أو الشرح ؛ والتلمود هو الإسم الجامع للمشنة والجمارا معا ، والمشنة عبارة عن مجموعة تقاليد اليهود فى شتى نواحى الحياة اليهودية مع بعض الآيات من كتاب التوراة ، وهناك تلمودان يعرف أولهما بالتلمود الفلسطينى واليهود يسمونه الأورشليمى والثانى التلمود البابلى ، انظر شاهين مكاريوس ، تاريخ الاسرائيليين ، مطبعة المقتطف بمصر ، ١٩٠٤ م ، ص ١١١ ، ١١٣ ، مراد فرج ، القراءون والربانون ، ص ٣٩ ؛ صبرى جرجس التراث الصهيونى والفكر الفرويدى ، ط (١) ، القاهرة ، ١٩٧٠ م ؛ ص ١٠ احمد سوسه ، العرب واليهود فى التاريخ « حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثارية ، ط (٢) ١٩٧٢ م ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ ؛ أنور الجندى ، المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية فى غزو الفكر الاسلامى ط (٢) القاهرة ١٩٧٢ م ، ص ٢٩ ؛ فؤاد حسنين ، اليهودية واليهودية المسيحية ، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨ م ، ص ١٠١ ؛ محمد حسين منصور ، النظام القانونى للأسرة فى الشرائع غير الاسلامية ، الاسكندرية ١٩٨٣ م ، ص ٣٢ ؛ رشاد عبد الله الشامى الشخصية اليهودية فى أدب احسان عبد القدوس ، دار الهلال ، ١٩٩١ م ، ص ١٤٤ ؛ محمود مزروعة ، دراسات فى اليهودية ، ط (١) القاهرة ١٩٨٧ م ، ص ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٧) قاسم عبده ، أهل الدمة ، ص ١٠٩ .

(٨) الخالدى ، المقصد الرفيع ، ورقة ١٤٧ ؛ المقريزى ، السلوك ج ١ ق (٣) ص ٧٢٨ ، القلقشندى ، صبح الاعشى ج ١١ ، ص ٣٩١ ، ٣٩٢ ؛ فؤاد حسنين ، اليهودية ، ص ١٠١ ؛
Bosworth, Christian and Jewish, p. 210 ; Clerget Le Caire étude, p. 217 ; Cottheil, An Eleventh-Century, p. 539.

وكان عليه تنظيم العلاقة بينهم وبين الدولة ، فضلا عن تنظيم شئونهم الدينية والاجتماعية (٩) ، والقضائية (١٠) ، وتشير المصادر المعاصرة لدولة المماليك الى أن الربانيين انفردوا عن القرائيين بشروح لغوامض التوراة التى وضعها أحبارهم ، كما اباحوا تأويل نصوص التوراة (١١) .

أما الفرقة الثانية من فرق اليهود فى مصر فهى « القرائيين » (١٢) ، والكلمة مشتقة من المصدر « قرأ » بفتح وضم ممدود والألف ساكنة ، بمعنى قرأ — دعا — نادى — وذلك لأنهم لم يؤمنوا بغير (المقرا) أى ما يقرأ فيه وهى التوراة التى لم يعترفوا بغيرها من كتب اليهود كما أنهم لم يتقيدوا بما جاء فى التلمود (١٣) ، ويعتقدون بتسابق القدر ، ويعتمدون على الأهلة فى تقويمهم وحساب أعيادهم ومواسمهم مما أوجد فروقا فى هذه

---

(٩) محمود رزق ، المجتمع المصرى ، ص ١٣٧ .

(١٠) Adler, Jewish Travellers, p. 229 ; Clerget, Le Caire étude de géographie, p. 217.

(١١) الخالدى ، المقصد الرفيع ، ص ١٤١ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٢ ، ص ٥٧ ؛ ابن حزم ، اليهودية ، تحقيق وتعليق محمود على حماية ط (١) القاهرة ١٩٨١ م ، ص ٧٢ ، ٧٣ ؛ Gottheil, An Eleventh-Century, p. 537.

(١٢) الخالدى ، المقصد الرفيع ص ١٤١ ؛ ابن الجوزية ، هداية الحيارى ، ص ٢٥٣ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٧٦ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٢ ، ص ٢٥٦ ؛ محمد محمود نمر ، الأحوال الشخصية للطوائف غير الإسلامية من المصريين فى الشريعتين المسيحية والموسوية ، ط (١) القاهرة ١٩٥٧ م ، ص ٤٨ ، ٤٩ ؛ ابن يحيى المغربى ، إفحام اليهود ، ص ١٧٤

(١٣) الخالدى ، المقصد الرفيع ، ص ١٤١ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٢ ، ص ٢٥٨ ؛ بنيامين ، رحلة بنيامين التطيلي ، ترجمة وتعليق عزرا حداد بغداد ١٣٨٤ هـ ، ملحق رقم (٢) ، ص ٧٥ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ١١١ .

الناحية بينهم وبين الربانيين (١٤) . وقد شبههم بعض المؤرخين العرب بالمعتزلة فى الاسلام (١٥) ، والحقيقة أن هذا التشبيه لا يطابق الواقع ، ولعل السبب فى ذلك هو الخلط بينهم وبين الفريسيين (١٦) .

وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن أصل هذه الفرقة يرجع الى عنان بن داود ، فقد حدث أن توفى حاخام العراق الأكبر ورأس الجالوت فى الدولة الاسلامية ، وكان اسمه « الجاؤن سليمان » ويبدو أنه لم يترك ولدا يخلفه فى وظيفته وكان أحق المرشحين لهذا المنصب ابن أخيه عنان بن داود فعارض فى انتخابه أكبر رجلين باقيين على رأس اليهود فى الدولة الاسلامية، واختارا لزعامة يهود العراق الأخ الأصغر لعنان بن داود واسمه حنانيا (١٧) ، وقد وجد اليهود فى ثورة عنان هذه ضالتهم المنشودة

---

(١٤) ابن الوردى ، تتمة المختصر ، ص ١٠٢ ؛ أبى الفداء ، المختصر فى أخبار البشر ، ط (١) ١٩٠٧ م ، ج ١ ؛ ص ٨٨ .

(١٥) قاسم عبده ، أهل الذمة ص ١١٠ .

(١٦) الفريسيون ، الفويسيون ، وبالعربية فروشيم هم الربانيون أنفسهم وهم جمهور اليهود غير القرائين ، وللتسمية معنيان الأول الاعتزال أى أنهم كالمعتزلة فى الاسلام ، وقد حافظوا على التوراة والتلمود وتشددوا فى الطهارة والأطعمة الحلال وقد بدأ اعتزالهم وقت ختام النبوءة أيام تعقب الروم لهم ، فأسلموا أنفسهم رهينة فى يد الايمان فبعضهم تغالى وتفانى وهم الأسييم وقد انفردوا بأنفسهم والبعض الاخر وهم الجمهور ظلوا على ما هم عليه لم يستهينوا بأمر الحياة هذا هو المعنى الأول بحسب تفسيرهم لكلمة فروشيم من فرش بمعنى فسر ، ميز ، فرق ، والمعنى الآخر قيل لهم ذلك لأنهم يعلمون بالتفسير أى التفسير الوارد بالمشنا والتوفيق بينه وبين التوراة انظر مراد فرج ؛ القراءون والربانون ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

(١٧) الشهرستانى ، الملل والنحل ، صححه وعلق عليه أحمد فهمى محمد ، القاهرة ١٩٤٨ م ، ج ٢ ، ص ٢٢ ؛ ابن حزم الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ط (١) ١٣٤٧ هـ ، ص ٨٢ ؛ اليهودية ، ص ٧٠ ، ٧١ ؛ أبى الفداء ؛ المختصر ،

منصبوه على رأس حركتهم ، فأسرع الربانون بالشكوى الى الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور الذى أمر بحبس عنان ، ويروى بعض المؤرخين أن عنان هذا لقى الامام أبا حنيفة النعمان فى السجن فأشار عليه أن يدعى أنه صاحب دين وليس ثائرا على رأس الجالوت ، وبعد اطلاق سراحه رحل الى فلسطين هو واتباعه حيث شيدوا لهم كنيس (١٨) ، وان كان بعض الباحثين المحدثين يرفض رواية السجن هذه ويرجحون أنه لا صحة لها من أساسها وينفون ما زعمه باحثو الربانيين من تأثر القرائين بالشيعة ، وأن عنان كان تلميذا للمعتزلة الذين وقفوا موقف الحذر من الروايات الشفوية الاسلامية ، وتحرجوا من اعتبار الحديث مصدرا أساسيا للتشريع الاسلامى ، ويزعمون أن ذلك جوهر رفض عنان للتلمود وليس حقده على الربانيين بسبب الصراع على منصب رئيس الجالوت كما قيل (١٩) .

ص ٨٨ ؛ دوزى ، ملوك الطوائف ونظرات فى تاريخ الاسلام ، ترجمة كامل كيلانى ، ط (١) ، ١٩٣٢ م ، ص ٣٥٢ ؛ جواد على ، علم ابن النديم باليهودية ، ص ١١١ ، ١١٢ .

(١٨) بنيامين التطيلى ، رحلة بنيامين ص ١٩٢ ؛ يوسف رزق الله ، نزهة المشتاق فى تاريخ يهود العراق ، بغداد ١٩٢٤ م ، ص ١٠٤ ؛ حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٩٦ ؛ أحمد سوسه ، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق ، مركز الدراسات الفلسطينية ، جامعة بغداد ، ١٩٧٨ م ؛ ص ١٩٨ ، ٢٠٠ ؛ وافى ، اليهودية واليهود ، ص ٩٤ ؛ ابن يحيى المغربى ، افحام اليهود ، ص ١٧٤ ؛ عبد الغنى عبود ، اليهود واليهودية والاسلام القاهرة ١٩٨٢م ، ص ٦٩ ؛
Cohen (Martin) Anan Ben David Karaite Origins, JQR, 1963, p. 132.

(١٩) حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٩٥ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ١١٢ .

ويرجع البعض عودة نشأة هذه الفرقة الى فترة سابقة على عصر عنان والى أن جذور تاريخ القرائيين يمتد الى أعماق التاريخ اليهودى (٢٠) ، كما ذكر المقريزى أن العانانية نسبة الى عانان بن داود ، وأشار بأنها فرقة غير القرائيين الذين يرجع تاريخ نشأتهم الى فترة سابقة فى التاريخ اليهودى (٢١) .

وقد اعتبر مؤرخو عصر المماليك الربانيين والقرائين بمثابة الفرقة الواحدة ، وذلك رغم أنه كان لكل من الفرقتين معابدهما الخاصة ، فقد اتفق القراءون والربانيون على استخراج ستمائة وثلاث عشرة فريضة من التوراة كما اتفقوا على نبوة موسى وهارون ويوشع ، وعلى نبوة ابراهيم واسحق ويعقوب .. وهو (اسرائيل) وأبنائه الأثنى عشر (الأسباط) ، ولم يعترف القراءون بغير هؤلاء (٢٢) .

وهناك العديد أيضا من الاختلافات بين القرائين والربانيين نذكر منها : رءوس الشهور وتحديد موعد شهر أبيب (أغسطس) فقد اختلف اليهود فى تحديد بداية الشهور ، ففى الوقت الذى يذهب فيه القراءون الى تحديد رأس الشهر برؤية الهلال ، نجد أن الربانيين ينكرون ذلك ، بل لم يتقيدوا برؤية الهلال ، واعتمدوا على الحساب ، لأنهم أى الربانيون يعتقدون أن تحديد بداية الشهر برؤية الهلال قد يخلق مشاكل كثيرة ، خاصة فيما يتعلق

(٢٠) مراد فرج ، القراءون والربانون ، ص ٤٣ .

(٢١) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٧٢ ، ٤٧٦ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ١١٢ .

(٢٢) الخالدى ، المقصد الرفيع ، ورقة ١٤٢ ؛ القلقشندى صبح الاعشى ، ج ١٣ ، ص ٢٥٣ ، انظر أيضا مراد فرج ، القراءون والربانون ، ص ١١٣ ؛ ١١٦ ؛

Gottheil, An Eleventh-Century, p. 537.

بالأعياد نظرا لاهمية معرفتها فى جميع الأماكن فى آن واحد اذ يترتب على ذلك تادية الطقوس الدينية فى مواعيد محددة ، لذا فان الاعتماد على رؤية الهلال ، قد يفضى الى الابلاغ عن حلول الأعياد فى أوقات متفاوته (٢٣) ، ويروى بصدد أخذ الربانيين بطريقة الحساب ، أن السامريين ، لعدواتهم للربانيين خدعوهم عدة مرات باطلاق الدخان قبل رؤية الهلال فلما اكتشف الربانيون ذلك لجئوا الى الحساب فى تقويمهم ، وان كان بعض الربانيين يرفضون ذلك ، وقالوا ان السبب فى اتخاذهم أسلوب الحساب يرجع الى أن علماءهم ادركوا أن آخر أمرهم الى الشتات فخافوا أن يسبب اعتمادهم على رؤية الهلال اختلافا فى مواسمهم ونزاعا فيما بينهم فاستخدموا الحساب لهذا الغرض (٢٤) .

هذا ومن المعروف أن القرائين يلتزمون بعدد أيام كل عيد حسب ما ورد فى التوراة ، أما الربانيون فقد اضافوا يوما الى أيام كل عيد ، فيما عدا صيام يوم الغفران ، الذى يصومونه يوما واحدا دون زيادة ، ويرجع ذلك الى اتباعهم نظام الحساب فى تحديد رءوس الشهور سواء اتفق ذلك مع رؤية الهلال أم لم يتفق ، وقد أضافوا هذا اليوم احتياطا لما قد يقع من الخطأ بين الحساب والرؤية . أما القراءون فلم يجدوا أنفسهم فى حاجة الى زيادة هذا اليوم لاتباعهم رؤية الهلال ، فظلت أيام أعيادهم كما حددتها المقرا (٢٥) .

---

(٢٣) المقريزى ، الخطط ج ٢ ، ص ٤٧١ ؛ مراد فرج ، القراءون والربانون ، ص ١١٣ ؛ محمد الهوارى ، الاختلاف بين القرائين والربانيين فى ضوء الجنيزة ، القاهرة ١٩٩٤ م ، ص ٣٧ ـ ٤٠ .

(٢٤) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ص ٤٧١ ؛ محمد الهوارى ، الاختلافات بين القرائين والربانيين ، ص ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ .

(٢٥) مراد فرج ، القراءون والربانون ، ص ١٤٦ ـ ١٤٧ ، محمد الهوارى ، الاختلافات بين القرائين والربانيين ، ص ٤٣ .

ونظام الحساب فى معرفة بداية الشهور ، وما نجم عنه من اختلاف التقويم بين القرائين والربانيين تبعته مشاكل كثيرة ، فقد أصبحت مواسمهم وأعيادهم وبعض أيام صومهم لا تتطابق زمنيا عند الفرقتين (٢٦) .

أما عن أحكام النجاسة والطهارة فقد أسقـط الربانيـون النجاسة عن جميع الناس فى فترة الشتات (٢٧) ، وقالوا أنـه لا نجاسة من أبرص ولا حاجة للتطهر من ميت ، فأسقطوا بهـذا القول جميع النجاسات ، وقد اتفق عنان مع الربانيين فأسقـط بدوره النجاسة من الميت فى فترة الشتات ، وهناك من يربط ذلك بتأثر عنان بالفكر الاسلامى ، اذ أن فكرة نجاسة المسلم بعـد وفاته غير موجودة فى الاسلام (٢٨) .

وبالنسبة للذبائح من الحيوانات والطيور ، فقـد اختلـف الربانيون والقراءون فى كيفية معرفة الطائر الذى يجوز أكلـه ، والطائر غير الطاهر المحرم أكله ، فقال الربانيون ان الطائر يعرف بعلامات معينة ، وتابعهم العنانيون فى ذلك ، الا أنهم اختلفوا فيما بينهم بصدد هذه العلامات ، وقد حرم عنان اكل جميع الطيور عدا اليمام وأفراخ الحمام ، والذبيحة من البهائم الطاهرة فى رأيه هى التى يجوز أكلها عند اليهود ، وهى التى تذبح بالطريقـة

---

(٢٦) محمد الهوارى ، الاختلافات بين القرائين والربانيين ، ص ٤٣ ــ ٤٤ .

(٢٧) المشتتون The Dispersed أى اليهود الموجودون فى المنفى أو الشتات ، والشتات dispersed ترجمة عربية لكلمة الدياسبورا التى تستخدم للاشارة لوجود اليهود فى المنفى أى خارج فلسطين ، انظر المسيرى ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات ، ص ٢٢٦ ، ٢٦٥ .

(٢٨) محمد الهوارى ، الاختلافات بين القرائين والربانيين ، ص ٥٧ ــ ٥٨ .

الشرعية بحيث يقطع الحلقوم والمرىء والأدواج (٢٩) ؛ أما الطيور ، فقد اختلفوا فى ذبحها ، فقيل عن الربانيين أنهم فرقوا بين ما ياكله الكاهن وبين ماياكله سائر الناس ، فاذا كان الطائر مما سياكله الكاهن ذبحوه من القفا ، أما اذا كان الطائر مما سياكله عامة الناس ذبح بطريقة ذبح البهائم نفسها ، وان كان عنان لم يفرق بين ما ياكله الكاهن ، وما ياكله الناس من الطيور فكلها تذبح من القفا (٣٠) ، وذهب بعض القرائين الى تحريم أكل لحم الطيور (٣١) ، وان كانوا فى فترة متأخرة حددوا عددا من الطيور المنزلية وسمحوا باكلها ، وحرم عنان ايضا أكل لحم البقر طوال فترة السبى (٣٢) كما حرم أكل لحم الخراف لأنه طبقا لشريعتهم فان الخراف تندرج تحت ما تحرمه التوراة (٣٣) .

---

(٢٩) يوسف ابراهام ، المرشد الامين ، مصر ١٩٤٨ م ، ص ١٠٣ ؛ الهوارى الاختلافات ، بين القرائين والربانيين ، ص ٦١ .

(٣٠) محمد الهوارى ، الاختلافات ، بين القرائين والربانيين ، ص ٦١ .

(٣١) مراد فرج ، القراعون والربانون ، ص ١٦٦ .

(٣٢) محمد الهوارى ، الاختلافات ، بين القرائين والربانيين ؛ السبى البابلى : كان التهجير الاجبارى لقيادات شعب ما أمرا شائعا فى العصور القديمة ، وبعد سقوط مملكتى يسرائيل ويهوذا العبرانيتين علي يد الاشوريين والبابليين قام الغزاة بتهجير بضعة آلاف من القيادات العبرانية . وقد اندمج اليهود المهجرين الى آشور ، أما الذين هاجروا الى بابل فقد اشتغلوا بالتجارة وتاثروا بالحضارة البابلية تاثرا عميقا خلاقا ، وقد تم السبى البابلى على يد ملك بابل نبوختنصر على ثلاث دفعات ٣٠٢٣ نسمة فى عام ٥٩٧ ق.م ، ٧٣٢ نسمة فى عام ٥٨٦ ق.م ، و٤٧٥ نسمة فى عام ٥٨١ ق.م فيكون المجموع ٤٦٠٠ نسمة ، المسيرى ، موسوعة المفاهيم ، ص ٩٥ ، ص ٢١٢ .

(٣٣) Adler, Jewish Travellers, p. 228.

ويحرم القراءون أكل أجزاء من الحيوان الطاهر ، كالإلية بكاملها والشحم أو الدهن الذى يغطى الأحشاء (٣٤) ، فى حين أجاز الربانيون أكل هذه الأجزاء ، كما حرم الربانيون أكل عرق النسا من البقر والغنم وسائر الحيوانات ، ولم يحرموه من الطيور . أما القراءون فقد حرموا أكل عرق النسا من جميع البهائم والطيور (٣٥) .

ومن الوصايا الواردة فى التوراة والتى أثار تفسيرها خلافا بين اليهود ، وصية وردت ثلاث مرات فى التوراة تقول « لا تطبخ جديا بلبن أمه » أى الرضيع ، وقد حرم القراءون طبخ الجدى بلبن أمه وصغير البقرة بلبن أمه ، وكذلك فى الماعز أى أنه لا يطبخ فرع من أصل ، والحكمة فى ذلك هو الشفقة الآلهية لما يراه . المحرمون من غلظة وقسوة فى طبخ الحيوانات بلبن أمهاتهم ، وقد رأى الربانيون وبعض المخالفين الآخرين ، تحريم أكل اللحم باللبن مطلقا (٣٦) ، أى خلط اللحم باللبن . هذه نماذج على سبيل المثال لا الحصر من الاختلافات بين القرائيين والربانيين ، أما فيما يتعلق بالاختلافات الخاصة بالزواج والطلاق والأعياد فسوف نتناولها بالتفصيل فى الباب الرابع الفصل الأول الخاص بالأوضاع الاجتماعية لليهود من هذه الدراسة .

---

(٣٤) سفر اللاويين ، الاصحاح الثالث ، ٩ ؛ يوسف ابراهام ، المرشد الأمين ، ص ١٠٥ ؛ القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج ١٣ ، ص ٢٦٢ .

(٣٥) سفر التكوين الاصحاح الثانى والثلاثون ، ٣٣ ؛ يوسف ابراهام ، المرشد الأمين ، ص ١٠٥ ؛ محمد الهوارى ، الاختلافات ، بين القرائين والربانيين ، ص ٦٢ .

(٣٦) مراد فرج ، القراءون والربانون و ص ١١٨ .

وعن الفرقة الثالثة من فرق اليهود أى السامرة ، فهى باللغة العبرية « شومرون » التى تعنى عاصمة مملكة يسرائيل التى يوجد فيها جبل جريزيم الذى كان يحج اليه السامريون فى عيد الفصح (٣٧) ، وقد شكلت السامرة أقلية صغيرة العدد فى مصر أيام سلاطين المماليك كما يتضح من الوثائق التى تحت أيدينا (٣٨) ، هذا فضلا عن أن بعض المصادر المعاصرة قد أشارت الى أن السامرة ليست من اليهود (٣٩) ، ومع هذا فقد عاملهم سلاطين المماليك على أساس انهم فرقة يهودية ينطبق عليها شروط أهل الذمة (٤٠) .

وقد نشأت هذه الطائفة فى فلسطين بعد سقوط مملكة اسرائيل التى انشقت بعد وفاة سليمان على يد ملك آشور « تغلث فلاسر » عام ٧٣٨ ق.م الذى أجلى اليهود عن فلسطين الى نواحى شمال ايران الحالية ، وأحل محلهم بعض القبائل فى سكنى عاصمة المملكة وهى مدينة السامرة القديمة التى يعيشون

(٣٧) مراد فرج ، القراءون والربانون ، ص ١٣ ؛ كمال الصليبى ، التوراة جاءة من جزيرة العرب ، ترجمة عفيف الرزاز ، بيروت ١٩٨٥ م ، ص ٢٠١ ، ٢٠٤ ؛ المسيرى ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات ، ص ٢١١ .

(٣٨) العمرى ، التعريف ، ص ١٤٤ ؛ القلقشندى صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٣٩١ .

(٣٩) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٧٨ ؛ السلوك ، ج ١ ص ٧٢٨ هامش ٢ ، ٣ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٢٦٨ ؛ انظر أيضا حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٤٧ .

(٤٠) العمرى ، التعريف ، ص ١٤٤ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١١ ص ٣٩١ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ١١٣ .

حولها والتى قامت على أنقاضها مدينة نابلس (٤١) ، ويذهب بعض الباحثين اليهود الى أن نشأة هذه الفرقة ترجع الى أيام السبى البابلى عام ٥٨٦ ق.م (٤٢) . وفى هذا التاريخ بنى السامريون هيكلهم فوق جبل جرزيم (٤٣) .

وقد اشتدت العداوة بين هذه الفرقة وبقية اليهود عندما رفضوا المساهمة فى بناء الهيكل الثانى ، اذ كانوا يعتبرون أن المكان المقدس لليهودية هو جبل جرزيم وليس جبل صهيون وأورشليم ، وقد أضاف هؤلاء الى التوراة عبارات توحى بقدسية هذا الجبل ، ومن المعروف أن السامرة يصعدون جبل جرزيم ثلاث مرات فى السنة حاملين معهم حمامة ذهبية ليقدموها قربانا على المذبح فى أعلى الجبل ، وهم لا يحجون الى القدس ذلك لأن جبل جرزيم يحتل فى قدسيتهم مكان القدس ، وهم يقدمون الشاة فى عيد الفصح محتفظين بعظامها سليمة (٤٤) .

وترى السامرة أن اليهود ضلوا عن طريق اليهودية الصحيح لذا فهم يعيشون فى عزلة ولا يتزاوجون مع بقية اليهود ، وقد كان من نتيجة هذه العزلة أن انتشر الجهل بينهم (٤٥) ، ومن المعروف

---

(٤١) سفر الملوك ، الاصحاح ، ١٧ : ٢٤ ، ٣٤ ؛ ابن حزم ، اليهودية ، ص ٦٧ ؛ بنيامين التطليلى ، رحلة بنيامين ، ص ١٨٥ ؛ حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٤٧ ؛ محمد بحر ، اليهودية ص ١٤١ .

(٤٢) مراد فرج ، القراءون والربانون ، ص ١٣ ، ١٨ .

(٤٣) حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٤٧ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ١١٤ ؛ لازار يورشالمى ، السامريون ، مجلة الكليم ، العدد الثالث والثلاثون ، ١٦ يونية ١٩٤٦ م ، ص ١٠ .

(٤٤) عبد الرازق قنديل ، الأثر الاسلامى فى الفكر الدينى اليهودى ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، القاهرة ١٩٨٤ م ص ٨٨ ؛
Adler, Jewish Travellers, p. 171.

(٤٥) محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٤١ .

أيضا أن هذه الفرقة لا تؤمن الا بأسفار موسى الخمسة مما دفع بعض المصادر العربية الى القول بأن لهم توراة تخصهم غير التوراة التى بأيدى كل من القرائين والربانيين (٤٦) .

كذلك انكر السامرة نبوة كل من أتى بعد موسى عليه السلام باستثناء هارون ويوشع ، وكانوا يتخذون من جبل جرزيم بالقرب من نابلس قبلة لهم ويحجون اليه ، وكانوا أيضا شديدى الحرص على حرمة السبت فلا ترى عندهم فيه نارا أو نورا ، وهم مثل سائر اليهود يؤمنون بيوم القيامة وبوجود الملائكة ، وظهور المسيح فى آخر الأيام ، ولهم لهجة عبرية خاصة بهم ، ولغة خطية مغايرة يزعمون أنها جاءتهم صحيحة من عهد النبى موسى عليه السلام (٤٧) .

---

(٤٦) المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٧٢٨ ، هامش ٢ ، ٣ ؛ عبد الرازق قنديل ، الأثر الاسلامى ، ص ٨٨ ؛
Goldzihe (Ign), Ueber Muhammedani Sche Polemik Gegen Ahl al Kitab, ZDMG, XXXII, 1878, p. 383.

(٤٧) الخالدى ، المقصد الرفيع ، ورقة ١٤١ ؛ ابن حزم اليهودية ، ص ٦٧ ، ٦٨ ؛ الشهرستانى ، الملل والنحل ، ج ٢ ص ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ؛ ابن قيم الجوزية ، احكام أهل الذمة ، ج ١ ، ص ٩١ ؛ بنيامين ، رحلة بنيامين ، ص ١٨٩ ؛ مراد فرج ، القراءون والربانون ، ص ١٧ ، ١٨ ؛ وافى ، اليهودية واليهود ، ص ٨٩ ، جواد على ، علم ابن النديم باليهودية ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٤٨ ، محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٤١ ؛ دوزى ، نظرات فى تاريخ الاسلام ، ص ٣٥١ ، ٣٥٢ ؛ فؤاد حسنين ، اليهودية ، ص ١٠١ ؛ أحمد سوسة ، ملامح من التاريخ ، ص ١٨٦ ١٨٧ ؛ الغرب واليهود ، ص ١٥٢ ؛ عبد الغنى عبود ، اليهود واليهودية والاسلام ، القاهرة ١٩٨٢ م ، ص ٦٩ ؛
Gottheil, An Eleventh-Century, p. 538.

وتعد طائفة السامرة أغنى أغنياء طوائف اليهود فى القاهرة، وقد اشتغلوا بمعظم المناصب العليا فى دولة المماليك (٤٨) .

اما فيما يتعلق بوضع الطوائف اليهودية فى مصر وهل زادت أعدادها أم نقصت ، وهل انضم اليها مهاجرون جـــدد من دول مجاورة بعد إن وصل الى مسامع هذه الطوائف مدى تميز الوضع، الذى كان يتمتع به اليهود فى أرض مصر وبخاصة فى عهد السلطان الناصر محمد ، فيلاحظ أن مصر كانت بالنسبة للهجرة اليهودية ، ملجأ لمعظم المهاجرين من اليهود الذين وصلوا الى مصر من دول الغرب ومن أفريقيا وأسبانيا ، بل ويمكن القول إن هجرة أسبانيا وشمال افريقيا لمصر قد استمرت طوال العصور الوسطى ، وكان معظم المهاجرين من التجار ، وكانت تدفعهم طموحاتهم الى إمكانية الكسب السريع نظرا لتجمع الأسواق العالمية فى مصر ، يضـــاف الى ذلك أن وضع اليهود فى مصر كان أفضل بكثير من وضعهم فى الدول الأوربية (٤٩) .

وتكشف احدى وثائق الجنيزة عن وجـــود ثبت كبير يحتوى على اسماء بعض الشخصيات اليهودية ضمن الطوائف اليهودية فى مصر ، يرجع تاريخه الى أواخر القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى وهو يضم أسماء كل من أسحق المايوركى ، وابن رابى ريتشا بن الليدى ، وابن آدم منقوسا (٥٠) ، بالاضافة الى طبيب يهودى من اسبانيا وصل الى مصر وشهر اسلامـــه ، وقـــد كان هذا الطبيب يقطن مدينة صقلية (٥١) ، كما أمدتنا وثائـــق

(٤٨) Adler, Jewish Travellers, p. 227.
(٤٩) Ashtor, History of the Jews, I, p. 223.
(٥٠) Ashtor, History of the Jews, pp. 223-224.
(٥١) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (١) ، ص ١٨٧ .

الجنيزة بشهادة مكتوبة باللغة الإرامية يرجع تاريخها الى عام ٧٣١ هـ / ١٣٣٠ م وتحمل توقيع ابراهام بن يوسف بن حسن وتشير وثائق الجنيزة التى ترجع الى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى الى يهودا بن شاؤول الأسبانى الذى عاش فى مدينة الاسكندرية (٥٢) .

وتقرأ ايضا فى احدى وثائق الجنيزة التى يرجع الى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى اسم يهودى كان يعيش فى القاهرة ، وهو شلمانى اليهودى ، وكان يلقب بابن الكازرونى نسبة الى مدينة كازرون (٥٣) فى فارس الواقعة بين شيراز والبحر ، والتى كانت فى العصور الوسطى إحدى المدن التجارية المهمة التى عاش بها عدد كبير من اليهود (٥٤) .

وفى هذه الفترة ايضا وفد على مصر مهاجرون من فارس وبابل واستوطنوا بمصر ، كما تم أسر عدد من اليهود على ايدى المماليك فى اثناء سقوط عكا عام ٦٩١ هـ / ١٢٩١ م ، وقام سلاطين المماليك بنقل معظمهم الى مصر وقاموا بتشغيلهم فى اعمال كثيرة وخاصة فى أعمال البناء ، بدليل ما ذكره آشتور عن حالة الأسرى اليهود الذين عمل معظمهم فى مجال البناء فى عصر الناصر محمد بن قلاوون ، وكانوا يتقاضون اجورا مناسبة ، ولم يكن هناك حراسة عليهم ، وكان كل أسير يعمل حسب طاقته واذا شعر بالتعب

(٥٢) Ashtor, History of the Jews, I, p. 223.

(٥٣) كازرون بتقديم الزاء وآخره نون مدينة بفارس بين البحر وشيراز ، وكازرون بلدة عامرة كبيرة وكانت ثياب الكتاب تصنع بها ، وكلها قصور وبساتين ونخيل ممتدة عن يمين وشمال ، وبها سماسر كبار وسوق كبيرة ومعظم الدور والجامع على تل يصعد اليه وللسفاسرة فى البلد قصور حصينة حسنة ، انظر ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، طهران ١٩٦٥ م ، م ٤ ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(٥٤) Ashtor, History of the Jews, I, p. 221.

ذهب الى داره لكى يتناول طعامه ويستريح . وذكر أيضـا أن هؤلاء الأسرى كانو يجلسون أحيانا فى مكان متسع يقام فيه حفلات السمر لتسليتهم ، كما كانت تتوافر لهؤلاء الأسرى المعابد الدينية الخاصة بهم والمزودة برجال الدين حتى يتمكنوا من تأدية طقوسهم الدينية بكل حرية ، وكان السلطان يصدر أوامره بمنح هـؤلاء اليهود أجازات فى يوم السبت حتى يحافظ لهم على قدسية هـذا اليوم ، وفقا لمعتقداتهم كما كان يمنحهم من وقت لآخر الامتيازات والهدايا سواء أكانوا مرضى أو أصحاء (٥٥) .

ويعتبر الشماع (٥٦) هو أهم قسم من الصلاة مأخوذة من سفر التثنية ، وكلمة (شماع) أى اسمع هى أول كلمة من آية التوحيد عند اليهود « اسمع يا اسرائيل ، الرب الهنا الـرب واحد » (٥٧) .

وتتكون نصوص الصلاة التى تسمى الآن « عميدة » بمعنى وقوف بما يسمى « شيمونه عسره » وهى مجموع تسع عشرة بركة (وكانت فى الأصل ثمانى عشرة) وهى أهم قسم فى الصلاة بعد الشماع ، وكانت تقرأ غيبا من الواحد الى الآخر ، وقد وردت أكثر ألفاظها وعباراتها فى الكتاب المقدس (٥٨) .

(٥٥) Ashtor, History of the Jews, I, p. 223.

(٥٦) ويقسم الشماع الى ثلاثة أقسام الأول مأخوذ من التثنية ٦/٤ ـ ٩ والقسم الثانى مأخوذ من التثنية ١١/١٣ ـ ٢١ ، والقسم الثالث مأخوذ من العدد ١٥/٣٧ ـ ٤١ .

(٥٧) سفر التثنية ، ٦/٤ ؛ حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ١٧٣ .

(٥٨) سفر الخروج ، ٢٨/٣ تحتوى على ١٧ كلمة ، وهو عدد الكلمات فى البركة الرابعـة ، والكلمات فى اشعيا ٥٥/٨ أو ٦/١٣ يعادل عدد الكلمات فى البركة الخامسة ، وهو ١٥ وعدد الحروف فى الأمثال ٤/٢٢ أو المزامير ١٠٣/٣ يعادل عدد كلمات البركة الثامنة وهو ٢٧ . انظر حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ١٧٥ .

وجدير بالذكر أن اليهود تأثروا ببعض عـادات المسلمين كعادة خلع الحذاء عنددخول المعبد ، فقد كان اليهـود القراءون لا يدخلون المعبد بأحذيتهم ، ولو على سبيل الزيارة ، وانما كانوا يتركون أحذيتهم خارج المعبد بجوار الباب ويجلس الجميع عـلى الأرض المفروشة بالسجاد أو الحصير داخل المعبد ، أما اليهود الربانون فقد كانوا يدخلون المعبد بأحذيتهم (٥٩) ، وان كان بعض اليهود يعتقدون أن موسى بن ميمون سمح لهم بدخـول المعـابد مرتدين الأحذية ، فقد جاء فى بعض الفتاوى أن هذه العادة ترجع الى أهل البلد المتبعة ، فاذا كان الاحترام يقتضى الوقوف أمـام العظماء بحذاء فيجب فى هذه الحالة أن تؤدى الصلاة بالحذاء ؛ أما اذا كان الاحترام يحتم خلع الحذاء فيجب عندئذ خلعه قبل دخول المعبد (٦٠) .

ومن العادات التى انتشرت بين اليهود وأخذوها أيضا عن المسلمين عادة غسل الأرجل قبل صلاة الصبح ، وقد اعترف بنقل هذه العادة موسى بن ميمون (٦١) ، لأنها لم تكن عادة يهودية بل نتيجة لتأثر اليهود بالجو الاسلامى المحيط بهم .

كما أكد المقريزى أيضا على الاستعانة بالأسرى اليهود فى أعمال البناء فذكر أنه فى عـام ٧٣١ هـ / ١٣٣٠ م شرع فى بنـاء مسجد كبير بالقاهرة ، فخرج الأسرى اليهود لنقل احجار البناء ، وكل المستلزمات الضرورية لهذه المهمة (٦٢) .

(٥٩) Adler, Jewish Travellers, pp. 159-161-222.

(٦٠) Ashtor, History of the Jews, I, p. 243.

(٦١) Ashtor, History of the Jews, I, p. 373.

(٦٢) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٢٠ .

اما عن معابد اليهود فى مصر ابان العصر المملوكى، فقد احصى لنا المؤرخ نفسه ما يقرب من احدى عشرة كنيسة فى القاهرة والفسطاط واقاليم البلاد المصرية وجميعها كانت محدثة فى ظل الاسلام على حد قوله (٦٣) ، وكانت « كنيسة دموة » بالجيزة تعد أعظم معابدهم ، وكان اليهود يعتقدون بأنها بنيت فى الموضع الذى كان يأوى اليه موسى عليه السلام حين كان يبلغ الرسالة الى فرعون ، وكان بفناء تلك الكنيسة شجرة ضخمة ، تقول الأساطير اليهودية انها نبتت فى المكان الذى غرس فيه موسى عصاه ، وقد أراد السلطان الأشرف شعبان استخدام اخشابها فى بناء مدرسته التى شيدها تحت القلعة غير ان الذين ذهبوا لقطعها وجدوها غير صالحة لهذا الغرض . كما ذكر المقريزى ايضا ان أغصان وأوراق هذه الشجرة جفت ، لأن يهوديا زنى بيهودية تحتها فتكورت أغصانها وأصبح منظرها بشعا ، وكان اليهود يحجون الى تلك الكنيسة عوضا عن حجهم الى بيت المقدس فى عيد الخطاب والأسابيع (٦٤) .

ويخبرنا المؤرخ اليهودى المصرى يوسف بن اسحق السنبرى أن اليهود فى عصر المماليك كانوا يرسلون فى أعياد « الحانوكا » خطابات الى جميع طوائف مصر يدعونهم فيها للحج الى هذا المعبد فى دموه فى السابع من شهر آذار (مارس) وهويوم وفاة النبى موسى ، وللصوم والصلاة فى المكان نفسه . وفى اليوم الثامن كان

(٦٣) المقريزى ، الخطط طبعة لبنان ١٩٥٩ م ، ج ٣ ، ص ٣٥٣ ، ٣٦٥ ؛

Glerget (M), Le Caire, p. 217 ; Schreiner (M), Bemer Kungen Zur Chronik des Josef B. Isak Sambari, ZDMG, XLV, 1891, p. 296.

(٦٤) المقريزى ، الخطط ، ج ٣ ص ٣٥٤ ؛

Schreiner, Josef b. Isak Sambari, p. 299.

اليهود يقومون بنصب الأفراح والأعياد ويعدون هناك وليمة كبيرة (٦٥) .

أما عن كنيسة جوجر ، فتقع بالفسطاط ، وكانت تحظى ايضا بمكانة كبيرة فى قلوب اليهود الذين نسبوها الى نبى الله الياس وزعموا أنه ولد بها ، وكان يرعاها طوال اقامته على الأرض حتى رفعه الله اليه (٦٦) .

ويعد معبد المصاصة (٦٧) ، ثالث المعابد الذى كان يعظمه اليهود ، وكان يقع بحى المصاصة فى الفسطاط ، وكان اليهود يزعمون أنه بنى قبل الاسلام بحوالى ستمائة وعشرين عاما ، وكان مجلسا لنبى الله الياس ، وانه رمم فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب (٦٨) .

ويذكر المقريزى ايضا انه كان يوجد بالفسطاط كنيستان الأولى ليهود فلسطين وتسمى كنيس الشاميين (٦٩) الأورشلميين، وهذا المعبد كان يخدم اليهود الذين هاجروا من الشام الى مصر لان هؤلاء كانوا يتمسكون بعاداتهم المتبعة فى بلادهم سواء فى

(٦٥) Schreimer. Josef b. Isak, Cambari, p. 297.

(٦٦) المقريزى ، الخطط ، ج ٣ ، ص ٣٦٣ ؛

(٦٧) خط المصاصة بالفسطاط كان له خمس مسالك الأول يسلك اليه من درب عمار من أسفل سقيفة خيره ، والثانى يسلك اليه من درب السلسلة والثالث يسلك اليه من الدرب الجديدة مهره ، والرابع يسلك اليه من درب الكرمة ، والخامس يسلك اليه من محرس ، وهذا الخط كان مسكن الوزراء ، وسكنا لشرف الدين الفائزى والصاحب بهاء الدين بن حنا ، وآخر من سكنه الصاحب علم الدين زنبور ، انظر ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٣٨ .

(٦٨) المقريزى ، الخطط ج ٣ ، ص ٣٦٤ ؛
Schreiner. Josef bB. Isak Sambari. p. 299.

(٦٩) المقريزى ، الخطط ، ج ٣ ، ص ٤٦٤ ؛ بنيامين ، رحلة بنيامين ، ص ١٧٠ ، ١٧١ .

الحياة أو الصلاة (٧٠) وكان هذا الكنيس يضم صحفا بالية ممزقة من أسفار التوراة وكان الناس فى عصر المقريزى ينسبون هذا الكنيس الى عزرا الحبر المصلح المشهور لا الى النبى — الذى عاش فى القرن الخامس ق.م غير أن الحقيقة أن الكنيس ينسب إلى إبراهيم بن عزرا الأديب والعالم الاندلسى الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، ودليل ذلك أن عزرا الحبر لم يزر مصر مطلقا ، وقد عثر فى هذا الكنيس على العديد من الأوراق المخطوطة التى أرسل اغلبها الى جامعات أوربا وأمريكا ، وهذه المخطوطات تشتمل على نصوص يرجع بعضها الى ما قبل المسيح والبعض الآخر الى العصر الفاطمى (٧١) ، وكان منقوشا على باب هذا الكنيس باللغة العبرية أنها شيدت فى القرن الأول قبل الميلاد (٧٢) ويفهم من المؤرخ ابن دقماق أنها كانت تقع فى منطقة قصر الشمع بجوار خوخة خبيص (٧٣) .

(٧٠) Ashtor, History of the Jews, p. 246.

(٧١) اسرائيل ولفنسون ، موسى بن ميمون ، ص ١٦ ، ١٧ ، هامش (١)؛ Schreiner, Josef b. Isak Sambari, p. 298.

(٧٢) بنيامين التطيلى ، رحلة بنيامين ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(٧٣) الخوخة الكوه أو الفتحة الصغيرة فى باب كبير ، والكوة فى البيت ينفذ منها الضوء ، والخوخة باب صغير فى بوابة كبيرة لسور أو حصن أو فندق وكانت العادة فى العصور الوسطى فى مصر وغيرها ان يجعل هذا الباب الصغير للاستعمال اليومى ، فلا تكون هناك حاجة الى فتح البوابة الكبيرة الا عند الضرورة ، وهذا اللفظ أطلق على باب فى سور القاهرة نفسه دون وجود بوابة كبيرة ، انظر المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (١) ص ٢١٥ ؛ ص ٢١٥ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، طبعة بولاق ١٣٠١ هـ ، ج ٣ ، ص ٤٩٠ ؛ سعاد ماهر محمد ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، طبعة ١٩٨٠ ، ج ٤ ، ص ١٤٩ .

أما الكنيس الثانى فكان خاصا بيهود بابل لذا عرف بمعبد البابليين أو بمعبد العراقيين أو بمعبد الكنيستين ، وقد أشار المقريزى الى انه كان يقع بجوار قصر الشمع أيضا مثل كنيس الشاميين (٧٤) . ووجود مثل هذه المعابد دليل على الفروق والاختلافات العقائدية بين اليهود العراقيين والشاميين بالمدن الكبرى الأمر الذى استوجب وجود كنيس مستقل لكل طائفة منهما .

وكانت المعابد اليهودية متصلة بمحاكم (٧٥) خاصة بكل طائفة ، فقد ورد فى وثيقة غير مؤرخة أن هناك محكمتين تمثلان ثلاث طوائف من معبد الأورشلميين ومعبد البابليين ، ومعبد مدينة الملك الذى كان يعرف أيضا بمعبد القاهرة (٧٦) .

وكانت حارة الجودرية بالقاهرة تضم أيضا كنيسا يهوديا ، تعرض للخراب عقب قيام الخليفة الحاكم بأمر الله باحراق الحارة بعد أن نمى الى علمه أن اليهود كانوا يجتمعون فيها ويغنون أشعاراً تنال من المسلمين ودينهم ونبيهم ، وأمر بنقل اليهود الى حارة زويلة (٧٧) فسكنوها وظلوا بهاطوال العصر المملوكى ،

(٧٤) ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ١٠٨ ؛ المقريزى ، الخطط ج ٢ ، ص ٤٧٠ ؛ اسرائيل ولفنسون ، موسى بن ميمون ، ص ١٦ ؛ Schreiner, Josef b. Isak Sambari, p. 298.

(٧٥) عن مجالس القضاء المتعلقة باليهود انظر بالتفصيل الفصل الثانى من هذا الباب .

(٧٦) Ashtor, History of the Jews, I, p. 243.

(٧٧) زويلة ، طائفة من البربر قدموا مع المعز لدين الله الفاطمى فاختطوا داخل القاهرة بهذا المكان وهو بحرى القصور الى الغرب ، فعرفت هذه الحارة باسم حارة زويلة ، انظر ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٣٧ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤ .

ومنذ حريق الجودرية هذا فان أحدا من اليهود لم يسكن هـذه الحارة أو يقيم فيها (٧٨) .

ووجد لطائفة اليهود القرائيين كنيسان فى حـارة زويلة ، احداهما يعرف بابن شميخ (٧٩) ، كما وجـد اخران لطائفـة الربانيين بالحارة نفسها عرف الأول باسمهم ، والثانى باسم كنيس « دار الحدرة » . كذلك وجد لطائفة السامرة كنيس واحد بحارة زويلة (٨٠) .

وقد لعبت هذه المعابد دوراً مهماً فى حياة الطوائف اليهودية، ففيها كان اليهود يقيمون الصلاة ويتعلمون التوراة ، بالاضافـة الى المدارس الخاصة بتعليم أطفالهم . وتعتبر الصلاة من أهـم العبادات فى تجسد علاقة الانسان بربه ، وهى الوسيلـة التى يلجأ اليها الانسان فى حـالات الضـيق لبعث الاطمئنـان الى نفسه (٨١) .

وكانت الصلاة فى بادىء الأمر عبارة عن نداء باسم الرب ثم تطورت الى نوع من مناجاة الرب مباشرة أو عن طريق الكاهن ،

---

(٧٨) المقريزى ، الخطط ، ج ٣ ، ص ٣٦٤ ، طبعة صادرة ، ج ٢ ، ص ٥ ؛ قاسم عبده أهل الذمة ، ص ١٣٨ ؛

(٧٩) ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ١٠٨ ؛ المقريزى ، الخطط ج ٣ ، ص ٣٦٤ ؛ اسرائيل ولفنسون ، موسى بن ميمون ، ص ١٦ ؛
Adler Jewish Travellers, p. 171 ; Le caire, p. 217.
Ashtor, The Jews and Mediterranean, p. 57.

(٨٠) المقريزى ، الخطط ، ج ٣ ، ص ٣٦٤ ؛
Schreiner, Josef b. Isak Śambari, pp. 299-300 ;
Ashtor, The Jews and Mediterranean, p. 57.

(٨١) محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

وكانت الصلة وطيدة فى العصور القديمة بين الصلاة وتقديم القرابين ، فتقديم القربان يتطلب الخضوع التام الى الرب ، وكانت الصلاة للتعبير عن هذا الخضوع والخشوع ، ثم أصبحت الصلاة فيها بعد علاقة بين الرب والعبد لا تحتاج الى وسيط ، ويمكن أن تؤدى فى أى مكان ولكن يفضل أن تكون فى القدس ، وتكون القبلة المعبد (٨٢) .

والصلاة على نوعين فردية ، أى شخصية ، ومشتركة أى عمومية ، أما الفردية فهى صلوات ارتجالية من أفراد ، تتلى حسب الظروف والاحتياجات الشخصية ، ولا علاقة لها بالطقوس والمواعيد والمواسم ، ولدينا أمثلة متعددة من هذا القبيل فى الكتاب المقدس مثل صلاة موسى من أجل بنى اسرائيل وشفاء مريم ، وصلوات صموئيل وايليا واليشع وداود ويونان (يونس) ودانيال وعزرا وهذا النوع من الصلاة يتلى فى أى مكان، فان يونان صلى فى جوف الحوت ودانيال فى جب الأسود ، والصلاة المشتركة هى صلوات تؤدى باشتراك جملة أشخاص علنا وعموماً ، فى أماكن خاصة ومواعيد محددة حسب طقوس وقوانين مقررة من رؤساء الدين والكهنة (٨٣) .

ولم تكن هناك أوقات محددة للصلاة ، ولكن حددت فيما بعد للتنظيم . وقد حددت صلاة الصبح وبعد الظهر والمغرب(٨٤)، وقد ذكرت بعض النصوص أن الصلاة سبع مرات فى اليوم ولا يوجد فى العهد القديم وصف دقيق لطريقة الصلاة ولكن بعض

(٨٢) حسن ظاظا ، الفكر الديني ، ص ١٧١ ؛ محمد بحر اليهودية ، ص ١٢٤ .
(٨٣) حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ .
(٨٤) سفر المزامير ، مزمور ٥٥ : ١٧٠ .

النصوص تصف الصلاة بالوقوف والركوع (٨٥) ، والسجود وتكون الأيدى ممدودة أو مرفوعة والوجه بين الركبتين والجلوس، وهناك أنواع من الصلوات فى أوقات المحن كصلاة الاستسقاء (٨٦) .

اما عن مواقيت الصلاة ، فتكون صلاة الصبح من الفجر الى حوالى ثلث النهار ، وصلاة بعد الظهر بعد أن تنحرف الشمس من نقطة الزوال الى قبيل الغروب ، وصلاة المساء بعد غروب الشمس إلى طلوع الفجر ، وتعتبر صلاة الصبح أهم هذه الصلوات ، ولا يسمح لليهودى أن يزاول أى عمل أو يتناول أى طعام الا بعد صلاة الصبح (٨٧) .

أما عن طقوس الصلاة ، فتبدأ بشىء يقابل الوضوء وهو غسل اليدين فقط ، ويتحتم تغطية الراس ووضع شال صغير على الكتفين وشال كبير اذا كان يصلى جماعة فى المعبد كصلاة السبت والاعياد ، ولهذا الشال فى طهارته أحكام خاصة أهمها أنه لا تلمسه النساء ، ويخصص له موضع معلوم فى المنزل ، ويجب على اليهودى لبسه منذ أن يبلغ سن التكليف بالعبادة وهى ثلاث عشرة سنة ، ويبقى عنده الى أن يموت فيكفن عادة فيه ، كذلك لا بد من لبس التفلين (٨٨) .

---

(٨٥) سفر دانيال ، ٦ : ١١ .

(٨٦) محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٨٧) محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٨٨) حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ١٨١ ، ١٨٢ ؛ محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، والتفلين عبارة عن علبتين صغيرتين لونهما أسود تغلفان ببعض نصوص العهد القديم ، ويربطان برباط أسود فى الذراع الايسر أو الرأس ويلبسان عند الصلاة فى الصبح عدا أيام السبت وأيام الاعياد ، انظر محمد بحر ، اليهود ص ١١٦ .

ولا عجب في هذا فقد كان ابراهام بن موسى بن ميمون يميل الى الآراء الصوفية الاسلامية وأراد أن يدخل على الصلاة اليهودية بعض التعديلات منها الزامه اليهود بالاغتسال قبل دخول المعبد مثلما كان المسلمون يقومون بالوضوء قبل كل صلاة ، بيد أن هذه العادة قد أثارت حمية بعض اليهود ، وانتشرت أيضا بين اليهود في العصور الوسطى عادة طهارة المستحلم ، فقد اشترط رجال الدين في الطوائف اليهودية ضرورة الاستحمام والتطهر قبل الصلاة ، وحرم على يهود مصر دخول المعبد دون تطهر ، وكان اليهودي المخالف لذلك يتعرض لعقاب شديد (٨٩) ، وهذه أيضاً عادة اسلامية وتأثر بها اليهود نتيجة لامتزاجهم وتعايشهم داخل المجتمع المسلم .

ونتيجة لتأثر ابراهام بن موسى ميمون بالمسلمين فقد حاول أيضا أن يعدل من طريقة جلوس اليهود في المعبد ، عن طريق الجلوس على ركبهم مثل ما يفعله المسلمون أثناء تأديتهم للصلاة ، ولكن كافة محاولات ابراهام في هذا الشأن لم يكتب لها النجاح (٩٠) .

وكان اليهود في مصر في العصر المملوكي يخالفون تعاليم موسى بن ميمون على عكس يهود الشام وبابل فقد أضافوا مثلا في بركات الفجر قولهم « لا تبعدني عن أرض اسرائيل » (٩١) .

---

(٨٩) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 373-374.

(٩٠) Ashtor, History of the Jews, III, p. 373.

(٩١) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 373-374.

وقد تمسك موسى بن ميمون بما ورد فى التلمود الذى يقضى بالدعاء بصوت مرتفع ، وقد فعل ذلك يهود مصر (٩٢) الذين كانوا يبدءون الصلاة بعبارة « تاج الملوك يعطى الملك » بدلا من عبـارة « نحترمك ونقدسك » (٩٣) .

أما عن بركات السادسة عشرة فقد كانوا يستهلونها بعبارة « الأب الرحمن » مثلما كان يفعل يهود فارس وذلـك بصـوت منخفض (٩٤) .

وبالنسبة لصلاة الثمانى عشرة الخاصة بصلاة عميدة فكان يجب اجراؤها جهرا وفقا لأحكام الجمارا وان يكررها الواعظ بعد ذلك بصوت مرتفع ، وهذا ما كان يفعله يهود مصر ، ولكن يبدو أن جمهور المصلين كانوا يتبادلون الحديث فيما بينهم فى أثناء ترديد الواعظ للبركات بصوت مرتفع اعتقادا منهم أنهم قـاموا بـأداء ما عليهم ، فقد جاء فى الفتاوى التى ترجع الى عصر المماليـك شكوى من أن جمهور المصلين لم يكونوا ينصتون لما يقرأ عليهم من التوراة ، فضلا عن قيامهم بتبادل الحديث كل مع زميله (٩٥) . لذلك رأى موسى بن ميمون ضرورة ادخال تعديل يقضى بأنه فى أيام السبت والأعياد يجب على الواعظ أن يصلى بصوت مرتفع هو والمصلون ، وقد طبق موسى بن ميمون هذا التعديل بالفعل على صلاة المغرب فى أيام السبت والأعياد فقط ، نظرا لأنه كان يجتمع فى هذه الأيام فى المعابد جمهور كبير من المصلين ، وقد أشار

---

(٩٢) Adler, Jewish Travellers, p. 222.

(٩٣) Ashtor, History of the Jews, II, p. 374.

(٩٤) جسن ظاظا ، الفكر الدينى الاسرائيلى ، ص ١٨٩ .

(٩٥) داقيد بن زمره ، فتاوى رابى داقيد بن زمرة ، خزانة الكتب تل أبيب ، ١٩٦٧ بالعبرية ، ج ٤ ، ص ١٠٠ .

ابن ميمون الى انه فى بعض الأوقات كان يتم التخلى عن الصلاة بصوت منخفض فى صلاة العصر التى تأخرت حيث كان يخشى من أن تغرب الشمس قبل اتمام الصلاة (٩٦) وقد تم الغاء الصلاة بصوت منخفض فى الايام غير الدينية (٩٧) .

وقد أحيا جمهور المصلين اليهود الاشعار والاغانى التى استحدثها الواعظ وقاموا بإدخالها بين فصول الصلاة ، كما أكثروا من الصلوات على الذين ماتوا من وقت قريب (٩٨) .

ومن الأشياء التى سببت قلقا لرابى ابراهام بن موسى بن ميمون عدم النظام والتركيز فى أثناء الصلاة ، ولذا كان يطلب من المصلين اليهود أن يقفوا فى صفوف منتظمة فى أثناء تأدية صلاة الثمانى عشرة الخاصة بالعميدة ، وأن يقف الواعظ أمام الصف الأول (٩٩) ، مما يدفعنا الى القول بأن ابراهام بن موسى بن ميمون كان متأثرا فى ذلك بالعادات الاسلامية المتبعة فى صلاة الجماعة التى كانت تقام فى الجوامع حيث يقف المسلمون فى صفوف منتظمة .

وقد اشترط إبراهيم ايضا على الواعظ ضرورة الوقوف فى أثناء ترديد هذا الجزء من الصلاة ، وتأثر ابراهام ايضا بالمسلمين فى أثناء صلاتهم من حيث رفع الأيدى وبسطها للدعاء والتوسل الى الله ، وان كان البعض يؤكد انتشار هذه العادة فى أيام العهد

(٩٦) Ashtor, History of the Jews, II, p. 375.

(٩٧) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد بن زمرة ، ج ١ ، ص ٧٩ ، ١٦٥ .

(٩٨) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد بن زمره ، ج ١ ، ص ١٦٥ .

(٩٩) Ashtor, History of he Jews, II, p. 376.

القديم ، ولكنها أبطلت فيما بعد حتى لا يتشبه اليهود بالنصارى الذين كانوا يمدون أيدهم ويبسطونها على هيئة صليب (١٠٠) .

أما فيما يتعلق بالأماكن التى أقامت فيها طوائف اليهود فى مصر ، فقد عاش هؤلاء فى الفسطاط وقاموا بسكنى الأحياء القديمة المجاورة لقصر الشمع (١٠١) فى الحى المعروف بالمصاصة (١٠٢) ، ويستشف من وثائق الجنيزة أنه كانت هناك منازل مجاورة لقصر الشمع (١٠٣) ، كما وجدت أيضا منازل لليهود بزقاق محط اللبن (١٠٤) ، وزقاق اليهود (١٠٥) .

وتشير المصادر العربية أيضا الى سوق المعاريج (١٠٦) ، الذى أطلق عليه هذا الاسم نظرا لوجود درجات سلم يمكن من خلالها الوصول الى ضفاف النيل (١٠٧) . وهذا المكان كان يقع

---

(١٠٠) Ashtor, History of the Jews, II, p. 376.

(١٠١) عن هذا القصر انظر المدخل ص ٢٦ هامش ٣ .

(١٠٢) وعن المصاصة انظر ، ص ١٥٢ من هذا الفصل .

(١٠٣) Ashtor, History of the Jews, I, p. 237.

(١٠٤) كان هذا الزقاق يقع بجوار قصر الشمع ، وهو غير نافذ وبأوله على يسرة من دخله كنيسة الملكيين وعلى يمينه من صبار باقصاه مسجد ذو بابين أحدهما من هذا الزقاق والثانى من زقزق يدخل اليه من مسجد القبة ، انظر ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ١٥ .

(١٠٥ ، ١٠٦) عبارة عن ساحل بازاء المعاريج القديم الذى فى ظهر قيسارية مشام وكان آثار المعاريج قائمة بسبع درج وحول ساحل البيما الى ساحل البورى ، فعرف ساحل البورى بالساحل الجديد ، انظر ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٣٥ ؛ الخرر ، ج ٢ ، ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ .

(١٠٧) ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٣٥ .

الى الشمال الغربى من قصر الشمع (١٠٨) ، وقد سكنه اليهود ايضا (١٠٩) .

وأشار ابن دقماق كذلك الى منزل الناجيد أو بيت رئيس اليهود ، فذكر أن الناجيد قام بفتح باب فى سور قصر الشمع وقام بالدخول من هذا الباب (١١٠) ، كما سكن اليهود فى السبوق الكبيرة(١١١)، التى كانت تقع إلى الجنوب من قصر الشمع(١١٢).

وذلك على الرغم من زعم البعض أن موسى بن ميمون لم يسكن فى الفسطاط بل سكن فى مدينة القاهرة (١١٣) ، كذلك كان الحال بالنسبة لابنه الذى لم يسكن فى الفسطاط بل سكن القاهرة (١١٤) ، وسكن يهود العصر المملوكى أيضا فى حيى زويلة (١١٥) ، وفى الجزء الشرقى من حى زويلة حيث اقامت طائفة اليهود القرائين (١١٦) ، ويفهم من المصادر المعاصرة أيضا أن طائفة السامرة اتخذت من حى زويلة سكنا لها (١١٧) . كما

---

(١٠٨) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٨٦ ، ٣٤٣ .

(١٠٩) ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٤١ .

(١١٠) ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٢٥ .

(١١١) سوق مشهورة قصبة واحدة ، وكان يتصل بها مسالك كثيرة ، انظر ابن دقماق الانتصار ، ج ٤ ، ص ٢٥ .

(١١٢) ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٢٦ .

(١١٣) Ashtor, History of the Jews, I, p. 240.

(١١٤) Mann Jews in Egypt, II, p. 247.

(١١٥) عن حى زويلة انظر ، ص ١٥٣ من هذا الفصل ، هامش (٥)

(١١٦) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٩ .

(١١٧) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ .

امدتنا وثائق الجنيزة ببعض المعلومات عن وجود منازل لليهود بالقرب من معبد دموه بالجيزة (١١٨) .

اما فيما يتعلق بطوائف اليهود فى مدينة الاسكندرية (١١٩) ، فيفهم من بعض المراجع أن الكثيرين منهم عملوا فى مجال التجارة ، كما اعتادوا فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى الحج الى بيت المقدس ، ونسمع ايضا فى بداية هذا القرن عن تلميذ حكيم يدعى « اسحق بن يافث الحزان » سكن مدينة الاسكندرية وقام بنقل تفاسير رابى تنحوم الأورشليمى من كتاب « طوائف » وانه انتهى من هذا العمل فى عام ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م (١٢٠) .

---

(١١٨) عن معبد دموه انظر ص من هذا الفصل ، انظر أيضا المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٥٠٤ ؛
David, Jewish Life in Egypt, p. 17.

(١١٩) David (A.), Jewish Life in Egypt, p, 17 ; Golb (Norman), The Topography of the Jews of Medieval Egypt, JNES, 33, 1974, p. 117 ;

فى سنة ٣٣٢ ق.م احتل الاسكندر الاكبر المقدونى البلاد المصرية وأسس مدينة الاسكندرية وجعلها عاصمة البلاد وظلت من سنة ٣٣٢ ق.م الى سنة ٦٤١ م عاصمة للقطر المصرى فى المدة التى كانت فيها مصر تحت الحكمين اليونانى والرومانى وفى سنة ٦٤١ م احتل عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية ونقل العاصمة الى مدينة الفسطاط فقل شأنها وأخذت تضمحل بعد ذلك لانتقال حركتها التجارية الى مدينة رشيد حتى أصبح سكانها فى بداية القرن ١٩ لا يزيدون عن ستة الاف نفس ، ولما جدد محمد على حفر ترعة الاسكندرية وسماها الترعة المحمودية عام ١٨١٧ م عادت الحياة الى مدينة الاسكندرية وانشا بها الارصفة الجديدة ودار الصناعة واقام قصر راس التين وزاد انتعاشها حتى وصل عدد سكانها الى عشرين الف نفس واستمر فيها العمران بعد ذلك انظر محمد رمزى ، القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ ، ج ١ ق (٢) ، ص [illegible]

(١٢٠) Ashtor, History of the Jews, I, 247.

أما عن معابدهم فقد وجد معبـد قـديم لهم عرف باسم « ابيزراديل » عثر عند ترميمه بين أحجار الأساس على حجـر مكتوب عليه العبارة التالية « أنا يهوذا بن رابى شاؤول بن اسحق اشتريـت وقمـت ببنـاء ... للتغفـير عـن ذنوبى وذنـوب اجدادى ... » (١٢١) .

كما أشارت بعض المصادر المعاصرة الى وجود معبدين ليهود الاسكندرية أحدهما كبير والآخر صغير (١٢٢) ، وعلى هذا يمكن القول بان معبد « ابيزراديل » كان بمثابة المعبد الرئيسى لطوائف اليهود فى الاسكندرية .

وعاش اليهود أيضا فى مدينة المحلة الكبرى (١٢٣) ، التى وجدت فيها أكبر طائفة يهودية بعد القاهرة والاسكندرية (١٢٤) :

---

(١٢١) Benzion, (Taragan) Les Communautée Israélites d'Alexandrie, Alexandrie, 1932, p. 70.

(١٢٢) Ashtor, History of the Jews, I, p. 248.

(١٢٣) من جملة المدن المصرية القديمة التى وردت فى كتاب أحسن التقاسيم للمقدسى وهى بالاسم نفسه المحلة الكبرى ، انظر المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ١٦ ، ١٧ ؛ وفى نزهة المشتاق للادريسى المحلة الكبرى ، مدينة كبيرة ذات أسواق عامرة وتجارة قائمة وخيرات شاملة ، انظر الادريسى ، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، عالم الكتب بيروت ١٩٨٩ م ج ١ ، ص ٣٤ ؛ ووردت فى الانتصار هى قصبة اقليم الغربية من الديار المصرية ، وهى مدينة كبيرة ذات أسواق وبها جوامع ومدارس وقياسر ، وفنادق وبساتين ، انظر ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٢٨ .

ويشقها نهر النيل والمحلة الآن من اكبر المدن المصرية وأشهرها فهى مركز تجارى عظيم للقطن والمحصولات الزراعية الأخرى ولنسج الاقمشة القطنية ، وقد زادت شهرة هذه المدينة وزاد عدد سكانها بسبب المحالج والمعامل الكبيرة ، انظر محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ج ٢ ق (٢) ، ص ١٦ ، ١٧ ، ١٨ .

(١٢٤) Ashtor, History of the Jews, I, p. 251.

فقد عثر ضمن وثائق الجنيزة على ثبت بطوائف يهود مصر الذين تبرعوا من أجل فداء الأسرى اليهود قبل قيام الدولة المملوكية بسنوات قليلة ، واحتلت فيه طوائف يهود مدينة المحلة الكبرى المكانة الأولى ضمن جملة المتبرعين لهذا الغرض (١٢٥) .

وسكن اليهود ايضا فى مدينة دمياط (١٢٦) ، التى أطلق عليه بالعبرية اسم « جزيرة حنس » أو « جزيرة كفتور » (١٢٧) هذا وتقع دمياط على فرع نهر النيل فى ذلك المثلث المحصور بين اشتوم ودمياط الواصل الى البحر المتوسط وبين الفرع الواصل الى تنيس ، وكان يخرج أسفلها خليج الزعفران المتجه إلى البحر المتوسط ، ودمياط عند القلقشندى مدينة زادت عمارتها ، وسكنها التجار وغيرهم وزادت حتى صارت بندرا كبيرا للمسلمين ، وفيها زهاء ثلاثمائة بستان ومتنزهات ، وأصبحت بلدا عامرا بالأسواق والفنادق والجوامع والمدارس وبها جماعة كبيرة من التجار وأصحاب الأموال » (١٢٨) .

(١٢٥) Mann, the Jews in Egypt, II, p. 290.

(١٢٦) Ashtor, History of the Jews, 1, p. 248.

مدينة دمياط هى من ثغور مصر القديمة واقعة على الشاطىء الشرقى لفرع النيل الشرقى المعروف بفرع دمياط وبينها وبين مصب هذا الفرع فى البحر الأبيض المتوسط ١٥ كم وهى من المحافظات القديمة التى يتولى ادارتها محافظ باعتبار انها من الثغور ، انشئت عام ١٢٢٥ هـ / ١٨١٠ م ، محمد رمزى القاموس الجغرافى ، ج ٢ ق (٢) ، ص ٨ .

(١٢٧) Mann, the Jews in Egypt, II, p. 69.

(١٢٨) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٤٠٦ ؛ ابن الجيعان ، التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ، الناشر مكتبة الكتب الأزهرية ، ١٩٧٤ م ، ص ٦٢ ؛

David (A.), Jewish Life in Egypt, p. 17.

وفى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى عاش فى دمياط طبيب يدعى السديد الدمياطى (١٢٩) ، وكان تلميذا للطبيب الشهير علاء الدين بن النفيس الذى توفى عام ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م بعد أن تلقى منه السديد أساسيات الطب ، وقد حقق السديد الدمياطى نجاحا كبيرا فى الطب ، حتى قال عنه أهل دمياط انه ليس له مثيل فى هذا القرن ، لذا اختاره السلطان الناصر محمد بن قلاوون ليكون طبيبه الخاص ، ويفهم من المصادر العربية أن السديد هذا كان على دراية ببعض العلوم الأخرى غير الطب مثل الحساب والفيزياء ، كما كان على علاقة طيبة مع المثقفين المسلمين فى تلك الآونة ، ومن بينهم المؤرخ المشهور صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى الذى توفى عام ٧٦٥ هـ / ١٣٦٣ م (١٣٠) .

وكانت دمياط فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى احدى المدن التى وجد بها تجمع سكانى يهودى ، فقد أشار أحد اليهود ويدعى « داود هرنوبانى » زار دمياط بعد الفتح العثمانى فى سنة ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م بانه نزل ضيفا فى منزل يهودى يدعى رابى مردخاى (١٣١) .

كما أكد هذه الحقيقة أحد اليهود الربانيين من القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى فذكر أن اليهود كانوا يسكنون مدينة دمياط بأعداد كبيرة بسبب موقعها الجغرافى القريب من البحر وبالتالى كانت السفن التجارية تصل اليها مما أعطى اليهود

---

(١٢٩) انظر الفصل الثانى من الباب الأول .

(١٣٠) ابن أيبك الصفدى ، الوافى بالوفيات ، اسطنبول ١٩٤٩ م ، ج ٢ ، ص ١١٢ .

(١٣١) Ashtor, History of the Jews, II, p. 423.

فرصة للبيع والشراء من خلال البضائع التى كانت ترد على متن هذه السفن (١٣٢) .

وتعد مدينة سنباط (١٣٣) احدى القرى الواقعة بالقرب من فرع النيل بدمياط ، واحدة من المدن التى سكنها اليهود أيضا (١٣٤) .

وسكن اليهود فى مدينة بلبيس (١٣٥) أيضا وكانت تقع على طريق القوافل التجارية بين مصر والشام وأصبحت فى العصر

---

(١٣٢) دافيد بن زمره ، فتاوى رابى دافيد ، ج ١ ، ص ١٨٢

(١٣٣) تعتبر مدينة سنباط من المدن الصغيرة شمال غرب منية اشنا وتقع على الجانب الشمالى لفرع دمياط ، وقد ذكرها اشتور بانها مركز تجارى غنى ، وقد سكنتها طوائف اليهود طوال العصور الوسطى ، انظر :
Ashtor, The Jews and the Mediterranean, p. 34.
وردت فى القاموس الجغرافى بانها من القرى القديمة ، يزرع بها الكتان وفيها سوق عامرة وتجارات وارباح واموال ممدودة ونعم ، محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ج ٢ ق (٢) ، ص ٩٨ .

(١٣٤) Ashtor, History of the Jews, I, p. 250.

(١٣٥) وردت بلبيس باسم بلبيس فى كتاب المسالك لابن خرداذبة ضمن القرى الواقعة على الطريق من الفسطاط بمصر الى الرملة بفلسطين وذكر انه بينها وبين الفسطاط ٢٤ ميلا ، انظر ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٨٠ ، ٢٢٠ ؛ ووردت أيضا فى المسالك لابن حوقل ضمن مدن مصر ، انظر ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ليدن ١٨٧٣ م ، ص ٢٠٢ ؛ كما جاءت فى احسن التقاسيم للمقدسى بانها قصبة الحوف ، كثيرة القرى والمزارع ، انظر المقدسى ، احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ، طبعة ليدن ١٨٧٧ م ، ص ١٩٥ ؛ وفى صبح الاعشى للقلقشندى انها مدينة متوسطة بها المساجد والمدارس والاسواق ، وهى محطة رجال الدرب الشامى ، انظر القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج ٣ ، ص ٢٤٠ ، واشار ابن دقماق فى كتابه الانتصار ، انها مدينة بها جامع ومدارس وأسواق وفنادق وبساتين وبها نخيل كثير ويمر بها نهر من النيل فى ايام زيادته ، انظر ابن دقماق الانتصار ،

المملوكى من المدن التجارية الكبرى فى مصر ، وضمت عددا من الأسواق الكبرى والبساتين (١٣٦) ، وقد سكنتها فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى طائفة يهودية ، فقد عثر ضمن وثائق الجنيزة على عدة خطابات كتبت بأيدى بعض يهود هذه المدينة (١٣٧) .

كما ذكر المؤرخ اليهودى يوسف بن اسحق السمبرى ان معظم يهود بلبيس قد أسلموا فى سنة ٧٠١ هـ / ١٣٠١م وان المعبد اليهودى فى هذه المدينة تحول الى مسجد ، وأشار ايضا الى انه رأى فى أحد مساجد بلبيس بعض الكتابات العبرية مما يدل على أن هذا المسجد كان فى الأصل معبداً يهودياً ، وكان اليهود يطلقون على هذه المدينة « جوشان مولبا » (١٣٨) وهو الاسم نفسه الذى عرفت به عند العرب « جوشان » (١٣٩) .

ج ٤ ، ص ٥١ ؛ وذكر المقريزى فى خططه انها سميت فى التوراة أرض جاشان وفيها عدة بساتين واهلها اصحاب يسار ونعم ، وكانت بلبيس قاعدة الحوف الشرقى ايام العرب ثم قاعدة الاعمال الشرقية من ايام الدولة الفاطمية الى آخر عهد الحكم الجركسى ثم قاعدة ولاية الشرقية الى عام ١٨٣٢ م ، وفى عام ١٨٧١ م سمى مركز بلبيس ، انظر المقريزى ، الخطط ، ج ١ ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ ؛ محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ج ١ ق (٢) ، ص ١٠٠ ، ١٠١ ؛ مساحتها ١٨٥٠٠ فدان عبرتها ١٢٠٠٠ دينار ، كانت لمماليك الحلقة ، والآن باسمهم وأملاك وأوقاف ، انظر ابن الجيعان ، التحفة السنية ، ص ١٤ .

David, Jewish Life in Egypt, p. 17.

(١٣٦) ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ٥١ .

(١٣٧) Ashtor, The Jews and the Mediterranean, p. 23.

(١٣٨) Ashtor, History of the Jews, I, p. 249.

(١٣٩) المقريزى ، الخطط ، ج ١ ، ص ١٨٣ .

وهناك كذلك قرية بنها العسل (١٤٠) التى تقع على فرع دمياط وتبعد حوالى ٥٠ كم شمال القاهرة ، وقد وجد بها بعض طوائف اليهود فى عصر دولة المماليك البحرية ، فقد عثر على وثيقة كتبت فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى تشير الى اسم أحد اليهود ممن سكنوا هذه القرية ، ولدينا أيضا وثيقة طلاق كتبت فى الفسطاط عام ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م باسم ست الدار بنت ابجبق إحدى سكان قرية بنها العسل (١٤١)

ويبدو أن بعض طوائف اليهود اقاموا أيضا فى كل من دموه وجوجر وسمنود (١٤٢) ، فقد عثر ضمن وثائق الجنيزة على خطاب ارسله موسى بن ميمون الى هذه الطوائف بشأن فدية الأسرى (١٤٣) ، مما يؤكد سكنى بعض طوائف اليهود بها .

---

(١٤٠) بنها العسل ، كانت باسم الأمير سيدى أبى بكر بن الأشرف شعبان والآن باسم أمير المؤمنين ، ابن الجيعان ، التحفة السنية ، ص ٢٩ .

(١٤١) Ashtor, History of the Jews, I, p. 249.

(١٤٢) تعتبر سمنود من القرى القديمة ، وردت فى قوانين الدواوين من أعمال المرتاحية ، انظر ابن مماتى ، قوانين الدواوين ، ص ١٤٨ ؛ وسمنود بفتح السين المهملة والميم وضم النون المشددة والواو ودال مهملة فى الآخر ، وهى مدينة صغيرة من الأعمال الغربية ، كان لها عمل مستقل فى أول الأمر ثم أضيفت الى عمل الغربية ، انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٨٧ ؛ ابن دقماق الانتصار ، ج ٤ ، ٩١ ؛ وقد وردت فى التحفة السنية لابن الجيعان بان مساحتها ٤٥٦٥ فدانا بها رزق ٦٧ فدانا عبرتها ٢١٠٠٠ دينار كانت باسم الأمير تيبغا الأشرفى والآن للديوان المفرد ، ابن الجيعان ، التحفة السنية ، ص ٨٠ ؛ وهى مدينة حسنة كثيرة الداخل والخارج عامرة آهلة وبها مرافق وأسعار رخيصة ، محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ج ٢ ق (٢) ص ٧٢ .

(١٤٣) Mann The Jews, in Egypt, II, p. 317.

وتعد مدينة قوص واحدة من المدن المصرية التى سكنها اليهود منذ العصر الفاطمى (١٤٤) ، وكانت قوص تعد من مدن الصعيد الكبرى ، كما كانت إحدى المحطات التجارية المهمة بالنسبة للتجارة الهندية (١٤٥) .

أما فيما يتعلق بتنظيم الطوائف اليهودية فى مصر فقد غلبه على معظم شئون الطوائف الطابع الدينى لذا كان حكماء التوراة هم اصحاب المشورة ، يشاركهم رؤساء الطوائف ، ولا توجد اى اشارة فى مجموعة الفتاوى الخاصة بموسى بن ميمون ولا ابنه ابراهام ، عن الاجتماعات العامة التى تنظمها الطوائف (اى اجتماع

---

(١٤٤) تعتبر قوص اعظم مدن الصعيد وتقع على النيل . انظر المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ص ٢٣٦ ؛ وقوص مركز إسلامى فى صعيد مصر ، ويحدد الجغرافيون العرب موقع المدينة ما بين خط عرض ٢٥ وخط طول ٦٠ ، أما عن الصناعات التى اشتهرت بها هذه المدينة وفقا لرواية الرحالة ابن بطوطة التى زارها مرتين : الأولى سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م والثانية سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م فى أثناء عودته من رحلته الى الصين اذ يقول « انها غنية ليس فقط بثرواتها الزراعية وانما ايضا بمواردها الكثيرة وحدائقها وأسواقها الغنية » ، ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ١٩٦٠ م ، ص ٩٤ ، ص ٢٨٣ ؛ واشار القلقشندى الى انها مدينة جليلة ذات ديار فاخرة ورباع انيقة ومدارس وحمامات يسكنها العلماء والتجار وذووا الاموال ، وبها البساتين والحدائق المتحسنة انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٠٠ ، ٤٠١ ؛ وذكر المستشرق الفرنسى كلود كاهن نقلا عن Garcin قائمة بالسلع المصدرة من مدينة قوص الى مدينة عدن فتذكر الحنائم والمناديل والملايات والقوط القرمزية ، انظر :

Garcin, Un centre musulman, pp. 1-4, 228 ;

وكانت مدينة قوص ، قاعدة لاقليم يعرف بالاعمال القوصية نسبة الى قوص ، من عهد الدولة الفاطمية ، الى آخر ايام لحكم المماليك انظر محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق ٢ ، ج ٤ (٢) ، ص ١٨٩ .

(١٤٥) Ashtor, History of the Jews, I, p. 250.

كبار القوم) وان كانت المراجع اليهودية قد إشارت الى اجتماعات المحكمة الشرعية والى رؤساء الطوائف ، ونجد فى هذه المراجع بعض التنويه أحيانا الى بعض تلاميذ الحكماء الذين إشتركوا فى هذه الإجتماعات وليس الى اعضاء المحكمة الشرعية (١٤٦) .

ومن الموضوعات التى كان يتم مناقشتها فى أثناء هذه الاجتماعات ، فنلاحظ أنها كانت تنحصر فى كيفية تنظيم الطوائف والعلاقات بين اليهود وغير اليهود ، وترتيبات العبادة والعادات والتقاليد الدينية المتبعة وفقا لما جاء فى الشريعة اليهودية ، وكانت نتائج تلك الاجتماعات يتم الاستقرار عليها عن طريق الاستشارات والمشاورات والمناقشات التى كانت تتم فى سرية تامة وفى حالة وجود اختلاف كان القرار النهائى يعتمد على التصويت ويؤخذ برأى الأغلبية ، وكان هدف الحكماء ونواب القضاة من تلك القرارات هو اصدار تشريعات أو قوانين صالحة لمدة ثلاثة أعوام فقط (١٤٧) .

ويستشف من وثائق الجنيزة أيضا أن القائمين على الطوائف اليهودية كانوا يختصون ببعض الموضوعات الإدارية دون الحاجة الى اخذ مشورة القضاة أو الحكماء فقد جاء فى احدى هذه الوثائق التى ترجع الى القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي أن القائمين على تلك الطوائف كانوا يؤجرون بعض الأراضى دون الرجوع للقضاة أو الحكماء (١٤٨) .

---

(١٤٦) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 388-389.

(١٤٧) Ashtor, History of the Jews, II, p. 389.

(١٤٨) Mann, Texts and Studies in Jewis History and Literature, I, New York, 1972, pp. 431-432.

ويفهم مما ذكره بعض الرحالة اليهود أيضا أن القائمين على تنظيم وادارة الطوائف اليهودية كانوا من الشيوخ والوجهاء وعلية القوم، فمثلا في المدن الكبرى بمصر كانت تدار شئون الطوائف بواسطة مجلس لرؤساء العائلات ، وكان هؤلاء يقومون بعمل لجان مصغرة ، لاختيار من يمثل الطوائف اليهودية أمام الدولة المملوكية وكان اختيار هذا الممثل يتم بتوكيل واحد من شيوخ العائلات وبموافقة من الدولة المملوكية وبتأييد من الطوائف(١٤٩).

ويمكن القول ان الحكم في الطوائف كان يتركز في أيدي رؤساء الأسر المهمة الى جانب أعضاء لجنة الاشراف على الطوائف التي كانت تضم بعض الشخصيات ذات الوضع الاقتصادي والاجتماعي المتميز من التجار أو الأثرياء أو الأطباء (١٥٠) .

ولدينا بعض الخطابات التي كتبت في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي تشتمل على معلومات عن الأطباء اليهود الذين شكلوا طبقة متميزة داخل الطوائف اليهودية وكان لهم وضع خاص ، كما جرت العادة على توريث مقاعد الشيوخ الذين توفوا لأبنائهم ، اذ جاء في أحد الأسئلة التي وجهت الى الرابي موسى بن ميمون أن رجلا ورث عن أبيه منصبه لكن بعد وفاة الوالد ارادوا عزله عن هذه الوظيفة خوفا من أن يتسبب في الحاق الضرر بأفراد الطوائف بيد أن علم هذا الرجل سارع باعطاء المشرفين على شئون الطوائف اليهودية وعدا بعدم الخروج عن مهام الوظيفة الأمر الذي ساعد هذا الابن على الاستمرار والبقاء في المنصب الذي ورثه عن أبيه (١٥١) .

(١٤٩) Adler, Jewish Travellers, p. 229.

(١٥٠) Ashtor, History of the Jews, II, p. 390.

(١٥١) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد بن زمرة ، ج ١ ، ص ٤٩٧ .

وكانت مهام هذا المنصب الذى يعد من المناصب المهمة والحساسة داخل الطوائف تنحصر فى الاشراف على صدقات الفقراء وفى بعض الأحيان كان يتم إلغاؤه وفى هذه الحالة كان يقوم بشئونه الحكماء والقضاء بأنفسهم (١٥٢) .

وقد كانت الطوائف اليهودية فى مصر تقدم لأبنائها الخدمات المتنوعة مثل باقى الطوائف اليهودية فى الشام ، وقد تمثلت هذه الخدمات فى تقديم الصدقات للفقراء كل أسبوع وفى اعانة المحتاجين، وفى مساعدة عابرى السبيل ، وفى دفع الجزية عن العاجزين عن سدادها ، وافتداء الأسرى ، وتعليم الصبيان الفقراء واليتامى ، وفى المعاونة فى نفقات الزواج بالنسبة للمحتاجين ، والقيام بدفن الموتى ، ودفع رواتب الحاخامات ورؤساء الطوائف. وصيانة المعابد ، وكان كل هذا يتم من خلال مصدر الايراد الوحيد للطوائف والمتمثل فى التبرعات (١٥٣) التى كان يتم تحصيلها من عشية السبت الى عشية السبت التالى (١٥٤) ، وفى أواخر العصر المملوكى انشغلت الطوائف اليهودية عن مساعدة الفقراء (١٥٥) .

وكان كاتب الطوائف يتولى عملية التسجيل فى سجل خاص بالطوائف ، ويدون فيه كل ما يتعلق بشئون الطوائف والمصروفات وشئون البيع وتأجير الأوقاف اليهودية ، وكان يشغل فى الغالب

---

(١٥٢) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ١ ، ص ٤٩٨ .

(١٥٣) روفائيل اهارون شمعون ، نهر مصر ، بالعبرية ، مطبعة فرج حايم ، بدون تاريخ ، ص ١٧٠ ، ١٧١ ؛ مارك كوهن ، المجتمع اليهودى ، ص ٤٩ ، ٥٠ ،

(١٥٤) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ٢ ، ص ٧٣٩ ، ج ٢ ، ص ٥١٠ ، ج ٤ ، ص ٢٣٠ .

(١٥٥) Ashtor, History of the Jews, II, p. 390.

منصب كاتب المحكمة الشرعية ، لذا كان يقوم أيضا بكتابة وثائق الزواج والطلاق وجمع الضرائب من الموردين (١٥٦) .

ويستشف من بعض الفتاوى التى ترجع الى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، أن هذا الكاتب كان يتقاضى فى مقابل كتابة وثيقة الزواج بعض الدنانير الذهبية ، أما بالنسبة لكتابة وثيقة الطلاق فكان يحصل على أكثر من ذلك ، وكيان هؤلاء الكتاب يتوخون الامانة فى كل ما يقومون به من أعمال لأنه يفهم من مجموعة الفتاوى انه كان بامكانهم اصدار نسخ طبق الأصل من وثائق الطلاق والزواج القديمة ، وفى الطوائف اليهودية الكبرى كتلك التى كانت بالقاهرة كانت توجد وثائق طبق الأصل وكان هؤلاء الكتاب يعملون ساعات اضافية ينالون عنها أجرا اضافيا (١٥٧) .

أما فيما يتعلق بالضرائب التى كان الكتاب يقومون بتحصيلها بصفتهم كتابا للمحكمة الشرعية ، فقد كانوا يقومون بنقلها الى الناجيد الذى كان بدوره يقوم بدفع أجورهم ، وكانت سجلات الطوائف تكتب فى الغالب باللغة العربية وهى اللغة الرسمية للطوائف ودواوينها (١٥٨) .

وكان الوعاظ يحتلون مكانة اجتماعية متميزة بين أفراد الطوائف لأن اليهود فيما يبدو أحبوا أفراد تلك الفئة بسبب الاغانى والمزامير التى كانوا يقومون بانشادها ، وبمرور الوقت

---

(١٥٦) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(١٥٧) Ashtor, History of the Jews, II, p. 390.

(١٥٨) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ٢ ، ص ٦٢٢ .

أصبح هؤلاء الوعاظ يتمتعون بمكانة متميزة ، كتلك التى كان يحظى بها الحاخامات (١٥٩) . وكان يشترط فيمن يشغل وظيفة الواعظ أن يتمتع ببضع صفات معينة أهمها الاتزان فى أعماله ، لذا كان الواعظ الذى يقوم بأعمال تخل بواجبات وظيفته يتم عزله فورا من هذا المنصب (١٦٠) .

كما كان للطوائف اليهودية جزار شرعى « شوحيط » ومراقب على الصلاحية الشرعية للمأكل « الكشروت » يسمى الحارس الشومير (١٦١) . وقد شدد الحكماء ورؤساء الطوائف اليهودية على ضرورة الاشراف على الجزارين ، اذ يفهم من احدى وثائق الجنيزة التى ترجع الى منتصف القرن الثامن الهجرى/الرابع عشر الميلادى أن بعض الجزارين كانوا لا يذبحون وفقا للشريعة اليهودية ، ومن ثم فقد أرسل رئيس الطوائف اليهودية رابى يهوشوع تحذيرا الى اليهود المقيمين فى الفسطاط يحذرهم من التعامل مع مثل هؤلاء الجزارين الذين يخالفون الشريعة اليهودية (١٦٢) .

وتكشف لنا ايضا وثيقة أخرى ترجع الى اواخر العصر المملوكى عن الوضع المالى المتدهور الذى آلت اليه الطوائف اليهودية مما اضطر المشرفين عليها الى الاقدام على بيع بعض

---

(١٥٩) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٤٧٤ .

(١٦٠) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ١ ، ص ٤٩٩ .

(١٦١) مارك كوهن ، المجتمع اليهودى ، ص ٤٩ .

(١٦٢) Ashtor, History of the Jews, fragments from the Cairo Genizah, III.

وثيقة رقم ٤٩ تحذير من رئيس الطائفة رابى يهوشوع من التعامل مع الجزارين الذين لا يذبحون طبقا للشريعة اليهودية ؛ ترجع الى منتصف القرن ٨ هـ / ١٤ م ، ص ٨٤ و ٨٥ وعن الوثيقة انظر الملحق رقم (٦) .

الممتلكات ومقتنيات المعبد (١٦٣) ، كما تشتمل وثيقة ثالثة على بعض المعلومات الخاصة بصندوق الهبة وكيفية سداد المصاريف والخسائر بل وكل ما يتعلق بالمعبد سنويا (١٦٤) .

وقد كانت الطوائف اليهودية تتحمل دفع الجزية للدولة المملوكية كمعونة منها للفقراء وفى بعض الأحيان كان يعفى الفقراء من دفعها على أن تقسم على أعضاء الطوائف القادرين ، وفى أحيان أخرى كانت تجمع تبرعات القادرين فى صناديق خاصة ثم يتم دفعها مباشرة للدولة (١٦٥) .

وكان لدى الطوائف اليهودية مصادر مالية أخرى مثل أموال الأوقاف التى كانوا يؤجرونها ، غير ان الأموال المتحصلة من هذه الأوقاف كانت قليلة بسبب أن المسئولين كانوا يتهاونون أحيانا فى تحصيل ايجار الأوقاف ، كما كانت قيمة الايجار فى بعض الأحيان لا تذكر فقد كشفت لنا احدى الوثائق غير المؤرخة عن المصاعب التى كانت تواجه طوائف القاهرة فى تحصيل ايجار هذه الأوقاف مما اضطر الطوائف فى نهاية الأمر الى عمل توكيل لجمع الايجارات المتأخرة الى أحد الأشخاص الذين كانت الطائفة مدينة له ببعض الأموال (١٦٦) . وهذا يعنى أن نقص الموارد المالية للطوائف اليهودية كان يدفعها أحيانا الى تأجير أوقافها للاستفادة من عائدها المادى .

---

(١٦٣) Mann, Texts and Studies, I, p. 434.

(١٦٤) Ashtor, History of the Jews, II, p. 393.

(١٦٥) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ١ ، ص ٤٩٨ .

(١٦٦) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ٢ ، ص ٧٣٨ .

أما عن أعداد اليهود فى مصر زمن سلاطين المماليك فقد عكست لنا اقوال الرحالة اليهود الذين زاروا مصر فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى حقيقة هذه الاعداد التى يبدو انها انخفضت ابان هذه الفترة ، فقد ذكر الرحالة اليهودى ميشولام الذى زار مصر فى سنة ٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م ، انه وجد بالقاهرة حوالى ثمانمائة أسرة يهودية ، وحوالى خمسين اسرة من السامرة (١٦٧) ، فى الوقت الذى أشار فيه الرحالة عوبديا الذى زار مصر سنة ٨٩٤ هـ / ١٤٨٨ م الى أن عدد اليهود فى القاهرة كان يقدر بحوالى سبعمائة أسرة يهودية ، منها حوالى مائة وخمسين اسرة من اليهود القرائين ، وخمسين أسرة من السامرة ، والباقى من اليهود الربانيين (١٦٨) .

أما الرحالة Jean Thenaud الذى زار مصر فى عام ٩١٨ هـ / ١٥١٢ م ، فقد قدر عدد اليهود فيها بعشرة آلاف يهودى لهم حاراتهم ومعابدهم وأسواقهم (١٦٩) .

ويبدو ايضا أن باقى الطوائف اليهودية التى عاشت فى بعض المدن المصرية كانت ذات أعداد صغيرة ، اذ يذكر الرحالة ميشولام انه شاهد فى أثناء زيارته للاسكندرية حوالى ستين اسرة يهودية معظمهم من الربانيين ، مع أنه كان بها فى الماضى ما يقرب من أربعة آلاف يهودى من أصحاب المنازل (١٧٠) ، أما الرحالة

---

(١٦٧) Adler, Jewish Travellers, p. 171.

(١٦٨) Adler, Jewish Travellers, p. 225.

(١٦٩) Schefer. Le voyage d'outremer de Jean Thenoud, Paris, 1864, p. 51.

(١٧٠) انظر : Adler, Jewish Travellers, p. 161.

عوبديا فقد قدر عدد يهود هذه المدينة بحوالى خمسة وعشرين اسرة يهودية فقط ، لم يطرأ على مهنهم أى تغيير (١٧١) .

وقد بلغت طوائف يهود بلبيس طبقا لما رواه الرحالة ميشولام حوالى خمسين اسرة كان من بينهم اثنان من أعيان الطوائف اليهودية فى هذه المدينة هما ملمد هاكومين ونجله داود (١٧٢) .

اما الرحالة اليهودى عوبديا فقد قدر عدد اليهود بهما يقرب من ثلاثين أسرة (١٧٣) ، وعن عدد يهود مدينة الخانكة (١٧٤) روى الرحالة ميشولام أنهم كانوا يقدرون بحوالى عشرين اسرة (١٧٥) . وهذا يدل على أن اعداد اليهود اخذت فى التدهور والتناقص فى أواخر القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ، ويمكن ارجاع ذلك الى التدهور العام الذى أصاب

---

(١٧١) Adler, Jewish Travellers, p. 222.

(١٧٢) Adler, Jewish Travellers, pp. 175-176.

(١٧٣) Adler, Jewish Travellers, p. 222.

(١٧٤) يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على خانقاه سرياقوس انه فى سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٤م انشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون خانقاه أى دارا للصوفية يقيمون فيها لعبادة الله بصحراء سرياقوس وبنى بجوار الخانقاه مسجدا وحماما وعمر قصورا وبيوتا جليلة وتمت هذه العمارة فى سنة ٧٢٥ هـ ١٣٢٦م ، وقد اقبل الناس على البناء والسكنى حول هذه الخانقاه وبنوا الدور والحوانيت والخانات حتى صارت بلدة كبيرة تعرف بخانقاه سرياقوس لقربها من سرياقوس ، ثم قال المقريزى وتزايدت فى العمارة والسكان حتى أنشىء فيها عدة حمامات خيل نظام الخانقاه وهى بلدة عامرة الى اليوم ، وقد بقيت هذه البلدة تابعة الى ناحية سرياقوس وفى سنة ٩٣٣ هـ/١٥٢٦ م فصلت سرياقوس بزمام خاص بها وبذلك أصبحت قائمة بذاتها ويقال لها الخانقاه أو الخانكاه السرياقوسية انظر محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ج ١ ق (٢) ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

(١٧٥) Adler, Jewish Travellers, p. 175.

البلاد المصرية بعامة ، هذا ويرجع أحد الباحثين المحدثين أسباب تناقص أعداد اليهود فى مدينة الاسكندرية الى التدهور الاقتصادى والسياسى خصوصا بعد هجوم ملك قبرص الصليبى بطرس لوزجنان عليها وتخريبها فى زمن السلطان الأشرف شعبان سنة ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م ، وهناك عوامل أخرى ادت الى نقصان أعداد اليهود فى مصر كلها مثل الهجرة الى الخارج ، والعدد المحدود للأسرة اليهودية ، واعتناق أعداد كبيرة من اليهود للدين الاسلامى، فضلا عن المجاعات والأوبئة التى قضت أيضا على عدد منهم (١٧٦) .

أما الحجاج النصارى الذين زاروا القاهرة فى العصر المملوكى فقد ذكروا أن عدد اليهود بها كان اقل من عدد النصارى (١٧٧) .

هذا وقد أمدتنا بعض المراجع العبرية التى ترجع الى نهاية القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى بأسماء بعض الشخصيات اليهودية من أعيان الطوائف فى مدينة القاهرة مثل رابى يهوشع اللحمر ، ورابى صدقاين عوفرى ورابى سليمان النيثى ، ورابى يعقوب دفرو (١٧٨) .

كما نقرأ أيضا فى احدى الوثائق التى ترجع الى عام ٩٠١ هـ / ١٤٩٥ م اسم سيدة ثرية تدعى عزيزة باليعازر أرملة

---

(١٧٦) قاسم عبده ، اليهود فى مصر ، ص ١٩ ، ٢٠ .

(١٧٧) Malcolm, The Pilgrimage of the Arnold, pp. 112-113.

(١٧٨) Adler, Jewish Travellers, p. 173.

المدعو رابى يوسف ياديع ، وتتحدث هذه الوثيقة عن قيام هذه السيدة بتوزيع ثروتها من خلال وصية لها على اثنين من بناتها وهن « ست » و « ملاح » وقد تم تحرير الوصية فى حضور كل من زوج الابنة شموئيل وشقيقتها موسى بن اليمازر ، بالاضافة الى شاهدين يهوديين هما مائير بردأفيد ويوسف مليقى براهارون (١٧٩) .

---

(١٧٩) Ashtor, History of the Jews, II, p. 420.

الفصل الثانى

الزعامة الدينية والقضاء اليهودى
فى عصر سلاطين المماليك

كان القضاء الاسلامى يقوم على اساس الشريعة الاسلامية ، أما أهل الذمة فكان لهم قضاؤهم الخاص ، الا اذا احتكموا الى القاضى المسلم (١) . وجرت العادة أن تعرض القضايا التى تقع بين المسلمين والذميين على قضاة المسلمين ، وكان هؤلاء يحكمون فيها وفقا لأحكّام الشريعة الاسلامية (٢) ، سواء اكانت الخصومة بين ذميين أم بين بعض هؤلاء وهؤلاء لقوله تعالى « ... وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم

(١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٤٠٢ ، ج ١٢ ، ص ٤٢٤ ؛ محمد سلام مدكور ، القضاء فى الاسلام ، القاهرة ١٩٦٤ م ، ص ١٢٦ ؛ احمد عبد الرازق ، تاريخ وآثار مصر الاسلامية منذ الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى ، القاهرة ١٩٩٣ م ، ص ٣٨ .

(٢) الكندى ، كتاب الولاه ، ص ٢٥١ ، ٢٩٠ .

ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون » (٣) . الى غير ذلك من الآيات التى تفيد كلها وجوب الحكم بما أنزل الله .

أما فيما يتعلق بالقضايا التى كانت تقع بين أهل الذمة فيما بينهم ، فقد أجاز الفقهاء تقليد أحدهم للنظر فيها (٤) .

وقد منحت الدولة المملوكية كافة الحقوق لليهود بتطبيق قوانينهم الخاصة فى مختلف أوجه الحياة ، ولم تكن هناك حاجة لتدخل الدولة المملوكية فى خلافات هذه الطوائف مادام أنهم لم يخلوا بالنظام العام أو لم يقترفوا جرائم جنائية ، وساد اتجاه بين فقهاء المسلمين بعدم التدخل فى خلافات أهل الذمة والسماح بتعيين قضاة لليهود يفصلون فى منازعاتهم بصفة خاصة ، وان كانت أحكامهم غير ملزمة (٥) .

والقضاء بين اليهود كان أمرا يخص القاضى الذى اختاروه من بينهم ولم يكن ذلك من اختصاص القضاة المسلمين ، فاذا ما اتجه أصحاب الخصومة الى قاضى مسلم فكان له الاختيار فى الحكم بينهم أو رفض ذلك ، ويذكر النبكى أن هذا الرأى يمثل المذهب المالكى والشافعى (٦) .

---

(٣) قرآن كريم ، سورة المائدة آية رقم ٤٩ .

(٤) القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج ١١ ، ص ٤٠٢ ، ج ١٢ ، ص ٤٢٤ ؛ احمد عبد الرازق ، الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٩٠ م ، ص ١٠٦ .

(٥) Ashtor, History of the Jews, II, p. 237.

(٦) السبكى ، طبقات الشافعيه الكبرى ، المطبعة الحسينية المصرية ، ط (١) ١٩٠٦ م ، ج ٤ ، ص ٤٧ ؛ عبد الخالق حسين محمد ، النظم القضائية بمصر فى عهد سلاطين المماليك ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ١٩٨١ م ص ، ص ٥٤٠ ، ٥٤١ .

ولكن قبل ان نتطرق الى تفاصيل القضاء اليهودى ينبغى أن نشير الى انه كان يوجد على رأس هذا النظام شخص يـدعى الناجيد (٧) ، وقد أشارت اليه المصادر العربية باعتباره رئيس اليهود ، وكانت واجباته وحقوقه تماثل واجبات رئيس طوائف اليهود فى بابل ورئيس النصارى الكاثوليك ، والناجيد هذا كان مسئولا عن كل اليهود بمختلف طوائفهم « الربانيين والقـرائيين والسامرة » وجرت العادة أن تمنح هذه الوظيفة للربانيين فقط ، ومن ثم فقد الزمت الدولة المملوكية الناجيد بمهمة تعيين أحـد المرموقين لرئاســة القرائيين فضـلا عن تعيين رئيس لطائفـة السامرة (٨) .

(٧) الناجيد كلمة عبرية بمعنى الزعيم والأمير وكانت تطلق على رؤساء اليهود فى مصر والاندلس ، وهى بمكانة البطريرك لدى الاقباط ، وكان يقابلها لفظ (راس الجالوت) التى كانت تطلق على رؤساء العراق بالعراق انظر : بنيامين التطيلى ، رحلة بنيامين ، ص ١٧٢ . هامش ٥ ؛ نشأت هذه الوظيفة فى الأندلس ثم إنتقلت الى مصر منذ العصر الفاطمى ، وكان من أبرز اختصاصاته الاشراف على النشاط الدينى وشئون الزواج والطلاق ، وعلى سلوك اليهود الدينى والأخلاقى بما فى ذلك تصرفاتهم ازاء المسلمين ومن حقه تعيين او اقالة الخطباء الدينيين والجزارين . وتحديد صلاحيات القضاه ، واستمرت هذه الوظيفة طوال العصرين الفاطمى والأيوبى ومنه انتقلت الى العصر المملوكي ، انظر ،
Mann, Second Supplement to The Jews in Egypt and in Palestine under the Fatimid Caliphs, HUCA III, 1926, p. 303 ; Encyclopaedia Judaica, art, NAGID, pp. 758-760.
مارك كوهن ، المجتمع اليهودى ، ص ٣١ ، ٣٢ .

(٨) الخالدى ، المقصد الرفيع ، ص ١٤٧ ؛ العمرى ، التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١٤٤ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ق (٣) ، ص ٧٢١ ؛ القلقشندى ، صبح الإعشى ، ج ١١ ، ص ٣٩١ ، ٣٩٢ ؛ عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٤١ ؛ انظر الملحق رقم (٧) ورقم (٨) .
Bosworth, Christian and Jewish, p. 210 ; Ashtor, History of the Jews, II, p. 240 ; Cottheil, An Eleventh-Century, p. 528 ; Clerget, Le Caire, p. 217 ; Adler, Jewish Travellers, p. 229, Encyclopaedie Judaica, art NAGID, p. 761.

وقد أمدنا المستشرق آشتور في كتابه عن تاريخ اليهود بثبت بأسماء من تولى وظيفة الناجيد من سبط داود ، واتضح أيضا الى أن منصب الناجيد قد شغله هؤلاء حتى نهاية العصر المملوكي ، ولم يشذ عن ذلك في مصر سوى شموئيل بن حنانيا الذي لم يكن من سبط داود (٩) .

ويفهم من الوثائق المعاصرة الخاصة بمستخدمي دولة سلاطين المماليك (١٠) ، أن من أبرز اختصاصات الناجيد الاشراف على النشاط الديني لمختلف الطوائف التابعة له على قدم المساواة رغم أنه كان ربانيا (١١) ، كما أن دولة المماليك اعترفت بالناجيد كرئيس للقضاء اليهودي . وقد أمدتنا المصادر العربية والمراجع اليهودية بمعلومات عن اختصاصاته القضائية وصلاحياته في اصدار الأحكام وفض المنازعات والخلافات بين اليهود ، والقضاء في المسائل الخاصة بالزواج والطلاق ، كما يستشف من المصادر التاريخية أن الناجيد أخذ على عاتقه الزام اليهود بتطبيق بعض الشروط العمرية ، مثل ضرورة اخلائهم منتصف الطريق أمام المسلمين (١٢) .

---

(٩) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 240.
وإن كان لم يمدنا بتاريخ تولي هذا الناجيد .

(١٠) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٣٨٥ ؛ ابن الفرات تاريخ ابن الفرات ، ج ٨ ، ص ١٨ ؛
Gottheil, An Eleventh-Century, p. 52.

(١١) سيدة اسماعيل ، مصر الاسلامية ، ص ١٠٥ .
Clerget, Le Caire, p. 217 ; Adler ; Jewish Travellers, pp. 172-229.

(١٢) العمري ، التعريف بالمصطلح ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ ؛ عاشور ، المجتمع المصري ، ص ٤١ .
Ashtor, History of the Jews, II, p. 240 ; Encyclopaedia Judaica, art NAGID, p. 761.

وكان من مهام الناجيد أيضا القاء الوعظ الوارد عن الرابى دانيد حفيد موسى بن ميمون فى كتاب المواعظ ، ولم ير يهود مصر فى ذلك أية غضاضة ذلك لأن « الناجيديم » لم يبتعدوا عن اليهود ولم يعزلوا انفسهم فى أبراج عاجية ، كما فعل رؤساء الطوائف اليهودية فى بابل ، فقد كانوا منخرطين فى حياة الطوائف اليهودية فى مصر وكانت دورهم مفتوحة دائما أمام اليهود ليس فى مصر بل أمام اليهود الوافدين من أماكن أخرى ، وكان يعاون الناجيد فى أعماله نائب (١٣) .

وقد أمدنا القلقشندى بمرسومين لتعيين احد اليهود فى وظيفة الناجيد ، أولهما يرجع الى عام ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م أى فى العصر الأيوبى ؛ والآخر من القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى (١٤) ، ويتألف كل مرسوم منهما من قسمين شأن بقية المراسيم الأخرى التى كان يصدرها سلاطين المماليك لتعيين احد الولاة او الحكام ويتضمن القسم الأول العلاقة بين الدولة المملوكية واليهود ، أما القسم الثانى فيتناول تحديد وظائف الناجيد واختصاصاته مع بعض التعليمات الأخرى ، بالاضافة الى ديباجة تمهيدية تتضمن بعض المديح والتفخيم ، وكان المرسوم يسلم الى الناجيد فى يده فى احتفال رسمى (١٥) .

---

(١٣) Ashtor, History of the Jews, II, p. 244 ;
يوسف هقير ، منصب الناجيد فى شمال افريقيا فى نهاية القرن ٩ هـ /١٥ م ، مجلة صهيون بالعبرية ، م ٢ ، ١٩٨٠ ، ص ١٢٢ ، ١٢٤ .

(١٤) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ١٧٤ ؛ ج ١١ ، ص ٣٨٥ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ؛ ج ١٢ ، ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

(١٥) Bosworth, Christian and Jewish, p. 211 ; Ashtor, History of the Jews, II, p. 240.

وكان يتم انتخاب الناجيد فى مدينة القاهرة فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى بواسطة اليهود ومن بينهم ، وبعد عملية الانتخاب كان السلطان المملوكى القائم فى دست السلطنة يقوم باصدار مرسوم بذلك حتى يضفى الشرعية على هذا الانتخاب، كما كان الحال بالنسبة لتعيين رؤساء الطوائف الدينية فى مصر (١٦) .

وقد أكد آشتور هذه الحقيقة عند اشارته الى اقالة أحد الناجيدين بقوله : فاجتمع اليهود وعينوا عليهم ناجيدا (١٧) .

وجرت العادة ايضا ابان هذا العصر أن يخلف الناجيد ابنه الذى كان أشبه بولى العهد ، وكان من الطبيعى ايضا ان ينفصل الناجيد ابنه البكر ، بل حدث احيانا أن تولى ابناء الناجيد مهام هذه الوظيفة فى حياة ابائهم (١٨) .

وكان الناجيد ينعت ببعض الألقاب مثل « تاج وزينة الوزراء » (١٩) ، لأن الناجيد كان يدعى أحيانا « بوزير

---

(١٦) ابن عبد الظاهر ، تشريف الايام والعصور ، ص ٢١٦ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١١ ص ٣٨٥ ، وعن مرسوم تعيين الناجيد ، انظر ابن الفرات ، م ٨ ، ص ١٨ .

Gottheil, An Eleventh-Century, pp. 530-532.

(١٧) Ashtor, History of the Jews, II, p. 242.

(١٨) Mann, The Jews in Egypt, II, p. 200 ; Ashtor, Histiry of the Jews, II, p. 243.

(١٩) التاج الاكليل الذى يوضع على الرأس ، واضيف هذا اللفظ الى كثير من الألقاب ؛ ويرمز اللقب الى ان الملقب أعلى الطائفة التى ينتمى اليها وزينتها ومن هذه الألقاب المركبة « تاج الائمة » و « تاج الرؤساء » و « تاج الوزراء » ، انظر حسن الباشا ، الألقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والاثار ، ١٩٨٩ م ، ص ٢٢٩ ؛ ٢٣٢ ؛ أما لقب وزير الوزراء فمن المعروف ان لقب الوزير كان من

الوزراء » (٢٠) ، وحدث فى بعض الأحيان أن عهد بمنصب الناجيد الى أحد أطباء اليهود المقربين من رجال البلاط ومن سلاطين المماليك مما يعد خروجا على مبدأ التعيين فى هذه الوظيفة عن طريق وراثة المنصب ، وتمدنا احدى وثائق الجنيزة ببعض التفاصيل الخاصة بتعيين أحد الناجيدين ومن الظريف أن كاتب الوثيقة نفسه كان ناجيدا ابن ناجيد ، وهو يشير فى هذه الوثيقة الى كيفية اختياره لتولى مهام هذه الوظيفة ، ويروى أنه قد تم انتخابه عقب وفاة والده ، وان تعيينه جاء من قبل رئيس المدرسة الدينية فى فلسطين ، ثم صدر مرسوم سلطانى لاضفاء صفة الشرعية على توليه هذا المنصب (٢١) .

ويبدو أنه كان يصحب صدور المرسوم السلطانى بتعيين ناجيد بعض الرسوم الأخرى كالاحتفال بمن يقع عليه الاختيار لتولى هذا المنصب ، فقد حرص سلاطين المماليك على تكريم الناجيد بالصورة نفسها التى كانوا يكرمون بها الوزراء بعد تعيينهم فى منصب الوزارة (٢٢) .

وطبقا للتقاليد المرعية فى الدولة المملوكية كان المعين فى منصب رسمى يخلع عليه بخلعه تتناسب مع مكانة الوظيفة التى

كتاب الوظائف وكان يرد ضمن ألقاب الوزراء من العسكريين والمدنيين على السواء ، وكان يأتى فى سلسلة الألقاب ليدل على الوضع الخاص بالشخص ، وقد دخل لفظ « الوزير » فى تكوين بعض الألقاب المركبة ، مثل « وزير آل محمد » و « وزير خير المرسلين » و « وزير الوزراء الذى كان من ألقاب على بن جعفر فلاح سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م انظر حسن الباشا ، الألقاب الاسلامية ، ص ٥٤٠ ، ٥٤١ .

(٢٠) Mann, The Jews in Egypt, II, p. 254.

(٢١) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 253.

(٢٢) يوسف هقير ، منصب الناجيد ، ص ١٢٤ ؛
Ashtor, History of the Jews, II, p. 253.

تولاها كنوع من التكريم له ، ويفهم من بعض المرجع اليهودية أن الناجيد كان يحظى أيضاً بخلعه عند شغله لهذا المنصب (٢٣) .

وكان اليهود يكنون للناجيد احتراماً شديداً إذ كان يشبه من وجهة نظرهم رئيس كل طائفة « روش هجولاى » وهـو اعلى منصب دينى بالنسبة للطوائف اليهودية ، وكان الناجيد يليه فى المرتبة ومن ثم يطلق عليه « ناجيد هجولاى » (٢٤) .

وقد روى بعض الرحالة الذين وفدوا الى مصر من ايطاليا فى العصر المملوكي أن الناجيد قابلهم بترحاب شديد ، وقدم لهم كل المساعدات المطلوبة ، رغم أن المراسيم الخاصة بتعيين الناجيد قد جاءت غفلا من الاشارة الى قيامه باستقبال اليهود الوافدين الى مصر ، ويفهم ايضا من احد المراجع العبرية انه من ضمن اعباء الناجيد تمثيل اليهود امام السلطان وأمراء المماليك (٢٥) .

كما كانت الدولة المملوكية تلجأ الى الاستعانة بالناجيد كلما ساء وضعها الاقتصادى ، وذلك عن طريق الزامه بسداد مبلغ محدد لها كما حدث فى سنوات ٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م ، ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م ، ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م (٢٦) .

---

(٢٣) Encyclopaedia Judaica, art NAGID, p. 761.

(٢٤) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 243-244.

(٢٥) Ashtor, History of the Jews, II, p. 244.

(٢٦) المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ، ق (٢) ، ص ٦٧٥ ؛ ج ٤ ق (١) ، ص ٢٩٠ ؛ ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، م ٩ ، ج ١ ، ص ١٦١ ، ١٦٢ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، ط بولاق ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ .

وكان الناجيد فى هذا العصر يقوم أيضا بأعمال أخرى بالاضافة الى القضاء مثل صياغة القوانين التى تحكم حياة طوائف اليهود ، كما كان يقوم أحيانا بعمليات فداء الأسرى من قراصنة البحر على شواطىء مصر ، كما يستشف من بعض وثائق عصر سلاطين المماليك (٢٧) .

وكان للناجيد مقر فى القاهرة يعمل فيه مستخدمون (جاؤون) (٢٨) ، أو كما كانوا يسمون بلغة العصر المملوكى كتبة ، أهمهم جميعا المقدم (٢٩) الذى كان لوظيفته أهمية كبرى ، وكان عمله ينحصر فى الإشراف على كل ما يجرى داخل الطائفة اليهودية ، وكان يعين من قبل الناجيد ويعد مسئولا أمامه (٣٠) .

وكانت مهام المقدم تختلف تبعا لمؤهلاته ومواهبه ، فقد استطاع المقدم أن يتولى القضاء أحيانا ، وأن يبت فى أحكام الدين

(٢٧) Mann, The Jews in Egypt, I, p. 232, II, pp. 364-365.

(٢٨) Adler, Jewish Travellers, p. 229.

وقد ذكر Clerget فى كتابه Le Caire أن الجاؤون مهمته دينية الى جانب الاشراف على الأسواق ، انظر : Clerget, Le Caire, p. 217 ; وان كان عبد الوهاب المسيرى قد ذكر فى موسوعته أن الجاؤون Gaon وجمعها بالعبرية « جاؤونيم » تعنى « نيافة » أو « سمو » وكانت تستخدم للاشارة الى رؤساء وقادة الأقلية اليهودية فى بابل من القرن السادس حتى القرن الحادى عشر الميلادى ، انظر المسيرى ، موسوعة المفاهيم ، ص ١٤٩ .

(٢٩) لفظة « مقدم » تعنى من يقف فى المقدمة ، وفى وثائق الجنيزة تدل على مهام كثيرة ومتنوعة مثل امامة الصلاة فى الكنيس ، كما تعنى كبير الحزانين ، وكبير الأطباء ، وفى حوالى عام ٤٩٤هـ/١١٠٠م نجد لفظة المقدم استخدمت للدلالة على المسئول عن ادارة شئون الطائفة المحلية ، انظر مارك كوهن ، المجتمع اليهودى ، ص ٤٢ .

(٣٠) Ashtor, History of the Jews, II, p. 245.

ويشرف على السلوك العام داخل الطائفة ، ويعلم الصغار والكبار ، وكان يستمد سلطته كما نوهنا من قبل من الناجيد فى مصر (٣١) .

ويستشف من خطاب للناجيد شموئيل بن حنانيا تضمن بعض المعلومات عن المقدم ونواب القضاة اليهود (٣٢) ، أن المقدم كان يصدق على ما يصدره القضاة من أحكام (٣٣) .

ويفهم من وثائق القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى أن الناجيد كان يتقاضى راتبه من سلاطين الأيوبيين (٣٤)، أما فى العصر المملوكى فقد تبدل الحال وصار الناجيد يحصل على راتبه من أبناء طائفته ، فقد جاء فى احدى وثائق القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى أن الناجيد كان يقوم بتحصيل بعض الضرائب فى مقابل إعداده لعقود الزواج والطلاق لبعض أبناء الطائفة ، وانه كان يقوم بدفع أجور الكتبة ثم يحتفظ بالباقى لنفسه ، وليس من المستبعد أنه كان للناجيد مصادر دخل اخرى الى جانب ما كان يحصل عليه من أبناء الطوائف (٣٥) .

ويفهم من وثائق هذا العصر أن الناجيد كان يكافأ بتعويض عما بذله من جهد فى بحث القضايا بين المتقاضين اليهود من عائد

---

(٣١) مارك كوهن ، المجتمع اليهودى ، ص ٤٢ .

(٣٢) Mann, The Jews in Egypt, II, p. 287.

(٣٣) Mann, The Jews in Egypt, II, p. 38.

(٣٤) Ashtor, History of the Jews, II, p. 245 ; Mann, The Jews in Egypt, I, p. 38.

(٣٥) Ashtor, History of the Jews, II, p. 246 ; Encyclopaedia Judaica, art. NAGID, pp. 761-762.

الخدمات القضائية ولو أن ذلك كان يتعارض مع تقاليد المشنة التى تمنع تحصيل أية أموال من المتقاضين اليهود (٣٦) .

ويفهم من وثائق الجنيزة أيضا أن الناجيد المعزول من وظيفته كان فى امكانه العودة الى منصبه مرة ثانية عن طريق الوساطة والصلات القوية ببلاط السلطان ، فقد حدث فى سنة ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م أن عزل الرابى داود الناجيد عن منصبه ، فذهب الى فلسطين وبعد أن استقرت الأمور أعيد مرة ثانية الى منصب الناجيد فى عام ٦٩١ هـ / ١٢٩١ م بفضل صلاته القوية بأحد اليهود الأثرياء الذين كان بدوره على صلة وثيقة بالقاضى فخر الدين بن لقمان الذى توسط له لدى السلطان الأشرف خليل بن قلاوون ، فاستجاب السلطان لطلب القاضى فخر الدين وأعاد الناجيد داود مرة أخرى الى وظيفته (٣٧) .

أما فيما يختص بالقضاء اليهودى الذى كان يترأسه الناجيد (٣٨) ، فتشير المراجع اليهودية الى أن أحد اليهود من ايطاليا قد زار مصر فى أواخر العصر المملوكى ، وذكر أن الناجيد كان يدير شئون اليهود بمختلف طوائفهم سواء أكانوا من القرائين أو من الربانيين أو السامرة ، وكانت له الكلمة العليا فى كل ما يخص شئونهم ولا ترد له أحكام كما كان يتبعه السجن الخاص باليهود (٣٩) . وأشار يهودى إيطالى آخر مر بمصر فى طريقه

---

(٣٦) Cohen, Jews in the Mamluk, p. 443.

(٣٧) Ashtor History of the Jews, III, Fragments From the the Cairo Genizah,

وثيقة رقم ٣٦ بعنوان تقرير عن بذل مجهود فى بلاط السلطان المملوكى ، أواخر القرن السابع الهجرى / الثالث الميلادى ، انظر الملحق رقم (٩) .

(٣٨) Clerget, Le Caire, p. 217.

(٣٩) Adler, Jewish Travellers, p. 229.

الى القدس للحج أن الناجيد في مصر كان يحكم كل اليهود وأنه كان يستمد قوته وسطوته من السلطان نفسه وذكر كذلك أن الناجيد كان يتمتع بصلاحية اصدار أوامر الحبس وانزال العقوبات بالمذنبين من اليهود (٤٠) ، هذه المعلومات أكدتها أيضا بعض الوثائق التى وصلتنا من القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى اذ تشير بدورها الى أن الناجيد كانت له صلاحية الحبس وانزال العقوبات مثله فى ذلك مثل « رأس الجالوت » (٤١) ، الأمر الذى يدفع الى الترجيح بأن سيطرة الناجيد على القضاء اليهودى لم تتزعزع حتى أواخر العصر المملوكى ، بل نستطيع القول ان الناجيد هو الذى أعطى قوة للأنشطة القضائية داخل الطوائف . ولدينا وثائق عديدة من الجنيزة ترجع الى العصر المملوكى تؤكد على أنها دونت تحت اشراف الناجيد نفسه مما يدل أيضاً على مدى السلطة التى كان يتمتع بها بدلا من رؤساء المدارس الدينية فى كل من فلسطين ودمشق والقاهرة (٤٢) ، ويعنى كذلك أن الناجيد قضى على نفوذهم وحل محلهم . ومن المؤكد أن سطوة الناجيد استمرت حتى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، يشهد بذلك العديد من الكتابات وبعض السندات وصكوك البيع وجلسات المحاكم وغيرها من الوثائق التى وصلت الى أيدينا (٤٣) .

ويفهم أيضا من كتابات هذا العصر أن الناجيد استمر طوال العصر المملوكى فى تعيين قضاة الطوائف الذين يبدو أنهم كانوا

(٤٠) Adler, Jewish Travellers, pp. 172-229 ; Encyclopadie Judaica, art NAGID, p. 761.

(٤١) انظر المدخل ، ص (٢١) هامش (٥) .

(٤٢) Ashton, History of the Jews, II, p. 248.

(٤٣) Mann, The Jews in Egypt, I, p. 232.

ينتخبون من بين أفراد الطائفة نفسها ثم يقوم الناجيد بالتصديق على هذا الاختيار (٤٤) .

أما فيما يتعلق بتشكيل مجالس القضاء ، فمن المعروف أن تشكيل هذه المجالس لم يكن واحدا فى جميع الأقاليم المصريــة ، فبالنسبة للطوائف ذات العدد الكبير نسبيا كانت جلبية القضاء تتألف من ثلاثة أعضاء من القضاة الخبراء ، على حين كانت بعض المجالس الأخرى تضم قاضياً خبيراً واحداً بالإضافة إلى اثنين من وجهاء اليهود ، ففى خطاب عبرى دون فى القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى نجد أن أحد القضاة يشكو من الصعوبــات التى واجهته فى أداء وظيفته ، بسبب الخلاف الذى نشب بينــه وبين قرينية الآخرين لدرجة أن المتخاصمين الماثلين أمامهم احتجوا على اختلافهم هذا بقولهم : « لن نقبل حكما منــكم حتى تتفقوا فيما بينكم » (٤٥) .

وبالاضافة الى جلسات القضاء المكونة من ثلاثة أعضــاء كان هناك ما يعرف بنظام التحكيم الذى يلجأ إليه بعض اليهــود أحيانا للفصل فى بعض قضاياهم ، وقد استمرت هــذه المجالس تمارس عملها حتى فى الوقت الذى انخفض فيه عدد اليهــود فى المجتمع المصرى (٤٦) .

وكان فى القاهرة مجلس قضاء مركزى يشرف عليه الناجيــد بنفسه على اعتبار أنه كان بمثابة قاضى القضاة ، اذ يروى الرحالة

---

(٤٤) Adler, Jewish Travellers, P, 172 ; Ashtor, History of the Jews, II, p. 248.

(٤٥) Ashtor, History of the Jews, II, p. 248 ; Mann The Jews in Egypt, II, pp. 372-373.

(٤٦) Ashtor, History of the Jews, II, p. 248.

اليهودى الايطالى ميشولام الذى زار مصر فى أواخر القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى أنه كان للناجيد أربعة قضاة وكاتبان (٤٧) ، وكما تتحدث المصادر العربية عن ديان اليهود (٤٨) ، الذى يصاحب الناجيد أمام قضاة المسلمين (٤٩) .

لذا يرجح ان ديان اليهود ، المشار اليه فى المصادر العربية كان فى العصر المملوكى يأتى فى المرتبة التالية (٥٠) بعد الناجيد مباشرة ، وكان مجلس القضاة الذى يرأسه الناجيد بمثابة محكمة عليا تعرض عليها التظلمات والخلافات المعادية (٥١) .

وكانت وظيفة الديان الرسمية تتمثل فى الفصل فى القضايا المدنية التى كان معظمها عبارة عن خلافات مالية بين المتخاصمين (٥٢) ، وقد اكدت وثائق الجنيزة القضائية ذلك

واشارت الى أن القضاة فى مصر كانوا يكرسون معظم وقتهم للنظر فى القضايا المالية التى نشأت فى الغالب عن الشراكة فى العمل ، والنظر فى الأحوال الشخصية ، والاشراف على الخدمات الاجتماعية (٥٣) ، كذلك كانت مجالس القضاء تنظر فى قضايا الأحوال الشخصية لليهود التى تتعلق بالمواريث والزواج والطلاق

---

(٤٧) انظر : Adler, The Jewish Travellers, p. 172.

(٤٨) المقريزى ، الخطط ؛ ج ٢ ص ٤٩٨ ، السلوك ، ج ١ ص ٩١٠ .

(٤٩) انظر الباب الأول الفصل الأول ، ص ٥٥ هامش (١) .

(٥٠) Mann, The Jews in Egypt, I, pp. 218-287.

(٥١) Ashtor, History of the Jews, II, p. 250.

(٥٢) Mann, The Jews in Egypt, I, p. 97 ; II, pp. 98-143-243-275.

(٥٣) مارك كوهين ، المجتمع اليهودى ، ص ٤٥ .

والمعاملات الشرعية عندهم بصفة خاصة ، وكان لكل طائفة من طوائف اليهود مجالس القضاء الخاصة بها (٥٤) .

وكان الكاتب « السوفير » يعد من بين المستخدمين المساعدين في مجالس القضاء ، وكان يقوم بدور مهم في الإدارة اليومية لهذه المجالس ، وقد انحصرت مهامه في تحرير الصكوك والعقود والبراءات للخصوم ، ونسخ العقود الخاصة بالزواج والطلاق ، وتسجيل مجمل الشهادات القضائية ، وتشهد وثائق الجنيزة على مواظبة هؤلاء الكتاب وحرصهم على عملهم (٥٥) .

اما فيما يتعلق بمجالس القضاء اليهودية في الاقاليم ، فكانت تختص بالاشراف على تنفيذ الوصايا الدينية وتعاقب كل من يخالفها ، وقد استطاعت مجالس القضاء في الاقاليم في معظم الأحيان أن تفرض الالتزام الديني بين مختلف طوائف اليهود (٥٦) .

وجرت العادة أن تعقد مجالس القضاء في المعابد ، وقد امدتنا وثائق الجنيزة بوصف هذه المجالس القضائية التي عقدت في معبد الاورشليميين وفي معبد البابليين في الفسطاط (٥٧) ، وفي المعبد كان يعلن أيضا عن الأحكام التي كانت تتمخض عنها المجالس القضائية بكافة انواعها ، كما كان يعلن عن السرقات التي تحدث بغرض العثور على الجناة . وجرت العادة أن تعقد جلسات القضاء اليهودي في مصر يوم الخميس من كل اسبوع ، وفي بعض

(٥٤) رشاد الشامى ، الشخصية اليهودية ، ص ١٤٧ .
(٥٥) مارك كوهن ، المجتمع اليهودى ، ص ٤٦ .
(٥٦) Ashtor, History of the Jews, II, p. 251.
(٥٧) Mann, The Jews in Egypt, I, p. 97, II, pp. 98-143.

الأحيان كانت تعقد أيضا فى يوم الاحد طبقا للتقاليد القديمة التى تنسب الى عزرا الكاتب أحد أبناء العهد القديم (٥٨) .

وفى جميع الأحوال كانت مجالس القضاء تبدأ فى الصباح ، ويفهم أيضا من بعض الوثائق التى ترجع الى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى أنها كانت تعقد أحيانا فى المساء ، وحتمت العادة بالنسبة لجلسات القضاء فى مصر ضرورة الرجوع إلى احكام وفتاوى موسى بن ميمون ، ومن ثم لم يكن لأحد من هؤلاء القضاة حق الاستعانة أو القياس بفتاوى فقهاء التوراة اذا كان فيها ما يخالف فتاوى موسى بن ميمون (٥٩) ، ومع هذا فقد وجدت بعض الاستثناءات والخروج عن مضمون فتاوى موسى بن ميمون التى نصت على سبيل المثال بأنه لا يجوز أن يسمع القضاة اقوال المتقاضين من خلال مترجم ، الا اذا كانوا على درجة اتقان معينة من اللغة المتحدث بها ، ومع ذلك فقد خالف بعض القضاة هذا النص بالنسبة لبعض الحالات التى يكون فيها الأمر متعلقا باعترافات شهود ، وأجازوا اللجوء الى مترجم لسماع الاقوال والدليل على ذلك انه عندما سئل احد كبار الربانيين فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى فى هذا الأمر افتى بقوله « انه حتى ولو كان بالاشارة فيمكن للمتخاصمين ان يدلوا باقوالهم (٦٠) : وقد اكد هذا الراى الائمة المسلمون بقولهم إذا كان القاضى لا يعرف لسان الخصم لاختلاف لغتهما فلا بد للقاضى ممن يترجم له عن الخصم » (٦١) .

---

(٥٨) Ashtor, History of the Jews, II, p. 97.

(٥٩) Ashtor, History of the Jews, II, p. 251.

(٦٠) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 252.

(٦١) ابو عبد الله : رحمة الأمة ، ص ١٦٠ [illegible] (٤٠٦)

وكانت أحكام القضاء نهائية لذا كان المحكوم عليه يعطى مهلة حتى يتسلم الحكم كتابة ، وكانت لديه فرصة للتظلم من الحكم الصادر ضده أمام جلسة قضاء أخرى يطلق عليها رد المحكمة (كالاستئناف فى العصر الحديث) وذلك فى حالة اعتراض أحد الحاخامات المساعدين على الحكم لذا كان يطلب من هؤلاء الحاخامات أحياناً الإدلاء ببعض الفتاوى فى القضايا المنظورة أمام مجلس القضاء (٦٢) .

وكان العرف السائد فى ذلك الوقت هو عرض القضايا على الناجيد وعدم الفتاوى فيها بمعرفة فقهاء اليهود الا اذا لجأ اليهم طرفى الخصومة ، مع الأخذ فى الاعتبار بأن الحاخام قد لا يستجيب لذلك الطلب (٦٣) .

وقد عرف نظام الاستئناف بين المسلمين أنفسهم من خلال نظر المظالم الذى عرفه الفقهاء بأنه « جلب المتظلمين الى التناصف وزجر المتنازعين عن التجاحد » (٦٤) وهو يحتاج حسب قول ابن خلدون الى علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدى ، لأن متوليه يمضى ما عجز القضاة أو غيرهم عن امضائه (٦٥) ، خاصة اذا كان الظلم من قبل ذوى الجاه والسلطان من الولاة والحكام وعمال الخراج أو كتاب الدواوين

الخ

(٦٢) Ashtor, Histoty of the Jews, II, pp. 252-253.

(٦٣) Ashtor, History of he Jews, II, p. 253.

(٦٤) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ٧٧ ؛ ابو يعلى ، الأحكام السلطانية ، صححه وعلق عليه محمد حامد الفقى ، القاهرة ، ١٩٦٦ م ، ص ٥٨ ، أحمد عبد الرازق ، الحضارة الاسلامية ، ص ١٠٨ .

(٦٥) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٤٢ ، أحمد عبد الرازق ، الحضارة الاسلامية ، ص ١٠٨ .

وغيرهم ، وهذا النوع من القضاء يشبه في مضمونه محاكم الاستئناف في الوقت الحالى (٦٦) .

أما فيما يتعلق بمضمون القضايا فيلاحظ إن أغلب القضايا التي كانت تعرض أمام مجالس القضاء اليهودى كانت تتعلق بنزاعات مالية ، وكان يحكم في بعضها بالزام المدين بدفع المستحق عليه ، وكان يقضى في البعض الآخر بالزام المدين بغرامات مالية ، وكانت تعرض على جلسات القضاء أحيانا بعض قضايا التعدى سواء أكان معنويا أو ماديا (٦٧) . هذا الى جانب قضايا الأحوال الشخصية (٦٨) .

وقد سادت في مصر وجهة نظر فقهاء بابل التي تقول بانه لا يجوز فرض الغرامات كعقوبة على الجرائم الجنائية الا من خلال القضاة المصرح لهم بذلك ، ومن ثم يصبح من غير الجائز للقضاة خارج فلسطين فرض الغرامات المتعلقة بقضايا التعدى ، وقد أفتى موسى بن ميمون بضرورة نفى المتهم بايقاع الضرر على اقرانه او الزامه بدفع تعويض مناسب لهم (٦٩) .

وكانت عقوبة الجلد من بين العقوبات المفروضة ايضا على المذنبين ، وكانت هذه العقوبة تفرض في حالة المظالم التي تنتهك فيها الحدود أو قضايا الاخلال بنظام الطائفة الداخلى ، ذلك لأنه كان من اهم اركان وظيفة الناجيد ونوابه هو الحفاظ على النظام الدينى داخل الطائفة ، وكان ذلك سببا في رضى سلاطين المماليك

(٦٦) أحمد عبد الرازق ، الحضارة الإسلامية ، ص ١٠٨ .
(٦٧) Ashtor, History of the Jews, II, p. 253.
(٦٨) رشاد الشامى ، الشخصية اليهودية ، ص ١٤٧ .
(٦٩) Ashtor, History of the Jews, II, p. 254.

عن رؤساء الطوائف ، لأنهم كانوا يمارسون دورهم على أكمل وجه ، وقد نوهت مراسيم التعيين بهذا الأمر ، وكانت لعقوبة التحريم (٧٠) دور مهم فى حفظ الطابع الدينى للطائفة وفرض الطاعة والنظام على أفرادها (٧١) . وتمدنا بعض وثائق الجنيزة بالعديد من الحوادث التى فرضت فيها عقوبة التحريم ، الأمر الذى يبرهن على ازدياد عدد المخالفين الذين كانت تصدر مجالس القضاء بشأنهم أحكام التحريم ، ومن هذه المخالفات الاستيلاء على خطابات تخص آخرين (٧٢) ، أو قذف الأبرياء بما ليس فيهم (٧٣) .

وقد كان حق اللجوء الى المحاكم اليهودية عنصراً مهما من عناصر الحكم عند اليهود ، ومن ثم فقد بذل زعماء الطائفة فى مصر جهودا عظيمة للحفاظ عليه بدليل أن من كان يلجأ من اليهود الى غير هذه المحاكم كانت تفرض عليه عقوبات نجد صدى لها فى بعض الوثائق التى عثر عليها فى الجنيزة التى أمدتنا بوصف لبعض هذه العقوبات التى فرضت على اليهودى الذى كان يلجأ الى المحاكم غير اليهودية (٧٤) . ونجد أيضا فى بعض صكوك البيع وفى بعض الوثائق الأخرى خاصة فى كتابات بعض القرائيين ، وفى بعض كتابات الربانيين اشارات عديدة تحتم ضرورة عدم اللجوء الى المحاكم غير اليهودية (٧٥) ، ومن المعروف أيضا أن موسى بن ميمون كان قد أفتى بأن كل من يلجأ الى قضاء غير يهودى ويخضع لأحكام تخالف الشرع اليهودى يعد آثما ومارقا بتوراة موسى ، ومع هذا

(٧٠) لم يمدنا أشتور بمعلومات بشأن هذه العقوبة .

(٧١) Ashtor, History of the Jews, II, p. 254

(٧٢) Mann, The Jews in Egypt, II, p. 170.

(٧٣) Mann, The Jews in Egypt, I, 141,

(٧٤) Ashtor, History of the Jews, I, p. 255.

(٧٥) Mann, The Jews in Egypt, II, p. 212.

فان أحكام القضاء اليهودى لم تكن نهائية ولم يكن لها قوة التنفيذ الملزمة من جانب سلاطين دولة المماليك الذين كانوا ينظرون الى أحكام القضاء الخاصة بأهل الذمة على أنها أحكام اختيارية (٧٦)، لاسيما وقد أفتى بعض فقهاء المسلمين بإمكانه قبول القضاء الاسلامى دعاوى المتخاصمين من اليهود اذا وافق الطرفان على ذلك، وقد استمر هذا الوضع طوال عصر سلاطين المماليك فى مصر (٧٧).

وعلى الرغم من حظر الشريعة على اليهود اللجوء الى محاكم غير يهودية فقد عمد الكثيرون من اليهود فى مصر الى التقدم بشكاواهم الى القضاء الاسلامى، وذلك لتنفيذ العقود التجارية؛ وقد اعترفت الشريعة اليهودية بصلاحية أنواع كثيرة من الصكوك الموقعة فى مجالس قضاء غير يهودية، وكان قضاة المسلمين يراعون من جهتهم قضاة اليهود، ويمتنعون عن البت فى قضايا حساسة دينيا مثل قوانين الأحوال الشخصية، لذلك ليس بغريب أن تسود العدالة أحكام قضاة المسلمين، كما كان شهود المسلمين موضع ثقتهم (٧٨).

وقد كانت وسائل الضغط التى تسلكها طوائف اليهود لمنع أفرادها من اللجوء الى المحاكم غير اليهودية محدودة للغاية.

---

(٧٦) Ashtor, History of the Jews, II, p. 256.

(٧٧) القلقشندى، صبح الأعشى، ج ١١، ص ٤٠٢، ج ١٢، ص ٤٢٤؛ عطية مصطفى مشرفة، القضاء فى الاسلام بوجه عام وفى العهد الاسلامى بوجه خاص، ط (١) ١٩٣٩م، ص ١٤٠؛ احمد عبد الرازق، الحضارة الاسلامية، ص ١٠٢؛ تاريخ وآثار مصر، ص ٣٨؛

Anzeigen, The Governords and Judges of Egypt, or Kitab el «Umara», ZDMG, 86 Band 1914, p. 310.

(٧٨) مارك كوهن، المجتمع اليهودى، ص ٤٧.

وكان من اهمها فرض عقوبة التحريم ، غير أن هذه العقوبة لم يكن لها اثر ملموس فى مصر مقارنة ببعض الدول الأخرى ، وفى مصر كان لا يؤخذ فى الاعتبار أحكام الطوائف او مجالس القضاء الخاصة بهم ومن ثم فقد تعرض القضاة الذين يفرضون عقوبة التحريم لحظر شديد من قبل سلاطين المماليك ، الأمر الذى افضى بدوره الى زيادة عدد حالات لجوء اليهود الى القضاء الاسلامى (٧٩) .

وهذه الحقيقة تؤكدها المعلومات الواردة فى وثائق الجنيزة التى تشير الى أن مصر كانت من ابرز الدول التى لجأ فيها اليهود الى القضاء الاسلامى ، وربما كان سبب ذلك رغبة بعض هؤلاء اليهود فى الحصول من خلال القضاء الاسلامى على مكاسب لا تتيحها لهم مجالس القضاء اليهودية بقوانينها الدينية الخاصة ، وقد جاء ذلك نتيجة لبعض الاختلافات الواضحة بين التشريع الاسلامى والتشريع اليهودى ، وعلى سبيل المثال قوانين الميراث ومن ثم كانت حالات اللجوء الى القضاء الاسلامى فى قضايا الميراث هى اكثر الحالات التى لجأ فيها اليهود الى القضاء الاسلامى (٨٠) .

وفيما يتعلق بموقف الفقه الاسلامى بمذاهبه الأربعة من بعض المسائل الخاصة بأهل الذمة ، كعقوبة المسلم الذى يقتل يهوديا ، اتفق الأئمة الأربعة على أن الكافر اذا قتل مسلما قتل به ، واختلفوا فيما اذا قتل مسلم ذميا أو معاهدا فقال الشافعى

---

(٧٩) Ashtor, History of The Jews, II, p. 256.

(٨٠) مارك كوهن ، المجتمع اليهودى ، ص ٤٧ ؛ ويروى الجاؤون ، د. شلومو ابن هودا ، الذى عاش فى القرن ٥ هـ/١١م بان القرائين كانوا يؤثمون الربانيين للجوئهم الى مجالس القضاء الاسلامية فى قضايا الميراث ، وتؤكد وثائق الجنيزة صحة هذا الامر ، انظر : Mann, The Jews in Egypt, II, pp. 156-176.

وأحمد بن حنبل لا يقتل به وأيده مالك فى ذلك ، فى الوقت الذى رأى أبو حنيفة بضرورة قتل المسلم بالذمى (٨١) ، واختلف فقهاء المسلمين أيضا بالنسبة لديه اليهودى أو النصرانى فقال أبو حنيفة ديته كدية المسلم فى العمد والخطأ سواء من غير فرق ، وقال الشافعى له ثلث دية المسلم فى العمد والخطأ من غير فرق ، أما أحمد بن حنبل فقد ذكر أنه اذا كان لليهودى أو النصرانى عهد وقتله المسلم عمدا فديته كدية المسلم وان قتله خطأ فروايتان : احداهما نصف دية المسلم ، والثانية ثلث دية المسلم (٨٢) .

ويستشف من المصادر المملوكية أن القضاة على المذاهب الأربعة لم يقضوا بعقوبة الموت على مسلم قتل يهوديا أو نصرانيا وأن القاضى جمال الدين يوسف بن موسى بن محمد الملطى قاضى قضاة الحنفية الذى تولى القضاء فى عام ٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م قد خالف هذه القاعدة ونادى بضرورة القصاص من المسلم الذى يقتل ذميا (٨٣) .

---

(٨١) أبو عبد الله ، رحمة الأمة ، ص ١٣٣ ؛ الغزى ، فتح القريب المجيب على الكتاب المسمى بالتقريب للامام احمد بن الحسين أبى الشجاع ، ط (١) القاهرة ١٣٢٢ هـ ، ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٨٢) ابن تيمية ، مجموعة فتاوى تقى الدين بن تيمية ، ص ١٨٤ ؛ أبو عبد الله ، رحمة الأمة ، ص ١٣٣ ؛ الغزى ، فتح القريب ، ص ٦٥ ، ٦٦ ؛ Tritton, Non-Muslim Subject, p. 40.

(٨٣) ابن حجر ، أنباء الغمر ، ج ٢ ، ص ١٠ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٨٥ ؛ الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق محمد أسعد ، القاهرة ١٩٦٠ م ، ج ٥ ، ص ١٣٣ ؛ ابن الصيرفى ، نزهة النفوس ، ج ٢ ، ص ١١٩ ، ١٢٣ ؛ ابن العماد شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ط ١٣٥١ هـ ، ج ٧ ، ص ٤٠ ؛ السخاوى ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ط ١٣٥٥ هـ ، ج ١٠ ، ٣٣٥ ؛ الزركلى الأعلام ، ج ١ ، ص ٢٩٤ ، ٢٥٥ .

والواقع أن هذا الرأى السائد الذى سار عليه أغلب قضاة المذاهب الأربعة فى العصر المملوكى لم يتعارضوا مع الاتجاه الاساسى فى العلاقة بين سلاطين المماليك وأهل الذمة كما جاء فى العهد العمرى الذى نص على ضرورة حماية أهل الذمة وحماية أملاكهم نظير حفاظهم على هذا العهد .

وقد أكدت المصادر المعاصرة بما لا يدع مجالا للشك على التزام سلاطين المماليك بهذه الحماية ، ففى عام ٧١٤ هـ / ١٣١٥م خرج أحد سكان الحسينية فى اتجاه بعض شوارع القاهرة وقام بمهاجمة اهل الذمة الذين تصادف وجودهم فى طريقه ، وكان معه سيف فاعتدى به على بعضهم وحينما قبض عليه برر فعلته بأنه يقوم بنصرة دين الله بالقصاص من أهل الذمة ، وحينما مثل بين يدى السلطان الناصر محمد بن قلاوون أمر بقتله (٨٤) . مما يدفع الى الاعتقاد بأن السلطان الناصر محمد كان يحاول أن يتفادى حدوث فتنة طائفية ، كما يدل ذلك أيضا على تسامح سلاطين المماليك ازاء أهل الذمة باعتبارهم من رعايا المجتمع المصرى ابان هذه الفترة .

وجرت العادة أن تطرح القضايا المثارة بين اليهود وغير اليهود أمام قضاة مسلمين ، وكان هؤلاء يحكمون فيها وفقا لأحكام الشريعة الاسلامية (٨٥) ، فقد كان مسموحا لأهل الذمة بالتقاضى أمام قضاة المسلمين كما سبق أن نوهنا ، لذلك اشترط فقهاء

---

(٨٤) مفضل بن أبى الفضائل ، تاريخ سلاطين المماليك ، ج ٣ ، ط ١٩٢٩ م ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ ؛ المقريزى ، السلوك ج ٢ ق (١) ١٩٤١ م ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٨٥) الكندى ، كتاب الولاة ، ص ٣٥١ ، ٣٩٠ ؛ أحمد عبد الرازق ، الحضارة الاسلامية ، ص ١٠٦ .

المسلمين ضرورة وجود أماكن خاصة لجلوس اليهود في أثناء نظر القضايا بين المسلم والذمي ، وشدد أصحاب المذهب الحنفي على وجوب جلوس المسلم والذمي في صف واحد ، على حين رأى أصحاب المذهب الشافعي ضرورة جلوس الذمي في مكان منخفض عن المسلم (٨٦) . ويرى المستشرق الفرنسي آشتور أن بعض قضاة المسلمين كانوا يحفظون لليهود حقوقهم حينما تعرض خلافاتهم أمامهم (٨٧) .

وقد اختلف فقهاء المسلمين أيضا فيما بينهم بصدد شهادة الذمي ضد الذمي ، فالحنفية تجيزها ، أما الحنبلية فلهم فيها رأيان : أحدهما يجيزها والآخر يبطلها كما هو الحال بالنسبة لكل من الشافعية والمالكية (٨٨) ، أما فيما يتعلق بشهادة الذمي ضد المسلم فهي غير جائزة في الوقت الذي تجوز فيه شهادة المسلم ضد الذمي (٨٩) .

---

(٨٦) ابن نجيم ، البحر الرائق شرح كنز الدقائق ط (١) المطبعة العلمية ، بدون تاريخ ، ج ٦ ، ص ٣٠٦ ؛ النووى ، منهاج الطالبين ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ ؛ الغزى ، فتح القريب ، ص ٨١ ؛ ابن أبى الدم ، كتاب أدب القضاء وهو الدرر المنظومات فى الأقضية والحكومات ، تحقيق محمد مصطفى الدخيلى ، دمشق ١٩٧٥ م ، ص ٨٨.

(٨٧) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 196.

(٨٨) العبادى ، الشرح المسمى بالجوهرة النيرة لمختصر القدورى فى فقه الامام الأعظم أبى حنيفة النعمان ، ط (١) ١٣٢٢ هـ ، ج ٢ ، ص ٣٢ ؛ النووى ، منهاج الطالبين ، ص ١٣٩ ؛ ابراهيم بن شرف ، شرح الوقاية ، مكتبة البابى الحلبى ، بدون تاريخ ، ص ٢٤٧ ؛ الغزى فتح القريب ، ص ٨٢ ، ٨٤ ؛ خليل بن اسحق ، مختصر خليل ، القاهرة ١٣٠٦ هـ ، ص ٢١٨ ؛ أبو عبد الله ، رحمة الأمة ، ص ١٦٨ ؛

Amedroz (H. F.) The Office of Kadi in the Ahkam of Sultan'yya of Mawardi, JRAS, 1910, p. 778.

(٨٩) ابن قيم الجوزية ، الطرق الحكيمة ، ص ٥٢

ويفهم من المصادر المعاصرة أن سلاطين المماليك اعتادوا أن ينصفوا اليهودى اذا أكد دعواه بالقسم (٩٠) . هذا وقد أمدنا شهاب الدين بن فضل الله العمرى فى كتابة المصطلح الشريف الذى الفه فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى عن وظائف الادارة فى دولة المماليك بنص كامل عن قسم اليهود أمام القاضى (٩١) .

ويفهم من فتاوى الربانيين فى مصر ابان القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى أن اليهود كانوا يتخوفون من المثول امام بعض قضاة المسلمين ، وكانوا يلجئون إلى بعض القضاة لعرض قضاياهم ، فضلا عن امكانية رشوتهم لتحويل الحكم فى صالحهم (٩٢) ، مع أنه لم تصادفنا حالة رشوة واحدة فى مصادر العصر المملوكى تشير الى تناول احد قضاة المسلمين لرشوة من احد أهالى الذمة ، ذلك على الرغم من رشوة القضاة كانت شائعة ومنتشرة فى مصر زمن سلاطين المماليك (٩٣) .

وقد عرضت قضايا كثيرة أمام قضاة المسلمين فى عصر المماليك ، تدور حول موضوع الربا (٩٤) ، وكانت عقوبة المتهمين

---

(٩٠) Ashtor, History of the Jews II, p. 155.

(٩١) العمرى ، التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١٥١ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٢ ، ص ٢٥٣ ، ٢٦٦ ؛ وانظر الملحق رقم ١٠ ، ١١ عن قسم اليهود .

(٩٢) Ashtor, History of the Jews, II, p. 199.

(٩٣) عن هذا الموضوع انظر ، أحمد عبد الرازق ، البذل والبرطلة فى زمن سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٧٩ م ، ص ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٩٤) انظر الفصل الثانى من الباب الأول .

فيها السجن فى حالة عدم تسديد الديون (٩٥) ، فقد كان الربا محرما على اليهود فيما بينهم ، فى الوقت الذى أبيح اذا اقرض اليهودى ما لا لغير اليهودى (٩٦) .

وكان اذا حكم على أحد اليهود بالحبس يوضع فى السجين مع المسلمين اذا لم يكن هناك سجون خاصة باليهود ، بل كانت السجون عامة لجميع أفراد المجتمع المصرى فى العصر المملوكى ، ويعد سجن خزانة شمائل (٩٧) وسجن المقشرة (٩٨) وسجن

(٩٥) Ashtor History of the Jews, II, p. 200.

(٩٦) وافى ، حقوق الانسان ، ص ٣٦ ؛ ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٣٧ .

(٩٧) كانت هذه الخزانة تقع بجوار باب زويلة ، وقد عرفت بسجن خزانة شمائل نسبة الى الأمير علم الدين شمائل والى القاهرة فى عهد السلطان الكامل محمد بن العادل أيوب ، وقد عرف هذا السجن باسم سجن متولى القاهرة ، ويتبين من وصف المقريزى له ، أنه كان من أشنع السجون وأقبحها منظرا يحبس فيه من حكم عليه بالاعدام أو القطع من السراق وقطاع الطرق وأصحاب الجرائم الكبيرة ، وكان السجان به يوظف عليه والى القاهرة بعض المال يحمله له كل يوم ، وبلغ ذلك فى أيام الناصر فرج بن برقوق مبلغا كبيرا الى أن تم هدمه على يد المؤيد شيخ المحمودى فى سنة ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م وأقام مكانه مدرسة . انظر المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ص ١٨٨ ؛ محمد مصطفى زيادة ، السجون فى مصر فى العصور الوسطى ، القاهرة ؛ مجلة الثقافة ، العدد ٢٦٠ لسنة ١٩٤٣ م ، ص ١٧ ؛ علاء طه رزق حسين ، السجون والعقوبات فى مصر عصر سلاطين المماليك ، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة الزقازيق ، كلية الاداب ١٩٩٦ م ، ص ٢٥ .

(٩٨) كان هذا السجن يقع بجوار باب الفتوح فيما بينه وبين الجامع الحاكمى وسمى بهذا الاسم نسبة الى دار لقشر القمح كانت فى موضعه قبل بنائه ، ومن جملته برج من ابراج السور على يمينه الخارج من باب الفتوح ، استجد بأعلاه دور لم تزل الى أن هدمت خزانة شمائل فعين هذا البرج والمقشرة لسجن ارباب الجرائم وهدمت الدور التى كانت هناك فى عام ٨١٨هـ / ١٤١٥ م وعمل البرج بالمقشرة سجنا ونقل اليه ارباب الجرائم ، وكان من اشنع السجون واضيقها

الديلم (٩٩) وسجن الرحبة (١٠٠) من اهم سجون العصر المملوكى التى كان يحبس فيها المدنيون من أفراد هذا المجتمع .

وقد روى الرحالة فليكس فابرى الذى زار مصر فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى أنه شاهد كيف يسير المحكوم عليهم بالسجن داخل أحياء القاهرة مقيدين وهم يستعطفون المارة بصوت عال طالبين الصدقة والمساعدة (١٠١) .

وقد صور المقريزى مصير السجناء تصويرا يدل على اوضاعهم السيئة للغاية ، ووفقا لأقواله فقد كانوا يستخدمونهم فى الأعمال

يقاسى فيه المسجونون من الغم والكرب مالا يوصف ، انظر المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٨٨ ؛ مصطفى زيادة ، السجون فى مصر ، العدد ٢٦٢ ، ص ٢١ ؛ علاء طه ، السجون والعقوبات ، ص ٢٦ ؛

Ayalon (D.), Discharges from Service Banishments and Imprisonments in Mamluk Society, SI, Leiden 1986, p. 42.

(٩٩) اورده المقريزى فى كتابه مجردا عن شرح أو وصف او تعريف بأصله ، وكان مخصصا لأرباب الجرائم العادية ، مصطفى زيادة ، السجون فى مصر ، العدد ٢٦٢ ، ص ٢٠ .

(١٠٠) عرف سجن الرحبة بتلك التسمية نسبة الى رحبة باب العيد وبها الآن قسم الجمالية ، اقامه الامير يوسف الاستادار وكان هذا الامير قد أصبح منذ عام ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ الشخصية الكبرى فى عهد السلطان فرج بن برقوق واتسعت سلطاته ونفوذه وتعددت وظائفه فاقام ذلك السجن ، مصطفى زيادة ، السجون فى مصر ، العدد ٢٦٢ لسنة ١٩٤٤ م ، ص ٢١ ؛ ومن المرجح أن سجن الرحبة ظل حتى نهاية العصر المملوكى الأول سجنا لأرباب الديون يشترك معه فى ذلك سجن الديلم وهو ما تشير اليه احدى الروايات الصادرة عن أحداث سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢ م والتى تقول أن الامير الكبير برقوق رسم باطلاق من فى سجن الديلم والرحبة من المديونين فافرج عنهم جميعا وأغلق باب السجن ، انظر المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ق (٢) ص ٤٦٦ ؛ علاء طه السجون والعقوبات ، ص ٣٠ .

(١٠١) Félix (Fabri), Voyage en Egypte, pp. 170-171 :

الشاقة كالحفر ، بل كانوا لا يقدمون لهم الطعـــام ، وفى بعض الأحيان كان حرس السجن يسلبون منهم ما جمعوه من صدقات فى الشوارع (١٠٢) .

ويفهم من احد المراجع العبرية التى ترجع الى النصف الأول من القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى أنه كان يتم ارسال الطعام الى السجناء من اليهود فى أيام العطلات الرسمية ، فقد جاء فيه أن أحد كبار الفقهاء اليهود فى مصر استفتى فيما اذا كان من الجائز ارسال طعام لليهود الموجودين فى الحبس صبـــاح السبت ، أم إذا كان عليه أن يصوم السبت خاصة أنه إذا لم يأكل صباح السبت وجب عليه الصيام مساء الجمعة ايضا لأن ابواب السجن كانت تغلق فى المساء (١٠٣) .

ولم تمدنا المصادر المعاصرة الا بمعلومات قليلة للغاية عــن اليهود الذين كانوا يرتكبون جرائم مدنية ، لا تساعدنا على تكوين صورة واضحة عن هؤلاء السجناء ، ومع ذلك فيمكن القول بان وضعهم لم يختلف كثيرا عن وضع السجناء فى قضايا الديون ، اذ تشير المعلومات القليلة التى لدينا الى أن العقوبات المفروضـــة عليهم كانت تماثل ما يفرض على المسلمين دون أى تميز (١٠٤) .

أما فيما يتعلق بالنساء اليهوديات ، فقد كن يمثلن أمـــام القضاة المسلمين ، ويفهم من فتاوى الربانيين فى القـــرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى أن امرأة يهودية حكم عليهـــا

(١٠٢) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٨٧ ؛ مصطفى زيادة ، السجون فى مصر ، العدد ٢٧٩ لسنة ١٩٤٤ ، ص ١٩٠ .

(١٠٣) Ashtor, History of the Jews, II, p. 200.

(١٠٤) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 200-201.

بالموت ولكن تحايل اليهود على الحكم وافلحوا فى نديتها (١٠٥) ، وقد أشارت المصادر العربية المعاصرة أيضا الى أن نداء المرأة المحكوم عليها بالاعدام كان سائداً فى العصور الوسطى ، وربما استبدل عقوبة القتل بالغرامة (١٠٦) ، هذا وقد أشار بعض مؤرخى العصر المملوكى الى سجن خاص بالنساء عرف باسم الحجرة كان يتم ايداع النساء به فى حالة الحكم عليهن ، بما فى ذلك نساء الطبقة الحاكمة (١٠٧) .

وينبغى ان نشير أيضا الى علاقة اليهود بالطبقة الحاكمة من الناحية الادارية والقضائية ، اذ يشير احد المؤرخين العرب انه أحيانا ما كان كبار المسئولين يمنعون بعض الأفراد من تقديم مظالمهم الى السلاطين مباشرة ، خاصة ما يتصل منها بشئون الادارة والقضاء (١٠٨) ، ومع ذلك لدينا معلومات متفرقة تبرهن على أن اهل الذمة من يهود ونصارى كانوا يستثنون من ذلك وكان يسمح لهم بعرض قضاياهم ومظالمهم مباشرة على سلاطين المماليك ، اذ نقرأ فى أحداث عام ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م أن وفدا من نصارى الغربية توجه الى السلطان الصالح صلاح الدين بن الناصر محمد ابن قلاوون وطلبوا منه استعادة كنيسة لهم حولها بعض المسلمين الى مسجد ، بيد أن السلطان لم يستجيب لهم على حد زعم

---

(١٠٥) Ashtor, Hostory of the Jews, II, pp. 200-201-202.

(١٠٦) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ١٦١ .

(١٠٧) المقريزى ، السلوك ، ج ١ ق (٢) ، ص ٥٧٨ ؛ ج ٢ ق (٢) ، ص ٤٩١ ؛ ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ م ١ ، ص ١٩ ؛ ابن اياس ، ج ٢ ، ص ٤٥ ، ص ٤٦ ، ١٨٢ ، ج ٣ ، ص ٤٣٢ ، ج ٥ ، ص ٦٥ ، ص ٨٠ ؛ مصطفى زيادة ، السجون فى مصر ، العدد ٢٦٢ ، ص ٢١ ؛ علاء طه ، السجون والعقوبات ، ص ٣٣ .

(١٠٨) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ص ٢٠٨ .

المقريزي (١٠٩) ، ومع ذلك فان هذه الحادثة تدل بما لا يقبل الشك على ان اهل الذمة من يهود ونصارى كانوا يلجئون إلى سلاطين المماليك مباشرة لتقديم شكواهم ومظالمهم في كثير من الأحيان .

وكان اهل الذمة يلجئون ايضاً الى السلاطين في حالة عدم حصولهم على حقوقهم من قضاة المسلمين ، ففي عام ٧٩٧ هـ / ١٣٩٥ م توجه أحد النصارى بمظلمة الى السلطان برقوق ضد القاضي المالكي شمس الدين محمد بن القاضي شهاب الدين احمد الدفري ، فانصفه السلطان (١١٠) .

واشارت المصادر العربية ايضا الى واقعة حدثت في سنة ٨٥٦ هـ / ١٤٥٢ م تعد على درجة كبيرة من الأهمية لأنها تلقي الضوء على وضع اليهود امام القضاء الاسلامي وحقوقهم الدنية في العصر المملوكي ، كما تلقى الضوء على نظام القضاء في تلك الآونة وهي تدور حول يهودي اختلف مع أحد المسلمين فتوجه المسلم الى القاضي المالكي ولي الدين السنباطي طالبا منه ان يلزم اليهودي بعدم تقديم دعوى ضده الا امام قاض ديني فاستجاب السنباطي لطلبه ، الا أن اليهودي لم يخضع لهذا الحكم ونقل الى القاضي رغبته في أن يقدم دعواه امام من يراه مناسبا للفصل فيها ، ولم يتراجع السنباطي عن قراره السابق ، في الوقت الذي أصر فيه اليهودي على موقفه مما دعا القاضي لأن يأمر بحبسه ، وبعد اطلاق سراحه بفترة توجه اليهودي بشكواه الى السلطان فاستدعى القاضي السنباطي فأخبره القاضي بأنه أصدر حكمه طبقا لقواعد القضاء الاسلامي ، فرد عليه السلطان بانه لا فرق

(١٠٩) المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٧٥٤ .

(١١٠) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ، ق ٢ ، ص ٤٠٢ .

بين القضاء الدينى وغير الدينى ، وحينما رأى القاضى اصرار السلطان على موقفه لم يسعه الا أن يعتزل منصبه ويغادر القلعة (١١١) .

خلاصة القول ان حق اللجوء الى السلطان للفصل فى المنازعات والخلافات والمظالم لم يكن حقا مكتسبا لطبقة دون أخرى بل كان حقا عاما لجميع أفراد المجتمع المصرى زمن سلاطين المماليك .

وكان اليهود يلجئون ايضا شأنهم فى هذا شأن باقى أفراد الرعية الى الحجاب (١١٢) ، ويتقدمون اليهم بمظالمهم عندما يفشل قضاة الشرع فى اعطائهم حقوقهم (١١٣) ، خاصة اذا كانوا من القضاة المتعصبين ففى عام ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م غضب السلطان الأشرف اينال على القاضى الشافعى لاجباره احد اهل الذمة على المثول أمام القضاء الاسلامى (١١٤) .

---

(١١١) ابن تغرى بردى ، منتخبات من حوادث الدهور ، ج ١ ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ ؛ السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

(١١٢) الحاجب ، أمير وظيفته « أن ينصف بين الأمراء والجند تارة بنفسه وتارة بمراجعة النائب ان كان ، واليه تقديم من يعرض ومن يرد ، وعرض الجند وما ناسب ذلك ، انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٩ ؛ عاشور ، العصر المماليكى ، ص ٤٢٩ .

(١١٣) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ ؛ أحمد عبد الرازق ، البذل والبرطلة ، ص ٥٦ .

(١١٤) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٣٦ ؛ السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ .

الباب الرابع

الأوضاع الاجتماعية لليهود في العصر المملوكي

الاسرة اليهودية فى العصر المملوكى

اذا كانت الأسرة هى أساس المجتمع السليم فان الزواج هو اللبنة الأولى فى بنائها ، لذلك ينبغى علينا قبل ان نبدأ الكلام عن الأسرة اليهودية فى عصر سلاطين المماليك أن نشير الى ذلك الوعاء الذى كانت تجرى فيه الأحداث العائلية ونعنى به المنزل ، الذى كانت تمارس فيه الأسرة حياتها وتجاربها (١) .

وقد ورد فى التلمود ان هناك ثلاثة أشياء تجعل الرجل فى طمأنينة وراحة بال ، منزل جميل ، وزوجة وفية ، وملابس حسنة راقية ، ويأتى السكن فى المقام الأول ، لأن الرجل يشيد منزلا قبل ان يتخذ زوجة ، وقد كانت المرأة تفضل الحجرات الملونة تأكيدا للجمال (٢) . لذا أهتم اليهود اهتماما خاصا بمنازلهم ، كما يتضح من وصف الرحالة اليهود الذين زاروا مصر فى تلك الفترة ،

(١) احمد عبد الرازق : المرأة ، ص ٩٧ .

(٢) Goitein, A Mediterranean Society, Daily Life, London, 1983, IV, p. 47.

ولم تقتصر تلك العناية على هندسة البيوت وتنظيمها ، وانما امتدت ايضا الى تجميلها وزخرفتها (٣) ، وهو ما يميز اهل مصر بوجه عام الذين اهتموا اهتماما بالغا بتشييد المنازل وتأثيثها وتزويدها بكل وسائل الراحة ، وقد بدت منازلهم فى مظهرها الخارجي صغيرة وبسيطة ، ولكنها فى الداخل غاية فى الترتيب ومقسمة الى حجرات مختلفة ومزينة على خير صورة (٤) ، وبخاصة منازل اثرياء اليهود التى كانت تتميز بردهاتها الواسعة وجدرانها المزخرفة بالالوان المختلفة الجميلة ، كما كانت تتميز بنوافذها المنقوشة بأشكال فنية ، وأبوابها المزخرفة ؛ وعند دخول الزائر الى المنزل كان يجتاز ممرا واسعا يسمى دهليز يفضى فى نهايته الى فناء المنزل ، وفى منتصف الفناء كانت توجد فوارة للمياه يحيط بها اشجار متنوعة (٥) ، الأمر الذى يدفع الى القول بان اليهود قد تأثروا فى بناء منازلهم وتخطيطها بمبانى المسلمين ، فحاكوا اسلوبهم فى تخطيط منازلهم من حيث اشتمالها على فناء وردهات واسعة وجدران مزخرفة ونوافذ منقوشة بأشكال فنية بديعة (٦) .

وكان يقيم فى المنزل الواحد عدة أسر يهودية ، ربما وصل عددها الى اثنين او ثلاث او اربع أسر وفى بعض الاحيان كان المنزل ينقسم الى نصفين ، واحيانا اخرى كان المنزل الواحد يقوم بشرائه اكثر من شخص فيصبح ملكا لاكثر من عائلة مناصفة او يتقسمه ثلاثى او اكثر من ذلك بينهم (٧) .

---

(٣) Ashtor, History of the Jews, II, p. 338.

(٤) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ١١٢ .

(٥) Ashtor, History of the Jews, II, p. 339.

(٦) Hananel (Macr), Muslim Influences on Jewish Culture During the Middle Ages, BIAC, No. (11) 1989, p. 22.

(٧) ابن زمرة ، فتاوى ابن زمرة ، ج ١ ، ص ٤٦٨ ، ج ١٤ ، ص ٩١ .

وكانت بعض الأسر اليهودية تمتلك هذه المنازل اما عن طريق الميراث من ذويهم (٨) ، ويفهم من الوثائق والمراجع ان هذه المنازل كانت كبيرة للغاية مما أدى الى تقسيمها الى قسمين منفصلين ، وكانت متسعة من الداخل وتضم ايوانا ، كما كن يتوسط المنزل فناء كبير ، وقد سكنت كل أسرة فى جزء من اجزائه (٩) .

ويستشف من احدى وثائق الجنيزة التى ترجع الى عام ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م أن الأدوار العليا فى المنزل كانت عبارة عن حجرات للمعيشة ، وأن هذه الحجرات كانت مزودة بشبابيك وفتحات للهواء فى الحوائط المقابلة للمدخل (١٠) .

وفى المنازل التى كانت تتألف من طابقين ، كانت احدى الأسر تشغل الطابق الأول والأسرة الأخرى تشغل الطابق الثانى ، كما يستشف من احدى المنازعات التى تم عرضها على ابى موسى بن ميمون ، وجاء فيها أنه كان يعيش فى الطابق الأول خمسة عشر شخصا وأن سكان الطابق الثانى كانوا متضررين منهم بسبب محاولتهم تخريب المنزل مما دفعهم الى تقديم هذه الشكاوى (١١) .

وكان المنزل احيانا يتألف من أكثر من طابق ، فقد أشارت إحدى وثائق الجنيزة التى ترجع الى عام ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ م الى منزل واسع فسيح ملك لأحد اليهود القرائيين يشتمل على ما يقرب من سبعة طوابق (١٢) .

(٨) Ashtor, History of the Jews, II. p. 338.

(٩) ابن زمرة ، فتاوى ابن زمرة ، ج ٣ ، ص ٨٦٩ .

(١٠) Goitein, A Mediterranean Society, Daily Life. p. 62.

(١١) Ashtor, History of the Jews, II, p. 339.

(١٢) Goitein, A Mediterranean Society, Daily Life, p. 75.

ويفهم من وثائق هذا العصر أيضا أن المنزل كان يتألف من قسم للنساء وآخر للرجال بتأثير من الطبقة العسكرية المملوكية، اذ حاكت الطبقات الدنيا دائما الطبقات العليا فى نظم حياتها (١٣). ويمكن القول بأن مساكن طبقات عامة الناس من ذوى اليسار كانت تتكون من قسمين رئيسيين أحدهما بالطابق الأرضى خاص بالرجال، وهو الذى عرف فيما بعد باسم السلاملك وقد أعد للاستقبال واقامة الحفلات ، والآخر بالطابق العلوى وهو خاص بالنساء وقد عرف أيضا باسم الحرملك (١٤) .

أما عن الطريقة التى كانت تغذى بها المنازل بالمياه فلم تختلف تزويد مياه منازل اليهود عن تزويد منازل بقية فئات أفراد المجتمع المصرى فى العصر المملوكى ، فقد كانت الجمال تحمل القرب ، ويطوف بها السقاءون على المنازل لامدادها بما تحتاج إليه من الماء ، وقد قدر البلوى المغربى هذه الجمال فى القاهرة وجدها فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى بمائتى ألف جمل (١٥) .

ويمكن القول ان السكن المشترك بين اليهود بعضهم البعض كان يؤدى الى العديد من المنازعات بين السكان بسبب حصة المياه ، وكانت بعض هذه المنازعات تنتهى غالبا بابداء الرغبة فى تسويتها سلميا عن طريق شراء نصيب الجار الآخر . ويمكن

(١٣) Goitein, A Mediterranean Society, Daily life, p. 64.

(١٤) أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٠٠ .

(١٥) البلوى المغربى ، التاج المفرق فى تحلية علماء المشرق ، وهى المعروفة برحلة البلوى المغربى ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٤٠٠ جغرافيا ميكروفيلم رقم ٤٥٧٧٣ ، ورقة ٥٥ ؛ سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ص ٨٣ ، ٨٤ .

المعروف أنه كان محظورا على الساكن اليهودى فى منزل مشترك أن يبيع نصيبه لغير اليهودى ، فقد وجدت بالفعل معارضة شديدة ضد من يقوم ببيع نصيبه لغير اليهود ، لذا وضع قضاة اليهود عدة شروط تقضى بضرورة عدم جواز تأجير منازل اليهود للمسلمين او النصارى (١٦) . ومع هذا فقد كان هناك الكثير من اليهود ممن كانوا يسكنون فى منازل ملكا للمسلمين (١٧) .

ومن الخصائص البارزة التى اتصفت بها الحياة المنزليـة فى عصر سلاطين المماليك كثرة الاحتفالات والافراح ، والتفاخـر فى احياء هذه الافراح ، حتى بلغ الأمر ببعض الناس الى بيـع الثياب واقتراض الأموال بالربا للتباهى أمام غيرهم وليقـال ان طعام فلان أكثر من طعام فلان (١٨) .

وتعد احتفالات الزواج أهم الأفراح العائلية ، والزواج فى الشريعة اليهودية هو ارتباط بين الرجل والمرأة والغرض منـه تكوين أسرة ، وقد شرعه الله منذ أن خلق أبانا آدم عليه السلام ، للتوالد والتناسل وعمارة الكون ، ولقد حثت الشرعية على الزواج والتناسل (١٩) ، والزواج فرض على كل يهودى (٢٠) ؛ واليهود

---

(١٦) Ashtor, History of the Jews, II, p. 339.

(١٧) ابن زمرة ، فتاوى ابن زمره ، ج ٢ ، ص ١٠٣ ، ج ٣ ، ص ٩٩٥ ، ج ١٤ ، ص ٩١ .

(١٨) ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ١ ، ص ٢٢٥ ؛ سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ١١٨ .

(١٩) توفيق حسن فرج ، أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين المصريين ط (٣) الاسكندرية ١٩٦٩ م ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٢ ؛ الفت محمد جلال ، العقيدة الدينية والنظم التشريعية عند اليهود كما يصورها العهد القديم ، القاهرة ١٩٧٤ م ، ص ١٠٠ ؛

(٢٠) حاى بن شمعون ، الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية للاسرائيليين ، مطبعـة كوهين ورزنتـال مصر ١٩١٢ م ، ص ١ ، ٣ ، مادة ١ ، ٦ .

يؤمنون بأن الله هو الذى استن الزواج فى سبيل حفظ النوع البشرى على أكمل وجه ويستندون فى هذا الى شريعة الزواج التى استنها الله والتى وردت قصتها فى العهد القديم (٢١)، والزواج اذا ما طبقت أحكامه ، يضفى على الزوجين حياة سعيدة بسكون القلب واطمئنان النفس فى ألفة ومحبة وعطف (٢٢) .

وهناك اختلافات فى الزواج بين طائفة الربانيين والقرائيين، فينظر القراءون للزواج نظرة خاصة ، فهو فى رأى علمائهم فرض أو واجب مادام مقدوراً عليه ، وتركه معصية ومفسدة ، ومن ثم وجه القراءون كل اهتمامهم الى تقنينه وقد حدد الربانيون ارتباط الرجل بالمرأة وثلاثة أشياء هى المال والوثيقة والجماع ، على حين يرى القراءون ان الارتباط يتم بالمهر والوثيقة والقبول ، وان أضاف بعض فقهائهم شروطاً أخرى منها مثلا الاشهاد على الزواج ، وهو شرط أيضا لصحة الزواج فى الفقه الاسلامى(٢٣).

وكانت المراحل المتبعة فى الزواج تتم على النحو التالى الخطبة ، وهى فى الشريعة اليهودية عقد مؤداه تواعد رجل وامرأة على الزواج بمهر مقدر وبشروط معينة يتفقان عليها ، والخطبة لا تعد شرعية لدى اليهود الا بالقنوان او القنيان (٢٤) ، اى الوثيقة التى يعطيها الرجل للمرأة (٢٥) ، وتنص تقاليد اليهود

---

(٢١) سفر التكوين : الاصحاح الثانى ، ٢٢ ، ٢٥ .

(٢٢) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص ٦١ .

(٢٣) محمد جلاء : التأثير الاسلامى ، ص ١٠٩ .

(٢٤) عبد الله المراغى ، الزواج والطلاق فى جميع الاديان ، القاهرة ١٩٦٦م ، ص ١٤٧ ؛ قنيان اسم مشتق من الفعل قاناه بمعنى اشترى ، انظر محمد بحر ، اليهودية ، ص ٢٠٥ : هامش ٢ .

(٢٥) ابن شمعون ، الاحكام الشرعية ، ص ١ ، ٣ .

على أن فترة الخطبة يجب ألا تزيد أو تنقص عن الحد المناسب ، وقد حذر بعض كبار رجال الدين وخبراء الزواج بأن الخطبة طويلة الأجل قد تؤدى الى عكس الغرض المقصود ، وعلى الاخص اذا كان الخطيبان قد تجاوزا سن المراهقة ، ولكنهم ينصحون ايضا بألا تكون الخطبة قصيرة لأن ذلك قد لا يوفر للزوجين ما كانا يتوقعانه من السعادة وراحة البال (٢٦) .

وبعد أن يتم الاتفاق على الخطبة ، ويتم اعداد مأدبة غذاء تسمى مأدبة الخطبة ، يتم فيها دعوة أقارب العروسين وبعض الأصدقاء (٢٧) ، وفى بعض الأماكن كان الرجل لا يرى خطيبته الا فى يوم الزفاف ، وفى حالة عدم معرفته بها كان والد العروس يقوم باحضارها للعريس ليراها لبضع دقائق فى حضور الأقارب، وبعد اتمام الخطبة يدخل الخاطب ويخرج من بيت الخطيبة ، وكان أقارب العروس يحيطون به ويأكلون ويشربون معه ، وبعد ذلك من طقوس الاحترام للعريس ، لذلك كان فقراء اليهود يستدينون من أجل اعداد هذه الولائم ، ولكنهم يقومون باخفاء العروس عن العريس لأن رؤية العروس تعتبر عارا كبيرا ، ولذلك كان العريس يجلس مع الرجال والعروس مع النساء (٢٨) ، ولكن هذه العادة لم تكن متبعة فى جميع المناطق ، ففى مصر كان الخاطب ينفرد بخطيبته بعد الخطبة بدون شهود (٢٩) ، وفى خلال فترة الخطبة والاستعداد للزواج اعتاد العريس أن يرسل للعروس الهدايا والجواهر (٣٠) .

(٢٦) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ٣ ، ٤ .
(٢٧) روفائيل أهارون ، نهر مصر ، ص ١٦٨ .
(٢٨) Ashtor, History of the Jews, II, p. 340.
(٢٩) روفائيل أهارون ، نهر مصر ، ص ١٦٧ .
(٣٠) روفائيل أهارون ، نهر مصر ، ص ١٦٨ .

وقد عثر بين وثائق الجنيزة على اتفاق خطبة يرجع الى عام ٧١٥ هـ /١٣١٥ م ، يستشف منه التزام اليهود بالتعميد فى زيت الماء (٣١) ، وقد كان ذلك من الأمور المتعارف عليها فى العصر المملوكى ، ويفهم من هذا الاتفاق أيضا أن العريس كان يوافق على أن يرسل للعروس رسولا وتلتزم هى بدورها باريسال مبعوث له ، كما يفهم من هذا الاتفاق أن العريس كان يقيم بعيدا وان العروس أرادت أن ترسل اليه أحد أبناء أسرتها لكى يتسلم منه الهدايا والمال (٣٢) .

وفى العصر المملوكى انتشرت فى مصر عادة دمج الخطبة وعقد القران ، وان كان الحال قد تبدل فى أواخر هذا العصر حيث أصبحت الخطبة تتم أولا بدون عقد القران (٣٣) ، ومن العادات التى انتشرت فى مصر أيضا عادة ارسال الرجل الهدايا للمرأة التى يريد أن يتزوجها وبعد ذلك كانت تتم الخطبة ، وفى بعض الأحيان كان لا يسمح للمراة ، بالطلاق مادامت قد قبلت هدايا الزوج فى فترة الخطبة (٣٤) .

---

(٣١) هناك عادة آشورية هى صب أو مسح رأس العروس بالزيت وقد استخدم الزيت فى الأضحية والذبائح اليومية والاحتفالات اليهودية وفى تنصيب الكهنة والملوك وفى الأغراض الجمالية ، وهناك زيت عطرى كان معروفا من العصور القديمة ، ومن المحتمل انه كان يستخدم بين الاشوريين واليهود ، وقد جاء فى التلمود عادة صب الزيت فى اثناء احتفالات الزواج ، ولم يكن يصب على العروس وانما يصب على كبار الزوار البارزين ، انظر :

Litt (E.D. Neufeld), Ancient Hebrew Marriage lows, London, 1944, pp. 146, 147.

(٣٢) Ashtor, Fragments from the Cairo Genizah.

اتفاق خطوبة ، ص ٧٤ ، ٧٥ ، انظر الملحق رقم (١٢) .

(٣٣) Ashtor, Histiry of the Jews, II, p. 340.

(٣٤) روفائيل أهارون ، يهود مصر ، ١٦٨ .

وقد أفتى رابى موسى بن ميمون بمقاطعة اى رابى يعطى إذن زواج أو طلاق لأى شخص لا يعرفه جيداً ، وقد طبق يهود مصر فى العصر المملوكى هذه الفتوى وإن كان قد بدأ الاستخفاف بهـا فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، ورغـم اصرار يهود طائفة الربانيين على ضرورة اعادة تطبيـق هـذه الفتوى عن طريق اذاعة بيان فى كل المعابد ، مع عدم السماح بإجراء اى خطبة الا أمام مجلس القضاء (٣٥) .

وكان السن القانونى للخطبة عند اليهود هـو ثلاث عشرة سنة للذكور واثنتا عشرة سنة للانـاث ، اى بمجـرد أن تنبت ولو شعرتان من العانة ، فاذا بلغ أحدهما سن الرشد جـازت الخطبة منه بغير موافقة ولى الأمر ، ولكن جرت العادة على ان والد المخطوبة الرشيدة كان ينوب عنها فى الخطبة متى كـانت الخطبة برضاها وفى حالة ما اذا كانت الفتاة يتيمة الأب كانت الأم تنوب عنها أو ينوب عنها أحد اخواتها أو أحد أقاربها ، أما الخاطب فكان أمره فى يده ولا يجوز أن ينوب عنه أحد الا بتوكيل (٣٦) .

وكانت الخطبة تنقضى فى حالـة وفـاة أحـد الخطيبين بلا غرامة (٣٧) ، كما كانت الخطبة تنقضى بقيام مانع من موانـع الزواج عند الخاطب أو المخطوبة أو بالعدول عن الخطبة مـن

(٣٥) Ashtory, History of the Jews, II, p. 359.

(٣٦) ابن شمعون الاحكام الشرعية ، ص ٢ ، ٣ ؛ مراد فرج ، شعار الخضر فى الأحكام الشرعية الاسرائيلية للقرائين ، مصر ١٩١٧ م ، ص ٧٣ ؛ المراغى ، الزواج والطلاق ، ص ٤٣٩ ؛ عبد الناصر توفيق العطار ، أحكام الأسرة عند المسيحيين واليهود المصريين ومدى تطبيقها بالمحاكم ، القاهرة ١٩٧٠ م ، ص ٤٧ .

(٣٧) ابن شمعون ، الاحكم الشرعية ، ص ٤ ، المادة (١٠) .

جانب الخاطب أو من جانب المخطوبة ، أو بالاتفاق بين الطرفين على إنهائها (٣٨) .

وكانت شرائع اليهود تعترف بالمهر ، وتلزم الزوج بدفعه لزوجته ، كما توجب ذكر المهر فى وثيقة الزواج ، وبالنسبة لمقداره فان المعمول به عند اليهود هو الا يكون للمهر حد أدنى أو أقصى؛ ومع ذلك فكان الربانيون يحبذون أن يتراوح المهر الشرعى للبكر ما بين مائتين او سبعة وثلاثين درهما من الفضة النقية ، وكان يكتفى بالنصف لغير البكر سواء أكانت الزوجة غنية أم فقيرة(٣٩)، وجرت العادة عند القرائين أن يحاول القائمون بالأمر اقناع الرجل بدفع المهر اللائق وفقا لعرف البلد والا امتنعوا عن العقد له (٤٠).

كما رأى القراءون أن المهر حق للمرأة استنادا لما ورد فى سفر الخروج الذى نص : « ... اذا راود رجل عذراء لم تخطب فاضطجع معها بمهرها لنفسه زوجة ان أبى أبوها أن يعطيه اياها ، ويزن له فضة كمهر العذارى » (٤١) ، ورأوا كذلك أن المقدم هو أمر أصيل فى التشريع اليهودى قام الربانيون بتحويله الى مؤخر فى الشرائع التلمودية ، وكان يراعى أن تكون قيمة المهر مناسبة لحال الزوجين وموافقة للزمان والمكان ، ويجوز أن يكون المهر أمرا من الأمور أو عملا من الأعمال فقد عمل سيدنا موسى أجيرا عند والد زوجته مقابل المهر ، وكان الجزء المؤجل

---

(٣٨) الخطار ، أحكام الأسرة ، ص ٤٧ .

(٣٩) ابن شمعون ، الأحكام الشرعية ، ص ٣١ مادة ٩٩ ؛ العطار ، احكام الاسرة ، ص ١٤٧ .

(٤٠) الخطار ، الاحكام الاسرة ، ص ١٤٧ .

(٤١) سفر الخروج ، الاصحاح الثانى والعشرون ، ١٦ ، ١٧ ؛ محمد جلاء التاثير الاسلامى ، ص ١٤٦ .

من المهر يستحق بالطلاق أو بوفاة الزوج ، كما كان يسقط شرعا بوفاة الزوجة (٤٢) .

وفيما يتعلق بالشروط الشكلية للزواج فكانت تنحصر وفقا لشرائع اليهود فى ثلاثة وجوه هى التقديس ، وكتابة العقد ، وصلاة البركة . فالتقديس يتم عند الربانيين باعلان الرجل فى مجلس يحضره شاهدان على الأقل عن رغبته فى ارتباط بالمرأة بالزواج ، ويقول لها « تقدست لى زوجة بهذا الخاتم أو بكذا ان كان شيئا آخر مملوكا للرجل » (٤٣) .

اما عند القرائيين فكان التقديس يتم فى مجلس لا يقل عن عشرة رجال « ويسلم الرجل المهر كله فضة نقدا أو عينا الى كبير الحاضرين الذى يسلمه بدوره الى والد العروس أو وكيلها او اليها راسا ولو أنه غير مستحسن ، أو يلتزم به أمامهم (٤٤). وكان التقديس يعد اجراءا ضروريا ففيه ترتبط الزوجة شرعا ، فلا تحل لآخر الا بالطلاق أو الوفاة ، وان كان وحده لا يكفى ، اذ لم يكن يحل للرجل الدخول على الزوجة قبل استكمال باقى اركان الزواج ، لأنه كان من الضرورى بعد ذلك تحرير وثيقة الزواج ، واتمام صلاة البركة حتى تحل المعاشرة بين الزوجين (٤٥) .

---

(٤٢) العطار ، أحكام الأسرة ، ص ١٤٧ ؛ محمد حسين منصور ، النظام القانونى للأسرة فى الشرائع غير الاسلامية ، الاسكندرية ، ١٩٨٣ م ، ص ٣٢ ؛ محمد جلاء ، التأثير الاسلامى ، ص ١١٧ .

(٤٣) ابن شمعون ، الأحكام الشرعية ، ص ١٧ ، ١٨ ، المادة ٥٦ ، ٥٨ ؛ توفيق حسن ، أحكام الأحوال الشخصية ، ص ١٣٢ .

(٤٤) مراد فرج ، شعار الخضر ، ص ٧٥ ؛ محمد حسين منصور ، النظام القانونى للأسرة ، ص ١٦٩ .

(٤٥) ابن شمعون ، الأحكام الشرعيه ، ص ١٧ ، ٢٠ ، المادة ٥٦ ، ٦٦ ، محمد حسين ، النظام القانونى للأسرة ، ص ١٦٩ .

اما كتابة العقد أى وثيقة الزواج فقد استوجبت الشريعة اليهودية ضرورة كتابة العقد واعتبرته أمرا جوهريا لأن اقامة الرجل مع المرأة بغير كتابة عقد زواج شرعى كانت ممنوعة رغم وجود التقديس . ويعرف عقد الزواج باللغة العبرية باسم « كتوباه » وكانت يشترط فيه أن يشتمل على ذكر لجميع حقوق وواجبات الزوجة الشرعية وكل ما يشترطه الزوجان على بعضهما البعض مما يخالف الأصول أو الشرع (٤٦) .

اما صلاة البركة فكانت تقام فى النهاية وفى احتفال على يحضره جمع من الرجال لا يقل عن عشرة ، لأن التبريك والعلانية كانا أمران لازمان لاتمام الزواج ، وكانت تقام فى الاحتفال بعض المراسيم الدينية وتبدأ عادة بتلاوة دينية ثم يجدد الرجل يمين العهد ، وبعد ذلك تبدأ صلاة البركة ، التى كان الموثق يبدؤها بتبريك الزوجين ، ثم يبدأ بالسبع بركات (٤٧) .

وعن موانع الزواج فى الشريعة اليهودية ، فقد أجمع فقهاء اليهود على أن النصوص التى وردت فى التوراة بتحديد القرابة المانعة من الزواج ، محصورة فيما ورد بالاصحاح الثامن عشر من سفر اللاويين وهو كما يلى « لا يقترب انسان الى قريب جسده ليكشف العورة ، أنا الرب عورة أبيك عــورة وعــورة أمـك

---

(٤٦) ابن شمعون ، الاحكام الشرعية ، ص ٢٠ ، ٣١ ، المادة ٦٧ ، ٩٨ ؛ توفيق حسن ، احكام الاحوال الشخصية ، ص ٦٣٣ ؛ محمد حسين ، النظام القانونى للأسرة ، ص ١٦٩ ، انظر ايضا ، ليلى أبو المجد ، عقود الزواج ترجمة وتعليق على متن المشنا وشرح التلمود ، القاهرة ١٩٩٦ م ، ص ٣ ؛ ٤ .

(٤٧) ابن شمعون ، الاحكام الشرعية ، ص ١٧ ، ١٩ ، المادة ٥٦ ، ٦١ ؛ مراد فرج ، شعار الخضر ، ص ١٠٨ ، ١١٠ ؛ حسين منصور ، النظام القانونى الأسرة ، ص ١٦٩ ؛ توفيق حسن ، احكام الاحوال الشخصية ، ص ٦٣٤ .

لا تكشف ، انها أمك لا تكشف عورتها ، عورة امراة أبيك لا تكشف انها عورة أبيك ، عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة فى البيت أو المولودة خارجا لا تكشف عورتها ، عورة ابنه ابنك أو ابنة بنتك لا تكشف عورتها أنها عورتك ، عورة بنت امراة أبيك المولودة من أبيك لا تكشف عورتها انها أختك ، عورة أخت أبيك لا تكشف انها قريبة أبيك ، عورة أخت أمك لا تكشف انها قريبة أمك ، عورة أخى أبيك لا تكشف الى أمراته لا تقترب انها عمتك ، عورة زوجة ابنك لا تكشف انها امراة ابنك لا تكشف عورتها ، عورة امراة أخيك لا تكشف انها عورة أخيك ، عورة امراة وبنتها لا تكشف ولا تأخذ ابنة ابنها أو ابنة بنتها لا تكشف عورتها انهما قريبتاها انه رذيلة ، ولا تأخذ امراة على أختها للضر لتكشف عورتها معها فى حياتها (٤٨) .

وكان للاحتفال بالزواج تقاليد دينية معينة يتبعها اليهود فى معظم احتفالاتهم ، تتمثل فى اقامة سرادق حيث تتم اجراءات الزواج ويقدم كأس من النبيذ يشرب منه كل من العريس والعروس فى بداية الاحتفال وفى نهايته (٤٩) .

---

(٤٨) سفر اللاويين ، الاصحاح الثامن عشر من ١٦ الى ١٨ ؛ مراد فرج ، شعار الخضر ، ص ١٨ وما بعدها ؛ شفيق شحاته ، أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين من المصريين ، مانع المصاهرة ، جامعة الدول العربية ، ١٩٦٤ م ، ج ٨ ، ص ٨ ، ٩ ؛ أحمد غنيم ، موانع الزواج بين الشرائع السماوية الثلاثة والقوانين الوضعية ، ثلاثة أجزاء فى مجلد (١) ، القاهرة ١٩٦٩ م ، ج ٣ ق (٢) ، ص ٨٦ ، محمد محمود نمر ، الأحوال الشخصية ، ص ٢٢٩ ، ٢١٢ .

(٤٩) رشاد الشامى ، جولة فى الدين والتقاليد اليهودية ، القاهرة ، ١٩٧٧ م ، ص ٤ ، ٥ .

وكان الواعظ اليهودى يقوم خلال الحفل بترتيل بعض الأدعية والشعر فى شرف الزوج فى أثناء فترة المغرب والعشاء وعندما يأتى أهل العروسين الى منزل الزوجية كان أحدهم يأخذ كأس الخمر ويقرأ البركات على النبيذ وعلى العطور وعلى فرع شجرة جوز صغيرة ، وهذه البركات تسمى بركة العفاف (٥٠) .

وقد كان احتفال الزواج ضروريا خاصة اذا كانت العروس عذراء وغالبا ما كان يتم زواج العذراء يوم الأربعاء ، أما الأرملة أو المطلقة فكان زواجها يتم غالبا فى يوم الثلاثاء ، وكان الاحتفال يبدأ فى اليوم السابق للزواج حيث كانت العروس وسائر النساء يخضبن أيديهن وأرجلهن بالحناء من أجل أبعاد الأعين الشريرة الحسودة ، كما كان العروسان لا ينامان فى هذا اليوم للاعتقاد بخطورة ذلك عليهما (٥١) .

وفى اليوم والموعود كان العريس يذهب مع أصدقائه وأقاربه ووالده فى موكب تصاحبه الموسيقى والغناء الى منزل العروس لاحضارها ، وفى بعض الأحيان كان كل من العروسين يأتى فى موكب خاص ويلتقيان فى مكان الاحتفال (٥٢) .

---

(٥٠) Ashtor, History of the Jews, II, p. 359.

(٥١) سفر التكوين ، الاصحاح التاسع والعشرون ، ٢٧ ؛ سفر القضاة ، الاصحاح الرابع عشر ، ٢ ؛ سوزان السعيد ، المرأة وحقوقها وواجباتها فى الشريعة اليهودية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٨٣ ، ص ٨٥ .

(٥٢) سفر القضاة ، الاصحاح الرابع عشر ٢ ؛ أخبار الأيام الأول ، الاصحاح التاسع ، ٣٩ ؛ سوزان السعيد ، المرأة وحقوقها ، ص ٨٦ .

وقد نصت التقاليد فى معظم حفلات زواج اليهود على ضرورة تحطيم كأس النبيذ بعد أن يشرب منه العروسان ، وكان اشتراك العروسين فى شرب قدح واحد من النبيذ تذكرة لهما بمصيرهما المشترك ، وأن معيشة كل منهما مع الآخر سوف تستمر حتى نهاية الأجل ؛ وكان القدح الأول من النبيذ يقدم عند الاتفاق على الخطبة أو عند تقديم الشبكة ، وكان موعد القدح الثانى فى أثناء الاحتفال بالزوج ، ويعتبر تحطيم الأقداح من أهم تقاليد اليهود التى تشير الى أن الزجاج المحطم يعيد الى الاذهان ذكرى تدمير المعبد ، كما يعد رمزا لأحزان اسرائيل ، ودليلا على سعادة الزوجين وتذكرهما للصعاب التى قابلتهما فى الحياة وقلقهما على مسئوليات المستقبل (٥٣) .

وكان الاحتفال بالزواج يستمر على مدى سبعة أيام أو أسبوعين يتم خلالهما بعض الطقوس والعادات الطريفة مثل تلاوة البركات السبع وهى بركة عصير العنب ، وبركة خلق الكائنات ، وبركة خلق الانسان ، وبركة خلق حواء ، وبركة أن الغرض من خلقهما التوالد ، وبركة العروسين ، والخاتمة ذكر أورشليم أسفا ورجاء ، وكانت تقدم خلال هذه الاحتفالات شتى انواع الحلوى وتجرى مسابقات طريفة بين العروسين ، ويشارك المدعوون فيها بالرقص والغناء (٥٤) .

ويفهم من المؤرخ ابن حجر انه كان يسمح لاهل الذمة فى عصر المماليك بإقامة أفراحهم بالملاهى والمغانى على عادتهم ، وان

---

(٥٣) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ٥ ، ٦ .

(٥٤) مراد فرج ، شعار الخضر ، ص ١١١ ؛ سوزان السعيد ، المرأة وحقوقها ، ص ٨٨ .

كان قد أغفل أن يشير الى طبيعة هذه العادات التى حدثنا عنها (٥٥) .

وجدير بالملاحظة ان الشريعة اليهودية كانت تجيز ظاهرة تعدد الزوجات ، وقد مارس بنو اسرائيل ظاهرة تعدد الزوجات التى نص عليها فى التوراة ، وقد مارسه ابراهيم (٥٦) وعيسى عليهما السلام (٥٧) ، كما جمع يعقوب بين الأختين ، وكانت زوجات سليمان الشرعيات كثيرات بالاضافة الى الجوارى والسرارى ، وقد ارتبطت ظاهرة تعدد الزوجات عند اليهود بالرغبة فى الانجاب ، اذ كان للأبناء اهمية كبرى عندهم لأنهم كانوا يعاونون عادة رب الأسرة فى رعى الغنم ، ويحملون لقب الأسرة ، لدرجة أن المراة العاقر كانت تعطى جاريتها لزوجها لتحمل منه وتلد فى حجر سيدتها ، وعندئذ كان يفترض أن يكون المولود من نسل الزوجة وليس من الجارية ، فراحيل دفعت جاريتها لزوجها لتحمل منه يعقوب (٥٨) .

وقد استمرت ظاهرة تعدد الزوجات حتى أواخر القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ثم توقفت على يدى الحاخام جرشوم بن يهوذا وأصبح قراره مطبقا عند يهود الدولة الاسلامية ، وقد خالف القراءون اخوانهم الربانيين بتأثير اسلامى واضح فى

---

(٥٥) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ١٢٢ ؛ احمد عبد الرازق ، المرأة ص ٨٤ .

(٥٦) سفر التكوين ، الاصحاج الحادى عشر ، ص ٢٩ ؛ والاصحاح السادس عشر ، ٣ ؛ الاصحاح الخامس والعشرون ، ١ .

(٥٧) سفر التكوين ، الاصحاح السادس والعشرون ، ٢٤ .

(٥٨) الفت جلاء ، العقيدة الدينية ، ص ١٠٢ الى ١٠٤ ؛ محمد عبد المقصود ، المرأة فى جميع الاديان والعصور ، ط (١) القاهرة ١٩٨٣ ، ص ١٢١ .

قضية التعددية ، فالربانيون قد أبطلوا مفعول التعددية وفقا لأهوائهم لكن القرائيين عادوا إلى ظاهرة تعدد الزوجات واشترطوا ما اشترطه الاسلام من العدل (٥٩) .

فقد جاء فى كتاب الأحكام الشرعية أنه يجوز للزوج أن يتخذ اكثر من زوجة ، اذا كان فى سعة من العيش وكانت له القدرة على العدل ، أو كان لديه مسوغ شرعى يبيح له أن يتزوج بأخرى ،إذا لم يرد فى التوراة حجر ولا حصر فى هذا الصدد (٦٠) . واذا كان للاباحة أصل فى التوراة ، فان اشتراط العدل اثر من آثار الاسلام الواضحة ، حيث جاء فى القرآن الكريم « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم الا تعدلوا فواحدة » (٦١) .

وجدير بالذكر أن يهود مصر لم يكن لهم اكثر من زوجة واحدة الا فى حالات محدودة للغاية ، وكانت الزوجة اذا تمردت على زوجها قدموا لها النصائح والمواعظ ، أما اذا استمرت فى تمردها فكان يسمح للزوج بالزواج من اخرى، كما سمحت الشريعة اليهودية للزوج بالزواج من أخرى فى حالة مرض الزوجة وعدم قدرتها على فراش الزوجية (٦٢) .

وكان يسمح أيضاً للزوج بالزواج من أخرى إذا لم تلد زوجته فى خلال عشر سنوات أو توقفت عن الإنجاب ، عندئذ يجوز للزوج

---

(٥٩) محمد جلاد ، التأثير الاسلامى ، ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٦٠) ابن شمعون ، الأحكام الشرعية ، ص ١٧ ، مادة ٥٤ ، ٥٥ ؛ توفيق حسن ، أحكام الأحوال الشخصية ، ص ٣٥٥ .

(٦١) قرآن كريم ، سورة النساء اية رقم ٣١ ؛ محمد جلاء ، التأثير الاسلامى ، ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٦٢) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ١ ، ص ٥٣ ، ج ٤ ، ص ٧٨ .

وفقا للشريعة اليهودية تطليق زوجته والزواج من أخرى (٦٣) ، وكانت موافقة الزوجة على البقاء فى منزل الزوجية مع الزوجة الثانية شرطا مطلوبا ، أما اذ لم ترغب فى ذلك كان على الزوج ان يطلقها ويعطيها كفة حقوقها وفقا لإمكاناته ، وفى حالة عدم توافر الإمكانات لديه ، كان عليه أن يقوم بتقسيط كافة حقوقها على هيئة ديون ، وكانت الزوجة لا تستطيع منع زوجها من الزواج من أخرى ، كما ان الزوج كان لا يستطيع اجبارها على البقاء مع الزوجة الثانية (٦٤) .

ويفهم من فتاوى رابى دافيد أن الزوج كان يلجأ احيانا الى الزواج من أخرى لأن الزوجة لم تلد له ولدا أو بنتا ، أو بسبب تقدم الزوجة فى السن ولم تنجب له منذ عشر سنوات (٦٥) ، وكثيرا ما كان يحدث عند الطلاق بعض الخلافات بسبب أثاث المنزل ومدى أحقية الزوج فى الاحتفاظ ببعضه لاعطائه للزوجة الثانية . وجرت العادة بعد زواج الرجل من امراة ثانية أن ينام ليلة لدى زوجته الأولى ، وأخرى عند زوجته الثانية ، وكانت عقود الزواج تنص فى كثير من الأحيان على ضرورة عدم التفريق فى المعاملة بين الزوجتين وعلى ضرورة معاملتهما بالعدل (٦٦) . وقد شهدت الحياة الزوجية العديد من المشاكل حيث كانت كل زوجة تعتقد أنها تخسر كثيراً فى أثناء حيضها (٦٧) .

---

(٦٣) روفائيل اهارون ، نهر مصر ، ص ٢٠٢ ؛ ليلى أبو المجد ، عقود الزواج ، ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٦٤) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ١ ، ص ٤٥٥ .

(٦٥) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ١ ، ص ٣٦ ؛ روفائيل اهارون ، نهر مصر ، ص ٢٠٢ .

(٦٦) Ashtor, History of the Jews, II, p. 345.

(٦٧) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 345-346.

وعلى الرغم من المشاكل العديدة التى نشأت بسبب الزواج بأكثر من امرأة ، فقد استمر زواج بعض اليهود بأكثر من امرأة بل وصل الأمر ببعضهم الى الاقتران بأربع زوجات (٦٨) .

وكانت هناك عادة يهودية وهى اتفاق الأهل على خطبة الأطفال وهم فى مرحلة الطفولة ، ولكن فى أغلب الأحوال كان هذا الاتفاق ينقضى عندما يكبر الأطفال ، ولذلك اعتاد اليهود اضافة بند فى وثيقة الزواج ينص على عدم تراجع الطرفين ومن يتراجع كان يقوم بدفع غرامة مالية (٦٩) .

وجرت العادة ايضا أن يتفق بعض أولياء الأمور على عقد زواج أولادهم فى بعض الحانات ، كما اعتاد والد العريس أن يقدم خاتما الى والد العروس أو كأساً من النبيذ على شرف هذا الزواج ، وقد بذل الربانيون ما فى وسعهم من أجل الغاء هذه العادة السيئة (٧٠) .

أما فيما يتعلق بوثيقة الزواج فكانت تتضمن عدة شروط ، لأن يهود مصر زمن سلاطين المماليك ، كانت لهم عادات خاصة بهم بعضها لا يوافق الشريعة اليهودية ولا يتفق مع آراء موسى بن ميمون ، ويلاحظ أن جميع وثائق الزواج التى عقدت فى مصر تضمنت شروطاً مهمة تنص على أن تنفرد الزوجة بدخلها ، على أن يتحمل الزوج جميع الأعباء الزوجية بما فى ذلك كسوة المرأة

---

(٦٨) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ١ ، ص ٤٥٧ .

(٦٩) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ٤ ، ص ١٠٤ ، ص ١٩٤ .

(٧٠) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ١ ، ص ٤٧٤ ؛ ج ٤ ، ص ١٩٣ ، ١٩٤ ، ج ٦ ، ص ٦٠ ، ٦٢ .

سواء أكانت تعمل أم لا تعمل (٧١) ، وقد عارض حكماء التلمود هذا الشرط وقاموا بوضع لوائح تنص على أن نفقة الزوجة وكسوتها يجب أن تكون من عائد عملها (٧٢) .

وكان يشترط فى وثيقة الزواج أيضا أن ما ادخلته المرأة فى بيت زوجها من جوار وأثاث يجب أن يعود اليها فى حالة وفاة الزوج ، أو حالة الطلاق وذلك على عكس مما ورد فى التلمود (٧٣) .

ومن الشروط التى وردت فى وثائق الزواج أيضا أن الزوجة التى كانت ترث ثروة عن والدها وتموت لا يحق لأحد المطالبة بكل هذه الثروة ولكن لهم الحق فى المطالبة بنصفها فقط . أما النصف الباقى من الثروة فكان من حق زوجها ، ومن أجل القضاء على هذه المنازعات فقد ادخل فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى بعض التعديلات على وثيقة الزواج من بينها بند ينص على ان ورثة الزوجة يجب أن يتقاسموا مع الزوج كل ما تبقى من التركة لأن لفظ تركة يشتمل على أملاك الزوجة التى فى ذمة الزوج ، وكان يحق للزوج استثمار ثروة الزوجة دون ان تكون ملكا له (٧٤) .

وقد عثر ضمن وثائق الجنيزة على بعض عقود الزواج المملوكية ، العقد الأول جاء من مدينة الفسطاط ويحمل تاريخ سنة ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م ، واسم كل من يشوعا بن داود الزوج

(٧١) ابن زمرة ، فتاوى رأبى داقيد ، ج ١ ، ص ٢٩١ .
(٧٢) Ashtor, History of the Jews, II, p, 345.
(٧٣) ابن زمرة ، فتاوى دابى داقيد ، ج ٢ ، ص ٩٩١ .
(٧٤) Ashtor, History of the Jews, II, p. 346.
ليلى أبو المجد ، عقود الزواج ، ص ٢٠٧ ، ٢٣١ .

وشفع بنت اسحق هاكوهين الزوجة ، كما يتضمن فى جانبه اسم رابى داود الناجيد بن ابراهام بن موسى ميمون (٧٥) . وجاء العقد الثانى أيضاً من المدينة نفسها ويحمل تاريخ سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م ، ويشتمل على بيان بما قدمه الزوج اليعازر بن رابى يشوعا الى زوجته شمسية بنت يعقوب من جواهر وادوات ثمينة (٧٦) .

وجرت العادة كذلك على أن تقوم الزوجة أحيانا بالتنازل عن جميع حقوقها المنصوص عليها فى عقد الزواج ، فقد عثر ضمن وثائق الجنيزة على تنازل دون فى مدينة الفسطاط فى سنة ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م . جاء فيه أن « موتبه » تنازلت لزوجها العجوز ابراهام هاكوين بن العجوز رشيد عن المؤخر والمهر المتفق عليه فى عقد الزواج وباقى الحقوق التى تطلبها النساء من الرجال (٧٧) .

أما عن زواج اليبوم أى زواج الأخ من أرملة أخيه المتوفى الذى نصت عليه التوراة : « اذا أقام أخوان فى موضع واحد ومات احدهما ولم يعقب ولدا فلا تصير امراة الميت الى رجل اجنبى بل أخو زوجها ينكحها ، وأول ولد يولد لها ينسب الى أخيه ، فان

---

(٧٥) Ashtor, History of the Jews, III, fragments from the Cairo Geneizah.
عقد زواج ، ص ٦٢ ، ٦٣ ، انظر الملحق رقم (١٣) .

(٧٦) Ashtor, History of the Jews, III, fragments from the Cairo Geneizah.
عقد زواج ، ص ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، انظر الملحق رقم (١٤) .

(٧٧) Ashtor, History of the Jews, III, fragments from the Cairo Geneizah.
تنازل عن عقد زواج ، ص ٦٦ ، ٦٧ انظر الملحق رقم (١٥) .

ابى أن ينكحها خرجت شاكية الى مشيخة قومه قائلة قد أبى حموى أن يستبقى اسم أخيه فى بنى اسرائيل ولم يرد نكاحى ، فيحضره ويكلفه أن يقف ويقول ما أردت نكاحها ، فتتناول المراة نعله فتخرجه من رجله وتمسكه بيدها وتبصق فى وجهه وتنادى عليه : كذا فليصنع بالرجل الذى لا يبنى بيت أخيه ويدعى فيها بعد بالمخلوع بالنعل ، ويعير القوم بنوه بهذا اللقب (٧٨) . والحق أن اليهود استمدوا زواج اليبوم هذا وأخذوا تشريعة من سفر راعوث ، فقد جاء فى الاصحاح الرابع « ... فقال بوعز يوم تشترى الحقل من يد نعمى تشترى أيضا من يد راعوث المؤابية امرأة الميت لتقيم اسم الميت على ميراثه .. » (٧٩) .

ويرجع بعض الباحثين السبب فى هذا الزواج الى الاحتفاظ بالزوجة وأولادها وأموالها فى داخل الأسرة ، ورغبة الانجاب لمن لم يترك خلفا ، فضمان استمرار الأسرة والمحافظة على اقامة الطقوس الدينية للمتوفى هذه واحدة ، أما الثانية فهى استمرار الاحتفاظ باسم المتوفى فى شخص عقبة الذى يولد بعد موته والمحافظة على أموال المتوفى وعائلته ، أما الثالثة فهى الاحتفاظ بأرملة الميت داخل الأسرة لأنها ثروة اقتصادية عظيمة يمكن استغلالها والانتفاع بها ، أما الرابعة فهى عدم خروج تركة المتوفى الى عائلة أخرى ، ويرى اليهود أن انقطاع النسل للميت يعد غضبا من الله وحرمانا له من تأدية فرائض الدين (٨٠) .

---

(٧٨) سفر التكوين ، الاصحاح الثامن والثلاثون ، ٨ ؛ سفر التثنية ، الاصحاح الخامس والعشرون من ٥ الى ١٠ ؛ موسى بن ميمون ، دلالة الحائرين ج ٣ ، ص ٦٩٨ ؛ ابن الجوزية ، هداية الحيارى ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، انظر أيضا ليلى ابو المجد ، عقود الزواج ، ص ١٧٠ .

(٧٩) سفر راعوث ، الاصحاح ٥ ، ٦ .

(٨٠) السيد محمد عاشور ، مركز المراة فى الشريعة اليهودية ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ١٧ ؛ سوزان السعيد ، المرأة وحقوقها ، ص ١٠ ؛

.. أما فيما يتعلق بطقوس الاحتفال بزواج اليبوم ، فلم تكن هناك أية مراسيم بمناسبة هذا الزواج لأن المرأة كانت تعتبر كزوجة ولا تحل لآخر الا بعد الحليصه اي طلاقها من اخى الزوج المتوفى ، وكان مجرد بسط الثوب على المرأة يعتبر دليلا على اتمام الزواج (٨١) .

ويفهم من احدى وثائق الجنيزة التى ترجع الى عام ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢ م ، ان شقيق الأخ المتوفى فى زواج اليبوم كان عليه التزام المساواة والعدالة بين الزوجة الأولى والأرملة ، فيما يتعلق بالمصروف اليومى والكسوة ، كما كان عليه أن يعدل بينهما فيخص الزوجة الأولى بليلة ومثلها للزوجة الثانية ، وكان عليه أيضا عدم ايقاع الضرر بالأرملة ، ولا يميز بينها وبين الزوجة الأولى ، كذلك كان على الزوج والأرملة الالتزام بالشروط التى جاءت فى وثيقة الزواج بنفس راضية ، ومن خالف ذلك عليه القيام بدفع غرامة عشرة دنانير أشرفية (٨٢) .

ومن المعروف أن القرائين كانوا يجمعون على تحريم زواج اليبوم (٨٣) ، وقد اختلفت طائفة السامرة مع الربانيين فى هذا الزواج ، فطائفة السامريين ترى وجوب تطبيق هذا النوع من

---

(٨١) سوزان السعيد ، المرأة وحقوقها ، ص ١١٢ .

(٨٢) Ashtor, Fragments from the Cairo Genizah,

وثيقة رقم ٦٤ بعنوان اتفاق زواج الاخ من ارملة اخيه المتوفى ، ص ٦١٢ ، ١١٣ ، انظر الملحق رقم (١٦) والمقصود بالدنانير الاشرفية هى الدنانير التى اصدرها الأشرف برسباى عنها ، انظر :

Balog, The Coinage of the Mamluk, p. 35

(٨٣) سفر التكوين ، الاصحاح الثامن والثلاثون ، ٨ ؛ محمد الهوارى ، الاختلافات ، بين القرائين والربانيين ص ٦٧ .

الزواج حتى لو خطب الرجل المراة ومات قبل أن يدخل بها (٨٤) .
وقد أقر الربانيون هذا الزواج استنادا الى بعض فقرات وردت في العهد القديم منها قول يهودا لأونان » . . . أدخل على امرأة أخيك وتزوج بها وأقم نسلا لأخيك (٨٥) ، كما ورد في المشنا أيضا ما يؤيد زواج اليبوم .

وقد انتقد بعض الباحثين زواج اليبوم ، لأنه قام على غرض اقتصادى وهو حفظ ثروة الزوج المتوفى داخل عائلته ، ولم يكن الهدف من ورائه اجتماعياً أو دينياً ورأوا فيه أنه يقوم على الطمع والحصول على مال الغير بدون وجه حق ، واعتبروا المرأة فى حالة هذا الزواج أشبه بسلعة تورث (٨٦) .

ومن العلاقات الزوجية والحياة العائلية فقد نصت عقيدة اليهود على ضرورة تقدير الرجل بين أفراد أسرته ، واحترام الآباء والأجداد ، كما شدد على ضرورة أن تسود المحبة بين الرجل وزوجته ، وعلى الاعتراف بحقوق الأطفال فى التربية والتعليم ، وعلى أن رب الأسرة له الحق فى أن يفرض نفوذه على أفرادها ، ولكن بشرط أن يلتزم جانب الإعتدال ، ونبهت على أن كل فرد فى الأسرة له دور مهم لابد من أن يؤديه ويشتركون جميعاً فى تدعيم أسرتهم وعقيدتهم (٨٧) .

وتشير المراجع العبرية المعاصرة ، الى أن العلاقة بين الرجل والمرأة كانت طيبة . ويستشف منها أيضاً أن حالات

---

(٨٤) السيد عاشور ، مركز المراة ، ص ١٨ .
(٨٥) سفر التكوين ، الاصحاح الثامن والثلاثون ، ٨ .
(٨٦) السيد عاشور ، مركز المراة ، ص ١٨ .
(٨٧) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ١٠ .

ضرب الرجال اليهود لزوجاتهم أو قيامهم بتعذيبهن كانت قليلة ، وفى حالة عرض مثل هذه الحالات على مجالس القضاء اليهودية كان الزوج يعاقب عقابا شديدا ، وكانت تفرض عليه غرامة وربما وصل الأمر الى وضعه فى السجن (٨٨) .

وهناك من الشواهد مايثبت احترام اليهود لنسائهم فى العصر المملوكى ، وخير شاهد على ذلك تلك الألقاب التى أطلقها اليهود على نسائهم مثل ست البنين وست الدار (٨٩) ، وست الناس (٩٠) ، وست الكل (٩١) وست الحسن ، وهناك ألقاب مثل أم مخلوف وغيرها (٩٢) وذلك من باب « الفخر والتزكية والثناء والتعظيم » (٩٣) . ويمكن القول بأن اليهود تأثروا أيضا بالمسلمين فى التسمى بالأسماء العربية ، فقد كانت معظم أسمائهم عربية الى جانب ألقابهم ، وهذا دليل على أن اليهود كانوا جزءاً لا يتجزأ من المجتمع المصرى .

وقد أعتاد رب الأسرة قضاء معظم وقته خارج المنزل فى حانوته وممارساً لمهنته ، فى الوقت الذى كانت فيه المرأة تقوم وتشرف على شئون منزلها، وقد تعمل أحياناً خارج المنزل فى التجارة أو فى الاقراض بالربا (٩٤) ، بل يمكن القول ان غالبية نساء

(٨٨) Ashtor, History of the Jews, II, p. 342.

(٨٩) Ashtor, History of the Jews, II, p. 334.

(٩٠) ابن الحاج ، المدخل ، ج ١ ، ص ٢٣٨ ؛ السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ١٢ ، ص ٥٧ ؛ Mann, Texts and Studies in Jewish, p. 421.

(٩١) ابن الحاج ، المدخل ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .

(٩٢) Ashtor, History of the Jews, II, p. 334.

(٩٣) ابن الحاج ، المدخل ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .

(٩٤) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ١ ، ص ٦٧ .

اليهود كن يعملن بسبب غياب أزواجهن خارج البلاد، ولكن يهة مؤدة الزوج الى الوطن كان يطلب دائما من زوجته الكف عن العمل والبقاء في المنزل ، وقد أيده في ذلك الفقهاء القائمون على الدين اليهودي . وجرت العادة أن تستعين الأسر الثرية بالخدم الخادمات (٩٥) .

وقد وجد لدى الأسرة الثرية طباخين وطباخات من أجل طهي الطعام (٩٦) ، لذا كانت النساء يتقضين وقتهن في الحياكة والتنسيج ، كما كن يفصلن لأنفسهن الثياب ويطرزن بعض المشغولات الحريرية ، على العكس من الأسر الفقيرة التي كانت المرأة فيها تشرف على جميع أمور منزلها (٩٧) ، وجرت العادة ان تلقى على كاهل نساء اليهود علاج المرضى ، لأن اليهودي الذي يمرض كان لا يقبل في المارستان ، التي كانت موقوفة على علاج المسلمين فقط ، كما يستشف من وثيقة وقف مارستان السلطان قلاوون (٩٨) . ومع هذا فقد جاء في احدى وثائق الجنيزة بصدد عمل أطباء اليهود في المارستانات الاسلامية ، إنه كان يسمح لليهود داخل هذه المارستانات بالعلاج والمعالجة (٩٩) .

---

(٩٥) Ashtor, History of the Jews, II, p. 341.

(٩٦) Adler, Jewish Travellers, p. 208.

(٩٧) Ashtor, History of the Jews, II, p. 341.

(٩٨) انظر وثيقة وقف السلطان قلاوون ، وهذا البيمارستان هو الذي وقفه مولانا السلطان المنصور لمداواة مرضى المسلمين الرجال والنساء من الأغنياء والفقراء المحتاجين بالقاهرة ومصر وضواحيها ...» ابن حبيب ، تذكرة النبية في أيام المنصور وبنيه ، الجزء الأول حوادث ٦٧٨ ــ ٧٠٨ هـ / ١٢٧٩ ــ ١٣٠٨ م مع نشر وتحقيق وثائق وقف السلطان قلاوون تحقيق محمد محمد أمين، مراجعة سعيد عاشور ، دار الكتب المصرية ١٩٧٦ م ، ص ٣٥٨ .

(٩٩) Cohen The Burden Some life of Jewish, pp. 127-129.

اما عن نظام الطعام ، فقد كانت الأسرة تجتمع لتناول الطعام ، وكانوا يضعون الاطعمة على قطعة من القماش تفرش على الارض او على صينية من الفضة او النحاس ، توضع في منتصف الحجرة او في احد الاركان ، وكانت الاسرة تجلس حول الطعام على بعض الوسائد أو على الارض ، وترص على الصينية عدة صحون ، وقد تشابهت عادات اليهود مع عادات المسلمين في غسل الأيدي قبل الاكل حيث يقوم الخادم بسكب المياه على ايدى الحاضرين ويقوم باعطائهم صابونا برائحة ، كما كان يقوم باعطائهم بعض اوراق زهرة اللوتس ، وكان اليهودي يبدأ طعامه بشرب نبيذ العنب أو الكروم ومعه بعض الفاكهة ويقوم كل فرد بتهنئة الآخر « بالهناء والشفاء » ، وبعد الانتهاء من شرب الخمر ، كانوا يتناولون اللحوم وغالبا ما تكون لحم (كبش) او لحم طيور مطبوخة أو مقلية أو مشوية ، وقد أحب يهود مصر تناول الحلوى المطبوخة ولذلك وجد على مائد طعامهم كل أنواع الحلوى (١٠٠) .

واحيانا كانت الأسر اليهودية تتناول طعامها على مائدة وكان يطلق على الأواني التي يقدم فيها الطعام اسم الزبدية وكانت تصنع من الفخار أو الخزف أو الفضة ، كما وجدت الطاسة وهي وعاء غير عميق للشرب ، كانت تصنع من النحاس الأحمر أو الأصفر المبيض بمادة القصدير وقد كثر استعمالها في العصرين الأيوبي والمملوكي (١٠١) .

ولم يعرف اليهود استخدام المعالق أو الشوك أو السكاكين في تناولهم للطعام ، بل كانوا ياكلون بأيديهم ، ويضعون أصابعهم في الصحن ليلتقطوا جزءا من الطعام ، واذا كان هذا الجزء كبيرا

(١٠٠) Ashtor, History of the Jews, II, p. 340.

(١٠١) Goitein, A Mediterranean Society Daily life, pp. 144-146.

الشرعية بحيث يقطع الحلقوم والمرىء والأدواج (٢٩) ، أما الطيور ، فقد اختلفوا فى ذبحها ، فقيل عن الربانيين أنهم فرقوا بين ما يأكله الكاهن وبين مايأكله سائر الناس ، فاذا كان الطائر مما سيأكله الكاهن ذبحوه من القفا ، أما اذا كان الطائر مما سيأكله عامة الناس ذبح بطريقة ذبح البهائم نفسها ، وان كان عنان لم يفرق بين ما يأكله الكاهن ، وما يأكله الناس من الطيور فكلها تذبح من القفا (٣٠) ، وذهب بعض القرائين الى تحريم اكل لحم الطيور (٣١) ، وان كانوا فى فترة متأخرة حددوا عددا من الطيور المنزلية وسمحوا باكلها ، وحرم عنان ايضا أكل لحم البقر طوال فترة السبى (٣٢) كما حرم أكل لحم الخراف لأنه طبقا لشريعتهم فان الخراف تندرج تحت ما تحرمه التوراة (٣٣) .

---

(٢٩) يوسف ابراهام ، المرشد الامين ، مصر ١٩٤٨ م ، ص ١٠٣ ؛ الهوارى الاختلافات ، بين القرائين والربانيين ، ص ٦١ .

(٣٠) محمد الهوارى ، الاختلافات ، بين القرائين والربانيين ، ص ٦١ .

(٣١) مراد فرج ، القراءون والربانون ، ص ١٦٦ .

(٣٢) محمد الهوارى ، الاختلافات ، بين القرائين والربانيين ؛ السبى البابلى : كان التهجير الاجبارى لقيادات شعب ما أمرا شائعا فى العصور القديمة ، وبعد سقوط مملكتى يسرائيل ويهوذا العبرانيتين علي يد الأشوريين والبابليين قام الغزاة بتهجير بضعة آلاف من القيادات العبرانية . وقد اندمج اليهود المهجرين الى آشور ، أما الذين هاجروا الى بابل فقد اشتغلوا بالتجارة وتأثروا بالحضارة البابلية تأثرا عميقا خلاقا ، وقد تم السبى البابلى على يد ملك بابل نبوختنصر على ثلاث دفعات ٣٠٢٣ نسمة فى عام ٥٩٧ ق.م ، ٧٣٢ نسمة فى عام ٥٨٦ ق.م ، و٤٧٥ نسمة فى عام ٥٨١ ق.م فيكون المجموع ٤٦٠٠ نسمة ، المسيرى ، موسوعة المفاهيم ، ص ٩٥ ، ص ٢١٢ .

(٣٣) Adler, Jewish Travellers, p. 228.

. ويحرم القراءون أكل أجزاء من الحيوان الطاهر ، كالإلية بكاملها والشحم أو الدهن الذى يغطى الأحشاء (٣٤) ، فى حين أجاز الربانيون أكل هذه الأجزاء ، كما حرم الربانيون أكل عرق النسا من البقر والغنم وسائر الحيوانات ، ولم يحرموه من الطيور. أما القراءون فقد حرموا أكل عرق النسا من جميع البهائم والطيور (٣٥) .

ومن الوصايا الواردة فى التوراة والتى أثار تفسيرها خلافا بين اليهود ، وصية وردت ثلاث مرات فى التوراة تقول « لا تطبخ جديا بلبن أمه » أى الرضيع ، وقد حرم القراءون طبخ الجدى بلبن أمه وصغير البقرة بلبن أمه ، وكذلك فى الماعز أى أنه لا يطبخ فرع من أصل ، والحكمة فى ذلك هو الشفقة الآلهية لما يراه . المحرمون من غلظة وقسوة فى طبخ الحيوانات بلبن أمهاتهم ، وقد رأى الربانيون وبعض المخالفين الآخرين ، تحريم أكل اللحم باللبن مطلقا (٣٦) ، أى خلط اللحم باللبن . هذه نماذج على سبيل المثال لا الحصر من الاختلافات بين القرائيين والربانيين ، أما فيما يتعلق بالاختلافات الخاصة بالزواج والطلاق والأعياد فسوف نتناولها بالتفصيل فى الباب الرابع الفصل الأول الخاص بالأوضاع الاجتماعية لليهود من هذه الدراسة .

---

(٣٤) سفر اللاويين ، الاصحاح الثالث ، ٩ ؛ يوسف ابراهام ، المرشد الأمين ، ص ١٠٥ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٢٦٢ .

(٣٥) سفر التكوين الاصحاح الثانى والثلاثون . ٣٢ ؛ يوسف ابراهام ، المرشد الأمين ، ص ١٠٥ ؛ محمد الهوارى ، الاختلافات ، بين القرائين والربانيين ، ص ٦٢ .

(٣٦) مراد فرج ، القراءون والربانون و ص ١١٨ .

التطهر بعد بسبعة أيام من فترة الحيض . وإذا طلبت من امرأة أخرى أن تسكب عليها المياه ، فيتم طلاقها بدون وثيقة طلاق وتصبح شروط زواجها باطلة . وقد لجأ الفقهاء اليهود عندما وجدوا أن النساء اليهوديات قد قمن باهمال الأوامر الدينية الخاصة بالتطهر ، وعلى الرغم من هذه اللوائح لم تتراجع النساء عن تمردهن فكن يخدعن أزواجهن ويدعين أنهن تطهرن وأحيانا يفعلن ذلك بموافقة من أزواجهن أنفسهم (١٠٩) .

وكان على العروس أن تلتزم باجراءات الطهارة من الحيض ، وأن لم تحض بعد ، أو كانت عجوزا وقطعت صلتها بالحيض فعلى العروس أن تفحص نفسها فاذا وجدت نفسها نظيفة تبدأ مراعاة أيام النظافة السبعة ، وبعد ذلك تغطس في المغطس والأفضل أن يكون يوم الزفاف قريبا من يوم الغطاس ، ولا تتجاوز المدة بين الغطاس والزفاف أربعة أيام ، وبعد نزول دم البكارة تبتعد عن زوجها ثلاثة أيام ، وفي اليوم الرابع ليلا تأخذ العروس في الاستعداد للطهارة ومن اليوم الثاني تمكث سبعة أيام نظيفة (١١٠) .

أما الوالدة فان ولدت ذكرا فانها تمكث أربعين يوما بيانها سبعة لنجاسة الحيض وثلاثة وثلاثين لنجاسة الولادة ، أما إذا كانت ولادتها أنثى فان الوالدة تمكث ثمانين يوما بيانها أربعة عشر لنجاسة الحيض وستة وستين يوما لنجاسة الولادة (١١١) .

---

(١٠٩) الحاخايم الفلسطينيين ، طهارة العائلة ، ص ١٥ ؛ يوسف ابراهام ، المرشد الأمين ، ص ١١٢ .

(١١٠) الحاخايم الفلسطينيين ، طهارة العائلة ، ص ١٥ ، ١٦ ؛ فؤاد حسنين ، اليهودية ، ص ١٢٣ .

(١١١) سفر اللاويين ، الاصحاح الثاني عشر ، ٢ : ٥ ؛ يوسف ابراهام ، المرشد الأمين ، ص ١١٢ .

وجرت العادة ان يحتفل اليهود فى العصر المملوكى بمناسبات شتى كالولادة والختان ، وان كانت المراجع اليهودية المعاصرة قد ضنت بمعلوماتها عن الولادة ومراحلها المختلفة والنفاس وما يحدث فيه ، لكن يرجح ان عادات اليهود لم تختلف كثيرا عن عادات المسلمين فى أثناء تلك المناسبات .

وبعد ولادة الطفل كانت دعوات البركة التى تتلى فوق رأسه تتكون من ثلاث أمنيات أن ينمو الطفل ويمتاز بعقل سليم وصحة جيدة ببركة التوراة ، وان يتم الاحتفال بزواجه وأن يعيش حياة السعادة والعدل والاحسان (١١٢) .

اما فيما يتعلق بالختان (١١٣) ، فقد ارتبط الختان عند اليهود بالقربان ، فاكتفت الآلهة بجزء من الانسان ، ذلك الجزء هو ما يقتطع فى عملية الختان ، وقد كان الختان سنة شائعة عند المصريين القدماء ، وقد شاع عندهم للوقاية الصحية من الاقذار التى تتعرض لها الأعضاء التناسلية ، وقد اقتبسه اليهود المصريون وجعلوه مرتبطا بالقرابين التى تقدم للفقراء وارضاء الإلهة (١١٤) .

---

(١١٢) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ١١٢ .

(١١٣) الختان اسم لفعل الخاتن وهو مصدر كالنزال والقتال ، ويسمى به موضع الختن أيضا ، ويسمى فى حق الأنثى خفضا ويسمى فى حق الذكر اعذارا أيضا وغير المعذور أغلف وأقلف ، وقد يقال الاعذار لها أيضا ، وهو من خصال الفطرة ، ابن الجوزية ، تحفة المودود بأحكام المولود ، القاهرة ١٩٧٧ م ، ص ١١٩، ١٣٦ .

(١١٤) أحمد شلبى ، مقارنة الأديان ، ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ ؛ أحمد سوسة ، العرب واليهود ، ص ٢١٨ ؛ ألفت جلال ، العقيدة الدينية ، ص ٦٤ ؛ ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران بدون تاريخ ، ج ٢ م (١) ، ص ٣٧١ ؛ المسيرى ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات ، ص ١٧٦ .

ويعتبر الختان من أهم الشعائر الدينية عند اليهود وينسبونه دائما الى ابراهيم عليه السلام باعتباره الأمر الأول الذى تلقاه من الرب (١١٥) ، ومن هنا أطلق اليهود على كل من اختتن تعبير « ملة ابراهيم » وقد أطلق اليهود على كل من يختتن دون أن يعتنق اليهودية اسم حنيف (١١٦) .

واليهودية لا تؤجل موعد ختان الطفل عن اليوم الثامن لولادته ولو كان هذا اليوم موافقا ليوم من ايام السبت او يوم الغفران أو غيرهما من الأيام المقدسة ، فرغم أهمية الحفاظ على قداسة السبت فى اليهودية ، بالكف عن القيام بأى عمل دنيوى ، فان اجراء عملية الختان فى موعدها الذى قررت الشريعة يؤجل السبت أو بعبارة أخرى لا يفسد قداسته (١١٧) .

وقد اشترط الربانيون ختان الطفل قبل اليوم الثامن لولادته، ولم يوافقهم على ذلك القرعون ، كما أجمع الربانيون ووافقهم مشتان على أن الختان التام الشرعى يكون بقطع القلفة وطرح البشرة أى نزع الجلد أو القشرة من تحت القلفة بعد شقها قليلا الى ما فوق الحشفة ، اما القراءون فمعظمهم لا يفعلون اكثر من قطع القلفة (١١٨) .

---

(١١٥) سفر التكوين ، الاصحاح السابع عشر آية ١٢ ؛ يوسف ابراهام ، المرشد الامين ، ص ١٠٦ ؛ الهوارى ، الختان فى اليهودية والمسيحية والأسلام ، ط (١) ١٩٨٧ م ، ص ٢ .

(١١٦) اسرائيل ولفنسون ، تاريخ اليهود ، ص ٧٩ .

(١١٧) يوسف ابراهام ، المرشد الامين ، ص ١٠٢ ؛ موسى بن ميمون ، دلالة الحائرين ، ج ٣ ، ص ٧٠٦ ، ٧٠٧ ؛ محمد الهوارى ، الختان ، ص ٤١ ، ٤٢ .

(١١٨) مراد فرج ، القراءون والربانيون ، ص ١٤٣ ؛ الهوارى ، الاختلافات بين القرائيين والربانيين ، ص ٥٤ .

وهناك عدة اجراءات مشددة قبل الترخيص للمطهر بمزاولة مهنة الختان اذ لا بد له من الحصول على شهادة تثبت مهارته فى الجراحة اللازمة لمثل هذه المهمة ، وكان يشترط فيه أن يكون يهوديا مؤمنا يخشى الله (١١٩) .

وقد سمح للنساء باجراء عملية الختان فى ظروف خاصة ، كعدم تواجد رجل فى مكان ما مؤهل ومستعد لاجراء العملية ، فان أية امرأة يهودية يمكنها أن تقوم بها اذا تأكدت من قدرتها على ذلك ، ولم تكن الختانة فى الأصل عملا مهنيا يتكسب منه صاحبه بل كل عملا من أعمال الخير يقع على عاتق كل يهودى يتمتع بسمعة حسنة ، وأن يكون مكتسبا لمهارات خاصة تؤهله لاجراء عملية الختان (١٢٠) .

وفى العصور الوسطى كان يقوم باجراء العملية شخص مؤهل تأهيلا خاصا ، ومدرب ومتمرس يعرف باسم « موهيل » Mohel أى « الخاتن » أو « المطهر » الذى كان يرخص له بمزاولة هذه الصنعة بعد منحه اجازة بذلك من الحاخامية ، أو المؤسسة الدينية التى يتبعها ، وفى ظروف خاصة كان يسمح أيضا لغير اليهودى أن يجرى عملية الختان (١٢١) .

وفى العصور الوسطى ، كانت طقوس الختان تجرى غالبا فى السيناجوج أى الكنيس وتتلى فى أثناء عملية الختان بركيات وترنيمات مناسبة ، يرددها والد الطفل وكل من معه من الحاضرين

---

(١١٩) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ٣٠ .

(١٢٠) سفر الخروج ، الاصحاح الرابع ، ٢٥ ؛ يوسف ابراهام المرشد الأمين ، ص ١٠٢ ؛ محمد الهوارى ، الختان ، ص ٤٧ .

(١٢١) الهوارى ، الختان ، ص ٤٨ .

وفى مقدمتهم الختان ، الذى غالبا ما يكون فى هذه الحالة طبيبا يهوديا ، وبعد عملية الختان مباشرة كان الطفل يسلم الى أبيه أو الى أحد الضيوف المخلصين المقربين لديه ويقوم الأب بتلاوة « بركة الختان » التى تقول « مبارك أنت يارب إلهنا ملك العالم، الذى قدستنا بأوامرك ، فأمرتنا أن نلتزم بعهد ابراهيم أبينا (١٢٢). وينطق الختان بهذه البركة ، ثم يقوم بعد ذلك بتلاوة بعض الترنيمات والأدعية المشفوعة بالرجاء على كأس من النبيذ يمسكه الختان فى يده ، ويشرب منه ، ثم يضع قطرات من النبيذ على شفتى الطفل ، ثم يدعو للطفل بأن يمنحه الرب الصحة والحياة ، ويصلى له أن يكبر مع حب التوراة ، وأن يقوم بالأعمال الطيبة وبعد ذلك يتم اختيار اسم للمولود (١٢٣) .

ويتبادر الى الذهن سؤال من الذى كان له حق تسمية الطفل ، هذا الموضوع يرجع الى العادات والتقاليد أكثر من أن تكون له صلة بالشريعة اليهودية ، فمن الناحية النظرية كانت تسمية الطفل من حق والده ، وجرت العادة أنه اذا كان هناك اختيار بين اسم والد الأب وبين اسم والد الأم ، يتفق الرجل وزوجته على أن يطلق على الطفل اسم جده من ناحية أبيه (١٢٤).

وقد اعتاد اليهود تسمية أنفسهم بأسماء غير يهودية وكان يمكن بتحوير بسيط تحويل الاسم العبرى الى اسم عربى ، فمثلا أبراهام يمكن تحويله الى ابراهيم ، ويتسحاق الى اسحق ويعقوب الى يعقوب ، يوسيف الى يوسف ، واليهودى الذى اسمه موشى « كان المسلمون يدعونه موسى وأهارون هارون وتكشف لنا بعض

(١٢٢) الهوارى ، الختان ، ص ٥٢ ، ٥٥ .
(١٢٣) الهوارى ، الختان ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ .
(١٢٤) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ١٠ .

الرسائل الخاصة المتبادلة بين اليهود أنفسهم أنهم كانوا ينادون بعضهم البعض بأسماء عربية داخل المجتمع اليهودي ، أما الاسم العربى فكان يعرفه الحزان (١٢٥) فقط ، الذى يقوم بقراءة التوراة عليهم ، لذلك اشترط الحاخامات ضرورة كتابة الاسم العربى فى وثيقة الطلاق أى الاسم المعروف به بالمطلق بين الناس حتى ولو كان البعض ينادونه بالاسم العبرى كما اشترطوا ذلك حتى فى حالة النص على الاسم العبرى فى وثيقة عقد القران (١٢٦).

ونستشف من الرسائل الخاصة التى ترجع الى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادى والتى كانت متبادلة بين اليهود انفسهم أن ثلث الطوائف اليهودية قد احتفظوا لأنفسهم بأسمائهم العربية ، وكانت أسماء اليهود العربية هى الاسماء المنتشرة بين المسلمين نفسها فيما عدا أسماء محمد وأحمد وحسين التى لم يتسم بها اليهود أو النصارى . كما سبق أن نوهنا من قبل . وكان كثير من الأسماء العربية ترجمة للاسم العبرى فأصبح اليعازر نصر الله وعوبديا عبد الله ، إما الأسماء التى لم يكن لها ترجمة فقد استبدلوها بأسماء عربية . وقام اليهود مثل سائر المسلمين باختيار الألقاب (١٢٧) التى اعتاد العرب اضافتها الى أسمائهم (١٢٨) .

---

(١٢٥) الحزان ، كان يشرف على الصلاة ، واشترط فيه الالمام بأحكام التلمود بالنسبة للربانيين ، وكثيرا ماكان الحزان معلما ومؤلفا لأعمال كهنوتية يتلوها فى أثناء صلوات السبت والأعياد ، انظر مراد فرج ، القراءون والربانيون ، ص ١٨١ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٥١٨ .

(١٢٦) ابن زمرة ، فتاوى رابى ... ج ١ ، ... ٥٢٥ ، ج ٢ ، ص ٨٨٠ .

(١٢٧) انظر الباب الأول الفصل الاول من ... وما بعدها .

(١٢٨) Ashtor, History of the Jews, II, p. 332.

أما بالنسبة لنساء اليهود ، فقد كانت أسماؤهن العبرية نادرة جداً ، وكانت أسماؤهن كلها عربية ، لذلك يرجح انه لم يكن لهن أسماء عبرية ربما بسبب قلة تواجدهن فى أثناء الطقوس الدينية . ومن الأسماء اليهودية الشائعة نجد ملاح (١٢٩) ، عذب ، فخر ، شمس ، عزيزة (١٣٠) ، شقراء (١٣١) .

وكانت مسئولية تربية الأطفال وتنشئتهم ، تقع فى غالب الاحيان على كاهل الأم التى كان عليها أن تعتنى بصغارها وان تسهر على راحتهم (١٣٢) ، ومن تقاليد اليهود أن الطفل كان يجب الا يشعر بأن والديه لا يعطفان عليه ، فقد جاء فى التلمود « ليكن تأديبك لطفلك بيدك اليسرى ثم تضمه الى صدرك بيدك اليمنى » ، كما كان الأطفال نعمة من عند الله ، وأن الآباء هم الأوصياء المسئولون عن رعاية هذه النعمة الكبرى (١٣٣) .

وقد لعبت الأم اليهودية دوراً مهماً فى مجال تنشئة الأطفال والاهتمام بهم وباحتياجاتهم الجسمانية ، فكانت الأم ترعى الطفل وهو صغير (١٣٤) ، وتظل تعلمه حتى الخامسة على المحافظة على الأوامر الدينية مثل تطهير الأيدى ومباركتها (١٣٥) ، وبعد أن يصل الى سن الخامسة كان يتم الحاقه بالمدرسة وكان هذا

(١٢٩) السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ١٢ ، ص ١٢٧ .
(١٣٠) Ashtor, History of the Jews, II, p. 332.
(١٣١) السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ١٢ ، ص ١٦٨ .
(١٣٢) زكريا الحجاوى ، حكاية اليهود ، موسوعة التراث الشعبى ، القاهرة ١٩٦٨ م ، ج ١ ، ص ٥٨ ؛ احمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٠١ .
(١٣٣) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ١٢ .
(١٣٤) Hananel. M., Muslim Influences on Jewish culture, p. 22.
(١٣٥) Mann. The Jews in Egypt, 11, p. 302.

الحدث يمثل لحظة تاريخية ليس فى حياة الطفل فقط بل وفى حياة الأسرة كلها (١٣٦) .

وقد كتب الشاعر يوسف بن تنحوم الأورشليمى فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى أبياتا شعرية عن طفل تم التحاقه بالمدرسة ، يصف فيها مراحل تعليم الطفل وكيفية تقبله لها ، وكان يتم تأجير معلم فى الأماكن التى يسكن فيها عدد صغير من الأسر اليهودية لتعليم الأطفال ، كما كان يتم فتح مدرسة لكى يلتحق بها هؤلاء الأطفال ، أما فى التجمعات الكبيرة فقد وجدت مدارس كثيرة لتعليم الأطفال ، فقد جاء فى الفتاوى التى ترجع الى العصر المملوكى « أن العالم قام من أجل هؤلاء الأطفال وعلينا الاهتمام بهم » (١٣٧) .

وكان يطلق على المكان الذى يتعلم فيه الأطفال اسم الحيدر وجمعة حداريم بمعنى غرفة أو حجرة ، وقد استخدمت اللفظة مجازا بمعنى الكتاب أو المكتب عند المسلمين (١٣٨) ، وكان عبارة عن حجرة أو غرفة تخصص فى أحد المنازل ليتعلم فيها الصبيان (١٣٩) ، ويبدو أن هذا الكتاب أو الحيدر قد مر بمراحل سابقة قبل أن يعرف بهذا الاسم ، اذ أنه فى عصر التلمود كان يسمى بيت ربان بمعنى مدرسة الاستاذ أو اطفال الاستاذ ، كما كان الاطفال انفسهم يسمون « اطفال مدرسة الاستاذ » ، ولم يطلق عليه حيدر الا فى فترة متأخرة . وفى هذا الحيدر أو الكتاب كان الاولاد يتعلمون على نفقة الطوائف ، كما كانوا يمرون بمراحل

---

(١٣٦) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ٦١ .

(١٣٧) Ashtor, History of the Jews, II, p. 347.

(١٣٨) عبد الرازق قنديل ، الأثر الاسلامى ، ص ١٦٠ .

(١٣٩) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٥٣٩ .

تعليمية طبقا لاعمارهم . إذ خصصت المرحلة الأولى للأطفال الذين تتراوح اعمارهم ما بين الثالثة والخامسة وكانوا يتعلمون الأبجدية العبرية والقراءة على يد المعلم الذى يساعده آخر يطلق عليه ريش دوخنيا أى ما يقابل مساعد العريف عند المسلمين ، وكانت مهمته الى جانب مساعدة المعلم فى الكتاب ، حفظ النظام والقيام بإحضار التلاميذ على كتفيه الى الكتاب (١٤٠) .

اما المرحلة الثانية فكانت تخصص للأطفال الذين تتراوح اعمارهم ما بين الخامسة والسابعة وكانوا يتعلمون الأجزاء الأولى من أسفار موسى الخمسة ثم يتعلمون الصلوات والقراءة الصحيحة بالعبرية . اما المرحلة الثالثة فكان ينتظم فيها الأولاد من بين السابعة والثالثة عشرة ، وقد اطلق عليهما بالعبرية « برمتسفا » (١٤١) وكانوا يدرسون فصولا معينة من الجمارا أو الأسفار الخمسة والقراءة فى أسفار الأنبياء والمكتوبات (١٤٢) ، وقد انتشرت الكتاتيب فى جميع المدن المصرية التى أقام فيها اليهود (١٤٣) .

وجرت العادة ان يلحق الكتاب ايضا بالمعبد حيث تقع قاعة الصلوات او يخصص له احدى غرف المعبد . وكان الأطفال من

---

(١٤٠) دائرة المعارف اليهودية ، ج ٤ ، ص ٣٥٠ .

(١٤١) برمتسفا ، المكلف ، وكان يطلق على الطفل اليهودى عندما يبلغ الثالثة عشرة من عمره وهو يعنى ايضا المسئول ، او البالغ ومن التقاليد الموروثة أن الطفل حتى يبلغ هذا السن فإنه يبدأ مرحلة جديدة من حياته حيث يأخذ فى تحمل مسئولية نفسه فى جميع أموره خاصة فيما يتعلق منها بالتقاليد الدينية ، انظر عبد الرازق قنديل ، الأثر الاسلامى ، ص ١٦١ ، هامش (٢) ؛ انظر ايضا المسيرى ، موسوعة المفاهيم ، ص ٩٩ .

(١٤٢) دائرة المعارف اليهودية ، ج ٤ ، ص ٣٥٠ .

(١٤٣) عبد الرازق قنديل ، الأثر الاسلامى ، ص ١٦١ .

الذكور يقضون معظم اليوم فى الكتاب ولا يسمح لهم باجازات الا فى أيام السبت والأعياد والعطلات الرسمية ، وكان المعلمون يقومون بتشجيع الأولاد على الدراسة ، عن طريق تقديم بعض الهدايا لهم فى أيام السبت والأعياد بالاضافة الى أعطائهم بعض الفاكهة والملابس الجديدة ، أما فيما يتعلق بتعليم البنات فقد كن يأخذن قسطا من الثقافة وبخاصة فى الشئون الدينية ، وكان يتم التعاقد مع المعلمين من أجل تعليم البنات الصلوات وبعض التفسيرات باللغة العربية . وكان أجر المعلم ضئيلا بالقياس الى العدد الضخم من الأطفال ، الذين كان يتولى مهمة تعليمهم لذا كانت مهنة التدريس تعد من المهن الشاقة فى ذلك الوقت (١٤٤) .

وقد شدد علماء التلمود على ضرورة عدم الاستعانة بمعلم غير متزوج لتعليم الأطفال تفاديا لإتيانه الفاحشة مع الأمهات اللاتى يحضرن أبناءهن للكتاب ، وكذلك المعلمات سواء المتزوجات منهن أو غير المتزوجات تفاديا أيضا لوقوع الفاحشة بينهن وبين الآباء (١٤٥) .

وقد أوصى شموئيل بن يحيى المغربى بضرورة تعليم الطفل القراءة والكتابة بالعبرية والتوراة وكافة تفاسيرها أولا ، وذكر انه بدأ فى تعليم الحساب والهندسة وعلم الطب وهو فى سن الثالثة عشرة من عمره على مدى خمس سنوات ولم يذكر لنا شيئاً عن دراسته للعلوم العربية (١٤٦) .

---

(١٤٤) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 247-248.

(١٤٥) Ashtor, History of he Jews, II, p. 248.

(١٤٦) ابن يحيى المغربى ، بذل المجهود فى افحام اليهود ، القاهرة ١٩٣٩ م ، ص ١٤ .

وكان بعض الاطفال لا يواصلون تعليمهم بعد الانتهاء من مرحلة الكتاب ، وكان من يرغب منهم فى مواصلة تعليمه عليه إن يقوم بدراسة المشنا والتلمود ، كما كان عليه أن يقوم بدراسة مؤلفات رابى موسى بن ميمون التى غطت على دراسة الجمارا ، وكان عليه ايضا أن يقوم بدراسة قواعد اللغة العبرية التى وضعها النحاة اليهود مثل رابى (يهودا بن حيوج) ورابى « يونا ابن جناح » ، فقد كتب احد المعلمين عن تجربته الشخصية فى التعليم قائلا : بأن المعلمين كانوا يحرصون على تعليم التلاميذ كثيرا من المواد الشفوية ، وان هذه المناهج كانت تشبه مناهج من يريد العمل فى سلك القضاء او المناصب الدينية ، وقد حرص الآباء على أن ينال أولادهم قسطا كبيرا من الثقافة العامة الى جانب الثقافة التوراتية (١٤٧) ، كما حرص هؤلاء المعلمون على تعليم التلاميذ بعض امهات الكتب ، وكان من يرغب فى تعليم أساسيات اللغة العربية عليه ان يقوم بدراسة الفية ابن مالك (١٤٨) .

اما بالنسبة لدور اليهود فى الحياة الثقافية فيلاحظ انه على الرغم من اشارة المستشرق الفرنسى آشتور الى اقبالهم على دراسة العلوم العقلية من حساب وهندسة وبصريات وفلك وميكانيكا وموسيقى (١٤٩) ، غير أنه لم يقدم لنا دليلا كافيا على براعة أحدهم أو تميزه فى مجال هذه العلوم الأمر الذى اكده ايضا

(١٤٧) Ashor, History of the Jews, II, p. 349.

(١٤٨) Munk (M.), Sur Joseph ben-Iehouda au Abou I'hadjadj Yousouf ben Ya'hya al-Sabti al Maghrebi, disciple de Maimonide, JA, 1842, pp. 15, 19, 23, 29, 30, 34.

(١٤٩) Ashtory History of the Jews, III, pp. 349-350 ; Güdemann (M.), Das Jüdische unterrichtswesen Während des Spanisch Arabichen periode Tab-ul Nufus, des Joseph-ben Aknin, Wien 1873, pp. 26, 27, 28, 29, 31, 32, 33, 35, 37.

هذا البحث الذى أثبت بما لا يدع مجالا للشك فى أنه لم يكن لليهود دور بارز فى مجال العلوم العقلية باستثناء علم الطب (١٥٠) الذى أثبتوا جدارة فيه تحسب لم كما سبق أن نوهنا من قبل .

والحديث عن الأسرة اليهودية زمن سلاطين المماليك يحتم علينا التعرض لموضوع الطلاق الذى يبدو أنه كان نادرا فى الأوساط اليهودية ، ومع ذلك ففى حالة حدوث خلافات بين الرجل وزوجته وتصبح الحياة بينهما لا تحتمل ، فان العقيدة اليهودية كانت تحث على انفصال الزوجين ، فقد ذكر علماء الدين أن المنزل الذى يسوده جو من المحبة والسعادة يعتبر معبدا مقدسا ، أما المنزل الذى يفتقر الى العطف والمودة فهو مكان غير ملائم لاقامة شعائر الدين (١٥١) .

ويعتبر الطلاق فى الشريعة اليهودية حقا من حقوق الرجل يستطيع أن يوقعه بارادته المنفردة (١٥٢) ، ويمكن أن يكون أيضا عن طريق الاتفاق بين الطرفين لانهاء الرابطة الزوجية . كما يلاحظ وجود بعض التفاوت بين شقى الشريعة اليهودية بصدد الطلاق ، ففى الوقت الذى تبيح فيه شريعة الربانيين الطلاق مهما كانت الأسباب ، وكان دور القاضى فى هذه الحالة يقتصر على مجرد اثباته ، فان شريعة القرائيين كانت تشترط فى حالة عدم

---

(١٥٠) راجع من الفصل الثانى الباب الأول عن اشتغال اليهود بمهنة الطب .

(١٥١) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ٥٤ ، ١٥ .

(١٥٢) ابن شمعون ، الأحكام الشرعية ، ص ٩٧ ؛ محمد جميل بهيم ، المرأة فى التاريخ والشرائع ، بيروت ١٩٢١ م ، ص ٥٢ ، محمد عبد المقصود ، المرأة فى جميع الأديان ، ص ١٦٣ ؛ توفيق فرج ، أحكام الأحوال الشخصية ، ص ٣٥٥ .

وجود اتفاق بين الطرفين عليه ضرورة وجود مسوغ للطلاق يقدره القاضى ويأخذ به (١٥٣) .

كما كان للمراة الحق فى الطلاق من الرجل وبخاصة اذا تزوج عليها غدرا بها ، واذا ابى الطلاق فيقوم الشرع فى راى البعض — مقام الزوج ويطلق المراة من زوجها — على عكس الربانيين — الذى لم يكن يتم الطلاق عندهم الا عن طريق تسليم الرجل الوثيقة بيد المراة ، كما يحق للمراة طلب الطلاق اذا قصر الرجل فيما يجب عليه شرعا أو مرض وأزمن مرضه واستحكم ضارا بها ، أو لسوء سلوك الرجل وتعذر الحياة معه بسبب تنافر الأخلاق والطباع (١٥٤) .

ويفهم من بعض المراجع اليهودية ، انه كان يشترط فى الزوج وقت الطلاق أن يكون عاقلا سليم الارادة ، ليطلق وهو بعقله ، لانه لا يجوز طلاق المجنون او الصغير لان العبرة بالعقل والادراك، ولم يمنع المرض من الطلاق حتى ولو كان مرض الموت ، ما لم يكن مؤثرا على القوى العقلية (١٥٥) .

وكان لا يجوز الطلاق فى أيام السبت أو فى الأعياد الدينية ، كما كان الطلاق لا يصح شرعا الا أمام السلطة الشرعية بوثيقة وبحضرة شاهدين ، وكانت مصاريف رسوم الطلاق على الرجل الذى كان عليه اداؤها معجلا ، أو على المراة اذا شاءت (١٥٦) .

---

(١٥٣) محمد حسين منصور ، النظام القانونى للاسرة ، ص ٣٤٦ .

(١٥٤) محمد جلاء ، التاثير الاسلامى ، ص ١١٩ .

(١٥٥) ابن شمعون ، الاحكام الشرعية ، ص ١٠٠ ، مادة ٣٤٠ ، ٣٤١ ؛ مراد فرج ، شعار الخضر ، ص ١٢٩ ؛ المراغى ، الزواج والطلاق ، ص ٤٧١ .

(١٥٦) ابن شمعون ، الاحكام الشرعية ، ص ٩٩ ، ١٠٠ المراغى ، الزواج ص ٧٤١ ؛ توفيق فرج ، احكام الاحوال الشخصية ، ص ٣٥٥ .

وكانت وثيقة الطلاق ، تعد شرطا لازما لاتمام الطلاق وفقا لما جاء فى سفر التثنية (١٥٧) ، ويرى البعض ان وثيقة الطلاق عرفت قبل مجيء التوراة ويدللون على ذلك بأن ابراهيم عليه السلام قد أرسل هاجر من بيته بوثيقة ، فالكلمة ترجمت بأنه ابعدها بوثيقتها وربما يكون العبرانيون قد عرفوا وثائق الطلاق من بابل ومصر ، وكلها لم تكن شرطا من شروط الطلاق قبل زمن سفر التثنية (١٥٨) .

وبالنسبة لصيغة وثيقة الطلاق ، فلم تتغير على مدى العصور الوسطى ، لأن هذه الصيغة قد جددها موسى بن ميمون فى المؤلفات التى أعدها بخصوص ترتيبات الطلاق ، حتى الشكل الخارجى لوثيقة الطلاق لم يتغير ، وفى العصر المملوكى ظلت وثيقة الطلاق من حيث الشكل كما كانت من قبل ، وقد حرص اليهود على ان تكون وثيقة الطلاق طويلة وسطورها كبيرة من اليمين الى الشمال ، أما النساخ فقد كانوا يصنعون عدة ثنيات خلف وثيقة الطلاق حتى تكون السطور مستقيمة (١٥٩) .

وهى عند الربانيين ذات قيود اذ لا بد أن تتألف من اثنى عشر سطرا لا تزيد ولا تنقص ، وان يكون السطر بقدر محدود كما يجب الا تأتى بعض كلمات الوثيقة فى آخر السطر ، وذلك على العكس من القرائيين الذين لم يقيدوها بشىء (١٦٠) .

---

(١٥٧) سفر التثنية ، الاصحاح الرابع والعشرون ١ :

(١٥٨) سوزان السعيد ، المرأة وحقوقها ، ص ١٢١ .

(١٥٩) ابن زمرة ، فتاوى دافيد بن زمرة ، ج ١ ، ص ١٥٦ ، ج ٢ ، ص ٦٠٣ ، ج ٣ ، ص ١٩ ؛ روفائيل اهارون ، نهر مصر ، ص ٢٢١ .

(١٦٠) مراد فرج ، شعار الخضر ، ص ١٣١ هامش (١) القراءون والربانيون ، ص ١٣٣ .

وكانت وثيقة الطلاق تتضمن عبارات بسيطة مثل « انك لست زوجة لي ولا أنا زوج لك » (١٦١) ، وفيما يتعلق بكلمات نهاية وثيقة الطلاق فكانت تكتب بشكل مطول ، كما أن أسفل حرف النون كان يتم تطويله حتى السطر التالي لأسفل (١٦٢) ، وكانت بعض الطوائف اليهودية توجب كتابة الوثيقة باللغة العبرية ، في الوقت الذي أجاز فيه الربانيون كتابة الوثيقة بأي لغة أخرى (١٦٣) .

وفي العصر المملوكي كانت هناك ترتيبات بالنسبة للتوقيت الذي تعطى فيهاوثيقة الطلاق ، وهي ترتيبات لم تكن متبعة عند جميع الطوائف اليهودية ، وقد اعتاد يهود مصر تقديم ورقة الطلاق في المساء (١٦٤) ، وبعد أن يتم تسليمها كانوا يقومون بتمزيقها ووضعها لدى الناسخ أو في المحكمة ، كما كانوا يكتبون للمرأة المطلقة وثيقة بقرار المحكمة تفيد بأنها قد حصلت على طلاقها في هذا اليوم ، وكانوا يقومون أيضا باعطائها هذه الوثيقة بصورة علنية (١٦٥) . وعلى هذا يمكن القول بان اليهود قد تأثروا بالمسلمين نتيجة لتعايشهم معهم ، فمن حيث معاملة اليهودي لزوجته كان يعطيها حقوقها من مسكن وملبس وغذاء حتى وهي خارج منزل زوجها ، وهذا يذكرنا بالنفقة عند المسلمين رغم أن الشريعة اليهودية نصت على أن يفعل بزوجته ما يشاء .

---

(١٦١) سوزان السعيد ، المرأة وحقوقها ، ص ١٢٢ .

(١٦٢) Ashtor, History of the Jews, II, p. 360.

(١٦٣) سوزان السعيد ، المرأة وحقوقها ، ص ١٢٢ .

(١٦٤) ابن زمرة ، فتاوى رابي داڤيد ، ج ٤ ، ص ١٥٥ .

(١٦٥) ابن شمعون ، الأحكام الشرعية ، ص ١٠٥ ، مادة ٤٥٣ ؛ المراغي الزواج والطلاق ، ص ٤٧٣ ؛
Encyclopaedia Judaica, art. Divorce No (6), Jerusalem. 1972, p. 131.

والحديث عن الحياة العائلية ليهود مصر زمن سلاطين المماليك يجرنا ايضا للحديث عن المآتم والأحزان فكما كان لدى الأسرة اليهودية مناسبات سعيدة تتسم بالفرح والسرور ، وجد لديها ايضا حوادث مؤسفة مثل حالات الوفاة . وقد تشابهت عادات اليهود فى الدول المجاورة ، فكان يتم احضار جثة المتوفى الى فناء المعبد وهناك كانوا يرددون بعض كلمات التأبين والمواساة، ويفهم من أحد الأسئلة التى وجهت الى موسى بن ميمون ان يهود الاسكندرية اعتادوا على احضار جثة المتوفى أيا كانت الطبقة التى ينتمى اليها ، الى فناء المعبد لذا أوصى ابن ميمون بأن تقتصر هذه الطقوس على عظماء اليهود فقط (١٦٦) ، وفى حالة وفاة أحد القرائيين كانت أسرته تترك المنزل وتقوم باستدعاء أحد الربانيين لنقل جثة المتوفى كما كانت تحرص على عدم لمس الجثة (١٦٧) .

وكان يتم دفن جثة المتوفى فى يوم الوفاة نفسه (١٦٨) ، واذا حدثت الوفاة فى يوم السبت او فى أحد الأيام المقدسة كان بقاء جثة المتوفى فى المنزل لا يجوز أن تزيد على أربع وعشرين ساعة (١٦٩)، وجرت العادة ان تلف جثة المتوفى بالنسبة لفقراء اليهود بالكتان الأبيض أو بنوع رخيص من القماش ، اما أثرياء اليهود فكانوا يكفنون موتاهم بنوع أفضل وأغلى من الكتان (١٧٠) ، وهذا يخالف ما نصت عليه الشريعة اليهودية من ضرورة عدم التظاهر بالجاه والثراء فى مثل هذه المناسبات ، طبقا لمبدأ المساواة بين

---

(١٦٦) Ashtor, History of the Jews, II, p. 361.

(١٦٧) Adler, Jewish Travellers, pp. 226, 227.

(١٦٨) ابن زمرة ، فتاوى رابى ، دافيد ، ج ٤ أ ، ص ١٧٩ .

(١٦٩) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ٤٣ .

(١٧٠) روفائيل الفارون ، نهر مصر ، ص ١٤٤ .

الناس جميعاً فى الحياة والموت (١٧١) . وكان اليهود يكمـون أحيانا تحت ابط المتوفى التفلين (١٧٢) الخاص به (١٧٣) . كمـا أعتاد يهود مصر دفن جثة المتوفى بدون تابوت خشبى (١٧٤) ، وان يكون وجهه موجها لبيت المقدس (١٧٥) .

وفى العصر المملوكى كانت مقابر اليهود القرائيين والسامرة توجد فى مكان واحد بعيد عن مدينة القاهرة ، وقـد سبب ذلـك مشاكل كثيرة ، لأن الطرق المؤدية اليها كانت محفوفة بالمخاطـر مما ترتب عليه أحيانا عدم مصاحبة جثة المتوفى حتى مثواه الأخير ، لذا وجدت جماعة عرفت باسم جماعـة تديشـا أى الجماعـة المقدسة ، كانت تتولى دفن الموتى اليهود ، ولكن بحلول القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى اختفت هذه الجماعة ، وصاروا يعهدون بجثة المتوفى الى شخص يعمل فى هذا المجـال كان عليه ان يوصل المتوفى الى مثواه الأخير ، وكأن ينقله عـلى ظهر حمار أو جمـل واذا أحس بالتعب قام بانزال جثـة المتوفى وقام بوضعه على جانبى الطريق حتى يستريح ثم يعاود السـير مرة أخرى (١٧٦) .

وقد أشار المقريزى فى خططه الى مقابر اليهود فى العصـر المملوكى ، وذكر أنها كانت تقع بالقرب من جبل المقطم وفى منطقة البساتين ، وذكر أيضا ان أول قرافة للمسلمين كانت تقع شرقى

(١٧١) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ٤٣ .

(١٧٢) انظر الفصل الأول من الباب الثالث ، ص ٢٨٩ .

(١٧٣) ابن زمرة ، فتاوى رابى داقيد ، ج ٤ ، ص ١٧٩ .

(١٧٤) روفائيل اهارون تهر مصر ، ص ١٧٩ .

(١٧٥) Lane (E.D.), An Account of the Manners and customs of the Modern Egyptian, London, 1908, p. 560.

(١٧٦) Ashtor, History of the Jews, II, p. 362.

الفسطاط بجوار المباكن ، وكانت تمتد فيها بين مصلى جولان وخط المعافر (١٧٧) وهذا يعنى أن القرافة كانت تشغل مساحة كبيرة تمتد من عند بركة الحبش فى الجنوب الى مصلى خولان فى الشمال ، ومن قناطر ابن طولون فى الشرق الى الرصد فى الغرب ، وقد عرفت هذه القرافة باسم القرافة الكبرى واستخدمت لدفن اموات المسلمين منذ أن افتتحت أرض مصر واختط العرب مدينة الفسطاط ، ولم يكن لهم مقبرة سواها (١٧٨) ويمكن تحديد موضع هذه القرافة على وجه التقريب فنقول انها كانت تشغل المنطقة الفضاء فيما بين مسجد الامام الليث بن سعد وسور الفسطاط الشرقى الذى ما تزال آثاره باقية (وكان يعرف بسور مدينة مصر) وكان يفصل بين القرافة ومصر كما ذكر المقريزى (١٧٩) . اما فى الشرق فكانت تمتد حتى تنتهى عند قناطر ابن طولون بالبساتين ، وفى الغرب كانت القرافة الكبرى تنتهى عند الرصد الذى كان يمثل هو والقباب السبع التى لا تزال باقية، آخر حدود القرافة الكبرى من هذه الجهة (١٨٠) ، اما فى الشمال فقد امتدت الى أن وصلت الى الموضع الذى بنيت عليه قلعة الجبل فيما بعد اى فى العصر الأيوبى (١٨١) .

---

(١٧٧) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٦٠ ؛ محمد حمزه اسماعيل ، قرافة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ، كلية الآثار ١٩٨٧ ، ص ٢٤ .

(١٧٨) ابن الزيات ، الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة فى القرافتين الكبرى والصغرى ، المطبعة الاميرية ١٩٠٧ م ، ص ٥ .

(١٧٩) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٦٠ ، ٤٦١ ؛ محمد حمزة ، القرافة ص ٢٥ .

(١٨٠) ابن الزيات ، الكواكب السيارة ، ص ١٨٣ ؛ محمد حمزة ، القرافة ، ص ٢٥ .

(١٨١) محمد حمزة ، القرافة ، ص ٢٥ .

اما القرافة الصغرى فقد ظهرت الى الوجود في العصر الأيوبى بعد أن أقبل الناس على البناء فيما حول قبر الامام الشافعى فى عهدى كل من السلطان صلاح الدين والكامل محمد ، وقد امتدت هذه القرافة فى سفح المقطم وعظم العمران بها حتى أصبحت اعرق الجبانات وعرفت باسم القرافة ، اما القرافة الكبرى فقد تلاشى أمرها الى أن عاد اليها العمران من جديد في عهد الناصر محمد ، وقد امتدت القرافة الصغرى الى الشمال والى اقصى الشرق كما اتصلت القرافة الكبرى والتحمت بها بحيث صارتا قرافة واحدة (١٨٢) ، ويؤكد ذلك ما ذكره القلقشندى من أن القرافة « ممتدة فى سفح المقطم موقعها بين المقطم والفسطاط وبعض القاهرة ممتدة من قلعة الجبل ، اخذ في جهة الجنوب الى بركة الحبش وما حولها » (١٨٣) وعلى هذا يمكن القول بأنه كان لليهود فى العصر المملوكى مقابر بالقرب من مقابر المسلمين .

وكان يعقب تشييع الجنازة بعض العادات فقد عرفت اول فترة للعزاء باسم (شيفع) ومعناها سبعة أيام لاستقبال وفود المعزين مع أنها كانت تقتصر على ستة أيام أو أقل من ذلك ، لأن العزاء كان ممنوعا فى أيام السبت والأعياد الرسمية ، وإذا تصادف حلول بعض الاحتفالات الدينية فى اثناء فترات العزاء فلا تستأنف الأيام السبعة بعد نهاية الاحتفال (١٨٤) .

---

(١٨٢) محمد حمزة القرافة ، ص ٦٨ ، ٧٣ .

(١٨٣) القلقشندى ، صبح الإعشى ، ج ٣ ، ص ٣٧٨ ؛ محمد حمزة ، القرافة ، ص ٧٣ .

(١٨٤) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ٤٣ .

كما كان اهل المتوفى بعد عودتهم الى المنزل يقومون بتناول وجبات خفيفة عرفت بوجبة الحداد وكانت تتسم بالبساطة وتخلو من اللحوم أو الخبز وتقتصر على البيض والعدس (١٨٥) .

وجرت العادة أن يقتصر العزاء خلال الأيام السبعة على الأهل والاقارب من أطفال وآباء وأمهات وأخوة واخوات وزملاء الفقيد ، وكان هؤلاء لا يغادرون المنزل عادة الا لتادية الشعائر الدينية فى يوم السبت (١٨٦) ، وكانوا يذهبون الى المعبد مرتدين ملابس بيضاء (١٨٧) ، الأمر الذى يحملنا على الترجيح بان اللون الابيض كان رمزا للحداد فى مصر المملوكية بدليل أنه عند وفاة الامير بركة خان بن الظاهر بيبرس حزن عليه السلطان المنصور قلاوون وقام بارتداء الملابس البيضاء (١٨٨) .

وكانت هناك صلاة خاصة تقام فى المنزل ثلاث مرات يوميا يقوم بالاشراف على تاديتها احد أقارب المتوفى ، وكلماتها باللغة الآرامية وليست العبرية ، ولا تشير الى الموت مباشرة أو الفقيد ، وتبدأ بكلمات (باسم الله العظيم المقدس) وبعد الاسبوع الأول كانت فترة الحداد تستمر على مدى ١١ شهرا تؤدى خلالها صلاة الشكر كل يوم (١٨٩) .

وخلال فترة الحداد هذه كان أهل المتوفى ينعزلون عن بقية أفراد المجتمع ، كما كانوا يمتنعون عن ارتداء الملابس الحريرية (١٩٠) .

---

(١٨٥) ابن زمرة ، فتاوى دافيد بن زمره : ج ٦ ، ص ٢٥٤ .

(١٨٦) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ٤٤ .

(١٨٧) ابن زمرة ، فتاوى ابن زمره ، ج ٤ ١ ، ص ١٣٢ .

(١٨٨) المقريزى ، السلوك ، ج ١ ق (٣) ص ٦٦٩ .

(١٨٩) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ٤٤ .

(١٩٠) Ashtor (History of the Jews, II, p. 363.

وفى بعض الأحيان كان اهل المتوفى يخرجون عظامه من القبر بعد مرور فترة من دفنه ، ويسافرون بها الى القدس لدفنه هناك ، وقد استمر هذا التقليد حتى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، سواء أوصى المتوفى بذلك او لم يوص (١٩١) ، وكانوا فى هذه الحالة يضعون عظامه فى تابوت او كيس ، وقد يحدث فى أثناء السفر بعض الحوادث ويتعرض كيس العظام للكسر ، لذا سئل بعض الربانيين بشأن هذا الأمر وهل يعتبر ذلك اهانة للمتوفى او لا ؟ فأجابوا أن ذلك لا يشكل أى استخفاف أو احتقار للميت (١٩٢) .

وجرت العادة على أن يحتفل اليهود بالذكرى السنوية للمتوفى حيث كان أفراد الأسرة يقيمون صلاة خاصة على ضوء شمعة واحدة تكريما للفقيد ، وكان القوم من غير أقارب المتوفى يغادرون المعبد قبل نهاية الاحتفال وفقا لخرافة قديمة اذ كانوا يعتقدون أن أحدهم قد يدركه الموت كما حدث للفقيد ، وكثيرا ما كان رجال الدين ينصحون القوم بالتخلى عن هذه التقاليد ، ولكن تبين أن العادة كانت أقوى أثرا من التفكير الصحيح او السليم (١٩٣) .

بقى أن نتعرض لموضوع ملابس اليهود فى العصر المملوكى فقد فرضت على اليهود فى فترات منقطعة من عصر سلاطين المماليك قيود شديدة فى الملبس ، التزموا بها ولم يتخطوها ، وقد تمثلت هذه القيود فى الزامهم بالغيار وهو الملبس المغاير لما يرتديه المسلمون لتميزهم ، فقد تعين على اليهود أن يرتدوا الملابس

(١٩١) Ashtor, Histiry of the Jews, pp. 362-363.
(١٩٢) ابن زمرة ، فتاوى ابن زمرة ، ج ٢ ، ص ٦١١ .
(١٩٣) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ٤٥ .

الصفراء ، وتحدد اللون الأحمر للسامرة (١٩٤) ، وقد الزمت المرأة اليهودية بارتداء الملابس الصفراء كما اشترط عليها أن ترتدى ازارا (١٩٥) من الكتان ، وأن تكون فردتا الخف الذى تلبسه فى قدميها من لونين مختلفين (١٩٦) .

وجدير بالملاحظة أن هذه القيود لم تفرض على اليهود إلا فى أوقات الازمات فقط ، ولا يوجد فى المصادر المعاصرة ما يثبت أن اليهود الزموا فى الأوقات العادية بهذه القيود المتعلقة بالملابس بل على العكس لدينا ما يشير الى تمتع نساء اليهود بارتداء أفخر الأزياء والملابس دون تفرقة بينهم وبين المسلمين (١٩٧) .

---

(١٩٤) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢١٦ ؛ قاسم عبده ، اهل الذمة ، ص ٧٤ ؛ ثناء عبد الرحمن بلال ، الملابس فى العصرين القبطى والاسلامى ، ط (١) القاهرة ١٩٨٣ م ، ص ٧٠ .

(١٩٥) الازار ، هو الملاءة الكبيرة التى تلتف بها المرأة ، عرفت بعدة أسماء متعددة نذكر منها البغلطاق والمطر والحلة والفرجية والكاميلية والملحفة والشاية والازار الذى كن اكثر السبلات شيوعا انظر احمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٧٧ ؛
Ahmad Abd al-Raziq, La femme, pp. 236-237 ;

وجاء فى دوزى ما نصه « ... اما المرأة فتشد الزنار من تحت الازار وقيل من فوق الازار ، وفى عام ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م أمر بأن يكون ازار النصرانية ازرق وازار اليهودية أصفر وازار السامرية أحمر ... » وكانت الغاسلة اذا خرجت تغسل ميتة تأخذ ورقة من عند المحتسب وتجعلها فوق عصابتها مخيطة فى ازارها حتى يعلم انها غاسلة انظر :
Dozy, Dictionnaire détaillé, pp. 28, 29 ;
ماير ، الملابس المملوكية ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(١٩٦) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٣٤٣ ، ٣٨٤ ؛ سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢٤٢ .

(١٩٧) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢٢٢ ؛ ثناء عبد الرحمن ، الملابس ، ص ٧٠ ، ٧٥ .

ابن الاخوة يصف نساء اهل الذمة فى ايامه بانهن « اذا خرجن من دورهن ويمشين فى الطرقات لم يعرفن ، وكذلك فى الحمامات ، وربما جلست الذمية فى اعلى مكان من الحمام .. على حين تجلس المسلمة دونها،ويخرجن الى الأسواق ويجلسن عند التجار فيكرمونهن بما يشهدونه من حسن زيهن فلا يدرون انهن اهل ذمة ... » (١٩٨) .

والحديث عن ملابس اليهود فى مصر زمن سلاطين المماليك يحتم علينا التعرض لملابس الرجال اولا التى تمثلت فى القفطان الذى كان يرتديه عدد كبير من اليهود ، وهو عبارة عن عباءة واسعة طويلة تغطى الجسم كله من الرقبة حتى كعب القدم ، وكانوا يستخدمون فى ربطه الزنار (١٩٩) .

وقد امدنا الرحالة الالمانى ارنولد فون هارف الذى زار مصر فى سنة ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م برسم يمثل مملوكا وثلاثة رجال احدهم مسلم وآخر يهودى والثالث نصرانى ، ويستشف من هذا الرسم ان القفطان الذى يرتديه المسلم كان لا يختلف عن القفطان الذى يرتديه اليهودى أو النصرانى ، فهو يبدو على هيئة عباءة واسعة طويلة تغطى الجسم كله ، وذات اكمام واسعة (٢٠٠) .

وكانت ملابس الرجال فى عصر المماليك تتباين وتختلف حسب مكانة الشخص ومركزه الاجتماعى ، فكان البعض يرتدى الشراريب

---

(١٩٨) ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ٩٧ ؛ عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢٢٢ .

(١٩٩) Ashtor , History of the Jews, II, p. 324.

(٢٠٠) Letts, The Pilgrimage, p. 113.

وهى عبارة عن قميص من الحرير كان يلبسه اليهود المتدينون تحت ملابسهم (٢٠١) .

وفى عصر دولة المماليك الجراكسة صار اليهــود يرتــدون ملابس ثقيلة او ملابس مصنوعة من الفراء (٢٠٢) . كما حرص معظم اليهود على ارتداء الملابس البيضاء فى الاعياد ، ويبدو أن ذلك كان عادة عندهم (٢٠٣) ، ومن المعروف ان اليهودى كــان يتمنى دائما أن يدفن بملابس الاعياد او بملابس يوم السبت (٢٠٤).

ويبدو أن اليهود قد تأثروا بالمسلمين الذين كانوا يرتدون ملابس بيضاء ذات أكمام واسعة فى الأعياد والمناسبات ، فارتدوا مثلهم ملابس بيضاء فى الأعياد والمناسبات المختلفة كعيــد رأس السنة ويوم الغفران وفى شتى المناسبات المختلفة (٢٠٥) .

ولم يرتد اليهود السروال (٢٠٦) ، بل كانوا يكتفون بارتداء ملابس داخلية فقط (٢٠٧) ، أما فى الشتاء فكانوا يرتدون ملابس

---

(٢٠١) Letts, The Pilgrimage, p. 113.

(٢٠٢) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .

(٢٠٣) Mez, Die Renaissance des Islam, Heidelberg, 1922, pp. 368, 376, 433.

(٢٠٤) Goitein, A Mediterranean Society, Daily Life, pp. 135-156.

(٢٠٥) Ashtor, History of the Jews, II, p. 325.

(٢٠٦) السروال ، ورد فى صحيح البخارى ان الرســول (ص) أوصى الحجاج بارتداء السروال حتى وصولهم الى مكة ثم استبداله هناك بالازار وإن تعذر الحصول عليه فلا حرج فى الابقاء على السروال ، وكلمة سروال فارسيــة الأصل مشتقة من كلمة شلوار التى كانت شائعة فى العصور الاسلامية الأولى ، كذلك ، شاع استعمال السروال فى اسبانيا واشتق الاسبان منها كلمة Zaraguelles وهى من أصل عربى وقد عرفها أهل المغرب . انظر :
Dozy, Dictionnaire Détaillé pp. 203-204.

(٢٠٧) Adler, Jewish Travellers, p. 137.

صوفية وحزام داخلى من الصوف المبطن بالقطن ، كما كانوا يغطون رءوسهم بأغطية أشبه بعمامة كبيرة ذات لون معين يرمز لطائفة اليهودى ، تلتف حول قلنسوة (٢٠٨) أو طاقية (٢٠٩) اسفلها (٢١٠) . وكانوا يرتدون فى أقدامهم حفاً محدب المقدمة يغطى وجه القدم بدون رباط (٢١١) .

وعن ملابس نساء اليهود فقد أجمع الرحالة الاوربيون الذين زاروا مصر فى العصر المملوكى على تشابه ملابس جميع نساء المدن من حيث شكلها العام (٢١٢) ، وعلى ذلك يمكن القول بأن ملابس اليهوديات كانت لا تختلف كثيرا عن ملابس باقى نساء المجتمع المصرى ابان هذه الفترة .

وجدير بالذكر أن وثائق الجنيزة أمدتنا ببعض الخطابات التى اشتملت على وصف لبعض الملابس التى تزود بها العروس عند

---

(٢٠٨) هى بديلة للطاقية ، وقد ذكر ابن بطوطة أن « ... الفتيان الاخية وعلى رأسهم قلانس بيض من الصوف بأعلى كل قلنسوة قطعة موصولة بها فى طول ذراع وعرض أصبعين ، فاذا استقر بهم المجلس نزع كل واحد قلنسوته ووضعها بين يديه ... » ، انظر ابن بطوطة رحلة ابن بطوطة ، ص ٥٥ .
Dozy, Dictionnaire détaillé, p. 368.

(٢٠٩) لم ترد فى المعجم ، وهى عبارة عن غطاء للرأس يلبس بغير عمامة وقد لبسها الاولاد والبنات ، وكثر ارتداؤها بين رجالة الدولة والامراء والمماليك والاجناد وفى الدولة الجراكسية ، وكانت الوان هذه الطواقى متعددة مثل الأخضر والاحمر والازرق والوان أخرى وأغلب الظن انها من أصل فارسى ، انظر :
Dozy, Dictionnaire détaillé, pp. 281-282.
ماير ، الملابس المملوكية ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٢١٠) Ashtor, History of the Jews, II, p. 325.

(٢١١) Letts, The Pilgrimage, p. 103.

(٢١٢) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢١٧ ؛
Dopp, Le Caire, Tome 24, 1951, p. 134.

زواجها ، وكذا أسعار هذه الملابس التى يبدو أنها كانت باهظة التكاليف وبعضها مصنوع من الحرير (٢١٣) .

وسنحاول هنا التعرف على هذه الملابس الخاصة بنســاء اليهود مبتدئين بالاشارة الى الملابس الداخلية التى كانت أحيانــا طويلة ، وأحيانا قصيرة وذات أكمام كبار واسعة (٢١٤) ، وبعضها من الاقمشة الحريرية (٢١٥) ، ويبدو أن المئزر كان من أهم الملابس الداخلية وكان عبارة عن سروال يصل الى الركبتين (٢١٦) ، ولم يكن يختلف كثيرا عما يرتديه الرجال فى الحمامات العامة (٢١٧) .

ورغم قلة المعلومات التى وصلتنا من شكل المئزر الخــاص بالمرأة وعن أنواعه ، فقد عثرنا فى أحد عقود الزواج التى ترجــع الى نهاية العصر المملوكى على اشارة تفيدنا فى التعــرف عــلى أسعار هذا النوع من الملابس الداخلية ، اذ جاء فى هذه الوثيقة أن المئزر كان يباع بستة دراهم مؤيدية (٢١٨) . واعتادت المرأة

---

(٢١٣) Ashtor, History of the Jews, II, p. 326.

(٢١٤) Mayer, Costumes of Mamluk Women, IV, 17, 1943. p. 298.

(٢١٥) Astor, History of the Jews, II, p. 326.

(٢١٦) Ashtor, L'Evolution des Prix, p. 41 ; Histoire des prix, p. 348.

أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٦٩ .

(٢١٧) السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٣١٠ ؛ أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٧٠ .

(٢١٨) أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٧٠ ؛ الدراهم المؤيدية نسبة الى الملك المؤيد شيخ ، وقد ضرب من هذه النقود الفضة المؤيدية الدراهم التى كان وزنها يتراوح بين ٢ر٦٠ جرام ، ٢ر٨٠ جرام ، كما ضرب منها نصف الدرهم الذى كان يتراوح ما بين ١ر٢٠ جرام ، ١ر٣٤ جرام ، والرابع كان وزنه يتراوح ما بين ٠ر٦٠ جرام ٠ر٩٨ جرام ، وقد ضرب الدرهم المؤيدى فى عام ٨١٨ هـ/١٤١٥م لنظر رأفت النبراوى ، السكة الاسلامية ، ص ٢٩٠ ، ٣٤٤ .

ان ترتدى فى المنزل جلبابا اشبه بقميص كان يصنع من نسيج يشبه الحرير ، وكانت الوانه تتراوح بين الأصفر والأحمر والذهبى (٢١٩) .

ويفهم من بعض المصادر المعاصرة ان المراة اليهودية اعتادت ايضا ارتداء قميص (٢٢٠) واسع طويل فوق ملابسها الداخلية تصل اطرافه الى الأرض ، له أكمام كبيرة واسعة (٢٢١) . وان هذا القميص كان فى كثير من الأحيان ضيقا ملتصقا بالجسم ويظهر تفاصيله (٢٢٢) ، لذا كانت تضع فوقه سبلة (٢٢٣) أو ازارا اصفر أو ابيض اللون يغطى جميع بدنها ويعلو كل ملابسها (٢٢٤) ، وغالبا ما توقفت مقاييس هذه الأزر على حجم المراة وعلى مدى طولها أو قصرها (٢٢٥) .

وتحدثنا المصادر التاريخية أن هذه الأزر كانت تصنع فى بداية القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى من الحرير ،

---

(٢١٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ١٦٦ .

(٢٢٠) القميص ، كان يصنع فى مصر من القماش البندقى ، واحيانا من القطن او الحرير وهو ابيض اللون بالنسبة للرجال ، أما المراة فكان يصنع من الحرير الناعم ، انظر :

Dozy, Dictionnaire détaillé, p. 371.

(٢٢١) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، م ٩ ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ .

(٢٢٢) ابن الحاج ، المدخل ، ج ١ ، ص ٢٤١ ، ٢٤٣ .

(٢٢٣) لم ترد هذه الكلمة فى المعاجم ، وكانت عبارة عن حلة النساء الخارجية عندما يخرجن الى الشارع ، كذلك ورد فى كتاب وصف مصر كلمة سبلة أى قميص طويل من قماش التفتاه يغطى جميع بدن المراة ويعلو كل ملابسها ماعدا البرقع والحبرة ، انظر :

Dozy, Dictionnaire Détaillé pp. 199-200 ; Ahmad Abd al-Raziq, La Femme, p. 236.

(٢٢٤) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢١٨ .

(٢٢٥) احمد عبد الرازق ، المراة ، ص ١٧٧ .

فقد روى المقريزى أن نساء هذا العصر استحدثن الازر الحريري بالف درهم ، وانهن ابطلن لبس الازار البغدادي مما اضطر اهل الدولة الى العمل على ابطال الأزار الحريرية والمنادة بمنع بيعها بل وتهديد المخالف بمصادرة جميع اموالة لحساب السلطان حتى امتنعت النساء عن لبس الأزر الحريرية لدرجة انه نودى على ازار من الحرير بمبلغ ثمانين درهما ، ومع ذلك فلم يلتفت له احد رغم لهفة نساء هذا العصر على هـذا النـوع مـن المـلابس الحريرية (٢٢٦) . ولكن هذا التحريم لم يستمر طويلا وعـادت المراة الى ارتداء الأزر الحريرية الفاخرة . كذلك عرفت نسـاء اليهود نوعاً آخر من الملابس عرف باسم الزعبوط وهو عبارة عن قميص من الصوف البنى ، مفتوح من الرقبة الى الوسط (٢٢٧) .

أما فيما يتعلق باغطية الراس فقد حرصت النسـاء عليه واستعملن لذلك الفرض الشاش (٢٢٨) ، وهو عبارة عن عصبة كانت تلبسها المراة بحيث يكون اولها عند جبينها وآخرهـا عند ظهرها ، وكان يبلغ طولها احيانا نحو ذراع وارتفاعها ربـع ذراع ، ولكن كن يبالغن فى زخرفتها احياناً بالذهب واللؤلؤ (٢٢٩).

ويستشف من احدى وثائق الجنيزة التى ترجـع الى عـام ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م أن بعض هذه الأغطية كان يزين بفصـوص

(٢٢٦) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (٢) ، ص ٨١١ ؛ احمد عبد الرازق ، المراة ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، ماير ، الملابس المملوكية وص ١٢٦ .

(٢٢٧) Lane, An Account of the Manners and customs, p. 32 ; Ashtor, L'Evolution des prix, p. 41.

(٢٢٨) لم ترد هذه الكلمة فى المعاجم ، ويذكر دوزى انها كانت عبارة عن قطعة من القماش الرقيق الذى يلف حول العمامة انظر :
Dozy, Dictionnaire détaillé, p. 235.

(٢٢٩) Dozy, Dictionnaire détaillé, p. 239 ; Ahmad Abd al-Raziq, La Femme, p. 238.

زرقاء، وحبات صغيرة من اللؤلؤ ؛ وان ثمن العصابة الواحدة كان يصل الى ما يقرب من أربعة دنانير (٢٣٠) .

ومن اغطية الرأس التى شاع استعمال النساء لها على عصر سلاطين المماليك تتحدث المصادر المعاصرة عن العمامة التى كانت بمثابة زى للرجال والنساء على السواء بدليل ذلك المرسوم الذى أصدره السلطان الظاهر بيبرس عام ٦٦٢ هـ / ١٢٦٣ م وأمر فيه بأن ينادى فى مصر والقاهرة « بأن المرأة لا يجوز أن تتعمم بعمامة ولا تتزيا بزى الرجال » وهدد كل من فعلت ذلك بعد مرور ثلاثة أيام من صدور هذا النداء ، بسلب كل ما عليها من كسوة وملابس (٢٣١) . ولكن من الواضح أن هذا النداء لم يحترم طويلا شأنه فى هذا شأن بقية النداءات الأخرى التى أصدرتها الدولة المملوكية والتى هدفت بها التحكم فى اشكال وأنواع ملابس نساء العصر ، أذ يعيب الفقيه المغربى بن الحاج على نساء عصره فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ، استعمالهن للعمائم التى على هيئة سنم الهجين المزدوج (٢٣٢) .

كذلك عرفت نساء مصر على عصر سلاطين المماليك البخنق (٢٣٣) ، وهو نوع من أغطية الرأس الصغيرة الحجم التى اشتد اقبال النساء عليه وكان يصنع من القماش

---

(٢٣٠) Goitein, A Mediterranean Society, Daily Life, p. 205.

(٢٣١) المقريزى ، السلوك ، ج ١ ق (٢) ، ص ٥٠٣ ؛ احمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٢٣٢) ابن الحاج ، المدخل ، ج ١ ، ص ٢٤٢ ؛ احمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٨٣ .

(٢٣٣) . Dozy, Dictionnair détaillé, p. 55 ;
احمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٨٨ :

الهرمزى (٢٣٤) . وكان لهذا النوع سوق خاص يعرف بسوق البخانقيين بمدينة القاهرة ، حدثنا عنه المقريزى بقوله انه : معمور الجانبين بالحوانيت المعدة لبيع الكوافى والطواقى التى تلبسها الصبيان والبنات (٢٣٥) .

وقد امدتنا احدى وثائق الجنيزة تنسب لسنة ٩١٧ هـ / ١٥١١ م بالعديد من المعلومات التى تفيد فى التعرف على أسعار البخنق ، فقد بلغ سعر البخنق المصنوع من الحرير الشامى ما يقرب من ١٥ نصف دينار أى سبعة دنانير ونصف الدينار (٢٣٦) ، والبخنق الأخضر المصنوع من القماش الهرمزى ٤٣ نصف دينار أى ٢١ دينار ونصف الدينار ، والبخنق المصنوع من القماش الهرمزى نفسه والمطرز بالذهب حوالى ثلاثة دنانير ، والبخنق المصنوع من القماش الهرمزى والمطرز بخامات من اسطنبول بحوالى ثلاثة دنانير (٢٣٧) ، ووصل ثمنه أيضا فى وثيقة أخرى الى ما يقرب من ثمانية دنانير (٢٣٨) ، على حين بلغ ثمن البخنق المصنوع من قماش هرمزى مطرز بخامات بيضاء حوالى أربعة دنانير نقط (٢٣٩) .

---

(٢٣٤) Ashtor, Histoire des prix, p. 351 ; Gottheil, fragments from the Cairo Genizah, pp. 178, 184.

(٢٣٥) المقريزى ، الخطط ، ج ٣ ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢٣٦) Ashtor, Histoire des prix, p. 351 ; Gotheil, Fragments from the Cairo Genizah, p. 184.

انظر الملحق رقم (١٨)

(٢٣٧) Ashtor, Histoire des Prix, p. 351.

(٢٣٨) Gottheil, Fragments from the Cairo Genizah, p. 184.

انظر الملحق رقم (١٧) .

(٢٣٩) Ashtor, Histoire des prix, p. 351.

كذلك أمدنا المستشرق أشتور بنوع آخر من اغطية الراس نقلا عن وثائق الجنيزة عرف باسم التجيجة ، والتى يبلغ سعـر المطرزة بخيوط من الذهب فى عام ٧١١ هـ / ١٣١١ م حوالى دينار، والبيضاء المزينة بالرسوم دينارين اما الفجيجة المصنوعة مـن الحرير الأبيض فكان يصل ثمنها الى دينارين ونصف ، فى الوقت الذى كان سعر التجيجة الكتانية الناعمة المطرزة بالذهب يصـل الى ثلاثة دنانير ونصف (٢٤٠) .

وتمدنا المصادر المملوكية أيضا بأسماء الحجب المختلفة التى كانت تضعها النساء فوق وجوههن ، وكانت عبارة عن منديـل تستعمل لاخفاء الوجه ، اذ لم يكن باستطاعة المرأة فى تلك الفترة أن تطوف فى شوارع المدينة بغير حجاب ، الا اذا كانت من بين الجوارى القائمات على الخدمة فى المنازل والقصور (٢٤١) .

ولم يكن هناك فرق بين النساء اليهوديات والمسلمات فيمـا يتعلق بالنقاب ، فالجميع كن يرتدين النقاب (٢٤٢) ، فقد حرصت النساء عند خروجهن الى الشوارع على اخفاء وجوههن بخمـار

(٢٤٠) Ashtor, Histoire des prix, p. 350.

(٢٤١) فقد روى أن عمر بن الخطاب رأى جارية عليها قناع فضربها بالدرة وقال « أتتشبهين بالحرائر !! » وقد كان يؤمئذ من لباسهن . ابن الحاج ، المدخل ، ج ١ ، ص ١٤٥ ؛ أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٢٤٢) النقاب عبارة عن قناع أسود اللون اكتفى فيه بعمل فتحتان للعينين ، وقد شاع استخدامه بين عامة النساء ، انظر أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٩١ ؛
Dozy, Dictionnaire détaillé, p. 424 ; Ashtor, Histoire des prix. p. 325 ;Mayer, Costumes of Mamluk, p. 75 :
ماير ، الملابس المملوكية ، ص ١٣٠ .

أو برقع (٢٤٣) أسود اللون يغطى الوجه كله ، تضعـه المراة بطريقة لا تمكن احداً من رؤية وجهها فى حين تمكنها من رؤية كـل ما يحيط بها (٢٤٤) ، وهذا البرقع كان يصنع من الحرير ، وأحيانا كانت المراة تغطى وجهها بشبكة لها فتحات صغيرة فوق العينين ، وفى بعض الأحيان كانت النساء ترتدين البرقع بالوانه المختلفـة الأبيض والأخضر أو الأزرق (٢٤٥) . وقد بلغ سعر النقاب المزين باللون الأسود فى سنة ٧١١ هـ / ١٣١١ م دينارا واحدا والنقاب الأبيض المزين باللون الأسود دينارا ونصف الدينار ؛ أما النقـاب المطرز بالأحجار الكريمة فكان ثمنه يصل الى ستة دنانير (٢٤٦) ، وأحيانا عشرة دنانير كما يستشف من وثيقة أخرى (٢٤٧) .

ومن الحجب التى شاعت بين نساء العصر المملوكى تشير المصادر المعاصرة الى المقنعة التى عرفت أيضا باسم القناع (٢٤٨)

---

(٢٤٣) البرقع عبارة عن غطاء للوجه أسود اللون تخفى به المراة وجهها ، وقد ذكر دوزى أن النساء فى خراسان ترتدين الجادر وهو من الحرير وأطلق عليه اسم برقع وكان يغطى البدن من قامة الرأس حتى القدم مع ترك فتحة لكى ترى بها المراة ، واستخدم البرقع فى القرن ٨ هـ / ١٤م كما يذكر دوزى « ... ويخرجن ملتحفات متبرقعات فلا يظهر منهن شيء ... » انظر :
Dozy, Dictionnaire détaillé, p. 68.
سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢١٨ .

(٢٤٤) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢١٨ .

(٢٤٥) Ashtor, History of the Jews, II, p. 326.

(٢٤٦) Ashtor, Histoire des prix, p. 352.

(٢٤٧) Gottheil, fragments from the Cairò Genizah, p. 184.
انظر الملحق رقم (١٨) .

(٢٤٨) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (٢) ، ص ٤٣٣ ، هامش (١) : ابن الحاج المدخل ، ج ١ ، ص ١٤٥ ؛
انظر أيضا ماير ، الملابس المملوكية ، ص ١٣٠
Ashtor, Histoire des prix, p. 172 ;

والتى كانت تصنع غالبا من الموسلين وتثبت تحت ازار المرأة بعد أن تلف بها وجهها تماما (٢٤٩) ، ويفهم من ماير أنها كانت على أنواع : قناع شبكى أسود يغطى الوجه كله ، وقناع مثل القناع الأول ولكنه به فتحتان للعينين ، وقناع للوجه أبيض أواسود يطلق عليه اسم برقع (٢٥٠) ، وكان ثمن المقنعة البيضاء يبلغ دينارا ، أما المقنعة التى كانت تصنع وفقا للطراز الشامى فكان ثمنها يصل الى ثلاثة دنانير ونصف . ويستشف أيضا من وثيقة أخرى مؤرخة بسنة ٩١٧ هـ / ١٥١١ م أن المقنعة المصنوعة من نسيج الفوال المحلى كان ثمنها يصل الى اثنى عشر نصف دينار اى ستة دنانير (٢٥١) ، ونقرأ كذلك عن الشعرية ، نوع من الحجاب كانت النساء تضعه على وجوههن وكان يستخدمه الرجال ايضا ، ووصل ثمن الواحدة منها ١٧ أنصاف دينار أى ٨ دنانير ونصف (٢٥٢) وأحيانا ٧ دنانير فقط (٢٥٣) ، وهنا كذلك الطرحة التى كانت توضع على الرأس وتنسدل على الوجه فتخفيه عن

Serjeant , Material for the History of Islamic Textiles, AI, New York, 1968, pp. X, p. 76 ; XI-XII, pp. 105-114-117 ; XV-XVI, p. 78.

والنقاب عبارة عن قناع أسود اللون اكتفى فيه بعمل فتحتين للعينين ، وقد شاع استخدامه بين عامة النساء ، انظر ، أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٩١ ؛

Ashtor, Histoire des prix, p. 325 ; Dozy, Dictionnaire Détailé, p. 424 ; Mayer, Costumes of The Mamluk, p. 75.

ماير ، الملابس المملوكية ، ص ١٣٠ .

(٢٤٩) Dozy, Dictionnaire détailé, p. 376.

(٢٥٠) ماير ، الملابس المملوكية ، ص ١٣٠ ؛

Mayer, costumes of the Mamluk, p. 73.

(٢٥١) Ashtor, Histoire des prix, p. 352.

(٢٥٢) Ashtor, Histoire des prix, pp. 352-353.

(٢٥٣) Gottheil, Fragments from the Cairo Genizah, p. 18 4.

انظر الملحق رقم (١٨) .

اعين الفضوليين من الرجال (٢٥٤) ، ويستشف من احدى وثائق الجنيزة التى ترجع الى عام ٧١٠ هـ / ١٣١٠م ان ثمنها وصل الى ستة دنانير (٢٥٥) .

أما فيما يتعلق بأحذية نساء العصر المملوكى ، فيفهم من المصادر المعاصرة انها كانت تطابق فى اشكالها وخفتها وفخامتها احذية الرجال المعروفة باسم الخف ، والتى كانت تصنع عادة من جلد ملون (٢٥٦) ، وينبغى أن نشير هنا الى أن المرأة الذمية كثيرا ما الزمت على عصر سلاطين المماليك بأن ترتدى خفين احدهما اسود والآخر أبيض ، تمييزا لها عن أختها المسلمة (٢٥٧). على انه من الواضح أن هذه القيود بالنسبة للأحذية لم تفرض على الذميات من النساء الا فى أوقا تالازمات فقط ، ولا يوجد فى المصادر المعاصرة ما يثبت التزامهن بهذه القيود فى الأوقات العادية ، بل على العكس هناك ما يشير الى تمتعهن بارتداء أفخر الأخفاف دون تفرقة بينهن وبين المسلمات .

وكانت هناك أنواع أخرى من الأخفاف التى ترتديها المرأة فى الشوارع أطلق عليها اسم المدارس (٢٥٨) ، أشارت اليها

(٢٥٤) Dozy, Dictionnaire détaillé, p. 257 ; Serjeant, Material for History, XIII-XIV, p. 103.

(٢٥٥) Ashtor, History of the Jews, III, Fragments from the Cairo Genizah, 67, 68, pp.

انظر الملحق رقم (١٤) .

(٢٥٦) Letts, The Pilgrimage, p. 106.

ماير ، الملابس المملوكية ، ص ١٢٩ ؛ احمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٩٢ .

(٢٥٧) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (٣) ، ص ٩٢٣ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٣٨٤ ؛ احمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٩٢ .

(٢٥٨) Dozy, Dictionnaire détaillé, p: 186 ;

ماير ، الملابس المملوكية ، ص ١٢٩ .

المصادر الملوكية من حين لآخر ، خاصة عندما كان يستخدم بمثابة سلاح من قبل سوقة النساء عندما ترغب احداهن فى التعبير عن غضبها ضد احد الضحايا من الرجال او من النساء ممن يقعون بين يديها (٢٥٩) .

وكانت نساء عصر سلاطين المماليك يحصلن على جميع ما يلزمهن من الأحذية والأخفاف من سوق الاخفافيين الذى شيده الأمير يونس النوروزى دوادار السلطان الظاهر برقوق بعد عام ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م ، ونقل اليه جميع الأخفافيين وبياعى أخفاف النساء (٢٦٠) .

بقى أن نشير ايضا الى « القباقيب » الخشبية التى كانت تمتاز بقوائمها المرتفعة التى تبلغ فى بعض الأحيان ما يقرب من التسع بوصات (٢٦١) ، والتى كثيرا ما كانت مرصعة بالذهب والأحجار الكريمة أو بالصدف أو العاج أو الأبنوس (٢٦٢) ، وكانت النساء تستخدم هذه « القباقيب » عند الاستحمام وفى بعض الأحيان فى المنازل كوسيلة للكشف عن مفاتن اقدامهن التى كثيرا ما كانت تنقش بأشكال بديعة من الحناء (٢٦٣) .

---

(٢٥٩) المقريزى ، السلوك ، ج ١ ق (٢) ، ص ٢٦٠ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٤٦ أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٩٢ .

(٢٦٠) المقريزى ، الخطط ، ج ٣ ، ص ١٧٠ أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٩٤ .

(٢٦١) Dozy, Dictionnaire détaillé, p. 347 ; أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٩٤ .

(٢٦٢) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (٢) ، ص ٨١٤ ؛ أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٩٤ ؛ ماير ، الملابس المملوكية ، ص ١٢٩ .

(٢٦٣) Dozy, Dictionnaire détaillé, p. 348 ; أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٩٥ .

والواقع أن هذه القباقيب قد لعبت دورا محزنا في تاريخ نساء عصر المماليك عندما ضربت شجرة الدر، أولى سلاطين هذه الدولة بالقباقيب حتى الموت على ايدى جوارى زوجها عز الدين أيبك الذى كان قد سبق لشجرة الدر أن اغتالته ايضا بالقباقيب (٢٦٤).

وطبقا لما جاء في عقد زواج عثر عليه ضمن وثائق الجنيزة يرجع الى نهاية العصر المملوكى ، كان ثمن زوج القباقيب يصل الى خمسة انصاف دينار (٢٦٥) .

وامدتنا وثائق الجنيزة ايضا ببعض المعلومات على حلى نساء اليهود ، فقد جاء في وثيقة بسنة ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م أشارة الى عدة انواع مختلفة من الحلى التى كانت تتزين بها العروس في العصر المملوكى كالدلايات الفضية التى كانت تعلق على الرقبة وترخى الى الصدر (٢٦٦) . ومن المعروف أن نساء الفلاحين كن يقبلن على هذا النوع من الحلى وكانت الدلايات الخاصة بهن تتألف من سلاسل فضية تعلق على الأصداغ وترخى الى الصدر ويجعل فى آخرها جلاجل من فضة وبرق ونحو ذلك (٢٦٧) .

ووجدت ايضا الدلايات الذهبية فقد أشارت احدى وثائق الجنيزة الى زوج من الدلايات الذهبية والمصنوعة من العقيق التى

---

(٢٦٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ١ ص ٩٢ ، احمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٩٥ ؛ ماير ، الملابس المملوكية ، ص ١٢٩ .

(٢٦٥) Ashtor, Histoire des prix, p. 352 ; Gottheil, fragments from the Cairo Genizah, p. 184.

انظر الملحق رقم (١٨) .

(٢٦٦) Gottheil, fragments from the Cairo Genizah, pp. 178-179.

انظر الملحق (١٧)

(٢٦٧) أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٦٣ .

بلغ سعرها أربعة دنانير (٢٦٨) . وأشارت وثائق الجنيزة كذلك الى الأساور التى كانت تصنع من الذهب وتتحلى بها نساء اليهود والى الخواتم الذهبية والفضية المحلاة بالأحجار الكريمة التى بلغ ثمن أحدها وهو خاتم من عقيق أربعة دنانير ، كذلك كان سعر الخاتم المزين بأحد الفصوص الكريمة (٢٦٩) أما الخاتم المزين بحجر من الفيروز فكان سعره يصل الى دينارين ، والخاتم المصنوع من الذهب الخالص فكان ثمنه يرتفع الى سبعة دنانير (٢٧٠) .

ويبدو أن نساء اليهود فى العصر المملوكى قد أقبلن على التزين بأقراط مصنوعة من العاج بدليل أن وثائق الجنيزة قد أشارت اليها بكثرة (٢٧١) .

بقى أن نشير فى النهاية الى ملابس أولاد اليهود فى العصر المملوكى ، اذ يفهم من المستشرق الفرنسى آشتور أنها كانت تتكون من ثلاث قطع أساسية تمثلت فى القميص والسروال الداخلى ،

---

(٢٦٨) Ashtor, History of the Jews, III, Fragments from the Cairo Genizah, pp. 72, 73.

انظر الملحق رقم (١٩) .

(٢٦٩) Gottheil, Fragments from the Cairo Genizah, pp. 178-179.

انظر الملحق رقم (١٧) .

(٢٧٠) Ashtor, History of the Jews, III, fragments from the Cairo Genizah, pp. 72-73.

انظر الملحق رقم (١٩) .

(٢٧١) Gottheil, Fragments from the Cairo Genizah, p. 178.

وعن الوثيقة انظر الملحق رقم (١٧) .

والملابس الخارجية التى أطلق عليها أسم جبة (٢٧٢) ، كما ارتدوا فوق رءوسهم الطواقى (٢٧٣) . أما ملابس البنات فجرت العادة أن يغطين كل أجسامهن كالنساء ، كذلك الحال بالنسبة للوجه الذى كن يقمن بتغطيته بوشاح (٢٧٤) معين كما يفهم من أحد المراجع اليهودية (٢٧٥) .

---

(٢٧٢) عرفت فى بلاد الشام وهى عبارة عن لباس خارجى مصنوع من القطن يرتديه بعض الناس حتى القدم والبعض الاخر حتى الركبة ، وليس لها ياقة ، واحيانا يكون للجبة حزام ، وقد استخدمت فى مصر حتى يومنا هذا ، وجاء فى دوزى ما نصه ان ... الخلعة جبة عتابى حمراء وفوقها فرجية ، وهى عبارة عن جبة من الحرير الأحمر ، والفرجية تلبس من فوقها ، وكان السلطان يرتدى جبة صوف بيضاء ، انظر :

Dozy, Dictionnaire détaillé, p. 107-111.

(٢٧٣) Ashtor, History of the Jews, II, p. 326.

(٢٧٤) طبقا لما ورد فى المعاجم العربية فهو عبارة عن حزام من الجلد مزخرف بالذهب واللؤلؤ والأحجار الكريمة ، ترتديه المرأة وقد ذكر المتنبى ما نصه .

ترفع ثوبها الأدراف عنها فيبقى من وشاحيها شسوعا

انظر : Dozy, Dictionnaire détaillt, p. 429.

(٢٧٥) Ashtor, History of the Jews, II, p. 327.

وجاء فى ماير أن الفتيات كن يلبسن بدلا من الحجاب الطواقى والكوافى ، التى كان لها سوق خاص فى القاهرة يطلق عليه اسم سوق البخانقيين ، انظر ماير ، الملابس المملوكية ، ص ١٣١ .

الأعيـاد والمواسـم والاحتفـالات

لكل أمة أعياد ومواسم تحتفل بها كذكرى لتاريخ معـين فى حياتها ، ولليهود مواسم وأعياد يحتفلون بها بأداء طقوس وصلوات خاصة (١) ، وقد كان اليهود يحتفلون فى عصر سلاطين المماليك بأعيادهم فى حرية تامة ، وشاركهم اخوانهم المسلمون فى بعض هذه الاحتفالات ، وأعياد اليهود ذات سمة اجتماعية خاصة بهم ، كما كانت هناك أعياد اتخذت شكل الاحتفال القومى على حد تعبيرنـا المعاصر ، وذلك لارتباطها بحياة المصريين جميعا مثل الاحتفال بوفاء النيل (٢) .

وقد قسمت المصادر العربية أعياد اليهود الى قسمين (٣) ، الاعياد الشرعية وعددها خمسة وهى ما نطقت به التوراة مثل عيد

(١) محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٣٢ ؛

(٢) محمود رزق ، المجتمع المصرى ، ص ٣٣٣ .

(٣) النويرى نهـاية الارب ، ج ٨ ، ص ١٨٧ ، ١٨٩ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٧١ وما بعدها ؛ القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج٢ ، ص ٤٣٦ ، ٤٣٨ ؛ نريمان عبد الكريم ، معاملة غير المسلمين ، ص ١٦٠ ؛ هويدا عبد العظيم رمضان ، المجتمع المصرى فى مصر الاسلامية من الفتح العربى الى العصر الفاطمى ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤ ، ج ٢ ، ص ٦٧ .

راس السنة ، وعيد الحبور أو عيد الغفران أو صوماريا ؛ وعيد المظلة ؛ وعيد الفطير أو الفصح ؛ وعيد الأسابيع أو عيد العنصرة أو الخطاب ؛ وأعياد محدثة بخلاف أعيادهم الشرعية من أشهرها عيد الفوز وعيد الحانوكة (٤) :

ويعد عيد رأس السنة أول هذه الأعياد الشرعية ، وكان يعرف عندهم باسم « روش هشاناه » ويحل فى اليوم الأول من شهر تشرين (أوائل أكتوبر) ، ويحتفل به لمدة ثلاثة أيام (٥) . وهو يناظر عيد الأضحى عند المسلمين ، فى ذكرى افتداء الله لاسماعيل بعد أن كاد ابراهيم عليه السلام أن يذبحه تنفيذاً لأمر الله سبحانه وتعالى ، ويعتبر هذا العيد أيضا عيد عتق وحرية عند اليهود

---

(٤) النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ١٨٧ ، ١٨٩ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٧٤١ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٤٣٦ .

(٥) وهو احياء لذكرى قتل جدليا بن أحيقام الذى ولاه بختنصر ملك بابل على البقية الباقية من اليهود فى فلسطين بعد الاستيلاء عليها ، ونقل من يصلح للخدمة من اليهود الى بابل ، وتروى القصة أن أعداء اليهود دبروا مؤامرة لقتل جدليا فى هذا اليوم حتى يتمكنوا من اتمام ابادة هذه البقية الباقية معه من بنى اسرائيل ؛ انظر حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٠٢ : نبيل عبد الحميد سيد أحمد ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية لليهود فى مصر ١٩٤٧ م - ١٩٥٦ ، القاهرة ١٩٩١ م ، ص ١٧٧ ؛ عبله السيد حنفى ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية لليهود ، مصر الفترة ١٨٠٥ - ١٨٨٢ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدراسات الانسانية فرع البنات - جامعة الأزهر ، القاهرة ، ص ٢١٢ ؛ جيلان محمد عباس ، الأعياد والاحتفالات فى مصر الاسلامية وجذورها التاريخية منذ الفتح العربى وحتى نهاية عصر المماليك الجراكسة ٢١/٩٢٣ هـ / ٦٤٣ - ١٥١٧ م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية السياحة والفنادق جامعة حلوان ١٩٩٦ ، ص ١٣٩ .

لخلاصهم من فرعون ، وقد عرف أيضا بعيد البشارة أى البشـــارة بالعتق والحرية (٦) .

وقد اعتاد اليهود فى هذا العيد النفخ فى أبواق تتخذ من قرن خروف بالاضافة الى الصفافير ، وهكذا كانوا يفعلون فى أيـام الصيام ، والنفخ فى البوق عادة دينية ، وللبوق ثلاث فتحــات أو شقوق ، ومنه نوع يكون للنواح والحزن كصوت الانســـان الذى يبكى، ومنه للتأوه كصوت مريض ، وأصواته طويلة وعريضة ، وقد وجد البوق منذ القدم عند الشعب الأمورى، وفى العصر المملوكى لم يستعمل اليهود البوق للدلاية على راس السنة وبالذات فى المعبد ، وبالتالى فلم يكن هناك بوق مطلقا (٧) .

ولهذا العيد عدة طقوس منها الطهارة المقدسة وتجديد فترة حكم الملك الإله والملك البشر الذى يعد ممثل الـــرب فى الأرض ، ويعتبر اليهود هذا اليوم بداية لعشرة أيام توبة وطلب غفران لذا ينهك اليهود فى الصلوات طالبين المغفرة والعفو ، وعيد راس السنة ويوم عيد الغفران عيدان متلازمان فى المعنى والمضمون ، وهذا العيد يوم فرح وسعادة وعلامة على أن الجميع قد نجــوا الحساب ، ويرتدى اليهود فى أثناء هذا العيد الملابس البيضـــاء الدالة على السعادة والفرح ، وكان يحرم عليهم ارتداء الملابس السوداء (٨) .

---

(٦) حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ؛ محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٣٥ ؛ الموسوعة العبرية الكبيرة ، ج ٣٠ ، حرف ق ــ ر ١٩٨٤ م ، ص ٤٢٧ ؛ نريمان عبد الكريم ، معاملة غير المسلمين ، ص ١٦٠ ؛ هويدا عبد العظيم ، المجتمع فى مصر الاسلامية ، ص ٦٧ ؛ نبيل عبد الحميد ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية لليهود ، ص ١٧٧ ؛ عبلة حنفى ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية لليهود ، ص ٢١٢ .

(٧) الموسوعة العبرية الكبيرة ، ج ٣٠ حرف ق ــ ر ، ١٩٩١ ، ص ٤٣٠ .

(٨) الموسوعة العبرية الكبيرة ، ج ٣٠ ، ص ٤٢٩ .

ومن العادات التى كانت متبعة فى هذا العيد تناول الاطعمة التى يغلب على أسمائها رموز وكلمات طيبة تدخل على النفوس السعادة ، ويتناولون فى اليوم الثانى الاطعمة الجديدة كما يتم الانتفاض من الذنوب بجانب نهر ومجرى مائى . وفى هذا اليوم كان الأصدقاء والأهل يقومون بالتزاور وتبادل التهانى بمناسبة السنة الجديدة ، وكانت هناك عادة معروفة وهى عدم النوم فى هذا اليوم بل تقرأ التوراة ، وتقام الصلاة ، وتنفيذ الأوامر الدينية ، وهناك بعض اليهود الذين اعتادوا على قراءة المزامير والاطالة فيها (٩) .

ويعتقد الربانيون من اليهود أن الكتب تفتح فى السماء وتكتب أعمال الناس ويصدر الحكم على الأفراد والامم فى هذا اليوم ، كما اعتاد اليهود فى هذا العيد أيضا أن يضموا الى مائدة العشاء تفاحا وعسلا كنوع من التفاؤل بالسنة الجديدة (١٠) .

والعيد الثانى من أعياد اليهود هو « عيد الغفران » (١١) أو عيد صوماريا اى الصوم العظيم ويسمونه بالعبرية « يوم كبور » ويحل فى اليوم التاسع من تشرين (أكتوبر) وهو يوم صيام عن الطعام والشراب وانشغال بالعبادة واستغفار ، وكان هذا العيد يبدأ قبيل غروب الشمس ويستمر الى ما بعد غروب شمس اليوم التالى ، ومدته ٢٧ ساعة ، يجب فيها الصيام ليلا

---

(٩) الموسوعة العبرية الكبيرة ، ج ٣٠ ، ص ٤٣١ ، ٤٣٢ .

(١٠) محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٣٥ .

(١١) يوسف يمطوب ، المرشد الامين ، ص ٨٣ ؛ نريمان عبد الكريم ، معاملة غير المسلمين ، ص ١٦١ ، جويدا عبد العظيم ، المجتمع فى مصر ، ص ٦٧ ، جيلان عباس ، الاعياد والاحتفالات ، ص ١٤٣

ونهارا كما يحرم فيه الاشتغال بأى شىء عدا العبادة (١٢) . وقد تشدد السامرة فى صيام ذلك اليوم لدرجة انهم لم يستثنوا منه الأطفال الرضع (١٣) .

وكان اليهود يشترطون رؤية ثلاث كواكب عند الغروب لجواز الافطار ، ويعتقد أن هذا الصوم هو تمام الأربعين الثالثة التى صامها موسى عليه السلام ، ويزعمون أن الله تعالى يغفر لهم فيه جميع ذنوبهم ما عدا الزنا بالمحصنات ، وظلم الرجل لأخيه وانكار ربوبية الله تعالى (١٤) .

ويرى بعض الباحثين أن هذا العيد الذى يرجع الى عصور العبرانيين الأولى مرتبط بأصول الشريعة اليهودية التى قررت يوما فى العام لحساب الذات ، وأن اليهود من طول ما عانوه من اضطهادات على طول تاريخهم جعلوا هذا اليوم يوما لنقض مواثيقهم وأكل الديون التى عليهم لغير اليهود مما أوجد معارضة بعض فقهاء اليهود فى العصر الحديث (١٥) .

وتبدأ صلاة المساء فى يوم العيد ببيان يسمى (كل نذرى) بمعنى كل النذور (١٦) ،وصلاة كل النذور (١٧) ، فهما الكلمتان

---

(١٢) الخالدى ، المقصد الرفيع ، ص ٣٠٤ ؛ النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ١٨٧ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٤٣٦ ؛ ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٠٢ ، محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٣٥ ، سناء عبد اللطيف ، الجيتو اليهودى ، ص ١٨٨ .

(١٣) مراد فرج ، القراءون والربانون ، ص ١٧ ، ١٨ .

(١٤) النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٤٣٦ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ١٢٤ .

(١٥) حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٠٣ .

(١٦) محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٣٥ .

(١٧) صلاة يهودية تفتح بها الطقوس الدينية فى مساء عيد يوم الغفران ، انظر محروز فارحى ، كتاب الصلوات ، ص ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ؛ رشاد الشامى ، الشخصية اليهودية ، ص ٢٠١ .

الاوليان من صلاة مساء عيد الغفران ، وتعتبر بمثابة بداية لكل صلوات هذا العيد واعلان عن التحلل من كل النذور والايمانات التى قطعها اليهودى على نفسه على امتداد السنة ، وهى تتلى قبل الغروب ، وقد تحددت صيغة هذه الصلاة فى عصر جاؤينم (١٨) ، ولذلك فان الصلاة كانت مكتوبة باللغة الآرامية ، وليست اللغة العبرية ، وقبل تلاوة هذه الصلاة كان يتم فتح التابوت المقدس ، ويخرجون أسفار التوراة ويكرمون صفوة الحاضرين من المصلين بلمسها وكان هؤلاء يقفون بجوار إمام الصلاة الذى كان يقوم بدوره بتلاوة هذه الصلاة وفق لحن مميز لم يتغير على مر مئات السنين ، وهذه الصلاة كانت تعفى اليهودى من كل العهود والنذور التى قطعها على نفسه ويلجأ اليها اليهود الذين تظاهروا بالاسلام او المسيحية ليعودوا كما كانوا يهودا (١٩) ، وكان هذا العيد ينتهى بصلاة تسمى « نعيله » ثم ينفخ فى البوق لإعلان انتهاء العيد بعد ان يردد المصلون يهوه هو الرب (٢٠) .

أما عيد المظلة أو عيد الظلل واسمه بالعبرية « سكوت » فكان الاحتفال به يبدأ فى الخامس عشر من شهر تشرين (اكتوبر)، ويستمر مدة سبعة أيام (٢١) ، وقد عرف هذا العيد ايضا باسم

---

(١٨) انظر المدخل ص ٣٩ ، هامش (٢) .

(١٩) محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٣٥ ؛ رشاد الشامى ، الشخصية اليهودية ، ص ٢٠٢ ؛ الموسوعة العبرية الكبيرة ، ج ٣٠ ، ص ٤٣١ ، ٤٣٢ .

(٢٠) محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٣٦ .

(٢١) حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٠٣ ؛ محمد بحر اليهودية ، ص ١٣٤ ؛ نريمان عبد الكريم ، معاملة غير المسلمين ، ص ١٦١ ؛ هويدا عبد العظيم ، المجتمع فى مصر ، ص ٦٨ ، نبيل عبد الحميد ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ١٧٧ ؛ عبلة حنفى ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ٢١٢ ؛ جيلان عباس ، الاعياد والاحتفالات ، ص ١٤٥ ؛

« عيد الحصاد » لأنه يحدد الفترة الانتقالية من عام زراعى الى عام آخر (٢٢) .

وبجانب الشكل الزراعى لهذا العيد كان له جانب دينى وفقا لما جاء فى التوراة ، لكى تعلم أجيالكم انى فى مظال اسكنت بنى اسرائيل لما اخرجتهم من أرض مصر » (٢٣) .

وقد ذكر عيد المظال أيضا فى سفر زكريا (٢٤) ، على اعتبار انه عيد المطر الذى يجعل كل الشعوب تسجد للرب إله الجيوش وتحتفل بعيد المظال ، وهو عيد خروج بنى اسرائيل من مصر بعد فرارهم من فرعون وقبل أن يدخلوا الى أرض اسرائيل وبعد أن تلقى موسى الوصايا العشر على جبال الطور ، جلس بنو اسرائيل داخل المظال التى حمتهم من المطر والشمس فأكلوا بها وناموا ، وكان عيداً للخروج من مصر (٢٥) .

ولذلك اعتاد اليهود فى هذا العيد الجلوس تحت ظلال سعف النخيل الأخضر وأغصان الزيتون وغيرها من الأشجار التى لا يتناثر ورقها على الأرض تذكارا للغمام الذى أظلهم به الله تعالى بعد خروجهم من مصر (٢٦) ، وفى الليلة الأولى من هذا العيد كان يتحتم

(٢٢) سفر الخروج ، الاصحاح الثالث والعشرون فقرة ١٤ : ١٧ ؛ الاصحاح الرابع والثلاثون ، فقرة ٢٢ : ٢٣ ؛ عبلة حنفى ، الحياة الاقتصادية ، ص ٢١٢ .

(٢٣) سفر اللاويين ، الاصحاح الثالث والعشرون ، فقرة ٤٣ .

(٢٤) سفر زكريا ، الاصحاح الرابع عشر ، فقرة ١٦ : ١٩ .

(٢٥) الموسوعة العبرية الكبيرة ، ج ٢٦ ، حرف س • ع ١٩٩١ م ، ص ٢٧ .

(٢٦) يوسف ابراهام ، المرشد الامين ، ص ٨٦ ، ٨٧ ؛ النويرى ، نهاية الارب ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ص ٤٧٢ ؛ القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج ٢ ، ص ٤٣٦ ، ٤٣٧ ؛ سنام عبد اللطيف ، الجيتو اليهودى ، ص ١٨٨ .

على اليهود أن يجلسوا في المظلة لتناول الوجبة الأساسية وفي الأيام التالية كان يمكنهم تناول طعام بسيط يمكن بعده تناول الطعام خارج المظلة ، ولكن هناك رأى لرابى اليعازر بأن الذى يجمل ويزين المظلة لا يمكنه الأكل خارجها بل يجب عليه أيضا أن يتناول كل طعامه فيها ، كما كان يرى أن النوم يجب أن يكون داخل المظلة ، لكى تكون المظلة كالبيت الدائم ، ومع هذا فقد جرت العادة أن يعفى من النوم بها ، بسبب البرد الشديد أو الحر الشديد ، كما كان يعفى من الجلوس فيها فى حالة وجود مطر شديد يتسرب الى داخلها ، وكان يسمح فى هذه الحالة لليهودى بالعودة الى منزله والنوم فيه (٢٧) .

وجرت عادة اليهود إبان هذا العيد أن يقوموا بسكب الماء على المذبح ، وعند اقتراب الفجر ، ومع حلوله كانوا يقومون بالنفخ فى الأبواق بالصيحات وهم يقومون بضخ المياه ليحصلوا على ماء السكب (٢٨) .

وكان عيد المظلة يختم بما يسمى « شيمنى عصرت » أى الثامن الختامى ، وقد ارتبط هذا اليوم ابتداء من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى بعيد « فرحة التوراة » الذى يسمى « سمحت توراة » وفى يوم عيد فرحة التوراة هذا كان اليهود ينتهون من قراءة كتب موسى الخمسة ، وكان الاحتفال يبدأ بمواكب يحمل فيها لفائف التوراة ويدور الاولاد تحت سن الثالثة عشرة حول منصة القراءة فى المعبد تحت مظلة شال التوراة (٢٩) .

(٢٧) الموسوعة العبرية الكبيرة ، ج ٢٦ ، ص ٢٧ ، جيلان عباس ، الأعياد والاحتفالات ، ص ١٤٥ .

(٢٨) الموسوعة العبرية الكبيرة ، ج ٢٦ ، ص ٢٩ ، جيلان عباس ، الأعياد والاحتفالات ، ص ١٤٦ .

(٢٩) محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٢٤

وكانت قراءة التوراة تعد من الأمور المهمة والضرورية في عيد المظلة وفقا لما جاء في التوراة في عيد المظال حينما يجيء جميع اسرائيل لكي يظهروا أمام الرب الهك في المكان الذي يختاره تقرأ هذه التوراة امام كل اسرائيل في مسامعهم ، أجمع الشعب الرجال والنساء والأطفال والقريب لكي يسمعوا ويتعلموا أن يتقوا الرب الهكم ويحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة » (٣٠) .

وقد جرى عرف اليهود أثناء هذا العيد الدخول الى المعبد للصلاة ، وفي يد كل واحد منهم غصن من الأغصان التي تستعمل في تهيئة هذه الظلل ، فيضربون على الكراسي بهذه الأغصان حتى تتساقط أوراقها كلها ، ويعتقدون أنه مع سقوط الأوراق تسقط عنهم ذنوبهم التي ارتكبوها طوال السنة (٣١) .

وكان يتم تخزين المحصولات الزراعية الغذائية أثناء الاحتفال بهذا العيد للسنة كلها ، عن طريق تكديس المؤن من التمر والتين الجاف والزيتون والزبيب والنبيذ لذلك كان هذا العيد يسمى أيضاً بالعبرية « حج ها أسيف » أي عيد التخزين (٣٢) .

والعيد الرابع هو عيد الفصح (٣٣) ، والفصح هو عيد

---

(٣٠) سفر التثنية ، الاصحاح الحادى والثلاثون ، فقرة ١٠ ، ١٢ ؛ عبلة حنفي ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ٢١٤ .

(٣١) حسن ظاظا ، الفكر الديني ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، عبلة حنفى الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ٢٦٤ .

(٣٢) سفر التثنية ، الاصحاح السادس عشر ، الفقرة ١٣ ؛ حسن ظاظا ، الفكر الديني ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٣٣) موسى بن ميمون ، دلالة الحائرين ، ج ٣ ، ص ٦٥٥ ؛ يوسف ابراهام ، المرشد الأمين ، ص ٧٧ ، ٧٨ ؛ نبيل عبد الحميد ، الحياة الاقتصادية ، ص ١٧٦ ؛ نريمان عبد الكريم ، معاملة غير المسلمين ، ص ١٦١ ؛ هويدا عبد العظيم ، المجتمع في مصر الاسلامية ، ص ٦٨ ؛ عبلة حنفي ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ٢١٤ ؛ جيلان عباس ، الأعياد والاحتفالات ، ص ١٤٨ .

الربيع عند اليهود (٣٤) ، وقد سمى أيضا عيد الفطير ، وكان موعده فى التاسع عشر من شهر نيسان (آخر مارس أوائل ابريل) (٣٥) ، وقد اختلفت الطوائف اليهودية حول مدة الاحتفال بهذا العيد فهى سبعة أيام عند القرائيين ، وثمانية عند الربانيين، وستة فقط لدى السامرة (٣٦) ، ويعد الاحتفال بهذا العيد بمثابة احياء لذكرى نجاة بنى اسرائيل من فرعون ، وخلاصهم من العبودية فى مصر ، ومن هنا جاء اختيار « سعديا الفيومى » من علماء اليهود ان يسموه « الفسخ » أى الفرج بعد الضيق (٣٧) .

وقد اكتسب هذا العيد على مر العصور أكثر من اسم ، لكل منها معناه ومغزاه ، وأشهر هذه الاسماء الفصح ، وأصل معناه القديم الحظو والمرور والعبور ، ويذكر هذا الاسم اليهودى بأكثر من شىء منها مرور ملك العذاب فوق أرض المصريين دون المساس باليهود ، ومرور الشتاء ليفسح المجال للربيع ، وعبور اليهود من العبودية الى الحرية ، وعبور البحر مع موسى (٣٨) .

وكلمة الفصح تعني فى التوراة الضحية التي ضحى بها اسرائيل فى الرابع عشر من نيسان (آخر مارس وأوائل ابريل)

---

(٣٤) حسن ظاظا ، الفكر الديني ، ص ٢١٨ .

(٣٥) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ١٨٧ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٧٣ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٢/ ص ٤٣٧ .

(٣٦) مراد فرج ، القراءون والربانيون ، ص ١٧ ، ١٨ ؛ حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢١٨ ؛ محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٣٣ .

(٣٧) النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ١٨٧ ، ابن الوردى ، تتمة المختصر ، ص ١٠٢ / أبو الفداء ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٨٨ ؛ حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢١٨ ؛ نبيل عبد الحميد ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ١٧٦ ؛ عبلة جنفى ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ٢١٤ .

(٣٨) حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢١٩ .

مساء ، اى عشية خروج بنى اسرائيل من مصر ، وهناك عيد آخر اسمه عيد الفطائر ملحق بعيد الفصح فهو يبدأ فى اليوم الخامس عشر من نيسان وفقا لما ورد فى التوراة (٣٩) .

وكان يمسح بدم الضحية على جلق الباب فى المنازل التى يسكن بها اليهود (٤٠) .

وكان يتم الاحتفال بهذا اليوم باكل الخبز المصنوع من عجين فطرى لا يدخله الملح ولا الخميرة تذكارا بانهم عند فرارهم مع موسى من وجه فرعون لم يكن لديهم الوقت ولا فراغ البال للتأنق فى الخبز والانتظار على العجين حتى يخمر (٤١) ، وفى هذا العيد كان يجتمع افراد العائلة حول مائدة تضم صينية تحتوى على بعض اصناف الطعام مرتبة ترتيبا خاصا ، وكانت هذه الأصناف تتألف من ذراع خروف محمر ، وبيض مسلوق ، وخس وعشب وكرفس وكوب خل وماء مالح وحلوى مصنوعة من زبيب او بلح مع اللوز ، ولكل صنف من الاصناف رمز خاص به فالبيض المسلوق تذكار لقربان العيد الذى كان يقدم قديما فى الهيكل ، والخس والعشب المر والكرفس والخل او الماء المالح تذكر للحياة القاسية التى عاشها اليهود فى مصر ، والحلوى ذكرى للطين الذى يضعه اليهود ايام استعبادهم فى مصر ، ويقص فيه رب البيت على افراد العائلة قصة خروج اليهود من مصر وتكون هذه المائدة فى الليلتين الاولى والثانية من عيد الفصح . ويجب على كل شخص فى هاتين

---

(٣٩) سفر الخروج ، الاصحاح الثانى عشر فقرة ٦ : ٧ ؛ سفر اللاويين ، الاصحاح الثالث والعشرون ، فقرة ٥ : ٨ .

(٤٠) سفر الخروج ، الاصحاح الثانى عشر فقرة ٧ : ٨ .

(٤١) حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢١٩ ، الفت جلال ، العقيدة الدينية ، ص ٧٦ ؛ رشاد الشامى ، الشخصية اليهودية ، ص ١٠٧

الليلتين ان يشرب أربع كئوس من نبيذ ، الكاس الأولى من أجـل التقديس ، والثانية بعد تقديم الشكر على الخلاص من العبودية ، والكاس الثالثة بعد تقديم الشكر لأجل الطعام ، أما الرابعة فيتم شربها بعد تلاوة التمجيد للرب ، وعيد الفصح هو وقت القيـام بالحج الى بيت المقدس (٤٢) .

ويبدو أن بعض اليهود كانوا يلجئون الى خلط عجينة فطيرة الفصح بدم بشرى يفضل أن يكون من احد المسيحيين أول احـد المسلمين (٤٣) .

كما اعتاد اليهود فى أثناء هذا العيد تناول اللحوم المشوية بشرط عدم طهيها بالماء ، وبشرط أن يتم تناولها بعد الشى مباشرة ، وقد ورد فى التوراة أن الشعب اليهودى كان عليه ارتداء الاحذية وقت تناول الطعام ، وكان يمنع اليهودى أيضا من ترك اى شىء من اللحم حتى صباح اليوم التالى ، وفى حالة بقاء شىء منه يحرق بالنار (٤٤) .

وقد تم بعد ذلك اضافة بعض الفقرات الى سفر الخروج فى الإصحاح الثانى عشر مثل " كل ابن غريب لا ياكل منه ... ولكن كل عبد رجل مبتاع بفضة تختنه ثم يأكل منه ... (٤٥)

---

(٤٢) محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٣٣ ؛ سناء عبد اللطيف ، الجيتو ، ص ١٨٧ .

(٤٣) يوسف ابراهام ، المرشد الأمين ، ص ٨١ ؛ حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ٢٢٣ .

(٤٤) الموسوعة العبرية الكبيرة ، ج ٧٧ ، حرف ع - ف ، ص ٩٤٧ ؛ نبيل عبد الحميد ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ١٧٧ .

(٤٥) سفر الخروج ، الاصحاح الثانى عشر ، فقرة ٤٣ . ٤٩

وكانت الفطائر تؤكل خلال سبعة ايام ، ويحتزم فى أيام السبت اكل الفطير المختمر . اما بالنسبة لموضوع الضحية فتكون فى خلال سبعة ايام على النحو الآتى لكل اسرة (ثوران، وغزالة واحدة وسبعة كباش) مثلما كان يحدث فى عيد الاسابيع ، وهذا العدد يعد أقل من ضحية عيد المظلة مع انه جاء فى سفر حزقيال (٤٦) ، أن الأضحية الخاصة بعيد الفصح كانت مساوية لضحية عيد المظال (٤٧) .

اما عن الطقوس التى كانت تتم داخل المعبد اليهودى ، فكانت تتمثل فى قراءة الاشياء المعتادة فى المعبد ، وفى يوم السبت الذي يلى عيد البوريم (٤٨) ،ويتم قراءة قضية تفسير البقرة التى وردت فى سفر العدد (٤٩) حتى يذكر الجميع موضوع الطهارة الواجبة للعيد ولضحية الفصح . اما يوم السبت الذى ياتى قبل اول الشهر فى نيسان فكانت تقرأ قضية تفسير الجديد من سفر الخروج (٥٠) التى تهتم بالفطائر وبخاصة فى عيد الفصح . وفى اول يوم للفصح كانت تصلى صلاة الظل ، وفى سبت بداية العيد كانت تقرأ لقالة نشيد الاناشيد ، اما فى ايام حلول العيد فى اليوم السابع للفصح فكان يقرأ المديح والتسابيح ، وفى كل يوم اثنين كانت تقرأ التوراة ، وهذا لا وجود له فى عيد المظلة (٥١) ، وفى آخر يوم تكون اغنية البحر فى قضية البعث فى سفر الخروج (٥٢) .

(٤٦) سفر حزقيال ، الاصحاح الخامس والاربعون فقرة ٢١ ، ٢٥ .

(٤٧) الموسوعة العبرية الكبيرة ، ج ٢٧ ، ص ٩٤٧ .

(٤٨) انظر عيد البوريم فى هذا الفصل .

(٤٩) سفر العدد ، الاصحاح التاسع عشر فقرة ٦ ، ٧ .

(٥٠) سفر الخروج ، الاصحاح الثانى عشر ، فقرة ١ ، ٢

(٥١) سفر التثنية ، الاصحاح السادس ، الفقرة ٨ ، ١٦ .

(٥٢) سفر الخروج ، الاصحاح الثالث عشر ، فقرة ٩٧ ، ١٥ ؛ الاصحاح السادس والعشرون ؛ الموسوعة العبرية الكبيرة ، ج ٢٧ ، ص ٩٥٢ .

وكان اليهود يودعون عيد الفصح بالمزامير والمدائح والتراتيل والاغانى ، كما كانوا قديما يضحون فى هذا العيد ويقدمون سنبلة شعير على المذبح شكرا للرب على المحصول لأن هذا العيد كان ايضا عيداً للربيع (٥٣) .

اما خامس الأعياد الشرعية فهو عيد الأسابيع ، أو عيد المنصرة أو عيد الخطاب (٥٤) ، وكان موعده فى السادس من سيوان (يونيه) ، ولقد ورد فى ذكر هذا العيد فى التوراة فى كل من سفر الخروج (٥٥) ، وسفر التثنية (٥٦) وسمى بعيد الحصاد فى سفر الخروج (٥٧) وبيوم البكورة فى سفر التثنية (٥٨) ، ومن هذين الاسمين يمكن التعرف على الطابع الزراعى الخاص الذى يعبر عنه هذا العيد الذى كان يحين فى موعد حصاد محصول الحنطة (٥٩) . لذا كان يعرف باسم شفوعوت بالعبرية اى عيد الحصاد (٦٠) .

---

(٥٣) يوسف ابراهام ، المرشد الأمين ، ص ٨٦ ؛ محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٣٣ ، ١٣٤ ؛ حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٢٣ .

(٥٤) سفر الخروج ، الاصحاح الرابع والثلاثون ، فقرة ٢٢ ؛ محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٣٤ ؛ نريمان عبد الكريم ، معاملة غير المسلمين ، ص ١٦٢ ؛ نبيل عبد الحميد ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ١٧٧ ، جيلان عباس ، الاعياد والاحتفالات ، ص ١٥٥ .

(٥٥) سفر الخروج ، الاصحاح الرابع والثلاثون ، فقرة ٢٢ .

(٥٦) سفر التثنية ، الاصحاح السابع عشر ، فقرة ١٠ ، ١٦ .

(٥٧) سفر الخروج ، الاصحاح الثالث والعشرون ، فقرة ١٧ .

(٥٨) سفر التثنية ، الاصحاح الثامن والعشرون ، فقرة ٢٥ .

(٥٩) الموسوعة العبرية الكبيرة ، حرف الشين ، ١٩٨٠ م ، ص ٣٨٨ .

(٦٠) حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٢٨ ؛ محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٣٤ .

وفى هذا اليوم انزل الله تعالى على بنى اسرائيل الفرائض المتضمنة الوصايا العشر المنسوبة الى نبى الله موسى عليه السلام ، كما يمثل هذا العيد ذكرى مخاطبة الله لشيوخ بنى اسرائيل مع موسى على جبل طور سيناء على ما يزعمون . وكان اليهود يصنعون فى هذا العيد الحلوى التى يتفننون فى عملها ويأكلونها ، ولهذا العيد اسم عبرى هو « عشرتا » بمعنى الاجتماع (٦١) .

وقد اعتاد اليهود فى هذا العيد تناول الاطعمة المصنوعة من الالبان ، كما كان من مظاهر هذا العيد تزيين المنازل باللون الأخضر وتجميلها بوضع اوراق على شكل نبات من النباتات المقدسة (٦٢) .

وكان يهود مصر فى العصر المملوكى يرتدون فى هذا العيد الملابس البيضاء ، وكان من عاداتهم ايضا فى هذا العيد تقطيع التفاح الى أجزاء صغيرة وتوزيعه فى المعابد على الأطفال ، وكانوا يرددون هذا الدعاء « هكذا يكافىء الله شعب اسرائيل المشرد فى اى مكان والله قادر على جمعنا معا مرة أخرى ... » (٦٣) .

اما عن أعياد اليهود المحدثة والتى لم ترد فى التوراة ولكن تمت اضافتها الى الأعياد التى نص عليها العهد القديم كذكرى لحوادث معينة ، واحتفل بها اليهود فى العصر المملوكى ، فيأتى على راسها عيد الفوز الذى كان يعرف عندهم باسم « البوريم »

---

(٦١) يوسف ابراهام ، المرشد الامين ، ص ٨١ ؛ النويرى ، نهاية الارب ، ج ٨ ، ص ١٨٨ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ٤٧٣ ؛ القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج ٢ ، ص ٤٣٧ ؛ ابو الفداء ، المختصر ، ج ١ ، ص ٨٨ .

(٦٢) الموسوعة العبرية الكبيرة ، حرف الشين ، ص ٣٨٨ .

(٦٣) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 380, 381.

أو عيد استير ، وكان اليهود يحتفلون فيه بذكرى نجاتهم على يد امرأة يهودية تدعى استير ، كانت قد تزوجت بأحد ملوك الفرس ، وكان لهذا الملك وزير يدعى هامان اراد ان يهلك اليهود ، غير أن استير استطاعت ان تحبط مؤامرة هامان ، ودبرت له مكيدة قضت عليه ، لذلك كان يعد عندهم بمثابة عيد فرح وسرور ، وتوزع فيه الهدايا على الأصدقاء والفقراء (٦٤) ، وكان موعد الاحتفال بهذا العيد فى الثالث عشر من شهر آذار (مارس) ، وكان يعرف عند الكتاب العرب باسم « عيد المسخرة » او عيد « المساخر » بسبب ما كان يجرى فيه من اسراف اليهود فى شرب الخمر والسكر ولبس الأقنعة والملابس التنكرية على طريقة المهرجان او الكرنفال (٦٥) .

وقد بالغ اليهود ابان العصر المملوكى فى اظهار السرور فى أثناء احتفالاتهم بهذا العيد ، وصاروا يضعون هيكلا ورقيا ويملئونه بالنخالة رمزا لهامان ليعبثوا به فى مهرجان يضم سائر اليهود ثم يقومون بحرقه فى النهاية (٦٦) .

(٦٤) سفر استير ، الاصحاح الأول وما بعده ؛ النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ١٨٩ ؛ ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١٠٣ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٧٣ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٤٣٧ ؛ الفت جلال ، العقيدة الدينية ، ص ٧٩ ؛ سهام عبد اللطيف ، الجيتو اليهودى ، ص ١٨٨ ؛ سيوور فارحى ، كتاب الصلوات حسب طقس السفارديم ، تعريب هلال يعقوب فارحى ، ط (٢) ، ١٩٣١ ، ص ٦٤ ؛ الموسوعة العبرية الكبيرة ، ج ٥ ، حرف (١) ص ٩٨ وما بعدها ؛ عبلة حنفى ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ٢١٦ ؛ جيلان عباس ، الاعياد والاحتفالات ، ص ١٥٢ .

(٦٥) حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٠٧ ؛ عبلة حنفى ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ٢١٧ .

(٦٦) النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢ ، ص ١٨٩ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٧٣ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٤٣٧ .

والعيد الثانى من أعياد اليهود المستحدثة هو عيد «الحنكة» أو «الحانوكة» ومدة الإحتفال به ثمانية أيام تبدأ فى ليلة الخامس والعشرين من شهر كسلو (ديسمبر) ، وترجع مناسبة هذا العيد الى سنة ١٦٥ ق٠م حيث كانت بلاد الشام تحت الحكم البطلمى وحاول انطيوخوس (٦٧) ارغام اليهود على عبادة الأصنام ولكن الكاهن الأكبر متاتيا قاد حركة مقاومة ضده يعاونه فى ذلك احـد ابنائه ، وقد أمكن للكاهن متاتيا بمساعدة أصغر ابنائه من استعادة الهيكل اليهودى أو المعبد من جيوش البطالمـة ، وفى الخـامس والعشرين من كسلو تم تنظيف المعبد من التماثيل اليونانية وقـام متاتيا وابنه يهوذا بتزويده بمذبح طاهر جديد ، وبعدها تم فتح المعبد من جديد للشـعائر الدينية ، ولكنهم لم يجدوا الوقود الكافى لاضاءة الهيكل فاضطروا الى اضاءة عدد من المصابيح التى كانوا يشعلونها على الأبواب فى كل ليلة لمدة ثمانى ليال بالكم المتوافـر لديهم من الوقود ، وقد أطلق على هذا العيد أيضا اسم التدشين لأن المعبد أعيد فتحه من جديد (٦٨) ٠

---

(٦٧) انطيوخوس الرابع الملقب باسم أبيفانيس ١٧٥ - ١٦٣ ق٠م ، كان واحدا من ابرز ملوك البيت السليوقى واشدها عشقا للحضارة الاغريقية ، وبناء الحواضر العامرة الجديدة ، واعادة بناء الحواضر الشرقية العتيقة على طراز هللينى جديد ، وجاء بالمستوطنين الجدد من مقدونيا وبلاد اليونان ليعيد دعم العنصر الاغريقى فى الشرق الأدنى ، كما كان مغرما بطريقة الحياة الرومانية ، كما كان كريما جوادا ، متواضعا ، مولعا بالمرح والحياة ، وكان محبوبا من شعبه ، فقد نجح فى الوصول بمملكته الى أعلى درجة من الكفاءة والمقدرة ، انظر سيد أحمد على الناصرى ، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى فى العصر الهلينستى ، القاهرة ١٩٩٢ م ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ ٠

(٦٨) محمد بحر اليهودية ، ص ١٣٧ ؛ سناء عبـد اللطيف ، الجيتو ، ص ٢٨٨ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ،

M. Grünbaum, Beiträge Zur Vergleichenden Mythologie aus der Hagada ; ZDMG, 31, 1877, p. 281.

عبلة حنفى ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ٢١٥ هامش ٣ ٠

وكان الاحتفال بهذا العيد يبدأ بإشعال شموع « الحانوكا » واللفظة الأخيرة اختصار لكلمة افتتاح المذبح ، وكان اشعال الشموع واجبا على كل يهودى ، وذلك بأن يضع شمعة أمام مدخل البيت من الخارج ، وأحيانا كان يتم وضعها على المائدة ، وعادة اشعال الشموع كان يقوم بها الرجال والنساء على حد سواء ، لأن من يشعل الشموع كان يبارك ببركتين : واحدة للاشعال وأخرى للمعجزة الخاصة بهذا العيد ، وبعد ذلك كان اليهود يقومون بأداء صلاة قصيرة ، ثم يقومون بمباركة الطعام بحديث عن المعجزات الخاصة بالحانوكا ، وفيها يكون الحديث عن انقاذ الرب لحفظة التوراة (٦٩) ، كما يقرأ على اشعال الشموع فى الشمعدان كما ورد فى التوراة فى سفر الخروج (٧٠) ، وكان يحرم الحزن والصيام على جميع اليهود فى أيام الاحتفال الثمانية لعيد المشاعل أو الحانوكا ، كما اعتادت النساء على الراحة وعدم العمل فى هذا اليوم فى وقت اشعال الشموع ، وكان معظمهن ينشغلن بتناول الاطعمة ، وكان اكل الحلوى من الزلابية مشهورا فى هذا العيد (٧١) .

وقد عثر على مينوراة ترجع الى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ، كانت تستخدم فى عيد الحانوكا (٧٢) ، والمينوراة كلمة عبرية تعنى الشمعدان ، أصلها الشمعدان الذهبى ذو الفروع السبعة الذى كان قائما فى خيمة الإجتماع ، وكان فى هيكل سليمان عشر مينورات ذهبية فضلا عن مينورات فضية ، وتأخذ المينوراة شكل شجرة يخرج منها سبعة فروع فنجد قائما فى الوسط حوله من كلا الجانبين ثلاثة فروع ، فهى تأخذ مكـزة

(٦٩) الموسوعة العبرية الكبيرة ، حرف الحاء ، ١٩٨٠ م ، ص ٧١١ .

(٧٠) سفر الخروج ، الاصحاح الثامن فقرة ١٠ - ٤ .

(٧١) الموسوعة العبرية الكبيرة ، حرف الحاء ، ص ٧١١ .

(٧٢) الموسوعة العبرية الكبيرة ، حرف الحاء ، ص ٧١٥ .

تفسير لشعلاتها السبع بأنها أعين الرب الحامية فى الأرض ، كما شجرة الحياة . وقد جاء فى سفر زكريا (٤ : ٢ — ٣ ، ١١ — ١٢) تفسير لشعلاتها السبع بأنها أعين الرب الحامية فى الأرض كما تفسر احيانا بأنها ترمز لأيام الخلق الستة ويوم السبت ، ويفسر يوسيفوس شعـلات الميتـوراة بأنهـا ترمـز الى الكواكـب السبعة (٧٣) .

وفى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميـلادى كان طراز المينوراة شائعا ، وأخذت مينوراة الحانوكا مكانها على يمين عقد التوراة طوال العام وهذا مماثل لمكان المينوراة الذهبيـة فى المعبد القديم ، وقد تطورت مينوراة عيد الحانوكا من المسرجـة البسيطة الفخارية التى تشعل بالزيت فى العـصر الرومـانى ، ووجدت مينوراة الحانوكا على نوعين احدهما للايقـاد فى المنازل ولها حائط ساند ، وبها فجوات صغيرة لوضع الفتائل أو المصابيح ويطلق عليها حانوكا طراز المقعد او النيش (٧٤) .

وقد شاهد القلقشندى أحد احتفالات اليهود بهذا العيد ، ومن المعروف أن القرائيين لا يعترفون بهذا العيد (٧٥) .

أما فيما يتعلق بيوم السبت (٧٦) ، فيعتبر العيد الأسبوعى لليهود وهم يقدسونه لاعتقادهم بأن الرب استراح فيه بعـد ان

---

(٧٣) المسيرى ، موسوعة المفاهيم ، ص ٢٨٨ ؛ سمية حسن المعبد اليهودى ، ص ٨ ، ٩ .

(٧٤) سمية حسن ، المعبد اليهودى ، ص ١٠ ، ١١ .

(٧٥) المقريزى ، الخطط ، ص ٤٧٢ ؛ ترتون ، أهل الذمة ، ص ١٢٠ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ١٢٧ ؛

Grünbarm, Beiträge, p. 281.

(٧٦) موسى بن ميمون ، دلالة الحائرين ، ج ٢ ، ص ٣٩٢ ؛ نبيل عبد الحميد ، الحياة الاقتصادية ، ص ١٧٩ .

خلق العالم وكان الاحتفال بهذا اليوم يبدأ من غروب شمس الجمعة ويستمر حتى غروب يوم السبت ، ومن مظاهر الاحتفال به الكف عن القيام بأى عمل ، كما نص على ذلك صراحة فى الوصايا العشر المنسوبة الى موسى فى التوراة ، وقد تكررت الوصايا العشر بنفس الألفاظ تقريبا فى الاصحاح العشرين من سفر الخروج ، والاصحاح الخامس من سفر التثنية ، ومن المواضع التى اختلفت فيها الروايتان الموضع الذى تشرح فيه حكمة تعطيل العمل يوم السبت ، فرواية الخروج تجعل ذلك لأن الله نفسه استراح فى هذا اليوم بعد انتهائه من تكوين الخليقة ، وتقول : « ... واليوم السابع سبت للرب الهك ، لا تصنع فيه عملا لك ، أنت وابنك وابنتك وعبدك وامتك وبهيمتك ونزيلك الذى فى داخل أبوابك ، لأن الرب فى ست أيام خلق السموات والأرض والبحر وجميع ما فيها ، وفى اليوم السابع استراح ، ولذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه » (٧٧) ، وفى رواية سفر التثنية يبدو أن الحكمة فى تقديس يوم السبت ترجع الى الرغبة فى تمكين الانسان والحيوان من الراحة بعد أسبوع من العناء ، ولا يرتبط ذلك هنا بأن الله استراح فى اليوم السابع ، بل ربما كان المفهوم من السياق هو ربط هذه الراحة بالتحرر من السخرة والعبودية ، عندما كان قوم موسى لا يزالون فى مصر عبيدا لفرعون يعملون بأمره ، ولا يحق لهم أن يستريحوا يوما واحدا فى الأسبوع ، فهذه الرواية تقول : « احفظ يوم السبت وقدسه كما أمر الرب الهك ، وفى ستة أيام تعمل وتصنع جميع اعمالك واليوم السابع سبت للرب الهك لا تعمل فيه عملا أنت وابنك وابنتك وعبدك وامتك وثورك وحمارك وسائر بهائمك ، ونزيلك الذى فى داخل أبوابك لكى يستريح عبدك وامتك مثلك ، واذكر أنك كنت عبدا فى أرض مصر فأخرجك الرب

(٧٧) سفر الخروج ، الاصحاح العشرون ، الفقرة ٨ : ١٢ ؛ نبيل عبد الحميد ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ١٧٩ .

الهك من هناك بيد قوية وذراع ممدودة ولذلك أمرك الرب الهك بأن تحفظ يوم السبت.» (٧٨) .

وعادة ما يكون على المائدة رغيفان كذكرى للمن والسلوى اثناء تجوالهم فى البرية ويكون الرغيفان على شكل جدائل رمزا لأكليل العرس ، اذ ان السبت يرمز اليه كعروس ، ويودع السبت بتلاوة صلوات البركة ، مما استقبل فى تمجيد الرب حول قدح من نبيذ أو اى شراب ، وعادة ما تكون القراءة حول شمعة (٧٩) .

وعادة ما يكون على المائدة رغيفان كذكرى للمن والسلوى على تنفيذ الأوامر المتعلقة به ، وقد أمدنا احد المراجع الذى يرجع الى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى بالعديد من التفاصيل المتعلقة باستقبال اليهود لهذا اليوم ، فأشار الى أنهم كانوا يجلسون على شكل دائرة فوق سجادة ويقف الساقى بالقرب منهم وأمامه قطعة صغيرة من النسيج يبسطها فوق السجادة ثم يقوم باحضار كل أنواع فاكهة الموسم ويضعها على قطعة النسيج ويبدأ الضيوف بأخذ كئوس الخمر مترنمين بالصلوات (القدوش) حتى يفرغوا من شرابهم تماما ، فيقوم الساقى بجمع الكئوس منهم ويضعها بترتيب الجماعة الموجودة ، وعادة ما يعيد ملأها مرة ثانية ليشربوها الى نهايتها ثم يبدأ كل ضيف بأخذ ثمرتين أو ثلاث ثمرات من الفاكهة فيأكل بعضها ، فى الوقت الذى

---

(٧٨) سفر التثنية ، الاصحاح الخامس ، فقرة ١٣ : ١٦ ؛ حسن ظاظا ، الفكر لديني ، ص ١٩٩ ، ٢٠٠ .

(٧٩) حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ١٩٩ ؛ محمد بحر ، اليهودية ص ١٣٢ .

يردد فيه باقى الجماعة عبارات الدعاء بالصحة والحياة (٨٠)، وبعدها يتوجهون بملابسهم الجديدة الى المعبد، حيث يقومون بترديد الأغانى والأناشيد، ثم يقومون بأداء صلاة المغرب، وتستمر الصلاة الى ساعتين من الليل، ثم يرجعون بعد ذلك الى منازلهم ويقومون بالتقديس، ثم يأكلون خبزاً فى حجم الزيتونة وبعدها يقومون بأداء بركة الطعام، وبسبب كل هذه العادات كان اليهود لا يؤدون فى عشية أيام السبت صلاة العصر جماعة (٨١) .

ويلاحظ وجود عدة اختلافات بين القرائيين والربانيين فيما يتعلق بيوم السبت (٨٢)، فقد تشدد عنان بن داود (٨٣) فى أحكام السبت فحرم العلاج بالأدوية يوم السبت كما حرم اجراء الختان وان كان قد جعله عند مغيب هذا اليوم، ومنع كذلك الخروج يوم السبت مثلما منع أكل الأطعمة الساخنة وايقاد الشموع ليلة السبت، حتى ولو تم اشعالها بواسطة شخص غير يهودى، فى الوقت الذى أوجب فيه اعداد الطعام والخبز قبل الدخول فى السبت — أى حتى مغيب شمس يوم الجمعة — لاستخدامه يوم السبت، كما أجاز عنان نقل الماء للشرب من أى مكان فى يوم السبت (٨٤) .

---

(٨٠) Adler, Jewish Travellers, p. 220.

(٨١) Adler, Jewish Travellers, p. 221.

(٨٢) محمد بحر، اليهودية، ص ٤٨ .

(٨٣) انظر الباب الثالث الفصل الأول .

(٨٤) مراد فرج، القراءون والربانون، ص ١١٥ ؛ محمد الهوارى، السبت والجمعة فى اليهودية والاسلام، القاهرة ١٩٨٨ م، ص ٤٣ ؛ الاختلافات بين القراءين والربانين، ص ٥٠ .

وأجاز الربانيون الجماع فى يوم السبت ، بل أوجبوه تبركاً بالسبت ، لأنهم كانوا يعتبرونه يوما للمتعة ، أما القراءون فكانوا يحرمون الجماع فى هذا اليـــوم ، لأنه يوم مقدس للرب يجب أن يكون المرء فيه طاهرا ، واستندوا فى ذلك الى ما ورد فى العهد القديم (٨٥) ، واعتبروا أن المضاجعة لابد أن تكـــون من أجـــل النسل ، وحرموا كذلك مضاجعة الحامل على العكس من الربانيين الذين كانوا يسمحون بذلك (٨٦) .

أما فيما يتعلق بنقل الاحمال فى يوم السبـــت ، فقـــد ورد قول ارميا « ... تحفظوا بأنفسكم ولا تحملوا حملا يوم السبت ولا تدخلوه فى أبواب أورشليم ، ولا تخرجوا حملا من بيوتكم يوم السبت ... » (٨٧) . لذا كان حمل اى شىء ونقله من مكان الى آخر سواء من ملكية خاصة أو عامة من الأعمال المحرمة فى يوم السبت (٨٨) .

كذلك كان الخروج من محل الاقامة له قواعد وقيود فى يوم السبت ، فقد جاء فى العهد القديم « ... لا يخرج أحد من مكانه فى اليوم السابـــع ... » (٨٩) الا للضرورة كالأكـــل والشرب والصلاة ، وان كان بعض القرائين قد أجازوا عيادة المريض ، كما أجاز الربانيون ركوب البحر فى يوم السبت ، وتبعهم فى ذلك بعض القرائين ، وفى حالة خروج اليهودى فى يوم السبت ، كان

---

(٨٥) انظر سفر الخروج ، الاصحاح التاسع عشر ؛ مراد فرج ، القراءون والربانون ، ص ١١٧ .

(٨٦) محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٤٩ .

(٨٧) سفر ارميا ، الاصحاح السابع عشر ، فقرة ٢١ ، ٢٢ .

(٨٨) محمد الهوارى ، الاحتفالات بين القرائين والربانين ، ص ٥٠ السبت والجمعة ، ص ٤٤ .

(٨٩) سفر الخروج ، الاصحاح السادس عشر ، فقرة ٢٩ .

يحرم عليه الابتعاد أكثر من الفى ذراع (حوالى الف وستمائة متر) خارج حدود المدينة ، ولكن الربانيين اتجهوا الى التخفيف من ذلك (٩٠) .

وبالنسبة لاشعال النيران فى يوم السبت ، فقد جاء فى التوراة « ... لا تشعلوا نارا فى جميع مساكنكم يوم السبت » (٩١) ، ومع ذلك فقد أجاز الربانيون اعداد القدر ووضعه على النار قبل دخول السبت ، فيتم طهى ما به من طعام خلال السبت ، على العكس من القرائين الذين حرموا أكل الأطعمة التى طهيت على هذا النحو بغرض أكلها ساخنة فى يوم السبت ، ويلاحظ أن القرائين لم يحرموا فقط اشعال النار فى السبت ، بل حرموا أيضا الابقاء على أية نيران مشتعلة مع دخول يوم السبت ، وقد ظل القراءون يقضون ليلة السبت فى ظلام منذ أيام عنان بن داود ، ولمدة سبعمائة سنة الى ان جاء الحاخام « الياهو بشيص » فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ، واثبت عدم فهم أسلافه من القرائين لمعنى ما جاء فى التوراة بصدد تحريم اشعال الشموع فى يوم السبت ، وأكد على أن تقديس هذا اليوم يكون بالكشف عن العمل ، حتى يأخذ الجسم قسطا من الراحة مع خلق جو من الفرحة والبهجة مع الأسرة ، ومن عناصر هذه البهجة القرب من الاضواء ، ولذلك فإننا نجد كل الشعوب على اختلاف مذاهبها وألوانها ولغاتها تكثر من الانوار والأضواء فى أعيادها (٩٢) .

---

(٩٠) محمد الهوارى ، الاختلافات بين القراءون والربانون ، ص ٥١ .

(٩١) سفر الخروج ، الاصحاح الخامس والثلاثون ، فقرة ٣ ، محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٤٨ .

(٩٢) محمد الهوارى ، الاختلافات بين القرائين والربانيين ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

وكان يحرم فى يوم السبت انفاق النقود او تسلمهـا ، لان اساس كل هذا يرجع الى البيع والشراء أو اشياء اخرى تشبه التكسب والأخذ والعطاء بين الناس ، كما كان يحرم عقد الزواج ى يوم السبت ، بسبب الحاجة الى الكتابة ودفع الأموال وقبضها والعمل فى اعداد الزفاف ونحو ذلك (٩٣) .

وقد جاء فى مرجع معاصر يرجع الى أواخر القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، بعض العادات المتبعة فى هذا اليوم اذ يذكر الكاتب « ... ان لنا ملابس خاصة لأيام السبت والاعياد ، وملابس خاصة للصلاة فى الفجر (٩٤) ، التى كانت تستمر لوقت طويل ، وفى يوم السبت كان اليهود يكثرون أيضا من الاشعار والاغانى واحيانا يكون هناك سبب آخر لاطالة الصلاة مثل احتفال احد المصلين فى المعبد بحدث عائلى مثل الختان او الزواج ، حيث يؤمر صاحب هذا الاحتفال وعائلته بالصعود الى منصة قراءة التوراة ويدعى كل أفراد أسرته لقراءة آيـات مـن التوراة والتفاسير المتعلقة بها ، وكان هذا العمل يستغرق وقتا طويلا لان أفراد الاسرة او المحتفل نفسه لا يكونون غالبا أصحاب موهبة فى القراءة السريعة (٩٥) .

وبعد ذلك كانوا يذهبون الى منازلهم ليعودوا مرة ثانية الى المعبد فى ساعة الظهيرة من أجل اداء صلاة العصر ، وفى أثناء هذه الصلاة كان احد الحكماء اليهود يقوم بالقاء دروس باللغة العربية الدارجة تحث الحاضرين على المحافظة على الأوامـر الدينيـة

(٩٣) حسن ظاظا ، الفكر الدينى الاسرائيلى ، ص ٢٠٠ ، ٢١٠ .

(٩٤) ابن زمره ، فتاوى رابى داقيد بن زمرة ، ج ٤ ، ص ١٤٨ ؛ Goitein, A. Mediterranean Society, Daily Life, pp. 155-156.

(٩٥) Ashtor, History of the Jews, II, p. 377.

وتحذرهم من مخالفة ذلك ، وكان يتعرض أيضا لبعض الأحداث الجارية ، لذلك كان المصلون اليهود ينصتون اليه بشكل جيد (٩٦) . أما باقى اليوم فكانوا يقضونه فى وسط الأسرة ، فقد أشارت بعض المصادر العربية والعبرية الى ان اليهود اعتادوا الجلوس فى هذا اليوم فى المنزل وعدم الخروج منه (٩٧) ، وكانوا يقضون وقتهم فى قراءة الكتب المقدسة وفى ممارسة الالعاب المختلفة (٩٨) .

واعتاد اليهود أيضا فى هذا اليوم تجهيز وجبات الخطوبة والزواج ، لأنه كان من الصعب على الربانيين فى الأيام الأخرى الانشغال عن اعمالهم (٩٩) ، وكانت الأطعمة تظل باقية على الموقد حتى تكون ساخنة ؛ أما الوجبات فكانت تجهز فى أوقاتها فوجبة الغداء كانت تقدم فى ظهيرة يوم السبت ، أما الوجبة الثالثة فكانت تقدم بعد صلاة العصر ، ولم يكتفوا فى هذه الوجبة بأكل الفاكهة وانما كانوا يجهزون وجبة حقيقية كباقى الوجبات (١٠٠) .

وكانت الطبقة المتوسطة من اليهود تستخدم النبيذ ، الذى كان يستخدم بكميات معقولة فى أيام السبت والعطلات وأعياد الأسرة ، وكان اليهود يتناولونه قبل الأكل وكأنه دواء من التلهود

(٩٦) Ashtor, History, of the Jews, II, p. 378.

(٩٧) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٨٠ ؛
Adler, Jewish Travellers, pp. 221, 222.

(٩٨) Ashtor, History of the Jews, II, p. 378.

(٩٩) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد بن زمرة ، ج ٣ ، ص ٨٥٤ ، ج ١٤ ، ص ٢٢ .

(١٠٠) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد بن زمرة ، ج ٢ ، ص ٧٥٤ .

وفاتح للشهية ، كما كان الواعظ نفسه يعلن انه دواء من التلمود (١٠١) .

وقد ظهر تأثير اليهود واضحا فى عادات وتقاليد المجتمع المصرى فى العصر المملوكى ، فقد أشار ابن الحاج الى أن بعض نساء المسلمين كن يأتين بعض التصرفات فى حياتهن اليومية تبدو فيها التأثيرات اليهودية واضحة ، فقد اعتادت بعض النسوة الا يشترين السمك أو اكله أو ادخاله فى بيوتهن يوم السبت ، كما أن بعض النسوة تعودن على عدم دخول الحمام أو شراء الصابون وغسل الثياب فى يوم السبت متأثرات فى ذلك ببعض العادات اليهودية المتعلقة بحرمة يوم السبت (١٠٢) .

وعن الحج فقد كان واجبا على كل ذكر بالغ وكل يهودى اذا استطاع اليه سبيلا ، ويكون ثلاث مرات فى السنة (١٠٣) ، لذا كان الحج يعتبر من المواسم المهمة فهو يمثل دوراً مهماً فى الحياة الدينية ليهود مصر ، لا سيما وقد كانت المسافة بين مصر وبيت المقدس قريبة نسبيا ، لذلك كانت رحلة الحج البرى من مصر لا تستغرق وقتا طويلا ، وكان عدد الحجاج اليهود الذين يذهبون الى بيت المقدس فى العصر المملوكى كبيرا ، وقد جاء فى احد المراجع المعاصرة أن يهود مصر كانوا يحضرون الى بيت المقدس من اجل اللجوء الى الله (١٠٤) .

---

(١٠١) Goitein, A. Meriterranean Society, Daily Life, p. 254.

(١٠٢) سفر الخروج ، الاصحاح الثالث والعشرون ، فقرة ١٧ ؛ يوسف

(١٠٣) سفر الخروج ، الاصحاح الثالث والعشرون ، فقرة ١٧ ؛ يوسف ابراهام ، المرشد الأمين ، ص ٩٠ ؛ موسى بن ميمون ، دلالة الحائرين ، ج ٣ ، ص ٦٩٣ .

(١٠٤) Adler, Jewish Travellers, p. 226.

وجرت العادة ان يحج اليهود فى ثلاثة اعياد هى الفصح والأسابيع ، والمظلة (١٠٥) ، وكان معظم الحجاج اليهود يقومون بزيارة الخليل بدليل ما ذكره بعض الحجاج المسيحيين الذين زاروا بيت المقدس فى العصر المملوكى عن كثرة عدد اليهود الذين يحجون الى الخليل ، كما ذكروا أيضا أن المسلمين كانوا يقومون بزيارة الخليل من اجل زيارة قبور الانبياء ، وكان هناك ما يعرف باسم مغارة المكفيلة اى (قبر ابراهيم) التى كانت محظورة على اليهود والمسلمين فى عصر المماليك الجراكسة (١٠٦) ، وكان اليهود يقومون بالصلاة أمام احد النوافذ الواقعة فى السور الذى يحيط بالمغارة ، وكانت معظم الحقول والبساتين فى الخليل وقفا على اليهود ، وكان يتم تقديم الخبز وكافة المأكولات يوميا للمسلمين واليهود والنصارى من ريع هذه الحقول والبساتين (١٠٧) .

ومن المزارات التى كان اليهود يقومون بزيارتها قبر راحيل الذى يقع فى الطريق بين القدس والخليل وكان المسلمون يقومون بزيارته أيضاً ، كما أنشأوا عليه قبة واقاموا بجواره عددا من الأعمدة (١٠٨) .

وبالقرب من بيت المقدس كان يقع قبر النبى صموئيل وكان اليهود يعتقدون أن زيارته تشفى المرضى وتجعل لدى النساء العاقرات القدرة على الانجاب ، لذلك حرص الكثير من اليهود على

(١٠٥) Adler, Jewish Travellers, p. 205.

الموسوعة العبرية الكبيرة ، ج ٢٦ ، حرف س٠ع ، ص ٢٥ ؛ ج ٢٧ ، حرف ع ٠ ق ، ص ٩٤٧ .

(١٠٦) Ashtor, History of the Jews, II, p. 381.

(١٠٧) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 381-382 ; Adler, Jewish Travellers, p. 199.

(١٠٨) Adler, Jewish, Travellers, p. 201.

الصلاة فى هذا المكان وخاصة فى يوم الثامن والعشرين من شهر آيار (مايو) وهو يوم وفاة النبى صموئيل (١٠٩) ، كما تم تأليف بعض الصلوات الخاصة لادائها على هذا القبر ، وكان كثير من اليهود يزورونه وهم سكارى ، ولذلك ادخل حكماء بيت المقدس تعديلات وشروطا كثيرة لزيارة هذا القبر (١١٠) .

وقد قام يهود مصر بالتبرع بالأموال لشراء زيت الشمعة الأبدية (نيرتاميد) الموجودة على قبر صموئيل ، وكان المتبرعون يقولون دائما نتبرع لسيدى صموئيل ولسيدنا صموئيل (١١١) . ويفهم من المستشرق اليهودى آشتور أن جزءا من أموال النذور الخاصة بقبر صموئيل كان يعطى لتلاميذ الحكماء فى المدارس الدينية بالقدس ، وأن الجزء الباقى كان يتم اعطاؤه للطوائف اليهودية لدفع الجزية (١١٢) .

واكد الرحالة الالمانى ارنولد فون هارف أن سلاطين المماليك لم يضعوا أية عقبات أمام اليهود الذين كانوا يرغبون فى الحج الى بيت المقدس وأن اى حاج كان يريد الذهاب الى القدس كان عليه أن يتقدم بفروض الطاعة الى السلطان بالاضافة الى بعض المكوس (١١٣) . وقد اكد هذه الرواية رحالة ايطالى يهودى ادى فريضة الحج فى نهاية القرن التاسع الهجرى /الخامس عشر الميلادى فذكر أن الحاج كان مطالبا بدفع ثلاثة دوكات (١١٤)،

(١٠٩) Ashtor, History of the Jews, II, p. 382.

(١١٠) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 382.

(١١١) ابن زمرة ، فتاوى رابى داڤيد بن جرة ج ١٠ ، ص ٢٦٥ .

(١١٢) Ashtor, History of the Jews, II, 383.

(١١٣) Malcolm, The Pilgrimage of Arnold von Harff, pp. 113-115.

(١١٤) Adler Jewish Travellers, pp. 187-188.

ويعتبر هذا المبلغ زهيدا للغاية اذا ما قورن بما كان يتم جبايته من الحجاج النصارى (١١٥) .

وقد أدت بعض المصاعب المرتبطة بالسفر للحج بالكثير من اليهود الى عدم الحج الى بيت المقدس واكتفوا بارسال التبرعات والصدقات ، كما اعتاد يهود مصر أن ينذروا اموالا لأبناء الطوائف اليهودية في القدس أو لشراء الزيت من أجل إضاءة المعابد هناك (١١٦) ، كما حرصوا على ارسال بعض الأدوات الفضية على هيئة صدقات (١١٧) ، وبذلوا ايضا اقصى ما في وسعهم من اجل مساعدة اخوانهم في القدس حتى يتمكنوا من تحسين أوضاعهم ، لأن هناك بعض اليهود الذين كانوا قد هاجروا الى القدس من اجل قضاء أيام شيخوختهم وأن يدفنوا في تراب القدس (١١٨) .

وقد وجدت في مصر أماكن خاصة لليهود كانوا يحجون اليها مثل بيت المقدس تماما (١١٩) ، فقد قام يهود القاهرة بالحج الى معبد « دموه » كما قاموا بدفن موتاهم هناك في أيام السبت وأوائل الشهور وفي المواسم ، وكان يجتمع هناك حشد كبير من اليهود لأداء الصلاة (١٢٠) ، كما تم تخصيص يوم السبت من شهر آزار

---

(١١٥) Ashtor, History of the Jews, II, p. 384.

(١١٦) سفر اللاويين ، الاصحاح الثالث والعشرون ، فقرة ٣٨ ، ٣٩ ؛ ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد بن زمره ، ج ٢ ، ص ١٩٨ ؛ ابراهام ، المرشد الامين ، ص ٩٤ .

(١١٧) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ٢ ، ص ٦٤٤ ؛ ابراهام ، المرشد الأمين ، ص ٩٢ .

(١١٨) Ashtor History of the Jews, II, p. 385.

(١١٩) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ٤ ، ص ١٤٥ .

(١٢٠) Ashtor History of the Jews, II, p. 385.

(مارس) وهو يوم وفاة النبى موسى للزيارة ، وكان يجرى هناك أيضا الاحتفال بعيد الأسابيع (١٢١) .

وفى مواعيد هذه الزيارات كان يجتمع فى دموه أعداد كبيرة من اليهود المحتفلين ، وكانوا يقومون بأشياء تخدش الحياء والآداب لذلك تشدد فقهاء القاهرة فى العصر المملوكى فى حظر تقديم بعض الألعاب المعينة ، واشترطوا على لاعبى الشطرنج أو السيجة استخدام الحصى أو الكور الطينية ، وأن يرددوا الأغانى ، كما حظر الربانيون أيضا اصطحاب الرجال اليهود للنساء القريبات ، وحظروا على المرأة أن تذهب بمفردها الى هناك ، وشددوا على ضرورة أن يصطحبها زوجها أو شقيقها أو ابنها الكبير ، واستثنوا من ذلك المرأة المسنة ، وحذروا من اختلاط الرجال بالنساء ، أو الجلوس بالقرب من مقاعدهم ، كما حرموا خروج رجل مع شاب صغير ليتوجها الى دموة خشية أن يظن البعض أنه يضاجع الذكور من الأولاد (١٢٢) .

(١٢١) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٩٥ .
(١٢٢) Ashtor, History of the Jews II, p. 385.

الخـــــــــاتمة

كشفت لنا دراســة أحوال اليهود فى مصر زمن سلاطين المماليك عن أن اليهود عاشوا فى المجتمع المصرى كجزء لا يتجزأ منه يتفاعلون معه ويؤثرون فيه ويتأثرون به . كما كشفت هذه الدراسة أيضا عن مدى حرص سلاطين المماليك على التزام جانب العدالة تجاه اليهود عملا بتعاليم الدين الاسلامى ، فقاموا بالدفاع عن مصالحهم ومنحهم قدراً كبيراً من الحرية ، كما قاموا بمنح بعضهم العديد من الألقاب مثل الشيخ ، والشيخ الفخر ، والشيخ الأجل ، والشيخ الجليل ، والريس ، والحضرة السامية ، والرئيس والكافى والمقرب والحكيم وتاج الحكمة وثقة الملوك والسلاطين .

واثبتت هذه الدراسة أيضا أن رئيس اليهود كان وسيطا فى العلاقة بين الدولة المملوكية ورعاياها من اليهود كما أثبتت لجوء اليهود بالشكوى الى سلاطين المماليك عند خروج رئيسهم عن قواعد الملة ، أو عن عادات الزعماء الدينيين للطوائف ، كما اكدت أن العلاقة بين اليهود وسلاطين المماليك قد سارت فى مسارها الطبيعى باستثناء بعض الحوادث العارضة التى كانت تؤدى الى تغيير نظرة السلاطين اليهم ، غير أن ذلك كان يزول بزوال السبب الذى أدى الى هذه الحادثة أو هذا التغيير . فقد تعرض اليهود المصريون فى بعض الأوقات للابتزاز ومصادرة بعض

أموالهم ، بالاضافة الى الزامهم بدفع الجزية التى كانت تفرض عليهم ، بيد أن هذه الاجراءات المالية الاستثنائية كان يتعرض لها جميع أفراد المجتمع المصرى بمختلف طوائفه ، ولم تكن قاصرة على اليهود وحدهم اذ يلاحظ أنه رغم تعدد المراسيم التى صدرت لالزام أهل الذمة من يهود ونصارى ببعض القيود فان الالتزام بها كان يخف تدريجا بمرور الوقت الى أن يقع فى طى النسيان الى أن يجىء أحد المتشددين فيعاد تجديدها ، كما انها كانت تصدر فى بعض الأحيان لتصحيح بعض الأوضاع القائمة بالفعل ، بسبب خروج بعض العاملين فى الجهاز المالى والادارى للدولة من اليهود والنصارى عن الحد .

واكدت هذه الدراسة ايضا على مشاركة اليهود فى الأحداث الجارية فى المجتمع المصرى زمن سلاطين المماليك ، مشاركة فعالة ، وعلى خضوعهم للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية نفسها التى خضع لها باقى أفراد المجتمع ، فقد شاركوا فى العديد من المناسبات ذات الطابع السياسى مع بقية أفراد المجتمع المصرى ، وعبروا عن رايهم فى تلك الأحداث .

لانهم لم يكونوا مجرد اقلية منعزلة داخل هذا المجتمع بل ذابوا داخل هذا المجتمع وامتزجوا ببقية اعضائه من الطوائف الأخرى ، بدليل انهم لعبوا دوراً كبيراً فى مجال الطب وتولوا العديد من الوظائف الادارية والمالية ، وعمل بعضهم فى مجال الترجمة وفى جباية المكوس بل تولى بعضهم ادارة دار سك العملة .

وكشفت هذه الدراسة عن قيام الدولة المملوكية بالسماح لليهود فى كثير من الأحيان بترميم معابدهم او اعادة بنائها ، بل وسمحت لهم بشراء الأراضى والمنازل فى سائر انحاء البلاد ، وتوارثها أو بيعها فيما بينهم وبين المسلمين .

وكشفت كذلك عن عدم التزام اليهود فى كثير من الأحيان بالمراسيم التى كانت تصدرها الدولة المملوكية بشأن القيود الخاصة بملابسهم وفقا لما جاء بالشروط العمرية بدليل صدور العديد من المراسيم من آن لآخر للتأكيد على ضرورة التزامهم بتلك القيود .

وبينت الدراسة من جهة أخرى أن ارتداء اليهود للون الأصفر كان لا يمثل أى نوع من الاحتقار لمن كان يرتديه ، فقد سبق للرسول (ﷺ) والخلفاء الأول أن ارتدوا الملابس الصفراء، كما ارتدى صلاح الدين الأيوبى عمامة وسترة صفراء .

وبالنسبة لأوقاف اليهود ، أوضحت الدراسة أنها ظفرت بالاهتمام والرعاية الكاملة من جانب سلاطين المماليك ، وكان التصرف فيها يتم وفقا للشروط التى حددتها تعاليم الشريعة الاسلامية .

واكدت هذه الدراسة على أن اليهود لقوا من المسلمين معاملة طيبة فاقت مالقيه النصارى من هذه المعاملة ، فقد كانت الدولة الاسلامية موطنا وملجأ لعدد كبير منهم على مر العصور بشهادة اليهود أنفسهم الذين اشادوا بحسن هذه المعاملة لهم وحسبنا ان ننوه هنا بما ذكره الرحالة اليهود الذين زاروا مصر فى عصر المماليك الجراكسة من سماحة الاسلام وحسن معاملة المسلمين لليهود وتمييزهم عن غيرهم فى كثير من الاعفاءات المالية، ولو كان هناك اضطهاد تعرض له اليهود ما كان هؤلاء الرحالة اليهود قد ترددوا لحظة فى ذكره والتنديد به ، الأمر الذى يؤكد على أن اليهود تمتعوا فى أغلب الأحيان تحت حكم المماليك بكل ما تمتع به اخوانهم المسلمون من حقوق وامتيازات .

وفيما يتعلق بالمجال الاقتصادى كشفت الدراسة بجلاء عن ممارسة اليهود لكافة أنواع النشاط الاقتصادى فى العصر المملوكى

فقد عملوا بالعديد من الحرف كالصباغة ، وصياغة الذهب والفضة والنحاس ، وصناعة الأمشاط ، وحرفة الخياطة ، كما تعاطوا صناعة الكعك والسكر ، ومارسوا كافة أنواع الأنشطة التجارية مثل تجارة العطارة والأعشاب والادوية ، وتجارة الخمور التى برعوا فيها ، بالاضافة الى تجارة المنسوجات والحرير وتجارة السكر وتجارة المحاصيل ، كما عملوا أيضا فى مجال الصرافة وأعمال الربا .

وأثبتت هذه الدراسة أيضا وجود ثلاث طوائف من اليهود فى مصر زمن سلاطين المماليك تمثلت فى الربانيين والقرائين والسامرة . وأكدت على سماح الدولة المملوكية لهم بممارسة شعائرهم الدينية بحرية كاملة . بدليل أن المعابد اليهودية لعبت دوراً مهماً فى حياة تلك الطوائف اليهودية .

وكشفت هذه الدراسة عن تأثر اليهود ببعض عادات المسلمين ، كعادة خلع الاحذية عند دخول المعبد ، فقد كان اليهود لا يدخلون المعبد بأحذيتهم ولو على سبيل الزيارة وانما كانوا يتركونها بجوار باب المعبد . كما أخذ اليهود عن المسلمين عادة غسل الارجل قبل صلاة الصبح لانها لم تكن ضمن تقاليدهم بل وجدت نتيجة لتأثرهم بالجو الاسلامى المحيط بهم .

وانتشرت بينهم أيضا عادة طهارة المستحلم ، فقد حرمت قوانينهم على يهود مصر دخول المعبد دون تطهر وهذه أيضا عادة اسلامية تأثر بها اليهود نتيجة لامتزاجهم وتعايشهم داخل المجتمع المصرى المسلم .

كما تأثر اليهود ببعض العادات الاسلامية المتبعة فى صلاة الجماعة التى كانت تقام فى المساجد الجامعة من حيث الوقوف فى

صفوف متراصة ، فقد جرت العادة أن يقف الواعظ اليهودى أمام الصف الأول للمصلين من اليهود .

ولا ننسى أيضاً العادات اليهودية المتعلقة بتناول الطعـام التى تعكس لنا العادات نفسها المتبعة لدى المسلمين سواء مـن حيث جلوسهم على الأرض لتناول الطعام ، أو من حيث غسـل ايديهم قبل الطعام وبعده ، كذلك كان الحال بالنسبة لتجفيـف الأيدى بالمناديل والفوط المصنوعة من الحرير .

ويبدو ان اليهود تأثروا بالمسلمين الذين كانـوا يرتـدون ملابس بيضاء ذات اكمام واسعة فى الأعياد والمناسبات ، فارتدوا مثلهم ملابس بيضاء فى الأعياد والمناسبات كعيد رأس السنة ويوم الغفران .

واخذ اليهود عن المسلمين أيضا عادة اطلاق الأسماء العربية على ابنائهم ، وعادة اتخاذ الألقاب شأن المسلمين اذ يلاحظ أن اسماء اليهود العربية كانت هى الأسمـاء نفسهـا المنتشرة بين المسلمين فيما عدا اسماء محمد وأحمد وحسين التى لم يتسـمى بها اليهود ، مما يؤكد أن اليهود كانوا جـزءاً مـن المجتمـع المصرى ابان العصر المملوكى .

وأسهمت هذه الدراسة من جهة اخـرى فى التعـرف على اماكن سكنى اليهود الذين اقاموا فى مدينة الفسطاط وفى الأحيـاء المجاورة لقصر الشمع وفى الحى المعروف بالمصاصة ، وفى زقاق محط اللبن وفى زقاق اليهود وفى السوق الكبير الى الجنوب من قصر الشمع كما سكنوا أيضاً فى حى زويلة وبالقرب من معبـد دموه ، واقاموا كذلك فى كل من الاسكندرية والمحلة الكبرى ودمياط وسنباط وبلبيس وقرية بنها العسل وسمنود وقوص .

وكشفت هذه الدراسة كذلك عن أن الدولة المملوكية سمحت لليهود بتنظيم طوائفهم داخليا دون أى تدخل من جـانبها ، وأن هذه الطوائف كانت تقوم بخدمات اجتماعية متنوعــة لاعــانة المحتاجين ومساعدة عابرى السبيل وسداد الجزية عن العاجزين من بين أبناء الطائفة . كما سمحت الدولة المملوكية لليهود بتطبيق القوانين الخاصة بهم فى شتى مجالات الحياة ، اذ كان لليهــود قضاؤهم الخاص الذى كان يرأسه الناجيد باعتباره رئيس اليهود . وكان يتم انتخابه بواسطة اليهود ثم يصدر بذلك مرسوم سلطانى لاضفاء صفة الشرعية على هذا الانتخاب .

وكشفت هذه الدراسة أيضا عن بعض الألقاب التى منحت للناجيد من باب التبجيل والاحترام ، مثل تاج وزينة الوزراء ووزير الوزراء . كما كشفت عن لجوء دولة المماليك الى هذا الناجيد حينما كان يسوء وضعها الاقتصادى ، وذلك من خلال الزامــه بسداد بعض الأموال للخزانة السلطانية .

وكشفت كذلك بأنه كان يأتى فى المرتبة التالية للناجيــد فى العصر المملوكى ، ديان اليهود ، الذى أشــارت اليه المصــادر العربية ، باعتباره مسئولا عن الفصل فى القضايا المدنيــة التى كانت معظمها عبارة عن خلافات مالية بين المتخاصمين من اليهود .

وابرزت هذه الدراسة أيضا أن مصر كانت مــن أهم الدول التى لجأ فيها اليهود الى القضاء الاسلامى ، ربما بسبب رغبــة بعض هؤلاء اليهود فى الحصول من خلاله على مكاسب لم يكــن بامكانهم الحصول عليها من خلال القضاء اليهــودى خاصــة فى مجال المواريث .

وكشفت كذلك عن عدم وجود سجون خاصة باليهود بــل كانت سجون هذا العصر عامة لجميع أفــراد المجتمع المصرى .

باستثناء طبقة المماليك التى كانت لها سجون خاصة بها كسجن الاسكندرية واظهرت أيضا أن منازل اليهود فى العصر المملوكى كانت تمتاز بالنظافة والجمال وحسن الزخرفة ، وأنه كان يقيم فى المنزل الواحد عدة أسر يهودية ، وأن منازل أثرياء اليهود كانت تتميز بردهاتها الواسعة وبجدرانها المزينة بشتى أنواع الزخارف المتعددة الألوان .

والقت هذه الدراسة الضوء على بعض العلاقات الأسرية، اذ كانت العلاقة بين الرجل والمرأة طيبة بدليل الالقاب التى اطلقها اليهود على نسائهم ، مثل ست الدار وست الناس وست الكل وست الحسن وذلك من باب الفخر والثناء والتعظيم لهن .

والقت الضوء أيضا على العديد من الاحتفالات الأسرية التى كان يحتفل بها يهود مصر فى العصر المملوكى مثل الاحتفالات الخاصة بالزواج والولادة والختان ، وعن سماح الدولة المملوكية لليهود بالاحتفال بأعيادهم فى حرية تامة ، وعن مشاركة المسلمين لهم فى بعض هذه الأعياد وعن تبادلهما للهدايا فى شتى المناسبات .

كما اثبتت بما لا يدع مجالا للشك أنه لم يكن لليهود اى دور فى مجال الثقافة والعلوم العقلية باستثناء علم الطب الذى اسهموا فيه بدور بارز .

الملاحق

ترجمة الوثيقة بالملحق رقم (١)
من العربية اليهودية الى العربية (*)

يوم السبت .. الرب خلاصي ... والجماعة الكريمة المقيمين بمصر يباركهم خالقهم ويكون فى عونهم ، الناس يعلموا بأن لا تسالوا ما جرى علينا بسبب تأخير الجوالي ، وانتم رأيتم ما حصل .

(٥) لكم من الغرامة والتشديد ، بسبب تأخير الجوالي وتأخر عليكم يعد كل حساب مائة وخمسين درهم وأنا نحن الزمنا المولى الأجل الحاخام رابى افراهام .والمولى الاجل الحاخام نصر الله (ى.ب) الزعيم المبجل .

(١٠) والمولى الأجل الحاخام يوسف (هـ ى ب) الزعيم المبجل والمولى الأجل الحاخام موسى (ى ب) الزعيم المبجل بمائة

(*) وثيقة تتضمن أحد تعاليم رئيس الطائفة رابى يهوشوع ، كتب بالعربية اليهودية ، ترجع الى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى عن اشتور ، History of the Jews, III, Fragments from the Cairo Genizah, pp. 82-83.

وخمسين ، وكتبنا عليهم حجة بها انهم يعطوها من صندوق النذور فاى شخص من قالوا له جبايتها .

(١٥) يجبى ولا يتمنع ، وأى من تأبى عن جبايتها يكون تحت الطرد لا يكلمه اخوانه ولا يعاملوه ولا يشاقفوه الى حين يجبى وأى من جبى يجتهد فيها لان الضرورة داعية الى ذلك وأى من جبى .

(٢٠) لا يوصلها الا لاحد من الخمسة المذكورين والحذر ثم الحذر من المخالفة ، والحق تعالي يكون في عونكم ويعمر دياركم ويحيى اولادكم ويكثر رزقكم وان الجماعة حاسبوا الحاخام موسى (الامام فى الصلاة) .

(٢٥) وما بقى فى جهاتة شئ فلا سبيل لأحد يتحدث فيه وأى من يتحدث فى عرضه (الموضوع) يحذرنا منه الحق تعالى يجعل العاقبة السلام وسلام .

والبواقى الذى باقية على الناس من الجوالى يزن بما يرضى الله للجباه الى ... ويغرموا الفضة وما لهم شئ كذلك الجباية أن كنا عندكم ذكروا لان ما جبى منها الخمسن ممن عليه يزن كل نذر وهذا الفضل ما يؤخر لذر .

ترجمة الخطاب بالملحق رقم (٢)

من العربية اليهودية الى العربية*

١ — بعون الرب وهو صانع السموات والأرض ، لخلاصك أملت يارب .

٢ — سلام عظيم لكل من يحب شريعتك ، سلام القريب والبعيد واليك .

٣ — السلام ، وليكن اهل بيتك فى سلام ، والسلام الرب مجداً لشعبه يعطى ، ويبارك شعبه بسلام .

٤ — المخدومى المكنى (١)

٥ — يقبل الارض وينهى بعد ملازمة الادعية الصالحة بدوام

٦ — بقاء المخدومى السعادة عليه وعلو درجته فى الدنيا .

٧ — والآخر يتقبلها الله ت (٢) من آل مخدومى المكنى ومن كل داع مخلص .

(*) خطاب شخصى من عصر المماليك بين اثنين من اليهود المصريين يرجع إلى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى كتب بالعربية اليهودية عن اشتور نشر فى مجلة :
Keriat Sefer, pp. 119 - 200 - 201 - 202.

(١) المخدومى المكنى هو المملوك .

(٢) ت ، تعالى .

٨ — بالاجابة والذى تحيط به العلوم الكريمة ان سبب تسطير

٩ — ذلك العبودياه كثرة الشوق والتلهف والتعطش والتشرف.

١٠ — الى نظر وجه المخدومى الله (ت) يقرب الاجتماع فى مستقر.

١١ — رحمته قريب غير بعيد أنه على كل شئ قدير وينهى الى

١٢ — علم المخدومى ان وصلت مشرفته فقبلها المخدومى المكنى قابلها .

١٣ — وشكر الله (ت) على عافية المخدومى وصحة مزاجه .

١٤ — والمد (٣) يذكر فيها بسبب السقارق الذى باسم المولى .

١٥ — عبد الواحد ابن خاله الا م م (٤) والذى باسم شمس الدين العامل .

١٦ — فابتاعهم ال (مهم) هما والسخارج والصحون الذى طلبهم .

١٧ — (المخد) من ال (مهم) فى القاهرة بسبب الفرق والماردانيات.

١٨ — ايضا وذكر (المخد) عن النصاق ان كنت لم اتعملتهم فلا ؛

١٩ — غدت تشتريهم فكان ال (مهم) قد اشتراهم وال (خـ) .

٢٠ — ما له فنا عنهم بسبب العالة فانهم نافعين جدا .

٢١ — وهما قماش عاتكى وهم عدة ١٢ واما من امر .

٢٢ — الكنافيات الذى طلبهم (المخـ) مشرفته فان ال (مهم) .

٢٣ — ارسل صحبة نصر الله بن الكارمى الكنافيات المذكورة ؛

---

(٣) المحروسى .

(٤) م م ، المخدومى المكنى .

٢٤ ــ فعلم ال م م ، ان نصر الله المذكور لم كان وصـــل الى ـــالمخد فاختصر .

٢٥ ــ ال (مم) شراهم وان الحوايج المذكورة جميعهم بيرسلهم ال م م .

٢٦ ــ صحبة شخص جمال معرفة الشيخ السنى عبد الرحيم ابن النشو .

٢٧ ــ وان ال (مم) اخذ من راب شموئيـــل الف وثلاثمائـــة برسم العون .

٢٨ ــ المذكورة وال (م م) يرسل معهم مع الجـمـال كتـــاب بتفصليهم .

٢٩ ــ كما ينبغى والمخد يعلم الشيخ الفخر « موسى بن علم » ان وصلت .

٣٠ ــ مشرفته صحبة ابن الذين عمر ! فقبلها الم م حين .

٣١ ــ قابلها وشكر الله (ت) على عافيته ، وصحة مزاجه .

٣٢ ــ المحروس ، وان وصلت والوداعة كما ينبغى فالله (ت) .

٣٣ ــ لا يعد منا احسانه واحسان المخاديم (٥) ، ايضا .

٣٤ ــ وجـــزاكم على الله (ت) فان ال (م م) ... در بثوب لكم (٦) .

٣٥ ــ بجزاء ولكن ذلك بحب الدلايل على صدقات كم (٧) .

---

(٥) المخانيم ، المماليك .
(٦) ربما يمكن ان نكملها « لا يقدر بثوب » .
(٧) وربما تقرأ (على صدقاتكم) .

٣٦ ـ وعزم ال (م م) التوجه الى القاهرة ان شاء الله تعالى (
٣٧ ـ بعد تجديد تقبيل الأرض عن ايادى (المجد) ثانيا
٣٨ ـ ومن ايادى الاولاد الأعزة ومن يلوذ بمنزله المعمور .
٣٩ ـ وبين ايادى الشيخ الفخر موسى بن علم ومن يلوذ بمنزله
٤٠ ـ وبين ايادى الشيخ الشمس عبد اللطيف اخيه وبين ايادى.
٤١ ـ الشيخ النجيب يوسف اخوهم وبين ايادى الشمس
٤٢ ـ عبد الواحد بن خاله ال (م م) ومن يلوذ بمنزله وبين ايادى
٤٣ ـ الشيخ الشمس عبد اللطيف وبين ايادى ولده الشيخ .
٤٤ ـ السنى فرج الله ومن يلوذ بمنزله ومن ايادى المولى الاجل
٤٥ ـ الشم الفخر موسى بن ابو المجد القائم بالصلاة ومن يلوذ بمنزله .
٤٦ ـ المبارك ومن ايادى الموفق يعقوب السكندري وولده
٤٧ ـ شيموئيل ومن يلوذ بمنزله ومن ايادي المولى تاج الدين بن فيروز .
٤٨ ـ وبين ايادى شرف الدين يحيى ومن يلوذ بمنزلهم المبارك .
٤٩ ـ وبين ايادى الشم الشمس عبد الحق الفيروزى ومن يلوذ .
٥٠ ـ بمنزله وبين ايادى جميع السيادة الجماعة كبار
٥١ ـ صغار ، ابقاهم الله تعالى والسؤال من صدقات كبار المخدم
٥٢ ـ ان يبلغ كل احد منهم السلام ولسان التقصير
٥٣ ـ انهى ال (م م) ذلك ان شاء الله تعالى . ... فوائد .

الهامش :

(وحضر تسطير هاذه ال عبودياه (٨) الـم م فرج الله الكارمي وهو يقبل الأرض بين ايادي جميع من ذكر في هذه العبودياه ...

وحضر تسطير الـم مشموئيل وهو يقبل ايادى المخدومين ايادى الجماعة المذكورين كل واحد باسمه به ... ومهمـا كان ......

في يوم الاثنين فى الأسبوع وهو يوم ٢٥ (٩) .

من شهر تموز فيـ قلب الحزن الى بهجة .

صفحة ٢

١ ـ يقبل الأرض بين يدى (المخـ) ويسال صدقاته ان يقبل ايادى المخدو الـم م

٢ ـ عبد الرحيم بن النشو ويعلمه ان لم تهاون . شموئيل الم م فى كتاب الا

٣ ـ لم كان على اهبة وكان القاصد مستعجل والم م يسال صدقات السنى

٤ ـ عبد الرحيم انه لا يتهاون فى السلام على شمس الدين ابن النشـ .... على [الد ..... فى

٥ ـ وما ساله فيه بحيث لا يتاون فيه على جارى عوايد احسانه انهى ذلك وسلام

---

(٨) العبودياه ، هذه الرسالة تمثل عمل الخـادم لسـيده ، وتعبر عن الخضوع له .

(٩) اقتس الكاتب ازميا ١٢/٣١ .

ملحق رقم (٣)

نسخه توقيع برئاسة اليهود
من انشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر

نسخته :

أما بعد ، حمدا لله الذى جعل الطاف هذه الدولة القاهرة تصطفى لذمتها من اليهود رييساً فرييساً ، وتختار لقومهـا كمـا اختار من قومه موسى ، وتبهج لهم نفوساً كلما قدمت عليهم منهم نفيسـا .

والصلاة على سيدنا محمد النبى الأمى ، والرسول الذى أجمل الوصية بالملى والذمى ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، ما هطل ولى ، وما نزل وسمى ، فان معدلة هذه المملكـة التى تكتنف الملل والنحل والاحتياط وتعمهم من انصافها واسعافهـا بأوفر الأنصباء وأوفى الأقساط ، وتلمهم مـن حـادث الزمن اذا أشتط ، ومن صرفها اذا شاط ، وتضمهم كما ضـمت النبوة إلى جناح البنوة الأسباط ، لا تزال ترقب الآل والذمة فى المسلمين ، وتقضى لهم بحسن الخبرة ورعاية الحرمة ، تبيحهم من أمور دينهم ما عليه عوهدوا وتمنحهم من ذلك ما عليه عوقـدوا ، وتحفـظ نواميسهم بأخبار ، ويحمل مرادهم اذا شوفهوا ، ويحسن مرآهم اذا شوهدوا من كل اسرائيلى أجمل للتوراة الدراسة ، وأحسن لأسفار أنبيائه اقتباسه ، وأجمل التماسه ، ومن نبهته نباهتـه

التقدمة فما طمع اجتهاده يوما حتى صار وجه للوجاهة فى قومه ، وراس الرياسة ، فأصبح فيهم معدم النظير ومعدوداً منهم بكثير ، وموصوفاً بانه فى شرح أسفار عبرانيته حسن التفسير ، واستحق من بين شعبه أن يكون رأس الكهنة ، وبان تصبح القلوب فى مجامعهم بحسن منطقة مرتهنة ، وبان الجهالة بتثقيفه لشيعته تحجب عقائدهم عن أن تغدو ممتهنة .

ولما كان الريس فلان هو بمحاسن هذا التقريظ بهجة ، ولجسد هذا التفويض مهجة ، ولمادح هذا الثناء العريض لهجة ، ولعين هذا التعيين غمضها وليد هذه الأيادى بسطها وقبضها ، ولأبكار أفكار هذه الأوصاف متقاضيها ومقتضها ، ومن أدنيت قطاف النعماء ليد تقدمته على غيظ من غص منها فاجتنى غضها .

اقتضى حسن الأمر الشريف أن يميز على أبناء جنسبة حق التمييز ، وأن يجاز له من التنويل والتنويه أجل ما جيز ، ورسم الأمر العالى لا زال يجتاز فيجمل الاختيار ، ويغمر بالغيث الذى يعم بنفعه الربا والوهاد والاثماد والبحار ، أن تفوض أليه رياسة اليهود على اختلافهم من الربانيين والقرائيين والسمرة بالديار المصرية ، حماها الله وكلأها .

فليجمل أسبابهم بالتقوى ، وغروسهم بالتدبير لا تذوى ، ومقاصدهم لا يمازجها شك ولا شكوى ، وأنزل عليهم منامناً يسلبهم ضغناً حتى لا يفارقوا المن والسلوى . وليتق الله فيما ذره ويأتيه ، ويحسن فى اجتلاب القلوب واختلابها تأنيه وإياه والتيه حتى لا يقال كأنه بعد ، لم يخرج التيه . .

وجماعة الربانيين فهم الشعب الأكبر والحزب الاكثر ، معاملهم بالرفق الأجدى ، والبر الأجدر ، ولكونك منهم لا تمل

معهم على غيرهم فيما به من النفس الامارة بالسوء ، تؤمر وجمالة القرابين المعروفون فى هذه الملة بملازمة الأدلة والاحتراز فى أمر الأهلة ، فانتصب لأمرهم من لم يتوله ، ومن كان منهم له مقتعد فلا يخرج عن ذلك ، ولا يخرج ولا يلجم منهم بلجام من نار انكار من فى ليلة سبته عليه لا يسرج والشمرة فهم الشعب الذين اذن الشظف اهله بحروبه ، ولم يك احدهم لمطعم لكم ولا شرب باكوله ولا شروبه . فمن قدرت على رده بدليل من مذهبك فى شروق كل بحث وغروبه ، فأردده من منهج تحيده عن ذلك وهروبه ، والا فقل له : يا سامرى بصرت بما لم تبصروا به ، وليكن حكمك فيهم بالبث ، وارفق بهم ، فان المنبت لا ارضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى . فاياك أن تكون ذلك المنبت ، ومرهم بملازمة قوانينهم كيلا يعدوا أحداً منهم فى السبت ، واجعل أمور عقودهم مستتبة ، واحسن التحرى والتحرير لهم فى اتقان كل كتبه ، ولا تختر الا الأعيان من كل « خزان » وديان .

ومن كان له من داود عليه السلام لحمة نسب وله به حرمة نسب فارع له حقه ، واصحبه من الرفق أكرم رفقة والجزية ، فهى لدمائكم وأولادكم ، وعلى دافعها لا دافعها وصمة ، ولأجلها ورد من آذى ذمياً كنت خصمه ، وهى لكم من السيف اجاره ، وهى أجرة دار الاسلام كما هى لاستحقاق المنفعة بها اجارة ، فادوها ، وبها نفوسكم فادوها ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها .

فعددوا الطاف الله بها ولا تعدوها ، وداوم على ما زجر التارك علامة ، ومن قصد منها خلاصة ، قل له فى فى الملا واذا خلاصه .

ومن ركن فى امرتنا الى الاخلاد والاخلال ، وسكن الى الاهمال ، ولم يرض بأن راية الدولة الصفراء على رأسه ، فأوسعه

انكاراً ، والزمه منها شعاراً ، وان قام بنصره منهم معشر حسن نارهم بغد العلامة ، من جريش الافكار خشكارا ، وخذهم بتجنب الغش الذى هو للعهد مغير ، ومغيب ، واكفف من هو بما ينافيه معير ، ومعيب ، وأما من هو مجيب لذلك فهو لقصده محبب ، وانقل طباعهم عن ذلك ، وان أبت على الناقل فانتقامنا يتلو ، قل لا يستوى الخبيث والطيب .

وقد علم ان الذى تتعاطونه من نفخ فى البوق ، انما هو كما قلتم للتذكار ، فاجتهدوا أن لا يكون لتذكار العجل الجسد الذي هو خوار .

هذه وصايانا لك ولهم ، فقل لهم هذه موهبة الدولة واحسانها اليكم ولطفها بكم وعاطفتها عليكم وبصرهم بذلك كلما تلا احسانـــنا اليهم .

يا بنىاسرائيل : (إذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) .

عن ابن عبد الظاهر ، تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور) أنظر ايضا ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٨ ، ص ٢٠ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٣٨٦ ؛
Gottheil, A Cairo Synagogue Elehenth Century.

ملحق رقم (٤)

توقيع برئاسة اليهود للشيخ المهذب أبى الحسن المتطبب

ف ثامن شهر ربيع الآخر ٦٨٤ هـ (١٣ يونيو ١٢٨٥ م)
تولى الشيخ المهذب ابو الحسن بن الموفق بن النجم
ابن المهذب أبى الحسن بن سمويل المتطبب رياسة اليهود
وكتب له ابن المكرم كاتب الدرج الشريف تقليداً

نسخته :

أنا لما القاه الله سبحانه الينا من مقاليد ألامور ، وجعله فى أيدينا من صلاح الجمهور ، واثقا من نصره العزيز ، ومن آتاه نصره فهو المنصور ، نراعى أحوال الرعايا ، ونوجب ملاحظة البرايا ، لنعم بحياطتنا سائر الأمم ، ونحفظ لكل أمة ما ها من ذمم . فنحن بحمد الله معتنون بمصالح الرعية ، وان اختلفت مللهم وآراؤهم ، وتفرقت مذاهبهم وأهواؤهم ، خلقاً شريفاً منا وسجية مباركة تنسب الينا ، وتروى عنا ، تحمل كل أمة على شروعها ونسلك بها سبل أصلها وفرعها ، ونعتمد حفظ ذمامها ، وابقاءنا موسها ، والمحاباة عن رئيسها ومرءوسها . ويساوى فى المعدلة بين قويهم وضعيفهم ، ونساهم فى الحق بين شريفهم ومشروفهم .

فالحمد لله على هذه النعمة التى علت النعم ، وألهمتنا حسن النظر فى مصالح الأمم .

ولما كان الشيخ الجليل الربيس الكافى ، المقرب الحكيم المهذب تاج الحكمة ، ثقة الملوك والسلاطين ، أبو الحسن المطبب ، شرح الله صدره ، ويسر أمره ، وروح سره ، ممن تقدمت له رياسة على أبناء جنسه ، وقام له شاهد على نبله من سلفه ، ومن نفسه ، وكان صدرا فى أهل ملته ، وربيسا فى مذهبه وشرعته، قد شهر فى عشيرته بديانته ، وعرف فى قومه بكفايته وأمانته ، اقتضت الآراء الشريفة أن نجعل له الحديث فى أهل ملته ، والرياسة على قومه وأمته ، وخرج الأمر العالى لازال حاكما على الأمم ، مالكا للعرب والعجم ، أن يفرض اليه رياسة اليهود على سائر طوائفهم ، الربانين والقرابين ، والسامرة بالقاهرة ومصر المحروستين ، وسائر الديار المصرية تقديما له على كل قائل بقوله ، ومقتد بفعله وعلماء بما هو عليه من الحياطة لأمور رعيتنا به التى يعنينا ملاحظتها ، وثقة منه بما يأخذ به نفسه من حراسة أحوالها التى يلزمنا تعهدنا ، ومحافظتها .

وأمرنا ان يعتمد فى حق من وليناه امرهم اصلاح فاسدهم ، وتقويم ما يدهم ، وأن يحملهم على منهج دينهم الذى يدينونه ، ويسلك بهم سنن معتقدهم الذى يعتقدونه ، وأن يحسن السيرة فيهم بما يقضى باستقامة أحوالهم ، ويفضى الى انتظام شملهم ، وتالف أفعالهم وأقوالهم ، لتخلص لنا طاعتهم ، وتصح لنا نصيحتهم .

فليأتمر معاشر طوائف اليهود والسمرة بأمره ، وليقفوا عند حكمه وزجره ، ولا يخالف أحد منهم ما يحكم به من نص شريعته له ، وعليه ، ولا يعارضه فى الحق من ورائه ، ولا من بين يديه ، ولا يفتح مجلس فى صلاة الا بأمره ، وحكمه ، ولا يخرج أحد من الجميع من تقدمه ورسمه ، ولا يتجره عليه متجره ، ولا يتوجه الى غير حلمه متوجه ، وله أن يستنيب من يختاره من نواب الربيس

المتقدم وغيرهم من يختاره ، وله أن ينصب لكل طائفة من يرتضى من تلك الطائفة ليحكم فيهم بمذهبهم ورأيهم ، ومن شاققــه أو واقفه أو عانده أو خالفه ، فله أن يؤدبه ، ويقيم عليه الحد ، ويحرمه بمقتضى شريعته على ملته .

فليتمسك بالدين ولا يخرج عن « سننه » المستبين ، وليتلق هذا الاحسان بما يجب من شكر ، والاعتراف بجزيل بره ، وليبتهل هو وشعبه بالشكر لانعامنا والدعاء باعزاز نصرنا ودوام أيامنا .

فمن قرأ هذا المرسوم الشريف أو قرىء عليه من كافــة النواب والشادين ، وسائر الولاة والمتصرفين ، فليعمل به وليقف عند موجبه ، وليوعز باكرام الرييس ، المذكور واحترامه ، ومعرفة قدر ما قلدناه واعانته على ما وليناه .

والخط الشريف أعلاه حجة بمقتضاه .

عن ابن عبد الظاهر ، كتاب تشريف الأيام والعصور

انظر ايضا ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٨ ، ص ١٨

ترجمة الوثيقة بالملحق رقم (٥)

من اللغة العربية اليهودية الى العربية (*)

١	ــ الباقى من قسقه (انصبة ــ أقساط) الخراج (**) دفع	
٢	ــ الشيخ ابن الخير	دينار
٣	ــ الشيخ ابن سدور فرح	دينار
٤	ــ الشيخ بن سعد بن السكرى	دينار
٥	ــ ابن عمه	دينار ونصف
٦	ــ الشيخ أبو منصور ابن حبيم	ديناران
٧	ــ الشيخ ابن آل اعلا اليهودى	نصف دينار
٨	ــ الشيخ الاعلى بن شعبا	نصف دينار
٩	ــ الشيخ أبو منصور التسترى	دينار
١٠	ــ الكاتب الذى دار الماط	نصف دينار

(*) وثيقة تضم بعض اسماء دافعى المكوس غير مؤرخة كتبت باللغة العربية اليهودية عن :

Gottheil, Fragments from the Cairo Genizah in the freer Collection, pp. 66, 86, 70.

(**) الخراج ، ضريبة الجوالى المتحصلة .

١١ ـــ ابن الترمذى	ربع دينار
١٢ ـــ الشيخ ابن الحسن صباغ	نصف دينار
١٣ ـــ ابن أبوه	ربع دينار
١٤ ـــ ابن سعد ابن النقاسبى	ربع دينار
١٥ ـــ ابن الرفا	ربع دينار
١٦ ـــ ولد اسحق أبو فرح	ربع دينار
١٧ ـــ صهر نسيم	ثمن دينار
١٨ ـــ ابن عمران الطبيب	ربع دينار
١٩ ـــ ابن سهل الشرابى	ثمن دينار
٢٠ ـــ ابن مفرج الابزارى	ثمن دينار
٢١ ـــ ابن بوسير	نصف دينار
٢٢ ـــ الشيخ أبو الحسن صدقه	نصف دينار
٢٣ ـــ الشيخ أبو زكرى بن سوجمار	نصف دينار
٢٤ ـــ أبو الفرج نسيم	نصف دينار
٢٥ـــ أبو زكرى بن منشه	ربع دينار
٢٦ ـــ أبو نصر بن المقوتن وشريكه	ربع دينار
٢٧ ـــ موسى بن المجانى	ثمن دينار
٢٨ ـــ نسيم المغربى	ثمن دينار
٢٩ ـــ أبو الكبير الصيرفى	قيرتين

٣٠	ــ أبو عمران عند الشرطة	ثمن دينار
٣١	ــ أبو رحمه	ربع دينار
٣٢	ــ أبو عمران بن صجير	ربع دينار
٣٣	ــ أبو عمران	ربع دينار
٣٤	ــ ابن نصر بن مختار	ربع دينار
٣٥	ــ أبو الخير الجير	ربع دينار
٣٦	ــ مولاى السيد بن منصور	نصف دينار
٣٧	ــ ابن سعد بن آل قطايف	نصف دينار
٣٨	ــ ابن عمران بن الخياط	ربع دينار
٣٩	ــ أبو الحى	ثمن دينار
٤٠	ــ أبو الحسين بن آل عابد وصهره هبة الجميع	
٤١	ــ وصهره أبو الفرج	نصف دينار
٤٢	ــ صدقه آل صفين	ربع دينار
٤٣	ــ صدقه آل زجاج	ربع دينار
٤٤	ــ ابن آل حوسين الدهبى	ربع دينار
٤٥	ــ طيبان	ربع دينار
٤٦	ــ أبو الحسن صدقه بن شمعن	ربع دينار
٤٧	ــ السيد أبو اسحق بن العسال	ربع دينار
٤٨	ــ فرج بن نحوم	ربع دينار

٤٩ — أزهر بن أزهر ربع دينار
٥٠ — الشيخ ابن اسحق بن حوجيج ربع دينار
٥١ — الشيخ ابن اسحق الفضى ربع دينار
٥٢ — الشيخ ابو يوسف ابن آل ... ربع دينار
٥٣ — خلف الزيات ثمن دينار
٥٤ — ابن سرور سدر المغربى ربع دينار
٥٥ — ابو موسى هارون الجهبذ (*) ربع دينار

(★) الجهبذ ، موظف فى ديوان المال .

ترجمة الوثيقة بالملحق رقم (٦)
من العربية اليهودية الى العربية (*)

(١) فليباركهم الرب (٢) المقيمين بمصر (٣) ناظر الجوالى بيحرق (٤) كارهى اسرائيل من الأصل (٥) انتبهوا لانفسكم ولتزن كل واحد جاليته (٦) والمغرم الذى نابهوا وتعلموا أن احدا من (٧) عندنا ما يجى اليكم وما يجبى منكم الا (٩) الأعمال (العمال) والمقدم والصيرفى انتبهوا وجهزوا تعلموا بان ما (١٠) حالكم ما على احد عتب وقد أنذرناكم (١١) واما أمر الطباخين تعلموا بأن ما (١٢) يجوز أن يطبخ للقاهال الا شخصاً مخلصاً فى تطبيق أمر الشريعة مؤهلا لذلك الأمر لأنهم (١٣) قالوا عليهم السلام شخص واحد شاهد مخلص فى ايمانه ترضى شهادته فى المحرمات ما يجوز (١٤) من يعمل شاهداً الا شخصاً ترضى شهادته او مخلص فى عقيدته وان كان (١٥) على وجه الصفة يجوز أن يؤكل من يديه والا (١٦) كان نحس قليل دون لا يجوز من يعتبر به (١٧) ولا من ياكل من يديه شيئا وقد بلغنا أن هؤلاء (١٨) الذين يطبخوا عندكم تناحسوا وانتهجوا حرمة السبت (١٩) وتحدثوا بالوشايات واذا جاءنا مصر أخذنا (٢٠) البينة على كل واحد بما حصل منه وتاخذ (٢١) الحق منه والآن لا يمكن احد منهم أن

(*) وثيقة تحذير من رئيس الطائفة رابى يهوشوع من التعامل مع الجزارين الذين لا يذبحون طبقا للشريعة اليهودية ، ترجع الى منتصف القرن ٨ هـ / ١٤ م ، كتبت بالعربية اليهودية ، عن أشتور ·

History of the Jews, III, Fragments from the Cairo Genizah, pp. 84, 85.

يطبخ (٢٢) واذا طبخ يكون وقع تحت عبء طهارة الذبح لا ياكل أحد منهم (٢٣) شيئا يطبخ الا من يكـون رجـل جيـد ويجيب (٢٤) خطوط الجماعة بأنه يهودى جيد (كاشير) (أى مؤهـل وفقا للشريعة) يصلح (٢٥) أن يطبخ للقاهال فأنتم احترزوا على أنفسكم وعلى (٢٦) دينكم فأى من كان نحساً أبعدوه (٢٧) لا تكلموه ولا تتعاملوا معه لأن من يكون شريراً (٢٨) لا يجوز القرب منـه ويجب البعد عنه ، كقول الحق تعالى (٢٩) فى شريعته الطاهرة فى حق داثان وابى رام (٣٠) وابتعدوا عن خيمـة هـؤلاء الاشرار (٣١) واياك من المخالفة فى شئ مما ذكرناه (٣٢) الحـق تعـالى يكون عونكم يعمر دياركم (٣٣) ويجمع شملكم ويجعل العاقبة .. وسلام .

ملحق رقم (٧)

وصية رئيس اليهود .

« وعليه بضم جماعته ، ولم شملهم باستطاعته ، والحكم فيهم على قواعد ملته ، وعوائد أئمته فى الحكم اذا وضح لـه بادلته ، وعقود الانكحة وخواص ما يعتبر عندهم فيهـا على الاطلاق ، وما يفتقر فيها الى الرضـا من الجـانبين فى العقـد والطلاق ، وفيمن أوجب عنده حكم دينه عليه التحريم ، واوجب عليه الانقياد الى التحكيم ، وما ادعوا فيه التواتر من الاخبـار ، والتضافر على العمل به مما لم يوجد فيه نص وأجمعت عليـه الاحبار ، والتوجه تلقاء بيت المقدس الى جهة قبلتهم ، ومكـان تعبد اهل ملتهم ؛ والعمل فى هذا جميعه بما شرعه موسى الكليم ، والوقوف معه اذا ثبت انه فعل ذاك النبى الكريم ، واقامة حدود التوراة على ما انزل الله من غير تحريف ، ولا تبديل لكلمة بتأويل ولا تصريف ، واتباع ما أعطوا عليه العهد ، وشدوا عليه العقد ، وابقوا به دماءهم ، ووقوا به دماءهم ، وما كانت تحكم به الانبياء والربانيون ، ويسلم اليه الاسلاميون منهم ويعبر عنه العبرانيون ؛ كل هذا مع الزامه لهم بما يلزمهم من حكم أمثالهم [اهل] الذمة الذين اقروا فى هذه الديار ، ووقاية انفسهم بالخضوع والصغار ، ومد رءوسهم بالاذعان لأهل ملة الاسلام ، وعدم مضايقتهـم فى الطرق وحيث يحصل الالتباس بهم فى الحمام ، وحمل شعار الذمة الذى جعل لهم جلية العمائم ، وعقد على رءوسهم لحفظهم عقـد التمائم ؛ وليعلم أن شعارهم الأصفر ، موجب [لئلا] (١) يراق

دمهم الأحمر ، وانهم تحت علم علامته آمنون ، وفى دعة اصائله سـاكنون ؛ وليأخذهم بتجديد صبغة فى كل حين ، وليأمرهم بملازمته ملازمة لا تزال علائمها على رءوسهم تبين ، وعـدم التظاهر بمـا يقتضى المناقضة ، او يفهم منه المعارضة ، او يدع فيه غير النسيف وهو اذا كلم شديد العارضة ، وله ترتيب طبقات أهل ملته من الأحبار فمن دونهم على قدر استحقاقهم ، وعلى ما لا تخرج عنه كلمة اتفاقهم ؛ وكذلك له الحديث فى جميع كنائس اليهود المستمرة الى الآن ، المستقرة بأيديهم من حين عقد عهد الذمة ثم ما تأكد بعده بطول الزمان ، من غير تجديد متجدد ، ولا احداث قدر متزيد ، ولا فعل شيء مما لم تعقد عليه الذمة ، ويقر عليه سلفهم الأول سلف هذه الأمة ، وفى هذا كفاية وتقوى الله وخوف بأسنا رأس الأمور المهمة » .

وصية رئيس اليهود

عن ابن فضل الله العمرى ، كتاب التعريف بالمصطلح الشريف ، انظر أيضا

Gottheil, A Cairo Syanagogue Eleventh-century.

ملحق رقم (٨)

وصية رئيس السامرة

« ولا يعجز عن لم شعث طائفته مع قلتهم ، وتأمين سربهم الذى لو لم يؤمنوا فيه لأكلهم الذئب لذلتهم ؛ وليصـــن يحسن السلوك دماءهم التى كانما صبغت عمائمهم الحمر منها بما طل ، واوقد لهم منها النار الحمراء فلم يتقوها الا بالذل ؛ وليعلم أنهم [شعبة] (٢) من اليهود لا يخالفونهم فى أصل المعتقد ، ولا فى شىء يخرج عن قواعد دينهم لمن أنتقد ، ولولا هذا لما عدوا فى اهل الكتاب ، ولا تنع منهم الا بالاسلام أو ضرب الرقاب ؛ فليبن على هذا الأساس ، ولينبىء قومه أنهم منهم وانما الناس اجناس ، وليلتزم من فروع دينه ما لا يخالف فيه الا بان يقول لا مساس ؛ واذا كان كما يقول : انه كهارون عليه السلام فليلتزم الجدد ، وليقم من شرط الذمة بما يقيم به طول المدد ، وليتمسك بالموسوية من غير تبديل ، ولا تحريف فى كلمة ولا تأويل ؛ وليحص عمله فانه عليه مسطور ، وليقف عند حده ولا يتعد طوره فى الطور ؛ وليحكم فى طائفته وفى انكحتهم ومواريثهم وكنائسهم القديمـــة المعقـــود [عليها] بما هو فى عقد دينه ، وسبب لتوطيد قواعده فى هذه الرتبة التى بلغها وتوطينه » .

وصية رئيس السامرة

عن ابن فضل الله العمرى ، التعريف بالمصطلح الشريف ،
انظر أيضاً
Gottheil, A Cairo Synagogue Eleventh-century.

ترجمة الوثيقة بالملحق رقم (٩)
من العربية اليهودية الى العربية (*)

(١) يعلم المجلس السامى عظم الله مجده أننا (٢) مضينـا الى خدمة المولى فخر القضاة(١) (٣) دام ظله واجتمعنا به فى دار (٤) الامارة وانعم فى حقنا بما (٥) لا يمكن وصفـه وكتب (٦) كتاب الى مولانا السلطان الملـك (٧) الناصر(٢) عز نصره (٨) وانعم فيه ... فى (٩) حقنا انعاماً عظيماً ... (١٠) ما قال انه غلام(٣) مولانا (١١) فى الكلام وقال يرغب .

الصفحة الثانية

(١) ومن جملة ما قاله للسلطان (٢) فى الكتاب « انت تعلم محبته (٣) من قديم واخلاصه فى حق مولانا (٤) وأنت أخبر به

(★) وثيقة تقرير عن بذل مجهود فى بلاط السلطان المملوكى ، ترجع الى اواخر القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، كتبت بالعربية اليهودية عن أشتور :
Histoty of the Jews, III, Fragments from the Cairo Genizah, pp. 63, 64.

(١) هو فخر الدين إبراهيم بن لقمان .

(٢) هو الناصر محمد بن قلاوون .

(٣) الغلام : الخادم .

عنى (٥) فقلت له ايش يكتب الا هو (٦) تفضل وكتب والمولى ..
(٧) باتم سلام (٨) الى المولى الناجيد تعظم مجده (٩) والى رابى (معلمنا) حننائيل تعظم مجده وكلكم مخدومين (مماليـك) الى السيد الصديق الامام فى الصلاة وهذه قارورة من العطور ولهـا حلقتين وهى قارورة من عطر جميل وثمنه يخبى منه وزن مثقال سيروا الى النفيس حتى يروح ياخذه .

ملحق رقم (١٠)

يمين اليهـــود

« اننى والله والله العظيم ، القديم الأزلى الفرد الصمد، القديم الواحد الأحد ، المدرك المهلك ، باعث موسى بالحق ، وشاد عضده وأزره باخيه هارون ، وحق التوراة المكرمة وما فيها وما تضمنته ، وحق العشر كلمات التى انزلت على موسى فى الصحف الجوهر ، وما حوته قبة الزمان ، والا تعبدت فرعون وهامان ، وبرئت من اسرائيل (١) ، ودنت بدين النصرانية ، وصدقت مريم فى دعواها ، وبرات يوسف النجار ، وانكرت الخطاب ، وتعمدت الطور بالقاذورات ، ورميت الصخرة بالنجاسة ، وشركت بخت نصر (٢) فى هدم بيت المقدس وقتل بنى اسرائيل ، والقيت العذرة على مظان الأسفار ، وكنت ممن شرب [من] النهر ومال الى جالوت ، وفارقت شيعة طالوت ، وانكرت الانبياء ، وذللت على دانيال ، واعلمت جبار مصر بمكان ارمياء وكنت مع البغى والفواجر يوم يحيى ، وقلت : ان النار المضيئة من شجرة العوسج نـــار افك ، واخذت الطرق على مدين ، وقلت بالعظائم فى بنات شعيب، واجلبت مع السحرة على موسى ، ثم برئت ممن آمن منهم ، وكنت مع من قال : اللحاق [اللحاق] لندرك من فر ، واشرت بتخليف تابوت يوسف فى مصر ، وسلمت الى السامرى ، ونزلت اريحـــا مدينة الجبارين ، ورضيت بفعل سكنة سدوم ، وخالفت احكام التوراة ، واستبحت السبت وعدوت فيه ، وقلـــت ان المضلـــة ضلال ، وان الحنكة محال ، وقلت بالبذاءة على الله فى الاحكام ،

واجزت نسخ الشرائع ، واعتقدت أن عيسى بن مـريم المسيح الموعود به على لسان موسى بن عمران ، وانتقلت عن اليهودية الى سواها من الاديان ، واستبحت لحم الجمل والشحم والحوايا وما اختلط بعظم ، وتأولت أن أكل ثمنه غير أكله (١) ، وقلـبت مقالة اهل بابل فى ابراهيم ، والا أكون محرما حرمة تجمع عليهـا الاحبار ، وتقلب عليها حصر الكنائس ، ورددت الى التيـه ، وحرمت المن والسلو ، وبرئت من كل الاسباط ، وقعدت عن حرب الجبارين مع القدرة والنشاط » .

يمين اليهــود

عن ابن فضل الله العمرى ، التعريف بالمصطلح الشريف ؛ وانظر أيضاً

Gottheil, A Cairo synagogue Eleventh-cenury.

ملحق رقم (١١)

يمين السامرة

وهى على نحو من يمين اليهود ، لأنهم منهم ؛ وقد قال العلماء ؛ « ان وافقت اصولهم اصول اليهود أقروا [بالجزية](٣) والا فلا » . وقد خرجت لهم نسخة يمين تفردهم لموضع خلافهم لفرق اليهود وهى :

« اقول وانا فلان ، اننى والله والله والله العظيم ، البارىء ، القادر ، القاهر ، القديم ، الأزلى ، رب موسى وهارون ، منزل التوراة والألواح الجوهر ، منقذ بنى اسرائيل ، وناصب الطور قبلة للمتعبدين ، والا كفرت بما فى التوراة ، وبرئت من نبوة موسى ، وقلت بأن الامامة فى غير بنى هارون ، ودكيت الطور ، وقلعت بيدى اثر البيت المعمور ، واستبحت حرمة السبت ، وقلت بالتأويل فى الدين ، واقررت بصحة توراة اليهود ، وانكرت القول بان لا مساس (٤) ، ولم اتجنب شيئا من الذبائح ، واكلت الجدى بلبن امه ، وسعيت فى الخروج الى الأرض المحظور على سكنها ، واتيت النساء الحيض زمان الطمث مستبيحا لهن ، وبت معهن فى المضاجع ، وكنت أول كافر بخلافة هارون ، وانفت منها ان تكون » .

يمين السامرة

عن ابن فضل الله العمرى ، التعريف بالمصطلح الشريف
انظر ايضاً ،
Gottheil, A Cairo Synagogue Eleventh Century.

ترجمة اتفاق الخطوبة بالملحق رقم (١٢) (*)

(١) نقول نحن الشهود الواضعين خطوطنا آخر هـذا المسطور أن لما كان يوم (٢) الأربعاء ثالث يوم من شهر تشرى عام ١٣١٥ م حسب التقويم فى مدينة منية غمر (٣) التى هى على نهر النيل حيث مكان سلطة سيدنا وعظيمنا المبجل بيننا وموطن مجدنا وموئل (٤) فخرنا وتاج رءوسنا ، ونور جفوننا الذى هو الغالى على نفوسنا وحامل .

(٥) اسم الرب فى وسطنا وهو زعيم جيالنا من الراكبين أو المشاه هو نفسنا وهو تاجنا افراهام الرب مشرق الطلعة (٦) وهو ايضا الباطش العظيم حامل لواء الربانيين وهو الذى يحمل مجد كـل أولى الفطنه وهو الذى يتزعم كل الزعماء وهو رئيس الناجيدين .

(٧) هو السخى بين الأثرياء وعظيم اليهود وهو بمثابة الأب فى كل أمر عظيم وهو أسد التوراة الذى هو نسل الأقوياء (٨) وهو حامل المجد وهو شعلة الجمارا وهو رئيس أكاديمية التوراة وهو فى كل طرق الزمان هو الراعى الأمين .

(★) اتفاق خطوبة يرجع الى عام ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م كتب بالارامية والعبرية ومن بداية سطر ١٠ بالعبرية ، عن آشتور ·

History of the Jews, III, Fragments from the Cairo Genizah, pp. 74-75.

(٩) هو أمير للشعب لا يصمد ، فليكن اسمه أبديا وهو كالقمر قائم الى الأزل يخدم الإله ويقوم على (١٠) تمجيده وليكن مجيبه كما تشرق الشمس فى عظمته وقد حضرت الناس عندنا نحـن الذين نوقع .

(١١) أدناه رشيده بنت السيد اسحق امام الصلاة بنت السيدة شئيرت (شاريت) فلتكن روحها فى جنة عـدن وهى السيـدة الصالحة .

(١٢) الصديقة المتواضعة قالت لنا اشهدوا على واشتروا منى الآن وانا لا مقهوره .

(١٣) ولا مجبوره ولا مريضه ولا ... الا بقلب سليم وبعقل سليم اننى قد ارتضيت (١٤) بهذا الزواج من السيد يسحاق بن موشى ر [ؤبين] رحمه الرب واسكنه فسيح جنته ان يكـون زوجى وأوصلنا عشرة دنانير (١٥) [مقدم] ويكـون لى عليه مؤخـر ثلاثون ديناراً صرف كل دينار عشر (١٦) درهم نقره (*) درهـم نقره وان يكون سكنى بيدى وارتضا السيد يسحاق المذكـور (١٧) آنفا بما نسب اليه وان يسير معها مثل بنى اسرائيل مـع بنات اسرائيل حسب الشريعة (التوراة) .

(١٨) وحسب (الهالاخاه) وان رشيده العروس المذكورة أعلاه تعد سبعة أيام كاملة (١٩) وتقوم بالغطاس (الاستحـمام) فى مياه الحمام الشرعى وانها تربى ولد العريس المذكور موسى (٢٠) مدة عشر سنين وتقوم بجميع ضرورياتها ثم ان العـريس السيـد اسحاق (٢١) المذكور آنفا اقنى منه (التزام) ان يكون السيد

(*) الدرهم النقرة : الفضة الخالصة .

ابراهام المصلى بالمصلحين فى المعبد (يهودا) المرحوم فى تسليم (٢٢) قيمة الشبكة وان يكون يده بيده وحكمه لحكمه (العريس) ثم أن رشيذة الفروتس (٢٣) المذكور اعلاه التزمت (او وكلت) ان يكون رشيد الذى يقوم بالصلاة بالجمهور أخوها وهو ابن السيد اسحق (٢٤) وكلها فى قبض الشبكة التى لها وجعلت يده كانها يدها وحكمه كحكمها (٢٥) وحينئذ اخذنا من ايديهم قنيان (التزام) كامل ونهائى بلفظة من الآن بكل وسيلة مرضية عنها شرعا من التزام (٢٦) برغبتهما بلا ضغط ابدا مما قد يبطل العقد وكلاهما عارف بالشروط على كل ما كتب (٢٧) وكل ما هو مفسر فيما هو مدون اعلاه مما هو مدون بين اسطر الوثيقة بشكل صحيح وذلك هو ما ينفذونه وما كان (٢٨) اما ما كتبناه ووقعنا عليه ليكون ذلك حجه وبرهاناً وكل ذلك واضح وصريح وقد قام بالاشراف عليه .

(افنير اللاوى) المعلم

ابن موشى اللاوى

رحمه الله

اليعازر بن خلفون

رحمه الله

ملحق رقم (١٣)

عثر فى وثائق الجنيزة على وثيقة زواج لا تتضمن اسم العريس أو العروس بالكامل ، وبعد فحص الوثيقة تبين أن اسم العريس هو « يشوعاه بن داود » واسم العروس « شفيع بنت اسحق هاكوهين » وفي تلك الوثيقة ذكر فى جانبها اسم رابي داود الناجيد بن رابى ابراهام .

(★) وثيقة زواج ترجع الى عام ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م كتبت باللغة العبرية والارامية عن أشتور .

History of the Jews, III, Fragments from the Cairo Genizah, pp. 62, 63.

ونقلها الى العربية .

ملحق رقم (١٤)

ترجمة الوثيقة بالملحق رقم (١٤) (*)

يرجع تاريخ هذه الوثيقة الى عام ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م نجد قائمة بما قدمه الزوج اليعـازر بن رابى يشوعـا الى زوجته شميسه بنت يعقوب .

(١٢) وهذه هى القائمة لما سلمته أولا خلخال بفصوص زرقـاء ولولى رقيق تريمسات عنبر .

(١٣) بأربعة دنانير مشعل مطلى وملعقة فضة بدينار ، وحد سير ذهب أهوازى وسلستين بفصوص .

(١٤) وأطراف ذهب مرقوم بسته دنانير قجيجه حريرى اسكندرى مقصور بخمسة دنانير .

(١٥) ثلاثة دنانير توبين بيض أحدهم برعوس أخماس مذهبـه بأربعة دنانير .

(١٦) قجيجة نتر بأسود بـ (؟) دنانير قجيجة معتقه باثنين دينار بغلطاق .

(*) وثيقة زواج ترجع الى عام ٧١٠هـ / ١٣١٠م ، كتبت بالآرامية والعربية اليهودية وقد اعتمدنا على الجزء العربى اليهودى من سطر ١٢ الى سطر ٢٠ عن أشتور .
History of the Jews, III, Fragments from the Cairo Genizah, pp. 67, 68.

(١٧) اثنين دينار نقاب (١) ... بحاشيه سودا باثنين دينار بدن ابيض بحاشيه .

(١٨) يه . حمرا وفرخ . — (ذ) هب بأربعة دنانير ة ازار بأربعة دنانير .

(١٩) ملحفة .

(٢٠) لحاف وطراحة ستة دنانير . خلخلين مطرزين ومنشفة باثين صندوقى وفى النهاية ينبغى أن نذكر أنه فى هذه الوثيقة ايضا يوجد شرط بخصوص اجراء الحمام الطقسى حسب الشريعة اليهودية من أجل التطهر من الحيض .

ملحق رقم (١٥)

ترجمة الوثيقة بالملحق رقم (١٥) (*)

(١) نقول نحن الشهود الواضعين خطوطنا أخره ان لما كان في اليوم الخامس .

(٢) وعشرين من شهر تشرى سنة ١٦٠٧ طبقاً للتقــويم اليهودى (**) .

(٣) الذى درجنا عليه هكذا فى فسطاط مصر التى على نهر النيل حيث تستقر حضرت .

(٤) الينا موقعة ابنة ارميا اللاوى المذكورة فى داخل هــذه الوثيقة ونفذ منها بيعة كامله .

(★) وثيقة تنازل عن عقد زواج ترجع الى مدينة الفسطاط عام ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م كتبت المقدمة بالعربية اليهودية أما باقى النص فكتب بالارامية متدخلا مع العربية اليهودية عن آشتور :
History of the Jews, III, Fragments from the Cairo Genizah, pp. 66, 67.

(★★) التقويم اليهودى . التقويم العبرى معقد للغــاية ، فيجعـل نقطة بدايته لحظة كونية لا تاريخية هى خلق العالم ، وقد حدد حاخامات اليهود تاريخ بدء الخليقة على اساس التواريخ التوراتية بعــام ٣٧٦٠ قبل الميلاد ، وحسب تقويمهم يصبح عام ١٩٧٤ م هى سنة ٥٧٣٤ يهودية (مجموع ٣٧٦٠ + ١٩٧٤) ويمكن التوصل للسنة اليهودية باضافة تاريخ خلق الكون الى التاريخ الميلادى انظر : المسيرى ، موسوعة المفاهيم ، ص ١٣٩ .

(٥) كالها لاخاه انه أبرت زوجها الشيخ ابراهام الكاهـن ابن الشيخ رشيد .

(٦) من المؤخر المذكور باطنها ومن المهر ومن سائر الحقوق والدعاوى .

(٧) ومن كل ما تدعى به النساء على الرجال ومن سائر .

(٨) الايمانات والحرمات وما يتبع ذلك من الازل وحتى الآن ونفذ منها القنيان على جميع .

(٩) ذلك بما هو صالح لأن تتصرف فيه بكلمة منذ الآن وذلك وفقا لما أبطله كل الحاضرين المبطلين .

(١٠) ويكل الشروط ذلك حسب رغبتهـا بدون أى قهـر واصبح ذلك كله واضحا وقائما ومعدا .

الشاهـد

سعديا بن يهودا

رحمه الله

ترجمة الوثيقة بالملحق رقم (١٦)
من العربية اليهودية الى العربية (*)

ب ى ع (١) ، ع م ى (٢) ، ع ش و (٣)

(١) لما كان بتاريخ يوم الأربعاء .

(٢) ثامن عشر من شهر سيفان عام .

(٣) ١٤٨٢ ، حسب التقويم .

(٤) الذى اعتدنا عليه في مدينة .

(٥) القاهرة المجاورة لفسطاط .

(٦) مصر والتى على نهر النيل .

(٧) حضرنا نحن الواضعين خطوطنا (تواقيع) .

(٨) فيه اخيرا ، واشهدنا علي .

(★) وثيقة زواج اخ من أرملة اخيه المتوفى ، ترجع الى عام ٨٨٧هـ/١٤٨٢م ، كتبت بالعبرية اليهودية . عن اشتور .
History of the Jews, III, Fragments from the Cairo Genizah, pp. 112, 113.

(١٠) اختصار بعون الله .

(١١) اختصار بمعنى عون من الرب .

(١٢) اختصار لصانع السموات والارض .

(٩) ك ر (حضرت المبجل) رابى يهوشـــوع بن ك ج ق (حضرت الجاؤون) الذى آتى من نسل الذى نير نظرنا بالنظر اليه .

(١٠) يوسف الناجيد طيب الله سراه والسيده فرج .

(١١) ارملة ك ج ق الذى ينير اعيننا بالنظر اليه شلوموه .

(١٢) طيب الله سراه ، ووقع الاتفاق بينهم انه .

(١٣) ارتضى ان يقيم شريعة اليبوم اى يتزوجها ويقم شريعة الزواج من زوجة اخيه بعد وفاته .

(١٤) وهى ايضا راضية بذلك ، ووقع الشرط .

(١٥) بينهم انه يسوى بين الزوجتين ، ليله .

(١٦) للزوجة الاولى وليلة للزوجة الثانية ، وكذلك المدة التى

(١٧) يقيم فيها فى دموه عندما يحضر .

(١٨) يقيم عندها نظيرهم .

(١٩) وما يقوم عند زوجته الاولى الا يومين .

(٢٠) فى الجمعة فى هذه المدة ، وانها ارضت فى الكسوه الماضية

الصفحة الثانية :

(١) بخمسة عشر اشرفى ونصف

(٢) ولم يتأخر لها فى ذمة

(٣) المنتقل شىء قل ولا جل

(٤) غير المؤجر بشرط أن يحصل

(٥) اليوم وانهم يكونوا على قلب واحد

(٦) وبنفس راضية ومتى خرج

(٧) احد عن الشروط المذكورة يكون .

(٨) ملتزم بعشرة اشرفى وكان

(٩) ذلك منهم بعقد متفق عليه .

(١٠) بما هو متعارف عليه ، ليقيم كل منهم أن يلتزم بما جاء فى العقد .

(١١) من الآن برضائهما بدون قهر وقع على اى منهما وذلك هو العرف العام ،

(١٢) ومن انتهج ما قد كتب به القلم .

(١٣) يكون ملتزماً بعشرة دنانير أشرفية (*) .

(١٤) وكل ذلك وقع بالحق .

(*) دنانير اشرفية ، نسبة الى الدنانير التى أصدرها السلطان الأشرف برسباى .

ترجمة الوثيقة بالملحق رقم (١٧)
من العربية اليهودية الى العربية (*)

اسم المرسل باطنه يحيى يهوده بن جوه

وقت سعيد

(١) التقويم السعيد فى ليلة الاحد ثامن

(٢) يوم شهر طبعه عام ١٤٠١ م حسب فروق التقويم على

(٣) العريس الشيخ بن الرابى يهودا برشلومو

(٤) فلتكن روحه فى جنة عدن بن الرابى مائير فلتكن روحه فى جنة عدن يديع بن جوا العروس العذراء الرشيد

(٥) التى تدعى دولسا بنت الرابى يسحق فليمش حياة طيبة ابن يوسف

(٦) يديع نعمن

(٧) المقدم	المؤخر
٢٠	٦٤

(★) عقد زواج يرجع الى سنة ٩١٧ هـ / ١٥١١ م كتب بالعربية اليهودية . عن :
Gottheil, Fragments from the Cairo Genizah in the freer Collection, pp. 178, 180, 182.

(٨) المصاغ زينة يد العروس على العريس وكسوتها عليه والشقا

(٩) تحت يد العريس الندونيا (بائنه العروس) .
خاتم ذهب وهو ملك ...

(١٠) رداء (فستان) واملاك وثياب ذهب بطراطير وثياب ذهب من كشمير

(١١) لولو ورقاص ذهب زيق ذهب بزاوية ثلاث ازواج اساور

(١٢) فضة واحد مطلية خمس خواتم فضة بفصوص أحدهم بفص ساذج يساوى

(١٣) ٤ دنانير وخاتم عقيق و ٤ سلاسل وحلق عاج

(١٤) منديل سكندرى بقصب (٤)

(١٥) نصف منديل بقصب نصفين منديلين سكندرى منديل (٤) الأول (٢) مرسى بجبة حرير

(١٦) بعشرين الأول بنصف فضة بحق قصب وسمله هرمزى بنصف فضه سلطانى

(١٧) بعشرين الأول بنصف فضة بحق قصب منديل هرمزى بنصف فضة بقصب ومرتعش (نوع من الثياب)

(١٨) بخنق هرمزى دم الغزال بـ ٨ دنانير

(١٩) اسطنبولى بخناق هرمزى بـ ٨ اسطنبولى
رفتين وشدود (٣) (٤) وطرح وعصايب

(٢٠) زعبوط مغربى (٥) زعابيط وغطا قناديل وغير ذلك عدا
(٣) (١٠) (١٠) الثمين

(٢١) كاملية كامكه بلدى أزرق وكاملية كمكه أخضر
(٥) (٥)

(٢٢) قشر بادى ابيارى غوبه بدم الغزال سايه
جوخ قرمزى (٤)

الوجه الثانى من الصفحة

(١) ستارة بيض بحواشى حرير دابر قصص
(٣) بحواشى حرير

(٢) ملايتين بيض ومنديل أبيض (٢)
(٤)

(٣) وخده سفارى بيض

(٤) وتم زفافهما فى ليلة الخميس ثانى عشر يوم من شهر تاريخه الشاهد الثانى

(٦) والكتوباه (عقد زواج) أخذها صموئيل كرابيلس (طرابلس) فليذكر بالخير

(٧) الحاشر ليوصلها لوالد العروس .

ترجمة الوثيقة بالملحق رقم (١٨) (*)

يهوده مغربى « هشبوبه أستير » (١) .

فى وقت سعيد (ملىء بالبهجة)

(١) بتاريخ يوم الأحد ثامن يوم من شهر طبت

(٢) سنة (١٥١١ م) حسب الفروق فى التقويم حصل موافقة من

(٣) يهوده بريعقوب براهرون وبين العروس هكله

(٤) هشبويه (الاسيرة) المدعوة استير بنت لاب موشى

(٥) يذكر بالخير هو ابن الحاخام يعقوب بديع كحلى

(٦) المقدم وهو « فكاكها » و ... المؤخر
١٨٠ ٥٠

(٧) زينه يد العروس للعريس وكسوتهما ملية

(٨) والشقة ملك العريس

(٩) والارث طبقا لشريعة التوراة

(★) عقد زواج يرجع الى سنة ٩١٧هـ/١٥١١م كتب بالعربية اليهودية .

(١) الأسيرة . Gottheil, Fragments from the Cairo Genizah in the Freer Collection, pp. 182, 184, 186, 188.

(١٠) أن الزوج يرث زوجته

(١١) وان معاذ الله (لا قدر الله) يموت الزوج ويترك ابناء منها

(١٢) لا تطول من الكتوفاه الا مائة فرحيه فقط

(١٣) وما سوف يبقى يكون للأبناء وان طلق سوف تاخذ

(١٤) المائة وثمانين الكتوفاه لها كاملة

(١٥) وتم الزفاف فى يوم الجمعة ثالث

(١٦) عشر يوم من شهر تاريخه والكتوفاه

(١٧) أخذها (الحاشر) شموئيل كرابليس ليوصلها

(١٨) لأهل العروس الشاهد الثانى راب ناثان

ليحى سقالين قهر

الوجه الأول من الصفحة

	دهب	فضة
(١) كامليه حمره	٤	(١٧)
(٢) قميص حرير	٣	(٥)
(٣) تفصيله بلدى	١	(٤)
(٤)كاس ١١ ذراع		(٢٤)
(٥) منديل بلدى		(٢١)
(٦) شدين شعر		(٢٣)
(٧) بخنق شامى حريرى		(١٥)
(٨) شعرية		(٧)
(٩) مئزر		(٦)
(١٠) منشفة		(٥)
(١١) نصف منديل		(٤½)
(١٢) كامليه سكندرى	٤	(٢)
(١٣) بخنق هرمزى أخضر		(٤٣)
(١٤) بخنق أزرق		(٣٨)
(١٥) أربع اذرع هرمزى اصفر		(٢٨)
(١٦) نصف ذراع هرمزى أسود		(٣)
(١٧) منديل بلدى		(١٠)
(١٨) نقاب بلدى		(١٢)
(١٩) شد اصفر		(٧½)
(٢٠) خرقه هرمزى		(١٦)
(٢١) تبقاب		(٥½)
(٢٢) عصايب واقراص ورق		(٢)
(٢٣) مركوب		(٧)

الوجه الثانى من الصفحة فضة

(١) حلاو وغيرها (٣٠)

(٢) ما ورد وجاوى وزبده (٢٣)

(٣) زوجا زنجين اساور فضة

(٤) خاتمين ذهب

(٥) خاتمين فضة

(٦) شرفى ذهب

(٧) جملة الحوائج فضة

(٨) مع الاشرفى وال ...

(٩) الخواتم

(١٠) ٣٥ اشرفى

(١١) ثم ان اسحق زوج أم العروس تسلم

(١٢) جميع ما فى القائمة على سبيل الودائع

(١٣) للعروس وانه يوصلهم للعريس يحيى فى ليلة

(١٤) الزفاف على عيد الفصح الزم الزفاف

(١٥) على العريس يعيش انه من يوم تاريخه الى ليلة الزفاف

(١٦) يمون العروس

(١٧) العريس يحيى بن نسيم فلتكن روحه فى جنة عدن بن منجم بديع

(١٨) حنون العروس الصبيه ذات السادس عشرة سنة

(١٩) المدعو قمر بنت معشه وزينة يد العروس على الزوج

(٢٠) وكسوتها عليه والشقة تحت يد العريس

(٢١) المقدم   والمؤخر
٣٥   ٥٥ بيد العريس

بالقاهرة

وكان ذلك جميعه فى بيت أب هديين القاضى بن سموال طيب الله سراه وبحضور يوسف الكاتب السنوفر وبعض عشر القهل بعشر مقبوض ليلة الأحد سابع شهر كسلو عام ١٥١١ م مع فزوق التقويم

الشاهد الثانى

رابى ناثان

فليذكر بالخير فضل فريحه

موسى نقوب

الوجه الآخر من الصفحة

ولما تراضوا على ذلك جميعه حكم لها من الخطبة الثامة فى ليلة الاثنين ثانى يوم من شهر طبت سنة تاريخه

الشاهد الثانى فى الخطبة التامة أيضا

رابى ناثان فليذكر بالخير

(هامش الصفحة الثانى)

بالتاريخ ليلة الجمعة ثانى عشرين شهر كسلو عام ١٥١١ م مع فروق التقويم .

ترجمة بقايا عقد زواج بالملحق رقم (١٩) (*)

(٤) فى أرض مصر فى هذا الزمان وهـذه هى البائنه التى اعطيتها لها فى بيت أبيها شملا ذهب ولولى بـ ٦٠ دينارا .

(٥) دنانير خاتم ذهب بفص فيروز بائنين دينار وخاتم ذهب به فص عقيق

(٦) بخمسة دنانير ، سلسلة عقيق مـع ذهب وجواهـر دينارين ، زوج سلاسل لولى مذهبه وعقيق أربعة دنانير .

(٧) عقيق بعشرة دنانير حلق بخمسة أزواج ، حلق ... بستة دنانير ، حلق مفضه بميناء دينار واحد

(٨) بغطاء وعقود وملعقة ووزن ذلك بمائتى درهـم ... عشرين ديناراً حد عنبر

(٩) بحليه خمسة دنانير ، فوطه شامى بحليه خمسة دنانير، فوطه عمامه دينار ، حد تجيجة خمسة (   )

(١٠) أربعة دنانير تجيجة ، تجيجة بندقى أربعة دنانـير ، تجيجة بندقى أيضا أربعة دنانير .

(★) بقايا عقد زواج كتب بالعبرية اليهودية يرجح بانه يرجع الى النصف الاخير من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، عن اشتور .
History of the Jews, III, Fragments from the Cairo Genizah, pp. 72, 73.

الفهـــــرس

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

صدر في هذه السلسلة :

١ - **مصطفى كامل في محكمة التاريخ ،**
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٢ - **على ماهر ،**
رشوان محمود جاب الله ، ١٩٨٧

٣ - **ثورة يوليو والطبقة العاملة :**
عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٨٧

٤ - **التيارات الفكرية في مصر المعاصرة ،**
د. محمد نعمان جلال ، ١٩٨٧

٥ - **غارات أوروبا على الشواطىء المصرية في العصور الوسطى ،**
علية عبد السميع الجنزوري ، ١٩٨٧

٦ - **هؤلاء الرجال من مصر ، ج ١ ،**
لمعي المطيعي ، ١٩٨٧

٧ - **صلاح الدين الأيوبي ،**
د. عبد المنعم ماجد ، ١٩٨٧

٨ - **رؤية الجبرتي لأزمة الحياة الفكرية ،**
د. علي بركات ، ١٩٨٧

٩ - **صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل ،**
د. محمد أنيس ، ١٩٨٧

١٠ - **توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية ،**
محمود فوزي ، ١٩٨٧

١١ - **مائة شخصية مصرية وشخصية ،**
شكري القاضي ، ١٩٨٧

١٢ - **هدى شعراوي وعصر التنوير ،**
د. نبيل راغب ، ١٩٨٨

١٣ ـ أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان : رؤية تاريخية .
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ط ٢ ، ١٩٩٤

١٤ ـ مصر فى عصر الولاة ، من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونيـة .
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٨

١٥ ـ المستشرقون والتاريخ الاسلامى .
د. على حسنى الخربوطلى ، ١٩٨٨

١٦ ـ فصول من تاريخ حركة الإصلاح الإجتماعى فى مصر : دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ ـ ١٩٥٢) .
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٨

١٧ ـ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى .
د. محمد نور فرحات ، ١٩٨٨

١٨ ـ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية .
د. على السيد محمود ، ١٩٨٨

١٩ ـ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين .
د. أحمد محمود صابون ، ١٩٨٨

٢٠ ـ دراسـات فى وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى .
د. محمد أنيس ، ط ٢ ، ١٩٨٨

٢١ ـ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ج ١ .
د. توفيق الطويل ، ١٩٨٨

٢٢ ـ نظرات فى تاريخ مصر .
جمال بدوى ، ١٩٨٨

٢٣ ـ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ج ٢ ، امام التصوف فى مصر : الشعرانى .
د. توفيق الطويل ، ١٩٨٨

٢٤ - **الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦)** ،
د . نجوى كامل ، ١٩٨٩ .

٢٥ - **المجتمع الاسلامى والغرب** ،
تأليف : هاملتون جب وهارولد بوون ، ترجمة : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٨٩ .

٢٦ - **تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة** ،
د . سعيد اسماعيل على ، ١٩٨٩ ،

٢٧ - **فتح العرب لمصر ، ج ١** ،
تأليف : ألفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ١٩٨٩

٢٨ - **فتح العرب لمصر ، ج ٢** ،
تأليف : ألفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ١٩٨٩

٢٩ - **مصر فى عصر الاخشيديين** ،
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٩

٣٠ - **الموظفون فى مصر فى عصر محمد على** ،
د . حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٩

٣١ - **خمسون شخصية مصرية وشخصية** ،
شكرى القاضى ، ١٩٨٩

٣٢ - **هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٣** ،
لمعى المطيعى ، ١٩٨٩

٣٣ - **مصر وقضايا الجنوب الافريقى : نظرة على الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية** ،
د . خالد محمود الكومى ، ١٩٨٩

٣٤ - **تاريخ العلاقات المصرية المغربية ، منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢** ،
د . يونان لبيب رزق ، محمد مزين ، ١٩٩٠ .

٣٥ ـ **اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة ،**
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٠

٣٦ ـ **المجتمع الاسلامى والغرب ، ج ٢ ،**
تاليف : هاملتون بووين : ترجمة : د ٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٩٠

٣٧ ـ **الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن ،**
د ٠ سليمان صالح ، ١٩٩٠

٣٨ ـ **فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى ،**
د ٠ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٩٠

٣٩ ـ **قصة احتـــلال محمد على لليونان (١٨٢٤ ـ ١٨٢٧) ،**
د ٠ جميل عبيد ، ١٩٩٠

٤٠ ـ **الأسلحة الفاسـدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨ ،**
د ٠ عبد المنعم الدسوقى الجميعى ، ١٩٩٠

٤١ ـ **محمد فريد : الموقف والمأساة ، رؤية عصرية ،**
د ٠ رفعت السعيد ، ١٩٩١

٤٢ ـ **تكوين مصر عبر العصـور ،**
محمد شفيق غربال ، ط ٢ ، ١٩٩٠

٤٣ ـ **رحلة فى عقول مصرية ،**
ابراهيم عبد العزيز ، ١٩٩٠

٤٤ ـ **الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى ،**
د ٠ محمـد عفيفى ، ١٩٩١

٤٥ ـ **الحروب الصليبية ، ج ١ ،**
تاليف : ولم الصـورى ، ترجمة وتقديم : د ٠ حسن حبشى ، ١٩٩١

٤٦ ـ **تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ ـ ١٩٥٧) ،**
ترجمة : د • عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩١

٤٧ ـ **تاريخ القضاء المصرى الحديث ،**
د • لطيفة محمد سالم ، ١٩٩١

٤٨ ـ **الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الاسلامى ،**
د • زبيدة عطا ، ١٩٩١

٤٩ ـ **العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ ـ ١٩٧٩) ،**
د • عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

٥٠ ـ **الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) ،**
د • سهير اسكندر ، ١٩٩٣

٥١ ـ **تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية ،**
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة ، فى ابريل ١٩٩١) أعدتها للنشر :
د • عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

٥٢ ـ **مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين ، فى القرن الثامن عشر ،**
د • الهام محمد على ذهنى ، ١٩٩٢

٥٣ ـ **أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة ،**
د • محمد كمال الدين عز الدين على ، ١٩٩٢

٥٤ ـ **الاقباط فى مصر فى العصر العثمانى ،**
د • محمد عفيفى ، ١٩٩٢

٥٥ ـ **الحروب الصليبية ج ٢ ،**
تاليف : وليم الصورى ، ترجمة وتعليق : د • حسن حبشى ، ١٩٩٢

٥٦ ـ **المجتمع الريفى فى عصر محمد على : دراسة عن اقليم المنوفية ،**
د • حلمى أحمد شلبى : ١٩٩٢

٥٧ ـ **مصر الاسلامية واهل الذمة ،**
د • سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٩٢
٥٨ ـ **احمد حلمي سجين الحرية والصحافة ،**
د • ابراهيم عبد الله المسلمي ، ١٩٩٣
٥٩ ـ **الرأسمالية الصناعية في مصر ، من التمصير الى التاميم (١٩٥٧ ـ ١٩٦١) ،**
د • عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٩٣
٦٠ ـ **المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،**
عبد الحميد توفيق زكي ، ١٩٩٣
٦١ ـ **تاريخ الاسكندرية في العصر الحديث ،**
د • عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣
٦٢ ـ **هؤلاء الرجال من مصر ج ٣ ،**
لمعي المطيعي ، ١٩٩٣
٦٣ ـ **موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر الاسلامية ،**
تاليف : د • سيدة اسماعيل كاشف ، جمال الدين سرور، وسعيد عبد الفتاح عاشور ، أعدها للنشر : د• عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣ •
٦٤ ـ **مصر وحقوق الانسـان ، بين الحقيقة والافتراء دراسة وثائقية ،**
د • محمد نعمان جلال ، ١٩٩٣
٦٥ ـ **موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ ـ ١٩١٧)**
سـهام نصار ، ١٩٩٣
٦٦ ـ **المرأة في مصر في العصر الفاطمي**
د • نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٣
٦٧ ـ **مساعي السلام العربية الاسرائيلية : الأصول التاريخية ،**
(أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس

الأعلى للثقافة ، بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس ، في ابريل ١٩٩٣) ، أعدها للنشر : د ٠ عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٨ ـ **الحروب الصليبية ، ج ٣ ،**
تاليف : وليم الصـوري ، ترجمـة وتعليق : د ٠ حسن حبشي ، ١٩٩٣

٦٩ ـ **نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦ ـ ١٩٥١)،**
د ٠ محمد أبو الاسعاد ، ١٩٩٤

٧٠ ـ **أهل الذمة في الاسـلام ،**
تاليف : أ٠ س٠ ترتون ، ترجمة وتعليق : د٠ حسن حبشي، ط ٢ ، ١٩٩٤

٧١ ـ **مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) ،**
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة : د ٠ عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩٤

٧٢ ـ **رؤية الرحالة المسلمين للأحوال الماليـة والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمى (٣٥٨ ـ ٥٦٧ هـ) ،**
أمينة أحمد امام ، ١٩٩٤.

٧٣ ـ **تاريخ جامعة القاهرة ،**
د ٠ رؤوف عباس حامد ، ١٩٩٤

٧٤ ـ **تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، ج ١ ، فى العصر الفرعونى**
د ٠ سمير يحيى الجمال ، ١٩٩٤ ٠

٧٥ ـ **أهل الذمة فى مصر ، فى العصر الفاطمى الأول ،**
د ٠ سلام شافعى محمود ، ١٩٩٥

٧٦ ـ **دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى (زمن الاحتـلال البريطانى) ،**
د ٠ سعيد اسماعيل على ١٩٩٥

٧٧ ـ الحروب الصليبية ، ج ٤ ،
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى ، ١٩٩٤

٧٨ ـ تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ ـ ١٨٩٩) ،
نعمات أحمد عثمان ، ١٩٩٥

٧٩ ـ تاريخ الطرق الصوفية فى مصر ، فى القرن التاسع عشر ،
تأليف : فريد دى يونج ، ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال ، ١٩٩٥

٨٠ ـ قناة السويس والتنافس الاستعمارى الأوربى (١٨٨٢ ـ ١٩٠٤) ،
د . السيد حسين جلال ، ١٩٩٥

٨١ ـ تاريخ السياسة والصحافة المصرية ، من هزيمة يونيو الى نصر أكتوبر ،
د . رمزى ميخائيل ، ١٩٩٥

٨٢ ـ مصر فى فجر الاسلام ، من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونية ،
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٨٣ ـ مذكراتى فى نصف قرن ، ج ١ ،
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٨٤ ـ مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٢ ، القسم الأول ،
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٥

٨٥ ـ تاريخ الاذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ ـ ١٩٥٢)،
د . حلمى أحمد شلبى ، ١٩٩٥

٨٦ ـ تاريخ التجارة المصرية فى عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ ـ ١٩١٤) ،
د . أحمد الشربينى ، ١٩٩٥

٨٧ ـ **مذكرات اللورد كلين ، ج ٢ ، (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) ،**
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة وتحقيق : د · عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩٥

٨٨ ـ **التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية ،**
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٥

٨٩ ـ **تاريخ الموانىء المصرية فى العصر العثمانى ،**
د · عبد الحميد حامد سليمان ، ١٩٩٥

٩٠ ـ **معاملة غير المسلمين فى الدولة الاسلامية ،**
د · نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٦

٩١ ـ **تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ،**
تأليف : بيتر مانسفيلد ، ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال ، ١٩٩٦

٩٢ ـ **الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) ج ٢ ،**
نجوى كامل ، ١٩٩٦

٩٣ ـ **قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ ـ ١٩٥٨) ،**
د · نبيه بيومى عبد الله ، ١٩٩٦

٩٤ ـ **الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) ، ج ٢ ،**
د · سهير اسكندر ، ١٩٩٦

٩٥ ـ **مصر وافريقيا ·· الجذور التاريخية الافريقية المعاصرة ،**
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة)
أعدها للنشر د · عبد العظيم رمضان

٩٦ ـ **عبد الناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ ـ ١٩٧٠) .**
تأليف : مالكولوم كير ، ترجمة : د . عبد الرؤوف أحمد عمرو

٩٧ ـ **العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ،**
د . ايمان محمد عبد المنعم عامر

٩٨ ـ **هيكل والسياسة الأسبوعية ،**
د . محمد سيد محمد

٩٩ ـ **تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى ـ الرومانى) ج ٢ ،**
د . سمير يحيى الجمال

١٠٠ ـ **موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر القديمة ،**
أ. د. عبد العزيز صالح ، أ. د. جمال مختار ،
أ. د. محمد ابراهيم بكر ، أ. د. ابراهيم نصحى ،
أ. د. فاروق القاضى ، أعدها للنشر : أ. د . عبد العظيم رمضان

١٠١ ـ **ثورة يوليو والحقيقة الغائبة ،**
اللواء / مصطفى عبد المجيد نصير ، اللواء / عبد الحميد كفافى ، اللواء/ سعد عبد الحفيظ ، السفير/ جمال منصور

١٠٢ ـ **المقطم جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر ١٨٨٩ ـ ١٩٥٢،**
د . تيسير أبو عرجة

١٠٣ ـ **رؤية الجبرتى لبعض قضايا عصره ،**
د . على بركات

١٠٤ ـ **تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ ـ ١٩٥٢) ،**
د . فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ ـ **السلطة السياسية فى مصر وقضية الديمقراطية (١٨٠٥ ـ ١٩٨٧) ،**
د . أحمد فارس عبد المنعم

١٠٦ ـ **الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن ، ج ٢ ،**
د . سليمان صـــالح

١٠٧ ـ **الأصولية الاسلامية فى العصر الحديث ،**
تاليف : دليب هيرو ، ترجمـة : عبد الحميد فهمى الجمال

١٠٨ ـ **مصر للمصريين ، ج ٤ ،**
سليم خليل النقاش

١٠٩ ـ **مصر للمصريين ، ج ٥ ،**
سليم خليل النقاش

١١٠ ـ **مصادر الأملاك فى الدولة الاســـلامية (عصر ســلاطين المماليك) ، ج ١ ،**
د . البيومى اسماعيل الشربينى

١١١ ـ **مصـــادر الأملاك فى الدولة الاسلاميـــة (عصر ســلاطين المماليك) ، ج ٢ ،**
د . البيومى اسماعيل الشربينى

١١٢ ـ **اسماعيل باشا صدقى ،**
د . محمد محمد الجوادى

١١٣ ـ **الزبير باشا ودوره فى السودان (فى عصر الحكم المصرى) ،**
د . اسماعيل عز الدين

١١٤ ـ **دراسات اجتماعية فى تاريخ مصر ،**
أحمـد رشدى صـالح

١١٥ ـ **مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٣ ،**
أحمد شفيق باشـــا

١١٦ ـ **أديب أسحق (عاشق الحرية) ،**
عــلاء الدين وحيــد

١١٧ ـ **تاريخ القضــاء فى مصر العثمانية (١٥١٧ ـ ١٧٩٨) ،**
عبد الرازق ابراهيم عيسى

١١٨ ـ **النظم المالية فى مصر والشام زمن سـلاطين المماليك ،**
د • البيومى اسماعيل

١١٩ ـ **النقابات فى مصر الرومانية ،**
حسين محمد أحمد يوسف

١٢٠ ـ **يوميات من التاريخ المصرى الحديث**
لويس جرجس

١٢١ ـ **الجلاء ووحدة وادى النيل (١٩٤٥ ـ ١٩٥٤)**
د • محمد عبد الحميد الحناوى

١٢٢ ـ **مصر للمصريين ج ٦**
سليم خليل النقاش

١٢٣ ـ **السيد احمــد البدوى •**
د • سعيد عبد الفتاح عاشور

١٢٤ ـ **العلاقات المصرية الباكستانية فى نصف قرن**
د • محمد نعمان جلال

١٢٥ ـ **مصر للمصريين ج ٧**
سليم خليــل النقاش

١٢٦ ـ **مصر للمصريين ج ٨**
سـليم خليل النقاش

١٢٧ ـ مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ ـ ١٩٥٨)
ابراهيم محمد محمد ابراهيم
١٢٨ ـ معارك صـــحفية
جمـــال بدوى
١٢٩ ـ الدين العـــام (وأثره فى تطـــور الاقتصـــاد المصرى)
(١٨٧٦ ـ ١٩٤٣)
د ٠ يحيى محمد محمود
١٣٠ ـ تاريخ نقابات الفنانين فى مصر (١٩٨٧ ـ ١٩٩٧)
سمير فريد
١٣١ ـ الولايات المتحدة وثورة يوليو ١٩٥٢ (١٩٥٢ ـ ١٩٥٨)
تأليف جايل ماير ، ترجمة عبد الرءوف أحمد عمر
١٣٢ ـ دار المندوب السامى فى مصر جـ١ ،
د ٠ ماجدة محمد حمود
١٣٣ ـ دار المندوب السامى فى مصر جـ٢ (١٩١٤ ـ ١٩٢٤)
د. ماجدة محمد حمد
١٣٤ ـ الحملة الفرنســية على مصر فى ضـــوء مخطوط عثمانى
مخطوطة « ضيا نامة » للدار ندلى ٠
بقلم/ عزت حسن أفندى الدار ندلى ٠
ترجمة : جمال سعيد عبد الغنى ٠
١٣٥ ـ اليهود فى مصر المملـــوكية فى ضـــوء وثائق الجنيزة
(٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م) ٠.
د ٠ محاسن محمد الوقاد ٠

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٧٦٠٣/١٩٩٨

ISBN — 977 — 01 — 6035 — 0

هذا الكتاب ينقسم إلى أربعة أبواب يسبقها مدخل عن اليهود فى مصر الإسلامية قبل عصر المماليك، وفى الباب الأول تناول مكانة اليهود فى الدولة المملوكية. فتناول علاقتهم بالطبقة الحاكمة، ووظائفهم فى الدولة، وتعرض لمدى التزامهم بشروط عمر بن الخطاب. أما الباب الثانى فيتناول أحوال اليهود الاقتصادية وفيه تتحدث المؤلفة عن حرف وصناعات اليهود، ونشاطهم التجارى. أما الباب الثالث فيتناول المجتمع اليهودى وتقسيماته الطائفية، وزعاماته الدينية. وتستكمل المؤلفة ذلك فى الباب الرابع، الذى تتناول فيه الحياة الأسرية لليهود، وأعيادهم واحتفالاتهم.

٥٠٠ قرش

مطابع الهيئة المصرية